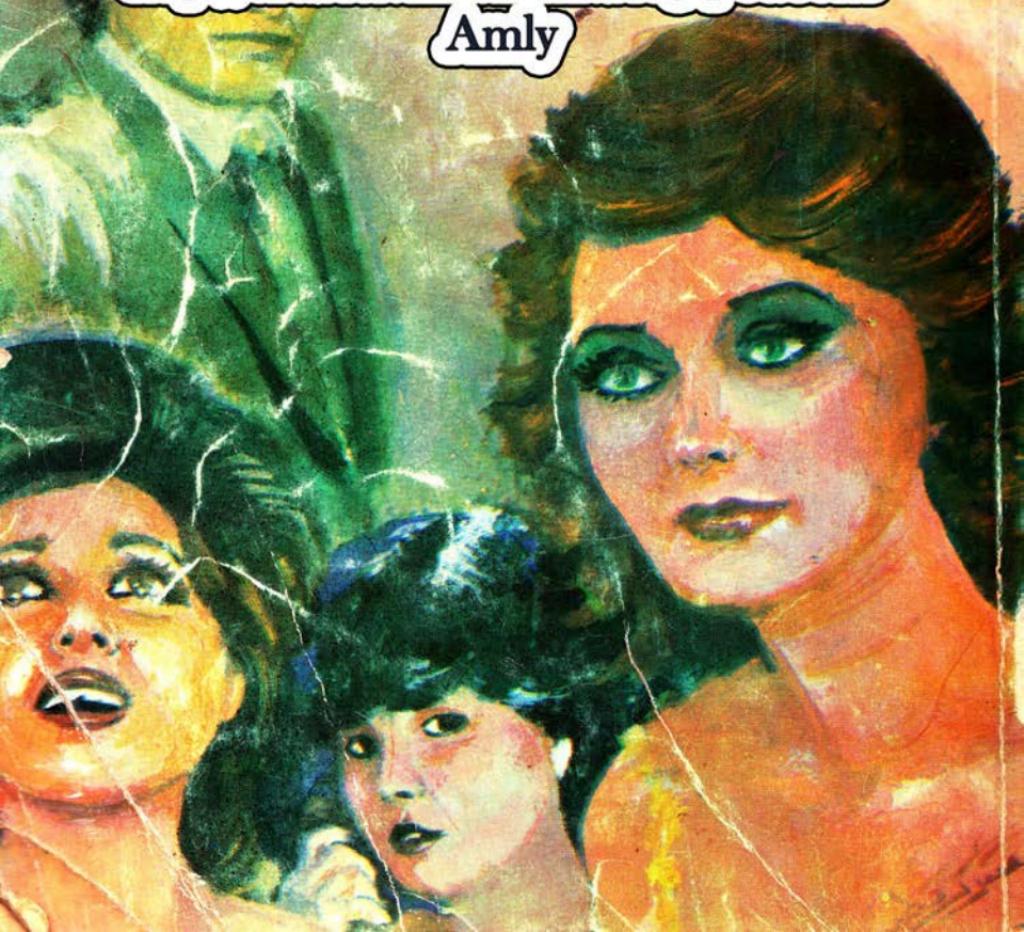


النَّفَرُ وَنَلَّانُ عِزْوَةٍ

امانة عبد العزيز دودو

<http://arabicivilization2.blogspot.com>

{Aмly}



لَفْ وَلَدَنْ عِزْ

إِحْسَانُ عَبْدِ الْقَدَرِ سُ

أَنْفُ وَثَلَاثَ عَيْوَنٍ

٢

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى "الجمالا"

مَارِكَسْتَرْ لِلصَّلَامَةِ
سَيِّدُ جُودَةِ السَّهَادِ وَشَرَكَاهُ

العين الثانية

- ١ -

أنا نجوى ..
نجوى طاهر ..

أمي تعتقد أني جميلة .. أنها لا تكف لحظة عن التغنى بجمالي
والتباهي بي امام صديقاتها .. شعري النحاسى اللون .. وعيينى
المشروطتان الصاحكتان ، كلوزتين مقرشتين شهيتين .. وشفتاي
المنتختنان كورقتى الورد .. وعنقى المفروض كانه يتباهى برأسي ..
و .. و ..

ان أمي تجد لكل قطعة مني الف وصف ، والف أغنية ..
وتضمننى امامها وتنظر الى بعينين عابدين ، كأنها ترى الله غى ..
.. وتعلق تحت ابطى حجابا يحمينى من الحسد .. وعلى صدرى
مصحف رخرزة زرقاء .. ولا اخرج من البيت الا بعد ان أخطئ ..
فوق البخور سبع مرات ..

ورغم ذلك .. وسواء كنت جميلة او لم اكون ، فان احساسى
بجمالي لم يكن له اثر فى حياتى .. كنت اترك كل احساسى بهدا
الجمال لامى ، أما انا فكان احساسى دائمًا محصورا فى ان اكون
 شيئا .. شيئا له شخصيته وله أهميته .. واستطعت ان اكون
أولى طالبات المدرسة .. كل مدرسة دخلتها .. و كنت رئيسة
فريق القليل .. وكنت فى فريق كرة السلة .. ومنذوبة فصلى

في النشاط الاجتماعي .. ومندوبة المدرستة كلها في مجلس اتحاد المدارس الثانوية .. كنت أحب أن أكون هذا الشيء الكبير المقى .. وكانت أحب أكثر أن أكون محبوبة .. محبوبة من زميلاتي ، ومن مدرستي ، وصديقات أمي .. ومحبوبة من أبي وأمي .. وأنا وحيدتها ولكن لم يكن هذا يكفي لطمئن إلى حبها .. كنت أعمل دائمًا حتى أستزيد من هذا الحب .. كنت أحاول أن أجعل من كل دقيقة تمر بها نفحة حلوة يسعدان بها ويحبانى من أجلها أكثر .. كنت أشعر بمسئوليتي عن استعادتها أكثر من أحساسي بمسئولييتها عن سعادتي .. فجعلت من نفسي كل شيء في حياتها .. أنا الضحكة فوق شفاههما .. أنا خفقة قلبيهما .. أنا كل حياتهما .. وأنا سعيدة بهما .. بحبهما .. وهما يسعدان بي .. بحبى ..

ان الحب هو كل شيء ..

هو السعادة .. الهدوء .. الراحة ..

هو الذكاء ..

هو النجاح ..

أني أعجب للبنات اللاتي ينكرين وجود الحب .. كيف يأبى بنات .. أن الحب موجود .. أنه الحقيقة الوحيدة الثابتة في حياة الإنسان .. بل أني أستطيع الآن وبعد أن أصبحت طالبة في الجامعية ، أن أقرأ تاريخ الإنسان ، فأجاد أنه تاريخ الحب .. وكلما ارتقى الحب ، تقدم الإنسان .. لقد خلقت البشرية أفراداً يقتل بعضهم ببعض .. أخوة كل منهم يقتل الآخر ، كما فعل هابيل و Cain .. ثم جمع الحب هؤلاء الأفراد في عائلة .. أصبح المجتمع الإنساني عائلات .. وتحابت العائلات ، فأصبحت قبائل .. وتحابت القبائل فأصبحت شعوبنا .. وسيرتقى الحب

اكثر .. سيكبر الحب .. ويكبر الانسان .. ويصبح شعبا واحدا ..
الانسان الابيض والانسان الاسود ، والانسان الاصفر ..
سيصبحون انسانا واحدا .. شعبا واحدا .. يحب بعضه بعضا ،
ويعيش فى سلام ..

.. ثم ..

الحب الخاص ..

حب الولد والبنت ..

موجود أيضا ..

ان الانسان مهما تفاني في مجتمعه لا يمكن ان يستغنى عن
بيت يعيش فيه وحده ، ويحس فيه بفرديته .. ان الاحساس
بالمجتمع لا يتعارض مع الاحساس بالفردية .. الالة الكبيرة ليست
قطعة واحدة ولكنها آلاف القطع .. كل قطعة لها وظيفتها ، ولها
احتياجاتها ، ولها شخصيتها .. وكذلك الحب .. مهما تفانيما
في حب المجتمع لا يمكن ان نستغنی عن الحب الفردي .. انه
احتياج في صميم تكويننا .. وما دام الحب حاجة ، فهو موجود ..
ولقد بحث الانسان عن الطعام منذ بدء الخليقة ، لأنه في حاجة
إليه .. وووجه .. وكذلك وجد الحب لأنه في حاجة اليه .. لأنه
نابع من تكوينه .. وقد أحببت أبي وأمي لأن جسمها انبثق من
طبيعة تكويني كأنسانة .. وأحببت زميلاتي لأن جسبي لهن نابع
من حاجتي الاجتماعية .. وأحببت حبيبي لأنني لا استطيع أن أحس
بوجودي الا اذا أحببت .. أنا أحب ، فأننا موجودة ..

والحب ليس الجنس ..

صدقوني ..

انه ليس الجنس ..

او كان الحب هو الجنس لما كان هناك فرق بين رجل وآخر ..

ولا بين فتاة وأخرى .. كما أن ليس هناك فرق بين مطعم وآخر ..
ما الذي يجعل هذه الفتاة تحب هذا الفتى بالذات ، وليس
فتى آخر ..

الظروف ؟

لا .. فالظروف تجمع الفتاة بعشرات الشبان ، ولكن الفتاة
لاتحب الا واحدا .. والظروف قد تجمع الاصدقاء ، ولكنها لا تكتفى
وتحدها لتجمع اثنين يحب بعضهما بعضا ..
الزواج ؟ ..

لا .. الزواج قد ينشئ عائلة ، ولكنه لا يكفي للحب .. مهمـا
طال أمده .. فقد يطول أمد الزواج لأن كلا من الزوجين يحرص
على حياة اشتراك فى اقامتها ، كثريـكـين تربطـهـما مصلحة واحدة
.. ولكن لا يكون معنى ذلك أن كلا منهما يحب الآخر .. فالحياة
ليست مصلحة .. أنا أحياناً نضـحـىـ بالـمـصـلـحـةـ فىـ سـبـيلـ الـحـيـاـةـ ..
اذن .. ما هو الحب ؟ ..

هو أن تجدى نفسك فى شخص آخر .. تجدين فيه عـقـلـكـ ،
وـقـلـبـكـ .. تجدين فيه يومك وغـدـكـ .. تجدين فيه ضـحـكـكـ
ودـمـعـتـكـ .. تجدين فيه حـيـاتـكـ .. تجدين فيه جـسـدـكـ أيضـاـ ..
ولـكـنـكـ لا تجـدـينـ فيهـ الجـسـدـ وـحـدـهـ .. انـ جـسـدـكـ لـيـسـ شـيـئـاـ قـائـمـاـ
بـذـانـهـ .. انـ فيهـ عـقـلـكـ وـقـلـبـكـ ..

ومصـيـبـتـناـ أـنـاـ خـلـطـنـاـ بـيـنـ الـحـبـ وـالـجـنـسـ .. ثمـ اعتـبـرـنـاـ لـ
الـحـبـ هوـ الـجـنـسـ .. انـهاـ لـيـسـ غـلـطـةـ الـأـوـلـادـ فـقطـ ، غـلـطـةـ الـبـنـاتـ
أـيـضاـ .. كـثـيرـاتـ مـنـ زـمـيـلـاتـ اـنـدـفـعـنـ فـيـ الـجـنـسـ عـلـىـ إـنـهـ حـبـ ..
وـشـعـلـةـ الـجـنـسـ تـنـطـفـيـءـ بـسـرـعـةـ ، وـشـعـلـةـ الـحـبـ لـاـ تـنـطـفـيـءـ أـبـداـ ..
وـكـثـيرـاتـ مـنـهـنـ أـيـضاـ خـفـنـ الـحـبـ وـهـرـبـنـ مـنـهـ لـأـنـهـ كـنـ يـهـرـبـنـ
مـنـ الـجـنـسـ ..

ما انذى دفعنا الى اخلط بين الحب والجنس ..
ربما كانت التقاليد القديمة التي اعتبرت المرأة متنة .. متعة
متعة في الأسواق ، وتنسبى في الحرث كالفنائيم .. ويقاسى
بها ثراء الرجل ، فكما تعددت أصناف الطعام على مائدته ،
تعددت أصناف النساء على فراشه .. وتركت هذه التقاليد اثراً لها
في أنظمة الزواج .. لم يكن الزواج في حاجة إلى التفاهم بين
الرجل والمرأة .. كل ما يحتاج إليه الزواج هو عقد .. عقد
بيع وشراء .. بل لم يكن من حق المرأة أن توقع هذا العقد ، فهي
بساعة .. والبصاعة لا توقع ، ولكن يوقع عنها صاحبها ..
ابوها ..

هذه التقاليد لا تزال في نفوسنا .. ليست في نفوس الرجال
وحدهم ، في نفوس النساء أيضا .. الرجل يعتبر المرأة متنة ،
والمرأة تعتبر نفسها متنته .. وبعض زميلاتي أردن أن يتظرون
أن يثنن .. فاعتبرن الرجل أيضاً متنة ! ..

المتعة هنا ، هي متنة الجنس ..

وتطغى المتعة البراقة السريعة ، على المتع العميقه الثابتة
.. متعة الابتسامة المشتركة .. متعة الفكرة الحلوة .. متعة
الهدوء النفسي .. متعة بناء الحياة ..

وهكذا خلطنا بين الحب والجنس ..

بل إن هناك من يعتقد أن الحب ضعف .. استسلام المرأة ،
او استسلام الرجل ..
لا ..

ابدا ..

الحب ليس ضعفا .. انه قوة كبيرة .. وكلما ازداد الانبسان
قوة ازداد حبا .. فالحب معرض لكل الكوارث .. الحب كالانسان

نفسه .. معرض للمرض .. ومعرض لأنانية .. ومعرض للنذرات .. ومعرض لسوء الفهم .. وقد تعرض حب المجتمع للكثير من الكوارث .. تعرض للحروب .. وتعرض للظلم .. وتعرض لنزوات الطفاة .. واحتاج لقوة كبيرة ليس لم يسلم من الحرب ويقاوم الظالمين والطغاة .. وكذلك الحب الخاص .. حب الوالد والبنت .. محتاج لقوة .. قوة العاطفة .. وقوة الذكاء .. وقوة الإيمان .. قوة أكبر من الانانية .. وأكبر من النزوة .. وأكبر من الحياة نفسها .. أن الرجل القوي هو الرجل الذي يحب .. ويدمّر قدراته أن يخدم حبه من نفسه ..

وقد وجدت هذا الرجل ..

الرجل القوي ..

الرجل الرائع ..

وجدت حبيبي هاشم ..

الدَّيْنُور هاشم عبد اللطيف ..

وجئته وأنا أقف في الحياة على حافة اليأس .. اليأس من الحب .. واليأس من الحياة نفسها .. وكانت قد قاومت طويلاً .. قاومت طول عمرى حتى لا يأس .. وحتى أبقى على إيمانى بالحب .. إيمانى بالحياة .. وكانت قوية .. واستطاعت تقوى أن اجتاز كثراً من الازمات .. ولكن المقاومة الطويلة دامت تمتّص من قوتي ، إلى أن واجهت زهرى الأخيرة ، فلم أعد أستطيع أن أقاوم .. انهارت .. وبست .. نادت ثقني في الحياة ، وفي الحب ، وفي نفسي .. إلى أن جاء هاشم .. فأضاء النور في قلبي .. ونبى عقلى .. وأعاد إلى الحياة والحب .. والإيمان .. الإيمان بأن الحياة يمكن أن تضم رجالاً مثل هاشم ..

منذ متى كنت أقاوم ؟ ..

ربما منذ كنت فى السابعة من عمرى ..
وكلت اعيش بين امى وابى كاسعد طفلة فى العالم ..
ابى عجوز فى الستين من عمره . وربما اكثر .. طيب حنون ..
.. مستسلم لأمى ..

وامى فى الخمسين يبدو الحزم على وجهها اكثر مما تبدو الطيبة .. لا تبتسم الا نادرا .. وللامام القسوة تخفي جمالها ..
وندن رداء قسوتها تبدو اثار جمالها القديم . ان فيها ملامح كثيرة
منى .. وهى نشيطة .. انشطة منى .. قوية .. اذوى منى ..
وتمسك بيديها كل خيوط البيت .. هي صاحبة الكلمة .. وهى
التي تدير ثروة ابى .. وتديرها بحزم ، لا احد يستطيع ان
يخدعها نى مليم واحد .. والثروة ليست كبيرة .. انها عشرة
افدنة فقط .. ومعايش ابى .. وأنا وحدى التي اعلم مدى طبيتها
.. وباتى الاطفال يخافونها ويخافون ملامح القسوة المرسمة على
وجهها .. ولكنها طيبة .. قلبها أبيض .. وتحبني .. تحبني اكثر ..
ما تحب اى ام ابنتها .. تحبني حبا غريبا ..

ولم اتسائل وانا طفلة ، كيف يكون ابى وامى عجوزين الى
هذا الحد ، وانا صغيرة الى هذا الحد .. كلن يخيل الى ان كل
الاباء فى مثل عمر ابى ، وكل الامهات فى مثل عمر امى ..
بل ربما لم اتبه اصلا الى انهم عجوزان .. لم يكن هناك شيء
ينبهنى الى عمريهما .. كنت اعيش حياتهما ، ويعيشان حياتى ..
حياتى ملتصقة بهما الى حد غريب .. اتام بينهما على فراش واحد ..
رغم ان نى حجرة خاصة بي .. وامى تصحبنى الى المدرسة كل
صباح بعد ان اخطو فوق البخور سبع مرات ، وبعد ان تقرأ نور
رأسى آيات من القرآن .. ثم تعود لتنظرنى امام باب المدرسة ..
تقف بين الخادمات . لتعود بي الى البيت .. ولم تكن تطمئن

إلى الخدمات لتذهب بي او تعود بي .. لم تكن تطمئن إلى الخدمات أبدا .. فهى التى تطعمنى بيدها ، وهى التى تسقينى و هي الذى تبدل ثيابى .. كما تحب الطفلة عروستها .. تلعب بها .. ولا تدمج لأحد بآن يلمسها ..

وكانت أمى تصادق ناظرة المدرسة .. كل مدرسة ادخلها .. وتصادق المدرسات .. وتسالهن عن كل دقيقة قضيتها فى المدرسة .. كل حركة من حركاتى .. كل كلمة قلتها .. لم أكن استطيع أن أخفي عنها شيئا .. أبدا لم أكن استطيع .. كانت مدهشة نمى قدرتها على معرفة أخبارى قبل أن أرويها لها .. فإذا عدت إلى البيت افلت من يد أمى وأجرى لجلس على ركبتي أمى .. ويستقبلنى والفرحة تلمع على خديه المعددين .. كده يستقبل الحياة من جديد .. وأروى له الحكايات التى روتها لنا المدرسات فى المدرسة .. وأطلعه على كتبى وكتابى .. وأنقته الاناشيد التى حفظتها حتى يحفظها مثلى .. وهو يضحك .. ويفرح كالاطفال .. لقد كنت أحب أمى ، ربما أكثر مما أحب إمى .. وكانت لي حالة واحدة .. تركها زوجها وترك لها ستة من البنات والصبيان .. وهى حالة فقيرة .. نعانى كثيرا فى تدبير حياتها .. وأمى تعطف عليها .. ولم تكن خالتى تتردد عليهما الا نادرا .. ولم نكن نزورها الا نادرا .. ورغم ذلك فقد كنت أحبها .. كنت كلما رأيتها تعلقت بها وإرتميت على صدرها .. وأضحك ، عندما نغار منها أمى .. إن أمى تغار على فعلا .. خصوصا من خالتى ..

وكانت لأمى صديقات يجتمعن عندها كل أسبوع .. ولم أرهن الا وكل واحدة تلف راسها وعنقها بطرحة بيضاء تسدلها على كتفيها .. وكل منهن ترتدى معطفا سواء فى الشتاء او الصيف ،

ينزل حتى كعب قدمها . ويرتفع حتى أعلى رقبتها .. وقد عرفت فيما بعد أنهن أعضاء في جمعية « نور الهدى للسيدات المسلمات » .. ولا تكن أمى عضوا في الجمعية .. ولكنها كانت صديقة لأعضائها ، تؤمن بهن .. وتؤمن بأهداف الجمعية .. ولا يستطيع أن أذكر طفولتى إلا إذا ذكرت سيدات جمعية نور الهدى .. لقد عشن فى حياتى كلها كالأشباح .. لا ادرى كلما التقيت بهن ،انا فى حلم ، أم فى يقظة ..

وكنت فى المدرسة ذات يوم .. وانا فى السابعة من عمرى .. عندما دخلت المشرفة الى الفصل .. وأخذت تنادى أسماء الطالبات .. ولا أذكر المناسبة الآن .. وظللت تتلو أسماء الطالبات واحدة بعد الأخرى الى ان صاحت باسم .. نجوى عبد الحميد ..
ولم يرد أحد ..

وعادت تصيح :

— نجوى عبد الحميد .. موجودة ؟ .

الى أن التقت بوجهي ، فجاءت الى ، وقالت فى حدة :

— انتي متش نجوى عبد الحميد ؟ ..

وقلت وأنا أرفع اليها عينى الصغيرتين فى دهشة وخوف :

— لا يا أبله .. أنا نجوى طاهر .

وقالت المشرفة وهى أكثر حدة :

— لا .. انتي نجوى عبد الحميد ..

وقلت والدموع تنبثق من عينى :

— لا والنبي يا أبله .. أبدا .. أنا نجوى طاهر ..

وقلبت المشرفة فى الأوراق التى تحملها .. وعادت تقول :

— أبوكى متش اسمه راغب عبد الحميد .

قلت وانا اترافع عنها كأنها على وشك ان تطعننى بى قلبي :
— لا .. بابا اسمه عثمان طاهر ..

ونظرت الى المشرفة بكل عينيها ، ثم قالت :
— أمال يبقى مين راغب عبد الحميد .

قلت وقد انطلقت كل دموعى :
— يبقى جوز خالى ..

وطللت المشرفة تنظر الى بكل عينيها ، ثم قالت :
— طيب تعالى ..

وذهبتنى من يدى .. وسررت وراءها الى حجرة الناظرة ..
وانا انشج بالبكاء .. وقلبي الصغير يرتجف ..

ووقفت بعيدا ، ومالت المدرسة على الناظرة تهمس فى
اذنها وتعرض عليها اوراقها .. ورأيت من خلال دموعى قلبي
الصغير يزداد ارتجافا .. وكنت خائفة .. كنت اشعر بأن شيئا
سيحدث لى .. شيئا لا اريده .. وبقيت ابكي فى الفصل الى ان
اضطررت المدرسة ان تستدعي المشرفة لتأخذنى وتجلس بيلى
الفناء ، تحاول ان ترفه عنى ..

وبعد فترة .. جاءت الفراشة تستدعينى الى حجرة الناظرة
.. وامسكت المشرفة بيدى وهى تتسمى لى ، وقالت :

— لازم ماما جت ..

وسدت يدى من يدها ، وجريت الى حجرة الناظرة ودموعى
تسققنى ..

وجدت أمى ..

والقيت نفسي بين احضانها .. وعدت ابكي .. وهى تربت
على ، قائلة :

— بس يا حبيتى ، ما تزعليش ..

ورفعت رأسي اليها ، قائلة وانا انشج :

— شفتي ابله المشرفه بتقول ايه ؟

وقالت أمى ووجهها غارق فى الألم :

— عارفه .. عارفه كل حاجه ..

ثم قامت من جلستها ، ويدى فى يدها ، وقالت للناظرة :

— بكره حايد عليكى ..

ثم التفتت الى قائلة :

— تعالى يانوجا نروح البيت .. تفسلى وشك ..

ابله الناظرة ، تهز رأسها هزات متابعة .. ثم تلتفت الى وعلى

شفتيها ابتسامة كبيرة وقالت لى :

— تعالى يا نجوى . بتعطي ليه يا حبيبى ..

وخطوت اليها فأخذتني تحت ذراعها ، وضمنتى اليها ..

وخبأت رأسي فى صدرها كأنى احتمى بها من المشرفة . وعدت

اجهش بالبكاء ..

وعادت الناظرة تقول فى حنان :

— بس يا حبيبى .. ما تعطييش .. احنا نقدر على زعل

نجوى أبدا ..

ثم متحت درج مكتبه ، وأخرجت قطعة من الحلوى قدمتها

، وهى تقول :

— خدى با حبيبى .. ولدوقت ارجعى الفصل بتاعك ..

ولا تزعجيش ابدا ..

ورفعت رأسي اليها وانا التقط قطعة الحلوى . وأمسح

ديوعى بكم ثوبى ، وقلت :

— أنا اسمى نجوى طاهر .. مش كده يا ابله ..

وقالت الناظرة وابتسامة الحنان تملا شفتيها :

— طبعا يا حبيبي .. طبعا .. روحي الفصل بتاعك باه ..
وما كدت أخرج من حجرة الناظرة حتى عاودتني دموعي كلها ..
لم استطع ان أضع في نمي قطعة الحلوى ..

★ ★ ★

ونى آخر النهار خرجت من المدرسة فوجدت أمى في انتظارى
وركبنا سيارة اجرة ، رغم ان البيت قريب ، لا يبعد عن
المدرسة أكثر من عشر دقائق سيرا ..
وقالت أمى وهي تضمنى اليها داخل السيارة وتضحك فى
وجهى :

— انتى اسمك ايه ؟ ..
قلت ودموعى لا تزال فى عينى :

— اجوى ..
سأله :

— نجوى ايه ؟ ..
قلت :

— نجوى طاهر ..
قالت :

— وبابا اسمه ايه ..
قلت :

— اسمه عثمان طاهر ..
قالت :

— ومين مامتك ؟ ..
قلت :

— انتى ..
قالت :

— خلاص .. تبقى زعلانة ليه ..

تلت فى حدة :

أمال المشرفة قالت ان اسمى نجوى عبد الحميد ليه ؟
وانطلقت نظرات امى من تحت جننيها المكرشين ، وهامت
بها فى الفراغ ، وقالت كأنها تحدث نفسها .. وفى صوتها لهجة
حزم .. حزم قاسى :

— غلطة وحاتصلح .. اتصلحت خلاص ..

ونفى البيت بدأت احس بتصرفات غير طبيعية .. لم اعتد عليها
.. لتد نادت امى الخادمة ، وقالت لها فى عنف كأنها تعانى اثنا
فى داخلها :

— خدى ستك نجوى اغسلى لها وشها .. وغيرى لها
هدومها ..

ثم نظرت الى امى قائلة :

— نعال يا عثمان بيه .. عايزاك .
ودخل وراءها الى حجرة النوم ، وأغلقا بابها عليهما .
وقلبى لبس مستريحا ..

لا رلت احس بشئ كبير على وشك ان يقع على ..
ونفى العصر ، جاءت سيدات نور الهدى ، والتلقن حول امى
في حجرة الصالون .. وعندما دخلت اليهن ، تلقفتني بنظرات
غربيه .. يسا كان فيها اشفاق .. وبما كان فيها رثاء .. لم اكن
فى سن نسمح لى بتقسيم النظارات .. ولكنني اذكر انى لم استرح
الى نظراتهن .. خيل الى ان الشئ الكبير اوشك ان يقع .. وعاد
قلبي يرجف .. راحذتني كل منهن بين يديها تقبلنى .. ويرددن
كلامها فى لهجة التعديد .. والله كبرتى يا نوجا .. احلويتى
يا حبيتى .. مين كان يصدق يا اخواتى .. و .. خطوت الى امى
القصق بها كأنى احتمى فيها من هذه الاشباج الملتقة فى ملاءات

بيضاء .. وقلبي يزداد ارتجانا .. وصدتني أمي قائلة :
— أنتي ساييه بابا جوه لوحده ما نوجا .. ما يصخش ..
روحى يا حبيتى اقعدى معاه ..

ونظرت اليها كانى اقول لها .. حتى انت يا ماما .. وجريت
الى بابا فى حجرته .. وأنا أكتم دموعى بكل ارادة الطفلة .. وأخذ
أبى يلاعبنى ، وعقلنى كله فى حجرة الصالون مع الاشباح
البيضاء .. وقلبي يرتجف ..
وخرجت الاشباح من البيت ..

وعادت أميلينا ووجهها المكرمش يبدو أكثر قسوة وأكثر
حزما .. وجلست ساهمة .. ثم التفتت الى فجاة ، وبين شفتيها
ابتسامة مهمة .. وقالت :
— تعالى لمامتك يا حبيتى ..

وضممتى الى صدرها ، كانها تحاول ان تختبىء فيه من هذا
الشيء الكبير الذى يكاد يقع .. وعادت تقول وهى تهزنى ، كما تهز
الام طفلها لتنبهه :
— أنتي اسمك ايه ؟ ..

وقلت ولستاني يرتعش بارتعاشة قلبى ..

— اسمى نجوى ..
قالت :

— نجوى ايه ؟
قللت :

— نجوى طاهر ..

قالت وهى لا تزال تهزنى :
— وبابا اسمه ايه ؟

وقاطعها أبى قائلا فى حدة :

— ما فيش لزوم للكلام ده دلوقتى يا عزيزه هانم .. ما تأثيريش
على البنـت ..
وسكتت أمى ..

استسلمت لأبى على غير عادتها .. ذوجهما المكرمش الحازم
تطوف به سحابة من الحزن .. والالم ..
وفى المساء فوجئت بزيارة خالتى وزوجها السابق لنا ..
لم يكن من عادة خالتى أن تزورنا الا فى مناسبات قليلة ..
وليس هكذا فجأة ..

ولم يزرنـا زوج خالتى أبداً من قبل .. بل انى لم أكن رأيته
الا مرة واحدة فى العام الماضى عندما ذهبت أنا وأمى لزيارة
خالتى ، وجاء هو صدفة لزيارة أولاده .. لقد أجلسنى يومها على
ركبتيه ، وقبلنى كثيراً كأنـى ابنته ..

ونظرت الى خالتى غى غباء وهلع ..
و قبلتني خالتى ..

وحملـنى مطلقها بين يديه ورفعـنى فى الهواء ، وقال وهو
يضحك ضحكة كبيرة :
— شاييفين الحلاوه ..
وأمى وجهها صارم ..
وابى بيتنسم فى طيبة ..

و جذـرتى أمى من بين يدى مطلقـ خالتى كأنـها تنزعـ عنـى منه ..
ونـتـالت فى لهجة حازمة أقسى مما تعودـتـ منها :
— روحـى أودـتك يا نوجـا .. وبعـدين حانـقـى ننـدـه لك ..
ونـظرـتـ إليها فى دهـشـة .. وخـيلـتـ إلى أنـى سـأـبـكـى .. ولكنـ
لم أـبـك .. وـقـفتـ الدـمـوعـ خـلـفـ عـيـنـى تـحرـقـهـماـ كـانـهـاـ تـبـحـثـ عنـ ثـقـبـ
ـتنـهـرـ منه ..

وذهبت الى حجرنى ، وضباب كثير يملأ رأسي .. ويملاً قلبي
الصغير .. احاول ان افهم شيئاً عما يدور حولى ، فلا افهم ..
احاول ان افهم سر هذا الخوف الذى ينتابنى ، فلا افهم ..
وبعد أكثر من ساعة سمعت صوت امى ينادينى ..
وخرجت من غرفتى وانا ازحف اليها بخطوات بطيئة متعددة ..
وشدنتى امى اليها بسرعة ، كأنها تخاف ان تسبقها يد اخرى
الى ، وقالت وهى تجلسنى بجانبها :
— اسمعى يا نوجا .. انا حاكلمك وعايزاكى تاخدى بالك
من الكلام كويس .. و ..
وقاطعها ابى فى حزم كأنه قرر ان يأخذ الخيوط كلها بين
يديه :

— استكتنى انتى يا عزيزكاه .. انا اللي حا اقول لها ..
وخلاتى تنظر الى باشفاق وفى عيبيها اثار دموع ..
وقال ابى وهو ينظر الى مى حنان ، ويبيتسم ابتسامته الطيبة :
— تعالى يا نوجا .. تعالى عندى هنا ..
واجلسنى على ركبتيه وانا انظر اليه وأرتعش ، وقال فى
صوته الهداء :
— انا حا حا حكى لك حكايه .. بس قبل ما احكي لازم تبوسىنى
بوسه كبيره .. وتضحكى لى ضحكه كبيره .. كبيره قوى ..
وقبلته ..
ونظر الى شفتي و قال :
— **وَفِينَ الْابْتِسَامَةُ الْحَلْوَةُ** ..
وابتسمت .. دون ان احس بابتسامتى ..
وقال وهو يجذب رأسي ويسندها الى كتفه :
— شوفى يا سنتى .. كان فيه اتنين متجوزين .. ربنا اداء ..

ل حاجه ، ما عدا الأولاد .. وفضلوا لغاية ما عجزوا وبقوا
دهنه وهم ما يخلفوش .. لا أولاد ولا بنات .. راحوا لدكتاره
كثير .. ولدجالين كثير .. ونصابين كثير .. وزاروا المشايخ
والأولياء .. وحجاوا هم الاثنين .. ما فيش فايده .. اراده ربنا
.. ربنا عايزة كده .. وبعددين يا ستي ، الاثنين العواجيز دوز
راحوا يزورووا ناس قرايبهم .. ولقوا عندهم أولاد وبنات كثير
.. وكان بينهم بنت صغيره .. صغيره قوى ما كملتش سنتين ..
وحلوه .. حلوه قوى .. مافيش احلى منها فى الدنيا كلها ..
فتقعدوا سرروا ام البنات الحلوه دى علشان تديها لهم .. تقعد
معاهم .. وتونسهم فى وحدتهم .. وتملا حياتهم بالنور والأمل
.. ورضبت الام انها تديهم البنات .. اصل كان عندها بنات كثير
غيرها .. و ..

وقاطعته قائلة :

— فهمت ..

كان ذكائى يتبع كلماته حرفا بحرف ، واستطاعت أن تستفتح
بقية القصة ..

وقال أبي كأنه فوجيء :

— فهمتى أية ؟

وانطلقت دموعى كلها ، وقلت وأنا أنشج وأخطب بقدمى نى
ثيواه :

— نفهمت ان اسمى نجوى عبد الحميد .. أنا مالى ..
ماليش شعوه .. أنا نجوى طاهر .. انت بابا .. ماليش بابا
الا انت .. مش عايزة بابا تانى ..
وشتات اصرخ ..

وقامت خالتى من جلستها مليوفة على .. فنظرت اليها نظرة

سريعة .. ثم صرخت أكثر .. وقلت في حدة :
— سببني .. مش عايزاكى .. إنما اعرفكيش ..
وعادت خالتى الى مكانها صامتة ..
وخلاتى هى أمى الحقيقية ..
وأمى الثانية جالسة صامتة .. ووجهها واقف .. كل تىء،
فيه واقف .. كأنها أصيبيت بالشلل ..
وقال أبي .. أبي الذى ليس أبي :
— بس يا نوجا .. ما تبقيش عبيطه .. انتي لازم تكونى
أسعد بنت فى الدنيا .. البنات كلها عندها اب واحد وانتي عندك
اثنين .. والبنات كلها عندها ام واحد وانتي عندك اثنين ..
وقالت أمى الحقيقية .. تقاطعني :
— والنبي عزيزه أختى أحق بيها منى .. أنا شلتها سنتين
وتسعه أشهر .. وهى شالتها خمس سنين .. ومش مخلية
حاجة تتعمل وما عملتهاش . دى أكثر كمان من أمها ..
وعدت أصرخ :
— أنا ماليش دعوه .. أنا ما ليش أب الا انت ..
وقال أبي :
— ماهو أنا أبوكى .. والأسناد عبد الحميد كمان بيقى أبوكى
.. وانتى اللي تخبارى تحبى تتعدى مع مين فينا ..
وصرخت نورا :
— معاك انت .. انت بابا ..
وأعضاء وجه أبي ، وقال :
— خلاص .. دتعدى سعابا .. بس لازم تقوليلى .. انت،
اسمك ايه ..
قلت وصراخى يهدأ :

— نجوى ..

قال :

— مخبوط .. ونجوى ايه ؟

قلت وانا امسح أنفی بكم ثوبی :

— نجوى طاهر ..

قال وهو يبتسم ابتسامة كبيرة :

— مخبوط .. وبابا اسمه ايه ؟

قلت وانا انشبع :

— اسمه عثمان طاهر ..

قال :

— مخبوط .. وماما اسمها ايه ؟

قلت وانا امسح دموعي من فوق شفتى بلسانى :

— اسمها عزيزه هائم ..

وقالت أمى وهي تخفي سعادتها وراء قناع حزمها ، وكانه

لم يحدث شيء :

— عومى يا نوجا اغسلى وشك .. وادخلى السرير ..

وقدمت من فوق ساقى ابى .. وقبل ان اخرج من الغرفة

صاحت خالتي .. اي أمى الحقيقة :

— مشن تبوسينى يا بنت ..

واستدررت اليها ..

وبحلقت فيها ..

ثم نظرت الى مطلقتها .. ابى الحقيقى ..

وجريت ..

لم أقبلها .. ولم اقبله ..

وجاءت أمى وراثى والابتسامة منطلقة على وجهها .. واخذت

تقبلنى .. تبلاط كثيرة عنيفة .. قبلتني فى كل قطعه نبى ..
ثم قبلت يدى ..

ومن يومها عرفت أن أمى هى خالتى .. وأبى ليس سوى
زوج خالتى .. وقضيت عمرى كله بعد ذلك احاول ان انجاهل
هذه الحقيقة ..

ولا ادرى ما هي الاجراءات الرسمية التي اتخذت .. ولكن
من يومها ، وأسمى فى كل مدرسة ادخلها هو نجوى طاهر ..
واسمى فى شهادة الميلاد .. نجوى طاهر ..

وكانت هذه أول ازمة واجهتها فى حياتى ..

ولكنى أيامها لم اتبين انها ازمة .. لم انتبه الى انى بدأت
افسر تصرفات أمى وأبى تفسيرا جديدا .. واتساعل كيف تنازلت
عنى أمى الحقيقية بهذه البساطة .. ثم على مر الايام بدت اضى
جوابا لكل سؤال .. اتفقعت نفسى بأن أمى الحقيقة تنازلت عنى
لانها تحبني اكثر .. لأنها ارادت أن توفر لى حياة خير من الحياة
التي كان يمكن أن اعيشها معها .. فهى فقيرة .. مرتيبة ..
تعيش مع أولادها الستة فى غرفتين بشوارع الوابيلية بالعباسية ..
وقد ضحت بي من أجل حياة أرقى نسبيا .. لاعيش مدللة بين
أبوين عجوزين بحتاجان الى بقدر حاجتي اليهما .. ان أمى ..
تكرهنى يوم سازلت عنى .. كانت تحبني .. تحبني اكثر .. وقد
يقربت حتى بعد أن عرفت الحقيقة أنادى أمى .. أمى التي ولدتنى
.. بلقب « خالتى » وأنادى أبى .. أبى الحقيقى .. بلقب « عمى »
.. وبابا وماما هما اللذان أعيش معهما ..

وقد حرصت ماما اكثر من الاول على الا تزور خالتى ،
والا تزورنا .. وكنت فى الايام السابقة لا أضع تفسيرا لهذه

الظاهرة .. ولا تنسيرا لغيره ماما من خالتى .. ولكنى الآن
أعرف أنها تتعمد ببعد خالتى عنى حتى لا أتعود عليها .. حتى
لا تلح على الحقيقة فأحب خالتى أكثر من ماما .. أو الجا إلى
خالتى أكثر مما الجا إلى ماما .. واستسلمت .. كنت أنا أيضا
في حاجة إلى الابتعاد عن خالتى حتى لا تذكرنى بأنها أمى .. كنت
أريد أن أترغب بكل عواطفى لحب بابا وماما .. أن الحب يستطيع
أن يخلق من خالتى أما لى ، ومن زوج خالتى أبا لى .. أن الأمومة
والآبوة يكتسبان منه الأم تكتسب حبها لابنها يوما بعد يوما منذ
تحمله فى بطنهما ، وبعد أن تلده .. وكذلك الابن يكتسب حب
والديه بمرور الأيام .. لأنة يراهما فى كل لحظة .. ولاته فى
حاجة اليهما فى كل لحظة .. هكذا ينشأ الحب .. وأنا فتحت
عينى على هذا العجوزين الطيبين اللذين أعيش بينهما ، وأستطيع
أن أكتسب حبهم .. حب الابنة .. لا فرق بين حبى لبابا وماما ..
وحب أى بنت أخرى لابيها وأمها ..

ولم يكن حبى لأبى يكلفى شيئا .. أن طبيته وحنانه يملآن
قلبى ويسريان فى دمى .. لم كن أぬمد معه شيئا لأحبه أكثر
أو يحبنى أكثر .. انه لا يريد منى شيئا الا أن يراني سعيدة ..
وسعادتى هي كل حياته .. ولكن المشكلة كانت مع أمى .. إن
أمى مع كل حبها لى ، لا تستطيع أن تنسى أنى لست ابنته ..
وهذا الاحساس يولد عندها عقدة الخوف .. الخوف من أن تفقدنى
يوما ما .. وحتى لا تفقدنى فهى تحاول أن تفرض سلطتها على
.. تحاول أن تسيطر على كل دقيقة من عمرى .. وعلى كل
صغيرة وكبيرة من حياتى .. أنها لا تترك أبدا شيئا لى وحدى ..
كل شيء تشاركتنى فيه .. بل كانت تستطيع أن تدخل فى عقلى
لتشاركتنى فى كل فكرة .. وتحاول أن تدخل فى قلبى لتشاركتنى كل

لخلجة من خلجانه . ليست لي حرية .. حتى في نومي .. فقد عودتني على أن أنام معها .. بينها وبين أبي ..

وأستسلمت لسيطرتها .. فقد كانت سيطرة مبعثها الحب .. حب غريب .. لم أر أحداً تحب ابنته مثل هذا الحب .. وكان استسلامي لسيطرتها يمنعني حق التدلل عليها .. كنت أندلل عليها إلى حد أن أمراها وأشخط فيها .. قومي يا ماما هاتي شيء .. الكباية فيه .. ماما انزللى أشتري لى قلم رصاص .. ماما .. ماما .. لم أعد أخاف من وجهها المكرمش ولا من تناع الحزم والقسوة التي تفسمه فوقه والذي يخيف كل البنات ..

وكانت حياتي المنطلقة هي حياتي في المدرسة .. كنت في المدرسة أحس بشخصيتي أكثر .. اتحرر من سيطرة أمي ، ومن احساسى المتجمس بحاجتى إلى أبي .. وأنطلق بين زميلاتي .. وأشارك في كل النشاط المدرسي .. واتفوق .. وأضحك .. وأمرح .. وأحس بقوتي كلها .. إنى لا زلت إلى اليوم أحب حياتي في المدرسة .. ثم في الجامعة .. ولا أدرى كيف سأعيش بعد أن أنخرج ..

ونحن لسنا أغنياء .. معاش أبي ثلاثة جنبها .. وابراد عشرة أفرادنا .. نحن عائلة متوسطة ، تعيش في شقة متواضعة بشارع الجيزه ..

ولكن أبو تدب كثيراً أن نشعر ، إلى العائلات الغنية .. وخصوصاً العائلات القديمة .. ولها أسلوب خاص في اكتساب صداقته هذه العائلات .. ونباهى بصداقتها .. وسيدات جمعية نور الهدى ينتلن إليها الأخبار العائلية أولاً بأول .. ونباهى بمعرفة هذه الأخبار .. وتحفظ كل الأنساب .. حتى يخيل إلى أنها تستطيع أن تربط كل عائلات مصر بخيط واحد .. وهي عائلة

واحدة .. و .. تعرفي فلان ، ده يا سقى يبقى متجوز بنت خالة سحبة هائم اللي تبقى واحدة عبد الغنى بيه ابن اخت شربات هائم مرات عبد المعطى باشا .. وهكذا .. هذا هو الحديث المفضى عندها ..

وكانت أمي تحب أن تقطاها دانما بأنها من عائلة كبيرة غنية .
وصنعت لنفسها نسبياً يمتد إلى أحد الباشوات .. وكانت تحرص على أن تناذى زوجها « عثمان بيه » وتحرص على أن يناديها زوجها « عزيزه هائم » .. رغم أن بقية العائلات التي هي مستوائنا لا تستعمل « بيه » ولا « هائم » ..

وكان بين العائلات التي تصادقها أمي عائلة تسكن في حلوان .. عائلة كبيرة .. قديمة معروفة .. ليست عائلة غنية جدا .. ولكنها على الأقل أغنى من عائلتنا .. وكانت سيدة هذه العائلة تتفق مع أمي في إيمانها بسيدات نور الهدى .. ولا يمضي أسبوع إلا وتزورها أمي .. دائمًا تأخذني معها والعب مع بنات العائلة .. وكانوا كلهم يحبونني .. فاني أستطيع دائمًا أن أكتسب صداقات البنات ، كما أكتسب صداقات زميلاتي في المدرسة ..

ثم ..

حدث شيء غريب ..

كنت في الثانية عشرة من عمرى .. وكنا في زيارة العائلة .. وكانت العب مع البنات عندما نادتني أمي وقالت لي :
— سوسى ايد عمتك يا نوجا .. انتى خلاص .. اخطبني لعادل ..

روقتني كالبهورة لا افهم شيئاً ..

رسدبني « حماتي » وضمنتى إلى صدرها وقبلتني .. وهي ستوان ..

— ده أنا اللي أبوسها وابوس ايدها كمان .. هو أنا كنت
حلاقى عروسه لابنى أحلى من كده .. جمال ، وأخلاق ، وأصل ..
وأنا لا استطيع ان أفهم شيئا ..

بن لا استطيع ان أتبين صورة عادل الذى خطبت له ..
لقد كنت اراه يروح ويجيء فى البيت .. ولكن لم اكن اعتمد ان
ادق فيه النظر . ان استوعب ملامحه .. انه أكبر منى .. كان
ايامها فى الثالثة والعشرين .. طالب فى كلية التجارة .. ولم اكن
في هذه السن قد تعودت على ان التفت الى الشبان واددق فى
لامحهم ..

واعتقدت ان الامر ، هزار ..

كلام ستات ..

ولكن لا ..

الامر جد ..

خطبت وانا فى الثانية عشرة من عمرى ولبست الدبلة ..
هل هذه عجيبة ..

ان هاشم عندما سمع هذه القصة رفع حاجبيه فرق عينيه
الحانيتين ، واطلت من تحت أنفه التوى ، ابتسامته الطيبة الحلوة ..
وقال :

— مش معقول ..

انى استطيع الان ان أفهم لماذا خطبني أمى لعادل وانا فى
الثانية عشرة من عمرى ..

ارادت ان تحكم سيطرتها على ..

خافت من عمرى ان يصل بي يوما الى التمرد عليها .. خافت
من قلبي ان يشب على حب رجل لا ترضى عنه .. خافت من
جمالى ان يكتب يوما الى حد لا تستطيع احتكاره لنفسها .. خافت

أن بسرقنى منها أحد ، فوضعتنى فى خزانة واحتقت بفتحها فى
جيها .. والمفتاح ، كما كان يخيل اليها ، هو عادل ..

وليس معنى ذلك أنها لا تحبني .. أنها تحبني إلى حد الجنون ..
ولكنه حب يختلف عن حب الأم الطبيعية .. حب يقلب عليه
الاحساس بالملائكة .. أنها تحس بكل كيلو من لحمي وعظامي كأنها
دفعت ثمنه ، وأصبح حقا لها .. وليس لأحد آخر حق فيه ..

وفرق كبير بين الحب والاحساس بالملائكة ..

الحب هو أن تعطى من تحب ..
والملائكة هي أن تأخذ مم من تملكه ..

وريما كان هذا هو الفرق بين الأم الطبيعية ، والأم بالتبني ..
الفرق بين أمي الحقيقية ، وأمي التي أعيش معها ..

ولكنى أيامها لم أحس بهذا الفرق .. بل لم أتسائل لماذا
خطبتني أمى إلى عادل فى هذا السن المبكر .. فرحت .. فرحت
بخطيبي كان أمى اشتترت لي حذاء جديدا .. وفرحت أكثر عند ..
احسست بأننى أصبحت شيئاً مميزاً بين كل زميلاتى فى المدرسة ..
انا البنت المخطوبة الوحيدة فى المدرسة كلها .. لى رجل ..
وفى أصبحت دبلة ..

ويبدأت فى هذه السن المبكرة أفكراً فى الرجل ..

بدا احساسى يتشكل رغمما منى ليصبح احساس امرأة ..
امرأة فى الثانية عشرة من عمرها ..

لم أفقد مظاهر طفولتى .. كنت لا ازال أجري ، والعدب
الاستفزازية ، وأنط الجبل ، واضحك كما يضحك الأطفال ، وابكي
كما يبكي الأطفال .. ولكن من وراء هذه المظاهر كان احساسى
يتوجه إلى عالم أكبر من عالم الأطفال ، وعقلى يفتح لخوازى ..

وخيالات لا يمكن أن تكون خواطر وخيالات طفلة في مثل عمرى ..
وبدأت أرى عادل كما لم أتعود أن أراه ..

نظرته التي تطل من عينيه الواسعتين تثير أحاسيسى وتطلق
دمائى فى وجنتى .. كأنه يلقى بها فى ماء نائم فيوقظه ، وتنفتح
فيه بوادر ، ودوائر ، تشتملنى كلی ..

وشاربه الصغير الأنثيق أحس به يدغدغ أنفى .. دون أن

يقترب مليء دمعة

وقوامه الطويل العريض أحس بقلة ، وهو بعيد عنى ..
بل أنى بدأت أنظر إلى كل الرجال نظرة جديدة .. لم يعد
الرجل مجرد مخلوق يتحرك أمام عينى الطفلتين .. بل أصبح
 شيئاً آخر .. أصبح له معنى آخر .. أصبحت أبحث في كل
رجل عن الجمال . عن الشخصية .. عن معانى الرجولة ..
ثم أقارنه بعادل ..

وعادل هو رجل الوحيدة ..

صحيح أنى لم اختبره من بين بقية الرجال ، ولكنى وجدته
ك悸ل لى ، كما وجدت أبي وأمى ، دون أن اختارهما .
وأصبحت أشرب من ملامح عادل يوماً بعد يوم .. قلبي
يتفتح لحبه يوماً بعد يوم .. قلبي يتحرك بين ضلوعى كأنه عصفور
يحاول أن يكسر قشرة البيضة ليخرج إلى الحياة ..

ولكن عادل بعد خطبتنا ظل يعاملنى كطفلة .. لم يكن يتصور
أن كل هذه الأحساس يمكن أن أحملها في صدرى وأنا لا زلت
في الثانية عشرة .. فكان — بلا قصد — يستهين بي .. نظره
إلى لم تختلف عن نظرته لكل البنات اللاتي يملأن البيت ، ويملئن
نط الحبل ، وكان ينظر إلى قائلاً :

— أزيك يا نوجا .. عامله ايه في المدرسه ؟

ويحط ر بجانبى قليلاً ، ومعنا امه وأمى ، ثم يفوم ويدخل
إلى غرفته .. وقد تجرأت بعد فترة وتسليت وراءه .. دخلت
غرفته .. وقنت امامه كالغبية .. وانا لا ادرى ماذا أريد منه ..
ولكنى أحسز بأنى أريد منه اشياء كثيرة .. أحس انى بال بالنسبة
له ليست كبقية البنات اللاتى فى سنى .. لى عليه حقوق اكثراً ..
ولى مطالب لا استطيع أن اتبينها .. مطالب الحب .. ولكن
الحب كان لا يزال فى فهمى كأسطورة من الاساطير التى ترويها
لى أمى غبل ان انام ، وتنقلنى بها الى عالم بعيد لا اجد له اثراً
فى واقعى ..

ونظر الى عادل يومها كانه يزن كل قطعة منى .. احسست
بنظرته تسقط على عنقى .. ثم على صدرى .. ثم على خصرى
.. ثم على ساقى .. ثم هز راسه كانه قرر أنى لم اتفاجئ بعد ..
وانحنى وقبلنى فوق راسى ، وقال وهو يبتسم لى كانه يبتسم
لطفلاً :

— روحى يا نوجا اقعدى مع اخواتى .. أنا عايز اذاكراً ..
وخرجت من غرفته وانا تائهة غى ضباب كيف يملأ قلبي
وعقلنى ..

وربما كان يمكن فى هذه الايام ان اتناسى كل هذه الادهسيس
.. ان اتركها تسقط فى قاع قلبي ، وأنكمها فى مؤخره عقلى ..
وانفرغ لطفولتى .. الى ان اتفاجئ .. ولكن أمى لم تتركنى ايس ..
.. كانت تصر على ان تشير فى دائما احساسى بأنى فتاة ناضجة ..
وتحملى مسئوليات الفتاة الناضجة .. ما تجريش كده يا نوجا ،
ما تنسىش انك ما بتقىش عليه .. انتى مخطوبه .. غطى ربكك
احسن والله العظيم اقول لعادل .. واقفه غى الشباك ليه ..
مش خايفه عادل يعرف ويفتكر انك بتبعصى للواد اللي قعداً

عادل .. عادل .. عادل .. كانت أمي تكرر اسم عادل عشر
أذني الف مرة في اليوم .. كأنها تشدني اليه بائف سبب
وأصبحت لا أخرج ولا أدخل الا باذن عادل .. اذا تلت لأمي
أني أربد أن أذهب للعب مع صديقتي ، قالت في برو드 :
— أسألني عادل الأول ..

إذا أردت أن أشتراك في رحلة من رحلات المدرسة ، قالت
كأنها تقتنعني بأنها لم تعد مسؤولة عنى :
— أنا مالبس دعوه .. استأذنى عادل ..

وكان عادل لا يقول لي الا ما ت يريد أمي ان تقوله .. لا يأمرني
إلا بما ت يريد أمي أن يأمرني به .. رأيها هو رأيه .. لقد استطاعت
فعلا ان تحكمني بعادل .. ان تزيد من سيطرتها علي .. وكان
عادل يؤمن بها ويعترضها .. كان يجلس معها أكثر مما يجلس
معي .. وتحادثه في التليفون في اليوم الذي لا يأتينا لزيارتنا
او لا نذهب لزيارتة .. كانت تحدثه طويلا أكثر مما احادشه ،
وأحيانا تحدثه دون ان ادرى .. واناجها بأوامر عادل لي ، كأنها
تخرج من بين شفتي أمي ..

هذا الالاح من أمي في ربطي بعادل .. هو الذي أسرع مى
إلى حبه .. أصبحت أحبه وأنا في الثالثة عشرة من عمرى ..
واعترفت بيدي وبين نفسى بهذا الحب .. حب ساذج غيه براءة
الطفولة ، وخيانها ، وظهورها .. وكلما ازددت حبا لعادل ، ازددت
استسلاما لأنمى .. غهي التي تملك عادل ..

وقد بدأت في هذه الأيام أقحم نفسي على حياة عادل أكثر ..
أصبحت كلما ذهبنا إلى زيارة عائلته .. أجرى اليه غرفته ..
أجلس على سريره .. والعب بكل محتوياتها .. وأبقى فيها ..
لا أريد شيئا الا أن أبقى فيها .. احدهه ويحدثنى .. وانظر اليه

ـ انه الشيء الوحيد الذى املكه فى حياتى .. كأنه كل مستقبلى ..
ـ شخصيتى .. وهو لا يزال يعاملنى كطفلة .. لا يقبلنى الا نساء
رأسى ..

ـ الى ان كان يوم فتحت فيه احد ادراج مكتبه ، فلمحت فيه
ـ ة افتتاح .. غترة غيرى .. وقبل ان اتمعن فى الصورة رأنى
ـ عازل فصرخ فى وجهى :

ـ اوعى تفتحي الدرج ده تانى ..

ـ ثم خطا نحو خطوة سريعة ، وأغلق الدرج بعنف حتى
ـ يفلقه على أصابعى ..

ـ رقلت وانا انظر اليه وأحس بشيء يسيل من قلبي كأنه دمى :

ـ اشمعنى الدرج ده اللي مش عايزنى افتحه ..

ـ قال :

ـ علشان ما يصحسن تفتحي ادراجى ..

ـ قلت فى براءة :

ـ انا شفشت فيه صورة واحدة ..

ـ قال :

ـ دى صوره بتاعة واحد صاحبى شايلها عندى ..

ـ قلت :

ـ ليه ؟

ـ قال :

ـ لده ايه ؟

ـ قلت :

ـ نبه شايلها عندك ؟

ـ قال وهو بضيق بى :

— مالكيش دعوه .. انتى لسه صغيره .. ما يصحش
تكلامي فى الحاجات دي ..

ولم تكن صغيرة الى هذا الحد ..

لقد بدت اشعر بالغيره وانا فى الثالثة عشرة من عمرى ..
الغيره بكل آلامها ، وكل قسوتها ..

بدأت أحس بصغر سنى .. واعتقدت ان عادل يعرف بنات
غيرى لأنى صغيرة .. ودفعنى هذا الاعتقاد الى أن أحاول ان
أسبق عمرى .. أن أبدو أكبر .. فتحايلت على أمى حتى سمحت
لي بأن ألبس حذاء بكعب ، ثلاثة سنتى .. واستطعت بواسطة
أحدى زميلاتى فى المدرسة أن أحصل على أصبع روج ..
وأصبحت أقلب فى المجالس فنتوقف عيناي على صور البنات
اللاتى يكبرننى .. واتجه ذوقى الى أزياء لا تليق بسنى .. وأمى
لا تفهم فى الأزياء ، غافقت ورائى ، ولصحت تفصل لي ثيابا
أكبر من عمرى وسمحت لي بأن أصبع شفتي بالروج فى مناسبة
أو مناسبتين .. وهى فرحة بي كما تشرح الطفلة بعروستها ..

وجاء عادل لزيارتى يوما ..

وجلس مع أمى وأبى ..

وتأخرت فى غرفتى أعد لعادل مناجاة .. تخيلتها مفاجأة
كبرى ..

وقفت أمام مرآتى أصف شعرى بحيث أرفعه فوق راسى كما
تفعل البنات الكبيرات .. ووضعت الكحل حول عينى .. وصبغت
شفتي بالروج .. وارتديت ثوبا جديدا ، شددت فتحة صدره «
حتى كشف عن مساحة كبيرة من لحمى .. ولبس جوربا وحذاء
بكعب ..

لقد كنت جميلة .. جميلة فعلا .. رغم أنى لم استطع أن

أسف شعري كما يجب .. ورغم أن خطوط الكحل كانت مهترئة
حول عيني .. ورغم أن «الروج» فوق شفتي كان ماسخا ..
وخرجت إلى عادل ..

وِفُوجِيٌّ

رأيت المفاجأة في ارتعاشة رموش عينيه ..

— مالک کبرت مره واحده کده .. ده انتى لغاية النهارده
اًصْبَحَ كُنْتِي لَسْهُ عَلَيْهِ ..

وقلت وانا ابتسם فى دلال وأتثنى بقوامى الطويل فى افتعال :
— من فضلك يا بابا .. ما تقولشى على عيله ..

وقال عادل وهو يقاوم المفاجأة :
— من امتى بتحطى روج يا نوجا ؟

وقلت وانا اهز له كتفى :
— ماما سمحت لي ..

— والله يا عادل يا ابني .. ما دام اتخطبت لك يبقى من حقها تحطط روج .

وظل عادل محتفظاً بنظره الدهشة في عينيه ..

ومن يومها بدأ يبدى نحوى اهتماما أكثر ..

وتسليت قيلته من فوق رأسي الى خدي ..

انو اذكر قيلته الاولى فوق خدي .. لقد دخلت اليه في غرفته

عندما كنا فى زيارة عائلته .. و كنت ألبس الحذاء ذا الكعب ..
وثوبى ضيق ، مفتوح الصدر ، وشعرى مفروق من منتصف رأسي ،
ومسدل حول وجهى .. وفي نظراته هذا الشيء الجديد ..
ووجهه يلمع .. ثم حاول أن يتشارع عنى بالعيش فى ادراج
مكتبه .. ثم قام فجأة ، واقترب منى ، وأمسكنى من كتفى ، وقال
فى صوت لاهث :

— انتى بكرتى يا نوجا .. واحلوبيتى .. ما كنتش فاكر انك
حاتكبرى بالسرعه دى ..
وظل ممسكا بي ..
عيناه فى عينى ..

وعيناه ترتعشان .. وأحساسى كلها متقطعة مرتبكة ، كأنها
تواجه ضوءاً شديداً لا تحتمله ..
وانحنى ، وقبلنى فوق وجنتى ..
اول شفتين ساخترين فوق وجنتى ..
وحاولت ان اجتمل لمستهما ..
ولكنى لم احتمل ..

احسست بدمائى كلها تندفع فى عنف .. واحسست بقلبى
يطير بين ضلوعى . كأن العصفور قد كسر قشرة البيض وانطلق
فى عالم لا يعرفه بعد .. واحسست بركتبى ترتعشان ..
احسست بأنى نى حاجة الى قوة كبيرة .. قوة لم اتعودها بعد
حتى احتمل كل هذا ..
ولم أجد هذه القوة ..

فنزلعت نفسى من بين يديه ، وجريت من أمامه ، ويدى على
خدى مكان قبلته اختفى عليها ان تطير منى ..
وانزوىت فى حجرة الصالون ، ولم يكن فيها أحد .. وبقيت

فيها وحدى ، هائمة في أحاسيسى .. أحاسيس حلوة .. والنشوة
تضج في عروقى .. ويدى لا تزال على خدى كأنى أخشى أن
تطير قبلته من فوقه ..

ويقيني وحدى في حجرة الصالون ، إلى أن سمعت صوت
أمى تناذينى لنعود إلى بيتنا ..

وركبنا قطار حلوان ، وأنا بجانب أمى .. صامتة .. منتشرة
.. هائمة في أحاسيسى ..

ونظرت إلى أمى كأنها تحاول أن تكتشف سرى ، وقالت :
— مالك ؟

قلت وأنا أنظر من شباك القطار :
— أقول لك حاجه ؟
قالت :

— خير .. قولي ..

قلت كأنى أزف إليها فرحتى :
— عادل باستنى ..

وبدا الاهتمام على وجه أمى وجذبتني إليها قائلة :
— باسك فين ؟

قلت :

— فى اودته ..

قالت :

— يعني باسك فى أى حته ..

قلت وأنا ابتسم :

— باستنى فى خدى ..

وسكتت أمى قليلاً كأنها تبلغ الما وقالت :
— كام مره ؟

قلت :

— مره واحده بس .. بوسه واحده ما فيش غيرها ..
قالت :

— وكتم قاعدين واللا واقفين ..
قلت :

— واقفين ..
قالت :

— وكان ماسك ازاي ..
قلت وانا احاول ان اتذكر :

— مش فاكره .. مش فاكره اذا كان ساعتها كان ماسكني
واللا لا ..

قالت في حدة :

— يعني كان حاضنك ؟

قلت :

— لا .. كان مسكنى من دراعى ..
قالت :

— وعملتى ايه ..
قلت :

— جريت وقعدت في الصالون ..

وستكتت امي قليلا ووجهها يزداد قسوة ، ثم قالت كأنها تحدث
نفسها :

— مش حاجه .. ما هو برضه خطيبك .. انما أكثر من كده
مش من حته ..

والتفتت الى وقالت في حدة :
— غايمه ..

قلت بلا مبالغة وانا لا زلت هائمة في نشوتى :
— فاهمه ..

ومن يومها وأمى تسألنى دائمًا عن كل التفاصيل .. أدق التفاصيل .. وتعودت بعد ذلك وخلال حياتى كلها إن اقول لها كل شيء .. لم اكن اشعر بأى خجل وانا اطلعها على كل شيء .. وقد اطلعتها على تفاصيل كثيرة .. كثيرة .. كان اهم ما تسمعه وراءه هو هذه التفاصيل .. لم يكن يهمها المبادىء ، ولكن تهمها التفاصيل ..

وحبى لعادل يكبر ..

وكل شيء في يكبر مع حبى ..

صدرى يكبر .. جسدى يكبر .. عقلى يكبر .. احساسى
تكبر .. وعمرى يكبر .. كل شيء يكبر بين يدى عادل .. كل
قطعة مني يلمسها ، تكبر .. وكل كلمة يقولها يكبر بها عقلى ..

وكل لحظة من لحظاته يكبر بها قلبى ..

خيل الى ايامه! انى لا اكبر بعمرى ..

ولكنى اكبر بحبى ..

وقد احبيت بكل ما في طاقة الحياة من حب .. احبيت حبا
فيه كل شيء .. فيه الخيال .. وفيه سذاجة الطفولة .. وفيه
النشوة .. نشوة المرأة .. وفيه الامل المستقر الهادىء .. وفيه
الالم .. الم الغيرة ..

كنت احبه كطفلة .. تندفع بحبها بلا حدود .. و كنت احبه
كفتاة كبيرة تعد نفسها للزواج .. و كنت احبه كأم تخثار اسم
أولادها قبل ان تراهم ..
واحبنى عادل ..

أحبنى قدر ما أحببته .. وحبه يكبر كلما كبرت .. والنظر
نمى عينيه تكبر وتزداد لمعانا يوما بعد يوم ..

أصبحنا لا يستطيع أحدنا أن يستغنى عن الآخر ..

كنت اكتب له فى كل يوم خطابا حتى فى الأيام التى ارها
فيها .. خطابات مليئة بالكلمات الطوءة التي أقرؤها فى القصص ..
وأحيلها إلى واقع أعيش فيه ..

وكان عادل يكتب إلى أيضا كل يوم خطابا .. ولو كلمتين ..
وربما كانت كلماته ساذجة ، فيها محاولة لشباب مغرور يحاون
أن يثبت لنفسه أنه أديب كبير .. ولكنني أيامها كنت اعتبر خطاباته
أرقى ما يستطيع الإنسان أن يكتب .. كنت أعيش في كل كلمة من
كلماته ..

ان حياتي في هذه الفترة ، كانت أغنية .. أغنية أغنیها فعلا
.. أغنیها مع كل أغنية تنطلق من الراديو .. ليست أغاني
عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ فقط ، بل كل الأغانى .. أغان
لا يخطر على بال أحد أن يحفظها ، ويغنیها مطربون من الدرجة
الثانية والثالثة ، ولكنني كنت أحفظها .. أحفظها لأنني كنت أجد
في كل كلمة حب . حبى ..

وقد نال عادل بكالوريوس التجارة قبل أن اتم الخامسة عشرة
من عمرى .. وأذكر في هذه الأيام انه سافر إلى السعودية في
رحلة قصيرة مندوبا عن الشركة التي عمل بها .. وكذا في عز
الصيف .. ولم أحتمل أن يعيش عادل في لهيب السعودية ، بينما
انا في القاهرة أعيش في صيف أرحم .. فما كان مملا إلا ان
أغلقت جميع نوافذ غرفتي « شيش وزجاج » وحبست نفسى فيها
بعد أن ارتديت بلوفر من الصوف ، حتى أعانى نفس ما يعانيه
عادل من لهيب الصيف في السعودية .. وبقيت هكذا ثلاثة

اسبوع ، لا أفعل شيئا الا أن كتب لعادل .. كتبت له عشرات
الخطابات .. كلها حب .. وأمى تدخل وتخرج ، وهى تصرخ :
— يا بت ما تبقيش مجنونه .. بلاش لعب عيال ..

ولكنى لم أتحرك من غرفتى .. ولم أفتح نوافذها .. ولم
أخلع البلوفر الصوف .. الا بعد أن عاد عادل من السعودية ..
إلى هذا الحد أحبيته ..
وأحببت معه كل الدنيا ..
كل الناس ..
كل شيء ..

وكان الحب يضىء عقلى بنور الذكاء .. ويملاً كيانى بالمرح
.. ويدفعنى إلى النجاح والتفوق .. ويصنع لى شخصية قوية ،
حلوة ، يحبها الناس ..

كم كنت سعيدة ، أيامها ..
ولكن ..

كانت هناك فترات من الألم .. فقد كان لعادل بعض المغامرات
النسائية .. ضبطت فى منديله مرة آثار أحمر شفاه .. وضبطت
فى درج مكتبه صورة لسيدة ربما كان عمرها أكبر من الخامسة
والثلاثين .. وكانت أثور .. وأبكى .. ولكن عادل كان يقتنعنى
سريراً بأنها فى حاجة إلى هذه العلاقات ليطلق فيها شبابه ، إلى
أن ذاروج ويتزوج عنها .. كان يقتنعنى دائمًا بأنها علاقات عابرة
لا تترك خدشاً فى قلبها ولا فى حياته .. علاقات يحتاج اليها
كل رجل قبل أن يتزوج .. وكانت تمر بى لحظات أفكراً فيها أن
امنح عادل من نفسى ما يغنىه عن هذه العلاقات ، حتى قبل أن
أتزوج .. ولكنى كنت أعود وأجيء .. لا ، لم يكن جينا .. ولكنى
كانت أطمح لنفسى هوىق مستوى هذه العلاقات العابرة .. أنا شىء

أكبر من حاجة الرجل العابرة .. لا يمكن أن انزل الى مستوى الحاجة العابرة .. أنا الحب .. أنا الحياة كلها .. حب عادل ، وحياته .. فكنت أكتم الم الغيرة من قلبي الصغير .. وازيح من أمام عيني خيال عادل وهو يقبل على امرأة أخرى كبيرة يقبلها ويحتضنها .. وأسمو بحبى الى حد أن اتنع نفسى بأن هذا من حق عادل ، وأنه حرام على ان احرمه من حقه ، وان اعذبه بحاجته التي لا استطيع ان اريجه منها الا بعد ان نتزوج .. ولكنى بدت فى هذه الانتاء اكره النساء الكبيرات .. لا ، لم اكرههن .. فقلبي لم يكن يتسع للكراهية .. ولكنى كنت أخاف مفهمن على جى .. كنت أتصور أن كلاً منهن يمكن أن تنقض على عادل وتأخذه منى ، ولو أخذها عابرا ..

وكانت قبلاتنا قد كبرت عن هذه الانتاء ..

وصلت قبلة عادل الى شفتي البكر .. العذراوين ..

وكلت اذوب في قبلته ..

اذوب كل ..

احس كأنه يسحب بشقتيه كل ما غنى .. يسحب قلبي ..
ويسحب عقلى .. ويسحب أعصابى .. ويسحب كل قطعة منى ..
احس بكل ما في من حياة يتجمع بين شفتيه .. لم تعد لي
حياة الا هنا .. بين هاتين الشفتين ..

وكانت امي تدير نشاط قبلاتنا كأنها قائد فرقة موسيقية يدير
انقام عصوروين يتناجيان بأعذب الالحان ..

كانت قد اعترفت لنا بحق تبادل القبلات .. ولكن .. تحت
اشرافها .. فكانت عندما يأتي عادل لزيارتنا .. تجلس بيننا
كالحارس الأمين .. ونحن نتبادل حديثا فاترا ، ونبادل نظرات
ساخنة .. الى ان تقرر امي فجأة أن هناك ما تعمله داخل البيت

.. نتدخل لتجلس مع أبي ، وتركتنا وحدنا .. وب مجرد أن تدبر
ظيرها لنا ، تلتقي شفاهنا العطشى .. ونعيش في قبلة واحدة
طويلة .. طويلة .. كأن كلًا منا يدخل على نفسه بلحظة يتنفس
فيها .. ثم فجأة أيضا ، تعود أمي .. وتفترق شفاهنا ، وهي
لا تزال عطشى ..

نادى ذهابنا إلى زيارة عائلة عادل ، حدث نفسـ الشيء ..
نجلس جميعا معا ويدور بيتنا الحديث الفاتر ، والنظرات الساخنة
.. نظرات السوق الكبير .. ثم يقوم عادل ويدخل إلى غرفته ،
واهم أن الحق به ، ولكن أمي تشغلى في حديث وتظل تشغلى
إلى أن تقرر بينها وبين نفسها أن تستمع لي بالحاق بعادل ..
فترحمني من حديثها .. وأجرى اليه .. ونزلتني في قبلي الطوينة
.. الطويلة .. إلى أن أسمع صوت أمي يناديـ من بعد كأنـها
تشدـنى من الجنة ..

وكان أقسـى ما توقعـه أمـي علىـ من عـقـاب .. هو الا تـرـكـنى
لـعادـل .. وـكـانـتـ المـدةـ الـتـىـ تـرـكـنىـ لـهـ فـيـهاـ ،ـ تـطـولـ وـتـقـصـ حـسـبـ
رـضـائـهـ عـنـىـ ..ـ أـحـيـاـنـاـ تـرـكـتـىـ لـهـ رـبـعـ سـاعـةـ ..ـ أـحـيـاـنـاـ خـمـسـ
دقـائقـ ..ـ أـحـيـاـنـاـ دـقـيقـةـ وـاحـدـةـ ..

وـكـانـتـ أمـيـ تـظـاهـرـ أـمـامـ عـادـلـ بـأـنـهاـ لـاـ تـتـعـمـدـ أـنـ تـرـكـناـ وـحدـناـ
..ـ وـلـكـنـ كـانـ هـذـاـ اـمـراـ صـرـيـحاـ بـيـنـيـ وـبـيـنـهاـ ..ـ كـانـتـ تـصـارـحـنـىـ
بـأـنـهاـ تـتـعـمـدـ أـنـ تـرـكـتـىـ لـهـ ..ـ حـتـىـ تـهـدـدـنـىـ بـالـأـ تـرـكـتـىـ لـهـ ..ـ
ـ ثـمـ بـمـجـدـ أـنـ يـنـصـرـفـ عـادـلـ ..ـ كـانـتـ تـسـأـلـنـىـ عـنـ التـفـاصـيلـ
..ـ كـلـ التـفـاصـيلـ ..ـ تـسـأـلـنـىـ وـفـيـ عـيـنـيـهاـ نـهـمـ مـثـيرـ كـانـهاـ طـفـلـ
جـائـعـ يـنـتـظـرـ مـاـ يـشـبـعـ جـوـعـهـ :
ـ عـلـمـتـ اـيـهـ ..ـ اـحـكـمـىـ ..
ـ وـأـقـولـ وـأـنـاـ اـتـدـلـ عـلـيـهـ :

— هو احنا لحقنا نعمل حاجه .. ده انتى ما بعدتىش عنا
الا يدوبك دقيقه ؟

وتقول :

— علهشر .. بكره تشبعى منه .. قوليلى .. باسك ؟

وأقول بلا خجل :

— طبعا .. باسنى ..

وتقول أمى والنهم فى عينيها :

— تـ.وفـوـ الـبـجـاحـه .. وـاـيـهـ كـمانـ ؟

وأرد وانا اتفالى فى دلالى كائنى عروس فى صبيحة ليلة
الزفاف :

— ولا حاجه .. هو فيه ليه كمان ؟ !

وتقول أمى :

— يعني حضنك ؟ !

وأقول :

— لا ..

وتعود تسألنى ::

— حط ايده على صدرك ! ؟

وأقول وانا ابتسم :

— ايه ده يا ماما .. أنا ما اسمحلكيش تكلمیني بالشكل
..

وترد أمى فـى حزم :

— أوعى تخليه يحط ايده على صدرك .. او لا صدرك يخسر
وانت لسه بنت بنتو .. وثانيا ده مش من حقه ..
ويستمر هذا الحوار بيننا طويلا .. تسألنى .. وتسألنى ..
كل لمسة .. كل حركة .. كل كلمة .. وهى تنظر الى كائناها تفتش

، فقلبي .. وفي أحاسيسى .. ورغم ذلك . فلم أكن اتضاليف .. كنت أحب هذا الحوار .. وأحب أن يطول ، كأنى أردد آخر آنيات جبى .. كأنى أطلع صديقى الوحيدة على أعز اسرارى .. رغم الخلاف الكبير بينى وبين أمى حول معنى الحب .. أمى سمعتني أن الحب هو أن يأخذ الرجل المرأة ، ولا شيء أكثر .. وأنا أعتقد أن الحب هو التقاء .. التقاء شخصيتين .. والتقاء مفكرتين .. والتقاء قلوبين .. والتقاء حياتين ..

وأكأن ..

ال أيام الحلوة لم تدم طويلا ..

بدأت تفوهات فى الضباب ..

مرض أبي .. وأنا فى السادسة عشرة من عمرى .. أصيب بشلل نصفي خنق الكلمات فوق لسانه .. لم يعد يستطيع أن ينطق .. ولم يعد يستطيع أن يتحرك إلا إذا حملناه من مكان الى مكان .. أصبح لا شيء .. فقدته .. وأحسست أنى فقدت ميزان حياتى كلها .. لم أشعر بأن أبي كانت له كل هذه الأهمية فى حياتى إلا بعد أن أصبح لا شيء .. لقد كان بالنسبة لى صمام الأمان من طففيان أمى .. كان العقل المترن الذى يحمينى من نزواتها .. كان الصدر الطيب الحنون الخالى من العقد النفسية ومن الأنانية ، الذى الجا إليه كلما خنتنى أناية أمى وخوفها الدائم من أن تفقدنى يوماً ما .. كان أبي هو الذى يحبنى كابنته .. وأمى لا تستطيع أن تنسى أنى لست ابنته .. غقط تبنتنى ! ..

ويقد زاد طففيان أمى بعد مرض أبي ..

أصبحت أنايتها حادة كالسكين ..

ونصبهنا نتشاجر دائمًا .. ونتصارخ .. هى تصرح

وانا أصرخ .. ثم أجري الى ابى وهو راقد فى فراشه .. ليس فيه شيء حتى الا عيناه المدققتان المنهوكتان والقى بنفسى على صدره وابكي .. وينظر الى أمى بعينيه وقد وضع فيهما كل ما بقى له من قدرة على الغضب والسلط .. وي Shaw فى وجهها بذراعه السليمية .. ويطلق من زوره أصواتاً مشروخة تشير الشفقة كأنها خوار ثور جريح على وشك أن يموت .. ثم يدبر عينيه الى "، وفيهما دموع تهم أن تنطلق .. وتتسقط ابتسامة ضعيفة على جانب شفتيه المشلولتين .. ويمسح وجهه على شعرى كأنه يربت على " .. ثم لا يستطيع أكثر من ذلك ..

وكان لمرض ابى أثر على حبى لعادل أيضا .. نقل حبى الى طور آخر ، لم يعد حبا فيه مرح الطفولة وانطلاقها وسذاجتها .. ولكن أصبح حبا جاداً عميقاً يحمل مسئولية الحياة كلها ..

لقد أصبح عادل هو القوة الوحيدة لى .. هو سندى الوحيد .. وأحس هو بنفسه ما بدات أحس به .. فاكتملت لحبنا شخصيته .. لم يعد حبنا يقبل أن يعيش تحت اشراف أمى وادراتها .. أصبح لحبنا شخصية مستقلة عن شخصية أمى .. أصبحت لنا أحديتنا الخاصة ، ومشاريعنا الخاصة ، وأحلامنا الخاصة .. ولم أعد أرحب بالحوار الطويل الذى يدور بيني وبين أمى بعد أن التقى بعادل .. وأصبح لى ولعادل رأى خاص فى كل ما تقوله أمى .. أصبحنا نرد عليها ونعارضها .. لم نكن نتحداها او نتهجم عليها .. أبدا .. كان كل ما نطالب به هو حقنا فى رسم حياتنا ، وفى تصريفاتنا .. وبالعكس .. كنا نحرض دائمًا على أن نحيطها بحنا ، وأن نبدى لها هذا الحب .. ونحرض أيضًا على الا نصدمنها فى أنانيتها وفى طريقة تفكيرها ..

وبعدات أمى تلحظ هذا التطور .. بدأت تحس أنى أصبحت

.. ولتصقة بعادل أكثر من التصاقى بها .. اتأثر به وبكلامه ، أكثر مما اتأثر بكلامها .. بدت تحس أن عادل لا يصلح ليكون مفتاح اخزانة التي تضئن فيها ، وتحتفظ به في جيبها .. لقد أصبح عادل أكبر من أن يسعه جيبها .. وتحركت عندها عقدة الخوف من أن تفقدني يوما .. تفقد شيئاً تملكه .. نبدات تحارب عادل .. تحارب حبى .. ووجهها المكرمش يزداد قسوة يوماً بعد يوم ..

وقد بدت تقلل من زيارتنا لعائلة عادل .. فإذا جاء عادل لزيارتنا استقبلته استقبلاً رسمياً كأنه غريب .. وجلست أمامها كائنة .. لا تتركنا لحظة .. ووجهها المكرمش يقف بيتشتا كانحاط المصحح .. ثم بدت تنقل إلى أخبار علاقات عادل النسائية .. كانت تبحث بنفسها عن أخبار هذه العلاقات وتقتصرها في أذني كالسم .. وكانت أصرخ في وجهها :

— عارفه .. عارفه .. مش ممكن حانقوليلي حاجه عن عادل أنا مش عارفاه ..

ولكنها كانت تعابرني بهذه العلاقات .. بل أنها اتصلت بامرأة في الأربعين من عمرها مطلقة رجل غنى ، كان عادل على علاقة معها في فترة من فترات نزواته .. وجعلتها تحدثنى في التليفون وتروى لي تاريخها مع عادل ، وتغيبطني ، وتقسم لي أنها كانت تتفق عليه .. و... عارفه البطل البنى اللي بيلبسها ، إسائيه كده مين اشتراها له .. و ..

وكنت أحتمل .. لم اكن أحتمل ببساطة .. كنت أعاني الألم .. ألم الضيق .. ألم الغيظ .. ألم الفيرة .. ألم الاحساس سعْرى أمم جبروت أمي .. ورغم ذلك كنت لا أزال أقنع نفسي بحبها .. كنت أخاف من أن أكرهها ..

وأخيرا قرر عادل أن المخرج الوحيد لنا هو أن نجعل بزوجها .. وكلم أمي .. ورفضت .. رفضت في حزم قاس كأنها لن تقبل أبدا أن نتزوج .. وكانت حجتها الأولى أنتا يجب أن ننضر حتى أنتهى من دراستي الثانوية .. وعندما تعهد عادل بأن يتركتني أتم دراستي بعد أن نعقد القران .. بدأت تضيق العراقيـل .. عراقيـل كثيرة .. إنها تغالي في طلب المهر .. وفي المؤخر .. وفي شروط الشقة التي يجب أن يبحث عنها عادل لنسكـن فيها .. والموقف يتتطور بسرعة عجيبة .. كلام كثير .. كثير .. وخلافات بين أمي وأم عادل .. وسعادات جمعية نور الهدى يتفقـلـنـ بـيـنـ بـيـتـنـاـ وـبـيـتـ عـادـلـ .. وـيـنـقـلـ أـخـرـ الـأـخـبـارـ .. وأـخـرـ الكلـامـ .. ويـحـرـفـ كـلـمـةـ نـقـالـ هـنـاـ .. وـكـلـمـةـ نـقـالـ هـنـاـ ..

وـأـنـاـ أـصـبـحـتـ تـائـهـةـ .. كـالـفـرـخـةـ الدـائـخـةـ ..

وـأـصـبـحـتـ لـأـرـىـ عـادـلـ .. أـحـادـثـ فـيـ الطـلـيـفـونـ خـلـسـةـ .. وـأـنـامـ باـكـيـةـ عـلـىـ صـدـرـ أـبـيـ المـشـلـوـلـ .. وـمـرـةـ أوـ مـرـتـينـ اـفـتـحـمـ عـادـلـ بـيـتـنـاـ لـيـرـانـيـ رـغـمـاـ عـنـ أـمـيـ .. وـلـكـنـهاـ وـقـنـتـ فـيـ وجـهـهـ ، وـوـصـلـتـ إـلـىـ حدـ تـهـديـهـ باـسـتـدـعـاءـ الـبـولـيـسـ ..

وـشـبـتـ النـارـ فـيـ صـدـرـ أـمـيـ عـنـدـمـاـ عـلـمـتـ أـنـ عـادـلـ مـرـشـحـ لـوـظـيـفـةـ كـبـيرـةـ فـيـ الـكـوـيـتـ .. كـانـ عـادـلـ فـيـ حـاجـةـ إـلـىـ هـذـهـ الـوـظـيـفـةـ لـيـبـنـىـ مـسـتـقـبـلـهـ .. وـلـيـجـمـعـ ثـرـوـةـ لـنـاـ .. وـلـكـنـ معـنـىـ هـذـاـ نـهـ سـيـاخـذـنـىـ بـعـيـداـ عـنـ وجـهـهـ ..

مـسـتـحـيلـ ..

لاـ أـحـدـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ يـأـخـذـنـىـ بـعـيـداـ عـنـهـ ..
إـنـهـاـ تـمـلـكـنـىـ ..

تـمـلـكـ كـلـ كـيـلوـ مـنـ لـحـمـيـ وـعـظـمـيـ .. وـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـسـمـحـ لـأـحـدـ بـأـنـ يـأـخـذـنـىـ مـنـهـ .. لـأـعـادـلـ وـلـاـ غـيـرـهـ ..

واعلنت امى فنسخ الخطبة .. من جانبها وحدها ..
وسرقـت دبلى من اصبعى وانا نائمة ، واخفتها عنى ..
وجنت ..

خت اصرخ كالجنونه .. واتكلم كالجنونه .. وأحطم كل
شيء حولى كالجنونه ..

وامى لا تشفق على .. لقد أعلنت الحرب .. وقد تعودت
أن تنصر فى كل حرب نعلنها ..

لقد سلطت على كل أفراد العائلة ليقنعواـنى بأن أنسى حبى
العادل .. حتى امى الحقيقية جاءـت لتقنـعـنى بـنسـخـ الخطـبة ..
وتوـكـدـ لـىـ انـ عـادـاـ لاـ يـصلـحـ لـىـ ..

وسلطـتـ كلـ الدـنـيـاـ لـتشـهـيرـ بـعادـلـ وـعـائـلـتـهـ .. بلـ انـهاـ ذـهـبتـ
إـلـىـ رـؤـسـائـهـ فـىـ عـمـلـهـ لـتـشـكـوهـ إـلـيـهـ ، وـتـقـعـمـهـ إـنـ يـحاـولـ انـ
يـغـوـيـنـىـ وـيـخـطـنـنـىـ ..

وـعادـلـ جـنـ اـيـضاـ ..

انـهـ يـتـكلـمـ فـىـ التـلـيفـونـ وـيـصـرـخـ فـىـ اـمـىـ :

ـ اـنـاـ حـاجـوزـهاـ غـصـبـ عـنـكـ .. اـذـاـ مـاـ اـنجـوزـتهاـشـ بـالـذـوقـ
حـاـ اـنجـوزـهاـ بـالـعـافـيـهـ .. حـاـخـفـهاـ .. لوـ كـنـتـ اـمـهاـ بـصـحـيـحـ
ماـ كـلـتـشـ .. اـبـتـىـ فـيـهاـ كـدـهـ ..
وـامـىـ تـقـبـلـ التـحدـىـ ..

وـلاـ تـكـفـ عـنـ الـحـرـبـ ..

وـاـنـاـ اـحـاـولـ اـنـ اـحـتـمـلـ .. اـحـاـولـ اـنـ اـصـبـرـ .. اـحـاـولـ ئـنـ
أـجـدـ شـقـاـ يـنـفـذـ مـنـهـ النـورـ .. نـورـ الـأـمـلـ .. وـلـكـنـ وـجـهـ اـمـىـ المـصـفـحـ
لـيـسـ فـيـهـ مـنـفذـ لـلـنـورـ ..

وـفـجـاءـ ..

هـربـتـ ..

كانت مساجأة بالنسبة لى ايضاً .. فانى لم افكر قبلها غى
الهرب .. ربما كنت افكر فى الهرب بعقلى الباطن ، ولكنى لم
افكر فيه بعقلى الواقع .. وقد صحبتنى أمى يومها الى المدرسة ،
واوصت على الناظرة والمدرستات وحضرت عليهن ان يتذكرنى
اغادر المدرسة الا اذا جاعت وتسلمتني بنفسها .. وقضيت طول
الصباح شاردة .. لا استطيع ان اندمج فى حديث مع زميلاتى
.. لا استطيع ان اتكلم ، ولا ان ابتسم شاردة .. ساهمة .

ونزف نسحة الظهر ، كنت فى غناء المدرسة ، ولحت الباب
الكبير مفتوها .. وبلا اراده منى .. وانا لا زلت شاردة ، ساهمة
.. خطوط نحو الباب .. وخرجت .. خرجت من المدرسة .

ولم أتبه الا وانا فى الشارع بعيداً عن المدرسة .. ووقفت
برهة كأنى اشد خطة تعيش فى عقلى الباطن .. ثم جريت الى
اقرب تليفون ، واتصلت بعادل فى مقر الشركة التى يعمل بها ..
وجاء عادل فى سيارة اجرة بعد ربع ساعة .. وانا واقفة
فى الشارع مرتدية زى المدرسة ، وكل ما فى شارد ..
وجريدة اليه بمجرد ان لحته ، وقفزت جالسة بجانبه .

ولم نتكلم ..
كأن كلاماً كان ينتظر هذه اللحظة .. وكأننا دبرنا خطة
الهروب معاً ..

اكتفى عادل بأن اخذ يدي فى يده ، وأمر السائق أن يتوجه
إلى العجوزة .. وطول الطريق ونحن الاثنين صامتان .. ويدى فى
يده .. وقليلانا يخفتان فى صدرينا .. والنظرة الساهمة فى عينى
.. وفى عينيه نظرة تحدى .. تحدى لأمى ..
واخذنى عادل الى بيت شقيقه الاكبر ..
وكان شقيقه يسكن وحده فى شقة بالعجزة ..

وفتح عادل الباب بمفتاح اخرجه من جيبيه ، ولم افكر ساعتها
شى ان اسئله لماذا يحتفظ بمفتاح شقة شقيقه فى جيبي ..
وقال عادل ونحن ندخل :

— أنا ما رضيتش اخدك عند أمى ، علشان مامتك ما تحصلناشر
هناك .

وهززت راسى موافقة ..

وأغلق عادل الباب وراءه ..

ولم احاول أن أنظر حولى الى محتويات الشقة .. كانت
عينى معلقتين بوجه عادل ..
وقال عادل :

— احنا نستنى لما اخويا يرجع من الشغل الساعة خمسة ..
ونبعثت نجيب المذون ونتجاوز ..

وقلت فى صوت ضعيف وأعصابى منهوبة :

— اعمل اللي انت عايشه يا عادل ..

ولم اكن ساعتها أفكر فى الزواج .. كان كل ما افكر فيه
هو أنى أصبحت مع عادل وحدنا بعد كل هذا العذاب الطويل ..
بعد كل هذا الشوق المضنى .. وحدنا .. ولا ننتظر أن تدخل
أمى علينا فى كل لحظة .. لأول مرة نلتقي بعيدا عن شبع أمى ..
وركتت راسى على صدره ، وقلت كأنى اتنهد :

— انا نعبانه يا عادل .. تعبانه ..

وقال فى حزم كأنه قبض على عنق القدر :

— خلاص .. النهارده آخر يوم تتعمى فيه .. بعد النهارده
مش ممكن حد يفرقنا عن بعض ..

ثم رفع رأسى اليه ..

شفتاه تتطلعان الى شفتي

والتقينا ..

قبلة طويلة .. طويلة .. لن تنتهي أبدا .. وكل منا يبخ
على نفسه بلحظة يضيعها في التقطاط نفسه ..
واحسست كأن عمرى كله يستريح بين شفتيه .. كل
ما عاتيقه .. كل ما تحملته .. كل عذابي .. كل حرماني .. كل
خيرتى .. كل أعصابى الملتقبة تنطفئ نارها وتهدأ بين هاتين
الشفتين :

وقال عادل وهو يجلسنى على الأريكة :
— انتى مرأتى يا نجوى .. مرأتى قدام ربنا وقادم الناس
.. مرأتى من خمس سنين ، من يوم ما تخطبنا ..

وتعلقت بعنقه ، وأنا أهمس :

— يا حبيبى يا جوزى ..
ولم ننتظر إلى أن يأتي الماذون .

لم نكن نستطيع أن ننتظر بعد كل هذا العذاب .. وكل هذا
الحرمان ..

واستسلمت ..
لا ..

كل منا استسلم للآخر .. فلم يكن عادل يريد شيئاً أكثر مما
أريد ..

لم أشعر بأنى أفقد شيئاً . لم أشعر بأنى أضحي بشيء ..
كل ما كنت أشعر به هو أنى لا أريد أن أفقد عادل مرة أخرى ..
لا أريد أن يقف ثانية بيني وبينه .. لا أريد أن أعود إلى عذاب
السوق إليه ، والحرمان منه .. أريد أن تستقر حياتى كلها هنا
.. بين ذراعيه ..

وعيناي مغمضتان ، وشفتاي مسدسستان بين شفتيه ، كأنى

أشتict بهما من خوف الالم .. لا .. لم يكن بيننا الم .. ليس كما كنت أتصور .. الحياة في هذه اللحظة تجرى وحدها ، بلا ارادة مني ، ولا ارادة منه .. كأننا لم نتعهد شيئا .. اتنا فعلا لم نتعهد شيئا .. لم نتعهد الا ان يتتحقق احدينا بالآخر ، والى الابد ..

وكان خيال امي يطوف بي .. ووجهها المكرمش القاسى ينقض علىـ كأنه يحاول ان يشدنى من بين ذراعى عادل .. ولكنى كنت ابتسم فى شماتة .. انى اعى تماما ما افعله .. انى اضع امى امام الامر الواقع حتى تسلم بزواجهنا .. لن تستطيع ان تنتصر على حبى .. ستخضع .. ستنسلم .. ثم ..

رقدت بين ذراعى عادل مغمضة العينين .. لست نائمة .. ولكنى هائمة .. مستريحة .. وابتسمة النصر على شفتي .. النصر على امى ..

الى ان عاد شقيقه مدحت .. وقفز عادل واقفا بمجرد ان سمع المفتاح يدور فى قفل الباب ، واعتدلت جالسة وانا اشد ثوب المدرسة فوق ركبتي . وارتسمت دهشة كبيرة على وجه مدحت عندما رأىني .. وقال كالمبهوت :

— نجوى .. ايه اللي جابت ..

وقال عادل يقاطعه :

— احنا حاتتجوز دلوقتى يا مدحت .. كنا مبيتبينك علشان تجيip لنا المأذون وتشهد على العقد ..

وقال مدحت وهو ينظر الىـ كأنه يتصورنى مجنونة :

— مش احسن نقول لما تك ونبعدت نجييها ..

وقلت نى اصرار :

— ماما مش حاترضى اننا نتجوز ..

قال :

— بس لما تعرف ان المسئله وصلت للدرجه دي ضروري
حاترضى ..

وقال عادل قى حدة :

— ما فيش فايده يا مدحت يا خويا .. انت عارف عزيزه
هانم .. راسها زى الحجر .. وعمرها ما ترحم حد ..

وقال مدحت :

— ما هي علشان كده .. دي او عرفت انكم اتجوزتم حاتقلب
الدنيا على دماغكم .. ويمكن توديك محكمة الجنائيات .. دي
جباره .. انا عارغها اكتر منك ..

وقال عادل وهو يكاد يفقد اعصابه :

— ما هو ما فيش فايده من الكلام دلوقتى .. حانتجوز يعني
حانتجوز ..

وادر مدحت عينيه بيني وبين عادل ورأى علامات التصميم
على وجهينا ، فقال وهو يبتسם كانه يبارك حينا :

— انا موافق .. بس سيبونى على الاقل اقول لامي ..
علشان المسئله تبقى عائلية ، وما تبقاش اتنين هربوا مع بعض
.. خصوصا ان نجوى لسه ما كملتش تمناشر سنه ..

وقال عادل :

— وامي حاتعمل ايه يعني .. حاتكبر نجوى .. ولا حاتعمل
ايه ..

وقلت لدحت ..

— لو مامتك عرفت قبل مامتى .. مامتى تتجنن اكتر ..

وقال مدحت وأبتسامته تتسع :

— سيبوا المسألة على أنا .. أصلكم مش شاينين حاجه .. الحب مخبي عنكم حاجات كتير .. يا بختكم ..

ثم أسرع الى التليفون واتصل بأمه ، وعاد قائلاً في مرح :

— أمى حاتكون هنا بعد عشر دقائق .. وحاتحضر كتب الكتاب ..

وقال عادل :

— وافتت !؟

وقال مدحت :

— باین عليها فرحت لما قلت لها ..

وميلسنا نى الانتظار ..

ولم تنقض عشر دقائق .. حتى سمعنا صوت اقدام كثير :
تقرب من الباب .. ثم .. دق الجرس ..

وارتعشت ..

ـ لا ادرى لماذا ..

ولكنى ارتعشت .. وأحسست كأن دمائى كلها تنسحب
من عروقى وتنسرب من قدمى ..
وفتح الباب ..

ووجدت أمامى أمى ..

أمى أنا ..

وجهها المكرمش القاسى ..

و معها خالى .. وابن خالى .. وام عادل .. وأبوه ..
وشخص آخر لا اعرفه ..

ونظرت الى أمى بكل عينيها ..

لم تنظر الى احد آخر .. لا الى عادل .. ولا الى محدث ..
ثم تقدمت نحوى ، ونظراتها الثابتة القاسية مركزة فوق
وجهى ، وقبضت على ذراعى بيد قوية ، وقالت فى صوت صارم ،
— الملا يا بنتى ارجعى بيتك ..

وحاولت ان اشد ذراعى منها .. ولكن قبضتها قوية .. وانا
ضعيفة .. منهوكة .. ارتعش .. والجميع من حولى صامتون
كأنهم يشهدون موتى .. وهذا الصمت يزيدنى خوفا .. وضعفا
.. وارتعاش ..

وجذبتى امى ناحية الباب ..
ومصرخ عادل :

— اخذ لازم تنجوز .. تنجوز دلوقتى .. خلاص ، ما فبشن
فأياده .. لازم تنجوز ..

والتفتت امى الى من اتوا معها ، وقالت فى ثبات :
-- شو عمر انتم ابنكم ..

ونزلت بي .. ووضعتنى فى سيارة اجرة ..
وطاول الطريق وهى تردد :

— يا خسارة ذريتى فيكى .. كده تعاملى فى امك يا نوجا ..
وأنا بجانبها صامته ..
أرتعش ..

وضباب كثيف يملا عينى ..
وما كدنا ندخل البيت حتى التفتت الى تائلة فى حزمهما
القاسي :

— اسمعى يابت انتى .. و ..
وقاطعتها وانا استعين بما بقى فى من قوة لاتحدادها :
— من فضلك .. انا خلاص ما بقتش بنت ..

ـ نظرت الى بعينين متسعتين من الهلع .. وقالت في صوت حرج :
ـ قصدك ايه ؟ .

ـ قلت وانا مستند على حافة المائدة حتى لا اقع من الانهك :
ـ قصدي اني سرت .. بنتك خلاص بقت سرت يا ماما ..
ـ ورفعت كفها و هوت به على صدغى ..
ـ بكل ما فيها من قوة .. بكل ما فيها من قسوة ..
ـ ورتفعت يدي ووضعتها مكان الصفة وانا انظر اليها
ـ كالجنون ..

ـ وهدأت امي سريعا .. استعادت كل اعصابها .. وقالت
ـ كأنها فكرت وانتهت الى قرار :
ـ وماله برضه مش حاججوزيه .. غاهمه انك انتي والواحد
ـ بناعك حاجبرونى .. ابدا .. اللي عملتوه ده لعب عيال ..
ـ ما بقاش مهم اليومين دول .. عملية بنسطة وترجعى بنت
ـ اتنو ..

ـ وصرخت بكل صوتي :
ـ انتي مش امي .. مش امي .. انا مش عايزة اعرفك ..
ـ مش عايزة اقعد معاكى .. انا عايزة امي .. خدینى لامى ..
ـ وكانت هذه هي اول مرة اواجه امي بالحقيقة التي حاولنا
ـ انا و هي أن نتجاهلها طول حياتى ..
ـ وسقطت بعدها مغشيا على ..

ـ وفتحت عينى في اليوم التالي ، لأجد نفسى في فراشى ، وأمى
ـ بجانبى وقد غاص وجهها المكروش في اللهفة .. والم حاكم
ـ أشعر به في معدتى ، وفي صدرى .. وفي حلقى .. الم حقيقي
ـ .. الم لم أشعر بمثل قسوته من قبل .. كان كل شيء في مختلف

.. امعانی مختنقة .. رئنای مختنقتان .. حلقی مختنق .. وفى
رأسی صداع .. صداع هائل ..
وتاؤهت قائلة :

— ماما .. أنا تعبانه ..

ومدت أمى يدها تربیت على يدی قائلة فی لهفة :

— بعد الشر عليكی يا بنتي .. انشا الله أنا ..

وفی هذه الأيام رأیت هاشم لأول مرة .. الدكتور هاشم ..

لم يكن هاشم هو أول طبيب عادنى فی مرضي .. سبقه طبيب آخر تاه بين معدتى وكبدی ومرارتی ، ووصف لى ادوية كثيرة .. ومع كل دواء تسوء حالتى أكثر .. الألم يفری كل قطعة من جسدى .. وكل عضلة فی داخلی تنقبض وتختنق .. تختنق قلبی .. وتختنق معدتى .. وتختنق حلقى .. كل شيء فی يتقلص ويتحول الى آلة تعذيب ..

وكلت أرفع عينى الى أمى وأقول لها فی توسل :

— ماما .. عايزه اشوف عادل .. ابعتى له خلية بيجمى ..
وترد أمى دون أن تخفف لهفتها على من حقدها على عادل :
— خفى انتى الاول .. وبعدين نبقى نشوف حکایة عادل ..
وأقول وانا اهز رأسی فوق الوسادة كائني احاول ان اتخلص من قيد حول عنقى :

— مش حالخف الا لما اشوف عادل .. هاتى نى عادل ..

وتنظر أمى الى " فی شفقة لیس فيها صفح " ، وتقول :

— عادل مش حايختلفك .. عادل لو شافك حايخلص ..
عليکي ..

وتجرى دموعي فوق خدي واهمس :

— حرام عليكی يا ماما ..

ونبيل أمى فوقى وتهمس وفى عينيها نهم لا مع :

— احكيلى .. الحكایه دى حصلت ازاي ؟

انها تربى ان تعرف التفاصيل .. تفاصيل اللحظة اللى أصبحت
عدها سيدة .. او أصبحت بنتا ليست عذراء .. كل آلامها وكل
لهاقتها على ، لم تستطع ان تتغلب على نهمها الغريب لعنة
تفاصيل .. عن جوع خيالها الى ما يجرى بينى وبين عادل بعيدا
عنها .. ما يجرى بين البنت والولد ..
واصرخ :

— مش حا احكيلك حاجه الا بعد ما اشوف عادل .. هاتى

لى عادل الاول ..

وتنتابنى رعشة ..

رعشة تهز كيانى كله ..

وتأخذنى أمى بين ذراعيها وتضمنى الى صدرها بقوه ، كأنها
ترى ان تعوضنى بحثانها عن حب عادل .. وبذراعيها عن ذراعى
عادل .. وتهمس ودموعها تملأ تجاعيد وجهها المكرمش القاسى :
— دول عاملين لك عمل يا بنى .. سحروا لك .. انا
عارفها خديجه هانم .. الله يجازيك يا خديجه يا بنت جلسن ..
وافتنتعت أمى غلا بأن خديجة هانم والدة عادل قد سحرت
لى .. عملت لى عمل .. وبدأت تجتمع بمجلس ادارة جمعية
نور الهدى ليبيطلن السحر ، ومفعول العمل ..

وأصبحت سيدات نور الهدى يجتمعن فوق رأسى كل صباح
بعد صلاة الفجر ، وكل مساء بعد صلاة العشاء .. ملفات نمى
طرحهن البيضاء .. منصبات امام عينى كالاشباح ؛ ويرقان
القرآن ، وكثيرا من التعاوىذ .. و كنت اجن .. رأسى يلتهب
كالنار ، وأذنائى تطنان .. والاشباح البيضاء تملأ عينى فاحس

بدوار .. وأقفر من فراشى وأجرى الى ابى المشلول .. والقى
بنفسى فوق صدره ، وانا أصرخ فى فزع .. وي Shaw ابى بذراعه
الاسلية فى وجه امى .. وعيناه تلمعان بكل ما بقى فيه من
قدرة على الغضب والسلط .. ويخرج من حلقه اصواتا مموجة
كخوار ثور جريح على وشك ان يموت .. ثم لا يستطيع ان يفعل
اكثر من ذلك .. وأمى تستطيع دائما ان تستعيدنى ، لتضعنى
تحت رحمة الاشباح البيضاء ..

وحتلى تسوء اكتر ..

هل يمكن ان يفعل بي الحب كل ذلك ؟ ام هو فعل السحر ؟
لا ادرى .. لا ادرى .. لم اعد استطيع ان ادرى شيئا ..
وقررت سيدات جمعية نور الهدى ان يستعن بالشيخة زين
لتبطل عمل⁵ السحر .. وجاءت الشيخة زين .. امراة سميكة
قوية مزججة الحواجب .. وجلست فى غرفتي تحرق البخور ،
وتقرأ تعاويذ لا التقط منها سوى بعض كلمات فارغة كأنها الهلوسة
.. ثم وضعت تحت رأسي حجابا واقسمت انه يبطل السحر
ويجعلنى اكتر عادل بعد ثلاثة مواعيد ..

ثم بعد أيام عادت الشيخة زين ، واعلنت ان حالى تستدعى
ان تكتب التعاويد على قشرة بيضة ، ثم تدفن البيضة فى قبر
مهجور ..

ودفعت امى الثمن .. وطلبت من احدى صديقاتها من اعضاء
جمعية نور الهدى ان تذهب بنفسها مع الشيخة زين لدفن البيضة
فى القبر المهجور ..

وبعد أيام أخرى ، عادت الشيخة زين لتعلن انه يجب ان

أخطو فوق تراب يؤخذ من تحت راس ميت ، لم يمض على موته
سوى ليلتين ..

وطخطوت فوق التراب ..

ولكن ..

حالقى تسوء ..

وقرر مجلس ادارة جمعية نور الهدى ان حالتى اكبر من قدرة
الشيخة زين .. وأن العمل الذى عملته لى طنط خديجة هائم ،
لابد أنه عمل نصرانى ، فلابد والحالة هذه من الاستعانتة بالست
فيكتوريا ..

وكل هذه الاتفاقيات والاحاديث كانت تدور بجانب فراشى ،
واشتدرك فيها أحيانا .. وأصرخ فى وجوه الاشباح البيضاء :
— كل ده كلام فاضى .. أنا مش مؤمنه باللى بتعملوه ده
.. هاتو لى دكتور كوييس ..

وتردد احدى عضوات نور الهدى :

— كلام فاضى ازاي يا نوجا .. ده السحر جه فى القرآن ..
وترد أمى :

— هوانا بخلت عليكى بالدكتورة .. أمال الادوية المترخصه
جنبك دول يبقوا ايه ؟ ..
وتستمر الاجراءات ..

وجاءت المست فيكتوريا .. سيدة عجوز قبيحة الشكل ، ولكنها
خفية الدم .. لقد استطاعت أن تضحكنى .. وعندما ضحكت
اعتقدت أمى ان المست فيكتوريا سرها باائع ..

واستطاعت المست فيكتوريا حالتى ، وقررت أنها خطيرة ،
وانها يستطرد أن تبيت ليلة معنا ، فى النصف الثانى من الشهر
العربى ، عندهما يبدأ القمر فى التناقص .. ثم أخذت أحد أمشاط

شعرى وحفرت عليه بمسمار بعض الرموز .. وأوصتنى أن
أشطط به شعرى كا، يوم سبع مرات .. وحرست أمى على أن
تنفذ هذه التعليمات بدقة .. كانت هى التى تمشطنى بالمشط
سبع مرات فى اليوم ..

وفى النصف الثانى من الشهر العرى عادت اليها المست
فيكتوريا مساعة الفروب .. جلست معنا ، أمى وانا ، تروى
أسرار العائلات التى استعانت بها فى طرد السحر ، أو فى
عمل السحر .. وكانت تذكر العائلات بأسمائها .. وبوقاحة ..
وأمى تستزيدها وأذنها منتصبتان ، جائعتان الى التفاصيل ..
وانا ألغوها وأصحوا لاجد المست فيكتوريا لا تزال تتحدث ، وأذنها
أمى منتصبتان ..

وفتحت عينى فجأة بعد منتصف الليل فرأيت المست فيكتوريا
تلعن ثيابها .. خلعتها كلها .. أصبحت عارية كما ولدتها امها ..
ثم أمسكت بشمعة واوقدتها .. ثم خرجت الى الشرفة ، واغلقـت
بابها وراءها .. وأمى تنظر اليها غى وقار وتقديس كأنها نـى
محراب الشيطان ..

وهمست فى ذرع :

ـ الحقى المست المجنونه دى يا ماما .. أحسن حد
يشوفها ..

وردت أمى فى صوت يهزه التقديس :
ـ ما حدش يقدر يشوفها دلوقتى يا بنتى .. دى دلوقت مع
الملايكـه ..

وظلت المست فيكتوريا فى الشرفة الى أن بدت خيوط الفجر
تشق الليل ، ففتحت الباب وعادت اليـنا .. عارية .. وبقبـاها
الشمعة مطفأة فى يدها .. وقالـت وهـى تبـقسم فى مرح :

— خلاص يا مدام .. كله حاييجى كوييس ..
 ودفعت لها أمي عشرة جنيهات ..
 ربما دفعت أمى فى هذه الأيام نصف ما ادخلته للسحره
 والمشعوذين ..
 كل ذلك لاكره عادل ..
 ولكن لم اكرهه ..
 انى نى كل يوم ازداد الحاحا على امى لتنصل به ، وتدعه
 اندفعنى .. وأنوسل اليها ان تتركنا نتزوج ..
 وهى ترفض ، بحجة أن عادل لا يصلح لي .. وتكرر على
 مسامعي قصصا من فضائح عادل .. وتوكد لي انه لا يحبنى
 .. ويكتفى أنه خدعنى ..
 وفي يوم .. قالت لي وهى تنظر فى عينى :
 — اسمعى يا نوجا ، انا حا اقول لك حاجه ما كنتش عايزه
 اقولها لك ، الا بعد أن تخفى .. انا مضطرا اقولها ما دام مش
 راضيه بطلبي سيرة عادل ..
 ورفعت اليها عينين متسائلتين ..
 واستطردت امى قائلة ووجهها مصنفح وعيناها واقفتان :
 — تعرفي عادل اللي بتحببيه ده كان عايز يمشى مع مين ؟
 وزفرت أنفاسى وقلت فى ضيق :
 — مع مين ؟
 قالت فى صرامة :
 — مع بنت خالتك .. يعني مع اختك ..
 وقفزت جالسة فى فراشى كأنى لدغت ، وصرخت :
 — كدابه .. ستين كدابه ..
 وقالت امى نى قسوة :

— طيب أنا حابعت أجيبي اختك .. وتقول لك بنفسها
كل حاجه ، علشان تعرفي اذا كنت كدابه ولا انتى اللي عبيطه ..
وانهمرت دموعي .. وعدت اصرخ .. وأنا أشد في شعري ،
وأضرب الوسادة بيدي :

— كدابه .. كدابه .. انتى بتكرهيه .. وعايزاني اكرهه
.. انتى أهون عليكي انى أموت من انى أتجوزه .. خلاص
حاموت .. حاموت .. حاموت علشان خاطرك .. علشان
..... علشان مبني ..
ولم تتأثر أمى ..

وارسلت الخادمة الى الوأيلية ل تستدعى خالتى — أى ادى
الحقيقة — ومعها اختى .

اختى تكبرنى بعام واحد .. وهى جميلة .. ربما كانت
اجمل منى .. وتبعدو فعلاً أجمل منى رغم الضيق الذى تعيش
فيه ..

وتشبشت بيد اختى ، وقلت لها ودموعي فوق خدى :
— وحياتى عندك يا سميرة .. قولى لي .. عادل عاكستك
.. كان عايز منك حاجه ..

ونظرت سميرة الى أمى .. والى أمها .. وترددت .. ترددت
طويلاً .. الى أين قالت خالتى ورموشها ترتعش فوق عينيها :
— ما بلاش السيره دى يا نوجا .. انتى فى ايه واللا فى
ايه ..

وقالت أمى كأنها تملئ ارادتها :
— لا .. خليها تقول ..

وقالت سميرة وهى تتلطم :

— الحقيقة انه السنن اللي فاتت لما شافنى عندكم هنا ،

عرف انى بادور على شغل ، فادانى نمرة تليفون ، وطلب منى
انى اكلمه ووعدنى انه يشغلنى فى الشركة بتقاعته .. انما الحقيقه
ما استريحتش للطريقه اللي كلامنى ببها ، خصوصا انه ادانى
نمرة التليفون وأنا خارجه ومن غير ما حد يشوفه .. ومقاتلتكيش
حاجه .. قلت خليه هو يقول لك .. انما يظهر انه ما قلكيش
الايك لغاية دلوقت ما تعرفيش ..

وقلت وأنا أشعر بضلوعى تضفط على قلبي :

— وبعدين ..

وعادت تنظر الى أمي وأمها ثم قالت :

— اتصلت بيه بعد شهرين .. وطلب انه يقابلنى .. ادانى
ميعاد على باب الشركة ..
وصرخت :

— ورحتى ..

وقالت سميرة :

— رحت .. كنت فاكره انك عارفه .. انه قالك .. ولقيته
مستينى على باب الشركة .. وأول ما شافنى راح واخدنى من
ايدي ، ونده تاكسي .. قلت له ، على فين يا عادل .. قال لي ؟
بس تعالى ، مالكىش دعوه .. واخدنى على شقه فى العجوزه ..
وصرخت :

— كدابه .. كدابه .. مش ممكن .. مستحيل .. انت كلكم
بتكتبوا على .. عايزنى اكرهه .. عايزنى أسييه .. مش حاكرهه
.. مش حاسبيه ..
وقالت سميرة :

— على كل حال انا من يومها ما شفتوص .. ولو انه جه
لنا فى الوائلية اكتر من مره .. ساعات يطلع يسلم علينا ..

و ساعات يستنى قدام البيت لغاية ما انزل : ويمشى معايا ..
و غلبت انصحه .. و افهمه ..

وعدت اصرخ :

— كدامه .. مش حاصدق .. مش حاصدق ..

وقالت أمى كأنها القدر الفاضب :

— اذا ما كنتيش مصدقه . خليها تكلمه بالتلفون قدامك ..

ثم جذبت آلة التليفون ووضعتها أمام سميرة ، واستطردت :

— خدى كلميه .. علشان تعرف أنها عبيطة ومضحوك
عليها ..

وخاتى — أمى الحقيقة — فى ركن من الغرفة ، تبكي بدموع
سامته ..

ورفعت اختى سميرة سماعة التليفون بيد مرتعشة .. وأدارت
الرقم بأصابع اكثرا ارتعاشا .. ثم جذبتها أمى ، ووضعت راسها
بجانب رأسى حتى اسمع كل ما يقوله عادل ..

وما كاد عادل يسمع صوت سميرة ، حتى صاير .. كانه
يعرف صوتها من ألف صوت :

— سميرة .. ازيك .. ايه اخبارك ؟

وقالت سميرة ، وهى تقرب السماعة من اذنی :

— ما عنديش أخبار يا عادل ..

وقال عادل نى حماس :

— وحاشوفك امتى ؟

وقالت سميرة وهى تنظر فى وجهى :

— مش حاقدر يا عادل .. بلاش نشوف بعض احسن ..

وقال عادل كأنه صدم :

— ليه يا سميره .. احنا مش اتفقنا .. و ..

ولم أعد أحتمل أكثر من ذلك .. خطفت السماعة من يد
سميرة ، وقتلت وأنا أضفط بيدي الأخرى على قلبي المطعون :
— كده برضه يا عادل .. كده .. كده برضه .. كده ..
وسقطت السماعة من يدي ، وأنا أسمع صرخته :
— نوجا .. نوجا ..

والتقطت أمي السماعة التي سقطت من يدي فوق السرير ،
وأعادتها إلى مكانها ..

وارتيميت فوق فراشي ورأسي يدور ، وني معدتي ألم حاد
.. وكان آخر ما سمعته خالتي — أمي الحقيقية — وهى تقول :
— والتبى ده حرام عليكم ..

ثم غبت عن الوعى ..

وقد عرفت فيما بعد .. بعد أكثر من ثلاثة سنوات .. أن كل
هذا لم يكن سوى تمثيلية الفتها أمي ، واشتربكت في تمثيلها اختي
وخلالى ، بعد أن أقنعتهما أمي بأن عادل لا يصلح لي ، وأنه
يخدعني .. وعرفت أن عادل كان يتربّد فعلاً على بيت خالتي ..
ولكن ليسأل عن أخباري ، يحاول أن يوسط أمي الحقيقية في
زواجهنا ، لا ليغازل اختي ..
ولكن أيامها صدقت ..

صدقت أن عادل حاول أن يكون على علاقة مع اختي ..
وانهارت ..
انهارت كلی ..

واشند بي المرض الذي لا أجد له دواء .. لم أعد أستطيع أن
أقف على قدمي .. ووجهى أصفر يميل إلى الأخضرار .. وكلما
نظرت في المرأة ، بكيت ..
وقد حاول عادل في هذه الفترة أن يتصل بي في التليفون ،

ولكنى كنت أرفسن إن أرد عليه . . كانت أمى تحمل إلى آلة التليفون عندما يتحدث عادل ، وتنقول لى وعيناها فى عينى كأنها تحاول أن تسلب ارادتى :

— عادل . .

واهـز رأسـى فوق الوسـادة . . وأقول بصـوـتـى الـضـعـيفـ المـنـطـلـقـ من تحت اـثـنـالـ قـلـبـىـ :

— مشـ عـاـيـزـهـ أـكـلـمـهـ . . مشـ عـاـيـزـهـ اـسـمـ صـوـتـهـ . .
وـلاـ سـيـرـتـهـ . .

وتـلـمـعـ عـيـنـاـ أـمـىـ بـالـنـصـرـ . . وـتـقـيـلـ فـىـ سـمـاعـةـ التـلـيـفـونـ :

— آـسـفـهـ يـاـ عـادـلـ يـاـ إـبـنـىـ . . نـوـجاـ تـعـبـانـهـ ، بـشـ قـادـرـهـ
تـنـكـلـمـ . .

ويـئـسـ عـادـلـ وـسـافـرـ إـلـىـ الـكـوـيـتـ لـيـتـسـلـمـ عـمـلـهـ الـجـدـيدـ . .
وـأـرـسـلـ بـنـ هـنـاكـ أـكـثـرـ مـنـ خـطـابـ . . لـمـ يـصـلـنـىـ أـىـ مـنـهـ . . كـانـتـ
أـمـىـ تـسـتـولـىـ عـلـيـهـاـ وـتـخـفـيـهـاـ عـنـىـ . .

وـأـنـاـ بـنـهـارـةـ . .

احـسـ أـنـىـ تـيـمـتـ . . كـلـ قـطـعـةـ مـنـ أـصـبـحـتـ يـتـيمـةـ . . كـلـ
قطـعـةـ فـقـدـتـ إـبـاهـاـ الذـىـ رـبـاهـاـ وـكـبرـتـ فـىـ أحـضـانـهـ . . شـفـتـايـ
يـتـيمـتـانـ . . نـهـدـاـيـ يـتـيمـانـ . . عـنـقـىـ يـتـيمـ . . كـلـ قـطـعـةـ مـنـ لـاـ تـدـرـىـ
مـصـيرـهـاـ بـعـدـ أـنـ فـقـدـتـ عـائـلـهـاـ . . كـلـ قـطـعـةـ لـسـهـاـ عـادـلـ تـبـكـىـ
لـمـسـتـهـ ، كـلـ قـطـعـةـ سـقاـهـاـ بـنـظـرـتـهـ تـبـكـىـ نـظـرـتـهـ . . وـاحـسـاسـىـ
بـالـيـتـمـ يـذـيـنـىـ . . وـالـحـيـرـةـ تـمـزـقـنـىـ . . الـحـيـرـةـ فـىـ تـصـورـ مـسـتـقـلـىـ . .
لـمـ أـكـنـ اـتـصـورـ أـبـداـ أـنـ يـكـونـ فـىـ حـيـاتـىـ رـجـلـ آـخـرـ . . رـجـلـ يـقـبـلـنـىـ . .
كـمـاـ كـانـ يـقـبـلـنـىـ عـادـلـ . . وـيـلـمـسـنـىـ كـمـاـ كـانـ عـادـلـ يـلـمـسـنـىـ . .
وـيـعـيشـ نـىـ قـلـبـىـ كـمـاـ كـانـ عـادـلـ يـعـيشـ فـىـ قـلـبـىـ . . مـسـقـحـيلـ . .

مستحيل أن يكون لرجل آخر .. أبدا .. إن مجرد الفكرة تخنف
أنفاسى ..

وأمى لا تدخل على علاجى ..
السحرة والدجالون لا ينقطعون عن البيت ..
والآباء ..

وقد أشار أحدهم بضرورة اجراء عملية الم Cran الأعور ..
وفرحت برأيه .. كنت أريد أن يحدث لي أى شيء يلهيني عن
عذابى .. أن أنتقل من هذا البيت .. وأدخل مستشفى ..
وأغيب تحت البنج .. ويفتح بطني .. وأجد نوعا آخر من الألم
الذى يضيق به صدرى .. والمرضات .. وباقات الزهور ..
والاهتمام الذى يحيط بي .. كل ذلك قد يلهيني عن عذابى ..
ولكن أمى ترددت فى اجراء العملية ..

تخاص على من شق بطني .. رغم أنها لم تخف على من شف
قلبي ..

وكانت قد سمعت فى هذه الأثناء عن هاشم .. أقصد
الدكتور هاشم عبد اللطيف .. سمعت عنه ، وعن معجزاته ،
من كثير من العائلات الكبيرة التى تعرفها وتتوعد إليها .. فقررت
أن تستدعيه ليقول رأيه قبل اجراء العملية .. ولم يكن استدعاء
الدكتور هاشم سهلا .. أنه دائما مشغول .. ومواعيده تحجز
قبلها بأسبوع أو أسبوعين ... ولكن أمى لا تعجب .. لقد
استطاعت أن تصل إلى عائلة صديقة لعائلة الدكتور هاشم ،
واستطاعت أن تحدد معه موعدا لزيارته عن طريق أخيه ..

وجاء هاشم بيتنا ..
رأيته لأول مرة ..

عيناه الواسعتان الطيبتان .. وجفناه المتقخان كأنه يحمل
تحتها بلسما يكفى لشفاء الناس كلهم .. وأنفه الكبير الصامت
كانه ينوء بعقربيته .. وشقناه المبتسمان دائمًا كانه يمسح
بابتسامته آلام مرضاه .. وشعرات بيضاء منتشرة فوق راسه
كأنها بريق ذكائه .. ورائحته نظيفة تفوح منه كأنها رائحة الهواء
النقى ..

انه شخصية ..

شخصية ملأت البيت كله ..

ان شخصيته أراحت اعصابي واطلقت ابتسامتي بمجرد ان
رأيتها ..

وذهب هاشم مقعدا وجلس بجانب الفراش ببساطة كأنه
صديق قديم ، وقال وهو يبتسم وينظر في عيني ليختبر صفاء
بياضهما :

— ازيك يا حلوه .. مش عيب تعبي وتزرعلى ماما بالشكل
ده ..

وقلت وأنا أتاوه :

— أنا تعبانه يا دكتور .. تعبانه .. حاسه أني مخنوقة
..

وقططعنن وهو يبتسم غنى وجهى :

— حانشوف دلوقتى ..

وقالت أمى وهى واقفة عند راس السرير :

— أعمل لك قهوه يا دكتور ..

وتبايل هاشم بسرعة دون ان يلتفت اليها :

— مضبوط من فضلك .. بس ما تجيهاش دلوقت ..

بعدين ..

وتردلت أمى قليلاً .. لم تكن ت يريد أن تتركني وحدى بعـ
الدكتور .. ولم تستطع أن تهمل طلب الدكتور للقهوة ولأول مرة
أحس أن شخصية أمى تهتر كأن شخصية أخرى على وشك أن
تبتلعها .. ثم خرجت لتأمر باعداد القهوة للدكتور ، وعادت
بسرعة .. لتقف بجانبى ..

وأخرج هاشم مفكرة صفيرة من جيئه ، وشد من جانبها قلماً
أنيقاً رفيعاً ، وأخذ يسألنى عشرات الأسئلة .. ويسجلها .. ثم
أعاد المفكرة إلى جيئه .. وبداً يفحصنى .. وقد عقد ما بين
جيئيه ، كأنه يركز ذهنه كله في أصابعه التي يتحسسنى بها ..
وأصابعه رقيقة حاتمة مهذبة ، خيل إلى أن الالم يهرب من تحتهما
.. كلما لمس قطعة مني أحس أنها شفيف ، وأختار ماذا أقول له
.. أنى أذكر أن الالم كان هنا ، ولكنى الآن لاأشعر به .. وصمت
كبير يحيط بنا وهو يفحصنى .. البيت كله صامت في خشوع ..
وأمى تكاد تحبس أنفاسها .. بل خيل إلى أن حى الجيزة كله
قد صمت وهاشم يفحصنى ..

وانتهى هاشم من فحصى ، ونظر إلى طويلاً ، كأنه حائر في
.. ثم أخذ يقلب في روشتات الأطباء الذين سبقوه في الكشف
على .. ثم هز رأسه وقال كأنه اتخاذ قراره ، وابتسمته تملأ
شفتيه :

— أقول لك حاجة بس ما تزاعليش ؟

ورفعت اليه عينين متسائلين .. واستطرد قائلاً :

— أنتي ما عندكش حاجة .. كل حته فيكى سليمه وزى
البمب .. كل اللي عندك تقلصات شديدة في المصاريـن وفيـ
المعدة ، وفي عضلات الصدر .. نتيجة أزمة عصبية ..
وضعيفة ..

ونظرات اليه كثيـرـة كشف سرى ، وقلت :

— بس أنا تعانـه قوى يا دكتور .

وقال مبتسمـاً :

— عارـف .. الأعصاب بتعـب ، أكثر من المرض العضـوى .. وأنا حاكتب لك على دوا مقوـى ، ودوا يريح أعصابك .. إنـما الدوا مش كفاـية ، لازم أنتـى تساعـدى نفسـك ..

وقالت أمـى :

— يعني ما تعمـلـش عملية الأعـور يا دكتور ؟ ..

— هيـ ما عندـهاـش الأعـور .. إنـما لو حبت تـعمل عملية عـلـشـان تـتـسلـى ، مـافـيش مـانـع .. بـس مش دـلـوقـتـى .. بـعـد ما تـنـقـوى ..

ونظرتـ اليـه مـرة ثـانية كـأنـه قـرأ ما فـي رـأسـي ، وـقلـت :

— وأسـاعـد نفسـي اـزـاي ؟ ..

ونـظرـ فـي ساعـته ، ثم اـبـتـسمـ لـى كـأنـه يـربـتـ بـابـتسـامـتـه عـلـى خـدـى ، وـقـالـ :

— أنا قدـامي رـبع ساعـه أـقـدر أـشـربـ فـيـها القـهـوة ، وـاشـتـفلـ لكـ دـكـتورـ نـفـسـانـى .. أـحـكـيلـ ..

وـقـلتـ وأـنـا انـظـرـ إـلـى وجـهـيـ كـأنـي أـبـحـثـ عـنـ مـكـانـ أـسـتـرـيـخـ فـيـهـ :

— أـحـكـيلـ إـيهـ ؟ ..

قالـ فـيـ هـدوـءـ :

— أـحـكـيلـ عنـ آخر حاجـه زـعلـتكـ ..

ونـظرـتـ إـلـى أمـى مـتـسـائلـةـ ..

وـتـبعـ نـظـراتـيـ ، ثمـ قـالـ :

— بلاش ماما تقدر معانا .. عن اذنك يا هانم سيبينى مع
وى .. دابعنى لى القهوة ..

كان هاشم يتكلم ببساطة مذلة ، رقيقة ، مهذبة ، كانه
اى وصاحب حق على .. ولم تستطع امى ان تقاوم بساطته
.. ردت برهة ، ونظرت الى ، ثم نظرت اليه ، وقالت وهى تخرج
من الغرفة :

— طيب يا دكتور .. بس على الله يكون الشفا على ايديك ..
وبقىت معه وحدى ..
واحسست بالخرج ..
لا ادرى لماذا ..

واحترت ماذا اقول له .. احترت من اين ابدا .. ونظر الى
وابتسامته لا تزال تريت على خدي ، وقال :
— تحبى اساعدك .. انتي يا ستي بتحبى واحد .. وبعدين
.. كملت انتي بآه ..

وقلت وانا ارجى اهدابى فوق عينى :
— ما كانش حبيبي بس .. كان خطيبى .. اتخطبت له من
خمس سفن .. كان عندى اتناثير سنه .. و ..
وبدأت اروى له القصة كلها ..

رويت له كثيرا من التفاصيل .. تفاصيل صفيرة لا تهمه
وليس لها اثر فى حياتى .. ولكن كنت اخترن الكلام طول عمرى ،
فانطلقت افرغ كل طاقتى على الكلام .. ولا اريد ان انتهى ..
وكلما تكلمت اكثر ، استرحت اكثر .. وهو يستمع فى هدوء ،
وسبر ، واهتمام ، كان قصتى تعنيه فعلا ..
اخفيت عنه انى ابنة متبناة ..

واخفيت عنه انى لست عذراء ..
واخفيت عنه ايضا ان عادل كان يغازل اختى ..
لقد حاولت الا اخفى عنه شيئا .. ولكنى لم استطع ..
لا لعدم ثقتي به .. فقد اعطيته كل ثقتي ، ولكن لأنى احسست
بالذجل .. لم ارد ان ابدو امامه بشيء يشينى .. ربما لأنى
احسست منذ اليوم الاول ان هاشم بالنسبة لى لا يمكن ان يكون
 مجرد طبيب .

وقلت بعد ان تعبت من الكلام :
— انا حيرانه يا دكتور مش عارفه حا عمل ايه .
ونظر الى كأنه يمسح آلامي برموش عينيه ، وقال :
— ما حدش حايقدر يقول لك تعمل ايه .. لأن ماحدش
يقدر يحس باللى انتي حاسه بيها .. يعني انا عارف دلوقتى انك
بتحبى عادل .. انها ما اقدرش اعرف انتي بتحببى قد ايه ..
وماقدرش اعرف الحب ده يستحمل ايه وما يستحملش ايه ..
لا انا .. ولا مامتك .. ولا حد فى الدنيا يقدر يعرف .. انتى
لوحدك اللي تقدرى تعرفى ، وانتى لوحدك اللي تقدرى تاخدى
قرار ..

قلت وانا انظر اليه مبهورة به :
— بس انا حيرانه يا دكتور .. مش قادره آخذ قرار ..
ونظر الى " كأنه يفحصنى من جديد ، وقال :
— الحيرة بين عقلك وقلبك .. يمكن بتحببى انما مش متنفعه
بيه ..

قلت :
— وممكن الواحده تحب من غير ما نتنفع ؟
قال :

— ممكن .. ويبقى حب مشوه .. زى المولود اللي يتولد من غير عقل .. يعيش طول عمره معتوه ..
قللت وعيناي سارختان وراء خيال عادل :
— الحقيقه أنا مش مقتنعه بييه قوى .. أصله شقى ..
وعينه زايفه ..

ووضع الدكتور هاشم فنجال القهوة من يده ، وقال :
— المهم انك تاخدى قرار .. تاخديه بقلبك وبعقلك .. ويوم ما تاخدى القرار ده ما تخليش حاجه تقف فى سكتك .. اذا قررت انك تتجوزيه اتجوزيه مهمها حصل .. واذا قررت انك تسيببيه ، سيببيه مهمها حصل برضه ..

قلت كأنى أتشبّث به حتى لا يتركنى :
— والالم اللي باحس بييه يا دكتور ؟

قال :

— كله من أعصابك .. أى صدمة عاطفية بتتأثر على الأعصاب .. وأكثر حته بتتأثر فيها الأعصاب هي الجهاز الهضمي ، ومنطقة الصدر .. ودول اللي بتتللى منهم .. والدوا اللي كتبته لك حايرخى أعصابك .. وينيمك كوييس .. إنما زى ما قلت لك .. مش كفایة .. لازم تواجهى مشكلتك ، وتحلّيها .. خدى قرار .. واستحمللى نتيجته .. وأول حاجه تعملّيها دلوّقتنى ، انك تقومى من السرير ..

وقالم واقفا ..

وبسرعة مد يده الى غطاء السرير وجذبة من فوقى ، وقال
وهو بيتنسم :

— قومى قدامى لما أشوفت ..
ومددت يدى بسرعة اجذب قميص نومى فوق ساقى .. وأنا

احس بدمائى تجرى بسرعة فى عروقى وتردحه فى وجنتى ..
وقلت هامسة :

— من قادره يا دكتور ..

وقال فى لهجة آمرة :

— لا .. تقدرى .. واندهى لاما علشان تفرج بيكي ..

ورفعت صوتي الضعيف أنادى أمى :

— ماما .. ماما ..

وكانت أمى بجانب الباب .. ربما سمعت كل كلمة قلتها
الدكتور .. ودخلت قبل أن يضيع صدى ندائى . وقال لها هاشم :

— نجوى حاتقوم من السرير .. ومتش عايزها ترقد فيه
تاني الا لما تحب تنام ..

ومدت أمى ذراعها لتعينتى على مغادرة الفراش ..

وقال هاشم فى لهجة آمرة :

— سيبتها تقوم لوحدها ..

وشدت أمى ذراعها بعيدا عنى لأن أمر هاشم قد سرى
فيه ..

يُقْمِتُ مِنَ الْفَرَاشِ ..

كان قد مضى علىّ أكثر من شهر وانا راقدة .. وأحسست
بتدمى وهما تلمسان الأرض ، كأنهما تسقطان على شوك ..
وشعرت بدوار .. كدت أقع .. فسندتني أمى ، وأخذتني في
صدرها .. وعاد هاشم يقول بلهجته الآمرة :

— تعيديها على الكرسي ..

واجلستنى أمى على المقعد الذى كان يجلس عليه هاشم ..
وجلس هاشم على حافة السرير .. وقرب وجهه من وجهى ،
وقال :

— أسمى يا نجوى .. انتي ضعيفه .. ضعيفه قوي ..
ولغاية ما تقوى انتي معرضه لحاجات كتير .. ولازم تاخدي
بالك من نفسك كوييس .. أنا ماقدرش أعالجك من غير
ما تساعدينى .. كلى كوييس .. ونامي كوييس .. واضحكى ..
واخرجي من البيت أول ما تحسى انك تقدري تخرجى .. اتفسحى
.. وشمى هواء ..

وهزرت رأسى قائلة فى ضعف :

— حاضر ..

والتفت الى أمى قائلاً :

— أرجوكى يا هانم .. ما تخليش نجوى تقعد لوحدها ..
لمى لها صاحباتها .. والذى بتحبهم .. واعملى لها كل حاجة هي
عايزاها ..

ثم عاد الى وقال ضاحكا :

— لو ما كنتش دكتور .. كنت قلت لك اعملى زار ..

وقالت أمى وقد تهلل وجهها :

— والنبي دى الست سكينة قالت نفس الكلام .. ووصفت
لنا الزار ..

وقال هاشم وهو لا يزال يضحك :

— ما تصدقيني الست سكينه ..

ثم عاد الى " قائلاً :

— بدل الزار روحى ارقى واسمعى مزيكه .. انتي بتحسى
المزيكه ؟

وهزرت رأسى بالايجاب وأنا احس بدمائى تعود وتزدحم
فى وجنتى .. وقالت أمى :

— دى طول النهار وللليل فاتحه الراديو على آخره ..

وقال هاشم ضاحكاً :

— خلية مفتوح على آخره ..

ثم مد يده إلى وهو محتفظ بيديه في يده :

— خلاص يا نجوى .. توعديني إنك تعالجي نفسك .. وانا

أوعدتك إنك لو خنثى نفسك حا اشفئك معايا دكتوره عنشان

خفى كل الناس ..

وتركتنا هاشم ..

تركتنا بعد أن ملأ البيت حياة .. وملأني تصميما على أن

تخلص من الحالة التي أعانيها .. وقالت أمي بعد أن أوصلته

إلى الباب وعادت إلى :

— ده بابين عليه دكتور شاطر قوى .. على طول عرف

إلى فيكي .. والنبي كان حقنا خليناه يكشف على ابوكي بالمره ..

وقلت وانا ساهمة وراء هاشم :

— المره الجايه ..

وقالت أمي وهي تنظر في وجهي كأنها لا تفهمنى :

— المره الجايه ليه بأه .. الرجال فالك إنك ما فيكيش حاجه

.. بس تتقوى ، وتنسى الحكايات اللي في مخك .. واللا يعني

لغاويه تفرميفي خمسه جنيه كمان ..

قلت وانا لا زلت ساهمة :

— ده يستاهل عشره ..

وقد ارتخت يومها فعلا .. أحسست بأنني أزاحت عن صدرى

حملًا ثقيلا .. واستطعت أن أنسى عادل لساعات طويلة .. ثم

نميت نوما عميقا بعد أن تناولت حبة من حبوب « الليبرم » التي

وصفها لي الدكتور هاشم ..

ولكنى فى اليوم التالى بذلت أضعف من جديد أمام قصتى مع

عادل .. بدأت آلاف الذكريات تدهمنى .. وأتذكر أنى لست عذراء .. واتذكر أن عادل غازل اختى .. وأتذكر أنى لن أتزوجه .. وأتذكر أنى معرضة لرجل آخر فى حياتى .. وبذات أعصابى تتلف من جديد .. وعضلات صدرى تنقبض وتؤلنى .. ومعدتى تنقبض كأن يدا قاسية تعصرها .. ورأسى يلتهب كالنار ..

والىوم التالى ..

والىوم الثالث ..

وأنا أتألم .. أتعذب .. الاحساس بالاختناق يعاودنى ..
وصرخت فى أمى :

— ابعثى هاتيلى الدكتور هاشم .. كلميه فى التليفون
دلوقتى ..

ونظرت الى أمى وقالت :

— ولزمه ايه بس الدكتور ..

وصرخت :

— ما هو يا تجبيلى الدكتور هاشم ، يا تجبيلى عادل ..
وامتلائت عينا أمى بالدهشة ..
ولم أكن أقصد شيئاً ..

أمى فهمت أشياء لم أقصدها فى هذه الأيام ..
ربما لمحت فى عينى ، مستقبلى ..

كانت أمى مستعدة أن تفعل أى شيء لتبعدى عن شبح عادل ،
فاستدعت لى الدكتور هاشم مرة ثانية .. وقد دهش هاشم
عندما طلبته أمى فى التليفون .. كان متأكداً أن حالي لا تستدعى
آن يعود لزيارتى .. ورغم ذلك استسلم لالحاج أمى ، وجاء ..
وانتظرته كأنى على موعد معه .. ليس موعداً مع طبيب ،
لكن موعداً مع رجل .. غيرت قميص نومى ، وارتديت قميصاً

من « الفيلا » ، لونه فى لون الورد الفاتح ، طويل الاكمام ،
يفغطى صدرى حتى رقبتى .. وطلبت من امى ان تغير ملاءات
السرير .. فرشت ملاءات لونها ازرق سماوى .. ورقدت مستندة
اظهرى الى الوساند .. وأمسكت فى يدى بمرأتى الصغيرة ،
واخذت امشط شعري بالمشط المسحور الذى حفرت عليه المست
فيكتوريها رموزها السحرية .. ثم .. خرجت من صدرى تنهاية
عميقة ساخنة .. كأنها شياط قلبى .. ففى هذه اللحظة ، وأنا
استعد للقاء هاشم تذكرة عادل .. لا شيء يمكن أن ينزع عادل
من قلبى حتى ولا هاشم ..

وكانـت امى ترقب حركاتى .. وترقب كل نظرة فى عينى
.. وتبـدو الدهشـة على وجـهـها وهـى تـرى اهـتمـامـى باستقبالـاـتـهاـ .. ثم تـبـتـسمـ دونـ انـ تـعلـقـ بشـئـ .. كـانـهاـ وجـدتـ اخـيراـ
الدوـاءـ الذىـ يـشـفـينـىـ منـ عـادـلـ .. وـقـالتـ وـابـتسـامـتهاـ تـعـثـرـ فىـ
وجـهـهاـ المـكـرـمـشـ ..

— نـعـملـ ايـهـ كـمانـ ياـ نـوـجاـ .. مـشـ تـفـتـكـرـىـ نـبـعـتـ نـجـيبـ
شـوـيـةـ شـبـكـولـاتـةـ نـقـدـمـ لـهـ مـنـهاـ ..
ورـفـعـتـ اليـهاـ عـيـنـيـنـ غـاضـبـتـينـ وـقـتـلتـ :
— ماـ فـيـشـ لـازـمـ ..

ثمـ الـيـقـيـتـ بـمـرـأـتـىـ الصـغـيرـةـ جـانـبـاـ كـانـىـ خـجلـتـ لـانـ اـمـىـ كـشـفتـ
سـرـىـ ..

وجـاءـ هـاشـمـ ..

الـشـعـرـاتـ الـبـيـضـ فـوـقـ رـأـسـهـ كـانـهـ بـرـيقـ ذـكـائـهـ .. وـعـيـنـاهـ
الـطـيـبـيـاتـ .. وـجـفـنـاهـ الـمـنـفـخـاتـ كـانـهـ يـحـمـلـ تـحـتـهـماـ بـدـ،ـسـماـ يـكـفىـ
لـإـسـفـاءـ الـبـشـرـ كـلـهـ .. وـابـتسـامـتـهـ الـهـادـيـةـ الـتـىـ يـرـبـتـ سـهـاـ عـلـىـ خـدـىـ
.. وـرـائـحةـ نـظـيـفـةـ تـحـيطـ بـهـ كـانـهـ رـائـحةـ الـهـوـاءـ الـطـلـقـ ..

وتعلقت بعينيه كأني استجير بهما من عذابي ..
وقال وابتسمته تتسع لي :
— انتى لسه راقده يا نجوى .. انا مش قلت لك تقومى من
السرير ..

وقلت وعييناي تتبعان عينيه :
— مش قادره يا دكتور .. كل ما أقوم أحس بدوخه ..
وقال وهو يجلس على مقعده :
— انتى بتتلعى ..
وقلت كأني أتأوه :
— ابدا والله يا دكتور .. صدقتنى .. انا تعbane ..
وأمك بيدي يعد نبضى .. وشد جفن عيني ليرى لونه ..
وامي واقفة على راس السرير ، تدير عينيها بيبي وبينه ،
كأنها تحاول ان تقرأ ما في راسى وما في رأسه ..
وقال هاشم وابتسمته لا تزال تربت على خدى :
— مش بتنمى كوييس بعد ما بتاخدى الدوا ..
قلت :

— بنام كوييس .. بس بال القوم من النوم زي المفروعه ..
ومن اول ما اقوم من النوم باحس بالتعب .. الم في صدرى ،
والم في معدتى ..

وقال وهو ينظر الى حنان كأني ابنته :
— انا مش حاكتشف عليكي تانى .. ومش حا اغير لك الدوا ..
.. لأنك لسه ما خديبيش
قلت كأني انفى عن نفسى تهمة :
— ابدا والله باخذ الدوا كل يوم ..
قال :

— الدوا المهم انك تخرجى وتنفسى وتضحكى ..
قلت :

— مش قادره يا دكتور .. ماليش نفس ..
ونظر الى فى حيرة .. واحسست فجأة كأنى اعذبه ..
احسست كأنى نادمة لأنى اتعبه معى .. صعب على فى حيرته ..
وقال وهو يتنهد :

— مش عارف اقول لك ايه يا نجوى .. حالتك مش ممكن
تحفى منها الا بارادتك .. انك تكوني قوية .. وزى ما قلتلك
.. تاخدى قرار وتصممى عليه مهمما كانت الظروف .. ومهمما
تعبت فيه ..

وأختيت رأسي وقلت كأنى اخاطب نفسي :

— أصل فيه حاجات ما قلتهاش لك ..

ورفعت رأسي ونظرت الى أمى قائلة :

— نسمحى تسأينا لوحدينا يا ماما ..

ونظرت أمى الى فى دهشة ، ولوم ، كأنها تؤنبنى على
واقاحتى .. ثم التفتت الى هاشم وقالت كأنها تستر وقاحتى :

— تحب أعمل لك تهوه يا دكتور ؟

وقال هاشم وهو يبتسم ابتسامة صغيرة :

— لو سمحت ..

وخرجت أمى .. وقبل أن تصعد الى الباب التفتت الى ، ثم
التفتت الى هاشم .. كأنها توصيه بي ..

ونظر الى هاشم ينتظر مني ان اتكلم ..

وقلت وانا أعيث بأصابعى فى ملأة السرير :

— عايزه اقول حاجه لازم تعرفها علشان تعرف حالي ..

وقال وهو يبتسم لى كأنى طفلة :

— خير ..

ورغعت اليه عيني كائني أعده بمفاجأة كبيرة ، وقلت :

— تعرف ان ماما دى ، ما تبناش ماما ..

ورفع هاشم عينيه كائني فعلا فاجأته :

— ازاي ..

قلت سرعة :

— دى تبقى خالتى ..

قال :

— ومامتك عايشه ..

قلت :

— أيوه .. انما فتحت عينيه لقيت نفسى عايشه مع خالتى ..

لقيت خالتى تبقى أمى ..

ومسح هاشم علامات الدهشة من فوق وجهه بابتسامته .

رقال :

— وتفكرى لو كنتى عايشه مع مامتك ، كانت حياتك
انغيرت ..

قلت :

— ما اعرفش .. أنا عمرى ما عشت مع ماما ..

وقال الدكتور هاشم وابتسامته تتسع :

— شوفنى يا نجوى .. أنا مش حا اعالجه علاج نفسانى

.. مش لأن ده مش اختصاصى .. انما لأنك مش في حاجه

لعلاج نفسى .. أنتى مش معقده .. أنتى قويه .. وشخصيتك

قويه .. وظروفك كلها واضحه قدامك .. كل ما هنالك إنك

صدمت صدمة اثرت في أعصابك ، وأعصابك اثرت على صحتك

.. وكل اللي لازم تعمليه دلوقتي إنك تستردى صحتك .. وبعد

ما تستردبها أعصابك حاستريج وقدرى تحلى مشكلتك ..
تقىرى تاخدى قرار وتنفذيه .. تقدرى تنسى عادل .. أو تقدرى
تهربى معاه .. تقدرى تعملى كل حاجه ..

وقلت وعيناي معلقتان فى عينيه :

— ما أنا مش عارفه اعمل ايه .. حيرانه .. وحيرنى هي
اللى تعبانى ..

قال وهو ينظر الى فى حنان :

— بكره حا افوت عليكي الساعه اربعه ، واخدك انتى
وماما ، واخرجك من البيت ..
ونظرت اليه فى دهشة ..

ولكنى لم أصدم .. أحسست ان من حقه ان يدعونى للخروج
معه .. لقد دعاني ببساطة وقلب مفتوح .. أحسست انه بالنسبة
لنى أكثر من طبيب .. وكأنى اعرفه من زمن طويل .. كانى
اكتشفته فى حياتى .. اكتشفت انه كان دائمًا فى حياتى .. كانه
أختى .. او ابن عمى .. وفرحت بهذا الاكتشاف .. فرحت
فرحة كبيرة .. ودفعتني فرحتى الى الاحساس بانى شئ هام ..
شخصية منبizza الى حد ان الدكتور هاشم يهتم بي كل هذا
الاهتمام .. لا يمكن ان يكون هاشم يدعو كل مرضاه الى ان
بصحبهم غى نزهة .. أنا وحدى .. أنا شئ آخر ..

وعادت أمى تحمل له فنجان القهوة ، وقال لها وعنى شفتىه
ابتسامة كبيرة :

— بكره يا هانم حا افوت عليكم الساعه اربعه .. واخذك
انت ونحوى ننقسح نى العربيه شويه ..
واتسعت عينا أمى ..

ثم استراحت عينها ، ولعت فوق شفتيها ابتسامة ضيقة ،
كأنها بدت تفهم شيئاً جديداً ..
وقالت :

— ده أنت تعمل علينا جميل ما يتنسيش يا دكتور .. أصل
ما حدش قادر على نجوى أبداً .. دى مجنناني ..
وشدت مقعداً وجلست بجانب هاشم وهو يرشف القهوة ..
ولامى طريقة عجيبة فى اكتساب صداقات الناس عندما تحتاج
إلى صداقتهم .. إنها تستطيع بسرعة أن تقنعهم بأنها ضعيفة ،
وانها حائرة ، وتثير الإحساس بأنها فى حاجة إلى رجل يقف
بجانبها ويساعدها على مشاكلها .. لأنها سيدة كبيرة وحيدة ،
ولأن زوجها عجوز مشلول .. وبسرعة تستطيع أن تحمل من
تريد مسؤوليتها ، ومسئوليية مشاكلها .. وتشعره أنه أصبح
عضوًا فى العائلة المسغيرة المكونة منها ، وأبى ، وأنا ..
واستطاعت بهذه الطريقة أن تكتسب صداقات هاشم .. وأن
ترفع الكلفة بينها وبينه .. واستطاعت أيضًا أن تمد نسباً بين
عائلتها وعائلته .. واخذت تحدثه عن العائلات الكبيرة التي
تعرفها ، واحدة بعد أخرى ، حتى وصلت إلى عائلاته .. وبدأت
تستخرج منها أنساباً وفروعًا إلى أن فاجأته بأننا .. نواب ! ..
وهاشم يستمع فـي صبر ، وابتسامة بين شفتيه .. كانه
جالس مع صديق على مقهى يقطع معه الوقت في كلام فاضي
.. وينظر إلى بين الحين والآخر ، نظرة ملؤها الطيبة والحنان
كأنه يثبت لـى أنه لم ينشغل عن بحث أمى .. وبينه وبينه
ابتسامة كأننا متفقان على أن كلام أمى ، كلام فاضي ..
إلى أن فاجأته أمى قائلة :
— إنما قول لـى يا دكتور ، أنت ما تجوزتش لغاية دلوتنى
ليه ؟

واحد وجہی کأن امی جرحتی ..
لا ادری لماذا .. ولكن احسست ان هذا السؤال يمسني ..
ويجرحني ..

وقال الدكتور هاشم ، وهو يضع فنجان القهوة من يده :
— يمكن ما لقتش لغاية دلوقتي اللي تقنعني بالجواز ..
وقالت امی :

— لا مالكش حق يا دكتور .. ده ..

و قبل ان تتم كلامها قام هاشم واقفا وهو يقول :
— تسنمى لي يا هائم .. ميعاد العيادة قرب ..
() وفزعـت امـي من فـوق مقعـدـها قـائلـة :
— دـه أنا كان نـفـسي تـكـشـفـ عـلـىـ الـبـيـهـ جـوزـيـ ..
ونظر هاشم في ساعته وقال :
— حاضـر ..

ثم التفت الى عيناه مبتسمـان ، كـأنـهـ يقولـ ليـ انـ كلـ ماـ يـحدثـ
لهـ منـ تحتـ رـأسـيـ ..
وصحبـتـ اـمـيـ الىـ غـرـفـةـ أـبـيـ ..
وسـرـحتـ قـلـيلـاـ ..

ثم نـجاـةـ وـجـدتـ نـفـسـيـ أـنـزـعـ الغـطـاءـ منـ فـوقـ وأـجـرـىـ خـلفـهـماـ
وـأـنـاـ بـقـيمـصـ النـومـ حـافـيـةـ التـدـمـينـ .. كـأنـىـ لمـ اـكـنـ استـطـعـ أنـ
تفـوتـنـيـ لـحظـةـ أـرـىـ فـيـهاـ هـاشـمـ .. وـكـأنـىـ تـخلـصـتـ منـ ضـعـفـيـ
وـمـنـ ضـيقـىـ ، منـ الـمـ التـقلـصـ الـذـىـ كـانـ يـخـنقـ كـلـ قـطـعةـ منـ
جـسـدـىـ ..

ورفعـ هـاشـمـ رـاسـهـ منـ فـوقـ قـلـبـ أـبـيـ ، وـرـأـتـ اـمـامـهـ
فـابـتـسـامـةـ كـبـيرـةـ فـرـحةـ .. ثـمـ رـأـتـ فـيـ قـيمـصـ النـومـ فـخـضـ

٠٠٠ بسرعة ، وخيل الى انى لحت لمسة حمراء تطوف
جنتيه ..

وائتم هاشم فحص ابى ..

واقر علاج الاطباء الذين سبقوه ..

وصافحنى وهو يقول بتسمى :

— بكره حا اشوفك يا نجوى .. وما ترجعيش السرير تانى
الا ساعة ما تيجي تناهى ..

ورفض ان يأخذ اتعابه ، وقال لامى وهى تلح عليه :

— احنا خلاص بقينا عليه واحده ..

وخرج ..

وعينا ابى تبتسمان خلفه ، وتهنئات خافتة تخرج من شفتيه
المشلوتين ، كأنه يباركه .. لقد احبه ابى ..

وأنا واقفة كالمسطولة .. احساس كثيرة تتنابنى ، لا ادرى
سببها ولا ادرى حقيقتها ..

ولم أعد الى فراشى ..

بقيت ادور فى البيت .. ولا ازال مسطولة .. واجد نفسي
افكر فى هاشم ، فأحس انى سخينة .. لا يمكن ان يتوجه تفكيرى
اليه فى هذا الاتجاه ، لمجرد انه طبيب طيب القلب كل ما يحاولة ان
ينقذنى من ازمتى ، ويساعدنى على ان استرد صحتى .. ليس
من حقى ان افسر تصرفاته بأكثر من هذا .. وبعد هاشم عن
تفكيرى وانصرف الى التفكير فى عادل .. خيل الى انى أصبحت
افكر فى عادل حتى لا افكر فى هاشم .. وأصرخ فى امى !

— وحياتى عندك .. انشاء الله تعدمينى .. قولى لى الحقيقة ..
عادل ما بعشن جوابات ؟

وتعد امى وهى تتشاغل عن النظر فى عينى :

— ما بعشن ..

وأعود أدور في البيت .. افتح الراديو .. ثم أغلقه ..
وافتتح كتبى المدرسية .. واحاول أن اذكر .. ثم القى بها على
مدى ذراعى .. ثم أجد نفسي أعود لافكر فى هاشم .. وأشعر
بسخافتى .. وأشعر أنى أحلم بشيء لا يمكن أن يتحقق .. شيء
كبير .. شيء غال .. لا يمكن أن يكون من نصبي ..

وامي ترقبنى بعينين يقطعنين كأنهما تخنق كل حركة من
حركاتى ..

وأخذتني في حضنها في المساء وأخذت تحدثنى عن الدكتور
هاشم .. حديثاً يبدو عادياً .. ولكن أعلم خبث أمي .. أنى
فهمها جيداً ، كما تفهمنى جيداً .. أنها تحاول أن تضع هاشم
في قلبي مكان عادل .. وتشير به أحلامى ..
وقالت :

ـ إنما تفتكرى الدكتور هاشم عنده كام سنه ؟ ..

قلت وأنا أديب لها ظهرى :

ـ ما اعرفش ..

قالت كأنها لن تكتفى عن الحديث عنه أبداً :

ـ ده راجل في عزه .. ولا باین عليه سن .. وعيله ..
ومركز .. وغنى .. يا بخت اللي تتجوزه ..

وتركتها تهرب ..

وتناولت حبة «الليبرم» وحاولت أن انام ..

نم نوماً متقطعاً رغم «الليبرم» ..

وفي اليوم التالي ..

جاء هاشم ..

كنت أريده الا يجيء .. كنت أريد أن أقنع نفسي بأن كل
ما تخيلته كان مجرد حلم ومضى .. ولكن الطبيب جاء لينقذ مريضته

.. ويدركنى بأحلامى ..

وارتدت أمى بالبلطى الأسود ، ووضعت فوق رأسها العمامة او « التيريون » الأسود . وهو الذى تخرج به دائمًا ..
وارتدت انا ثوباً أحمر .. اكمام طويلة وصدر مقول .. لعل اللون الأحمر يخفف من هزالى واصفار وجهى ..

واختارت أمى المعد الخلفى ، قبل ان يختاره لها احد ..
وتركتنى اجلس بجانب هاشم ..

وانجها الى طريق المعادى .. وهاشم يتحدث طول الطريق .. ويحرص على ان يوزع الحديث بيني وبين أمى ، بل كان يتعمد ان يتوجه بحديثه الى أمى اكثر مما يتوجه به الى .. كمظهر الادبه ، ورقته .. وكان مرحبا ، منطلقنا .. أضحكنى كثيرا .. نسيت فى ضحكتنى كل حيرتى فى أحاسيسى نحوه .. بل انه أضحك أمى ايضا ، التى لا تضحك الا نادرا ..
وفجأة انقطعت ضحكتى .. كأنها اصطدمت بصخرة كبيرة صرعتها ..

تذكرت شيئا ..

شيئاً كان مركونا فى جانب عقلى ، ولم أشعر بأهميته أبدا
وانا افكر فى عادل .. ولكنى الان وانا بجانب هاشم ، أشعر به
كبيرا بشعا كأنه شق مفتوح يمتد فى جسمى كله ، من اول عنقى
الى قدمى ..

تذكرت انى لست عذراء ..

ماذا يعنى هذا ؟

لا شيء ..

لا شيء بالمرة ..

لا شيء جديد يبدو على وجهى ، او على جسمى .. نعم

تتغير مشيتي ، ولم تتغير رنة صوتي ، ولم يتغير منطق تفكيري
... لا شيء حدث لى . لم اكن فتاة فاضلة ، وأصبحت غير
فاضلة .. لم اكن فتاة صغيرة واصبحت كبيرة .. انى لا احس
باحساس المرأة .. لا اعرف ما هو احساس المرأة .. احساسى
الجسدية لم تتغير .. لا شيء .. لا شيء ..

ورغم ذلك فانى لا استطيع ان اقنع نفسي بأنى لم اتغير .
ان احساسا جديدا ينتابنى .. احساسى بأنى فتاة ليست عذراء
.. او هو احساسى بأنى فتاة ناقصة .. ليست كباقي البنات ..
ربما لم يعد من حقى ان ارتبط بهذه الارتباطات البريئة الساذجة
التي تجمع بين الاولاد والبنات .. لا يمكن ان تقوم بيئى وبين
هاشم ، علاقة بريئة .. انى امراة .. ليست فتاة ..

ووجدت نفسي اطل من نافذة السيارة وأنتبع كل بنت المها
فى الطريق .. واتساعل ، هل هى عذراء .. أم هى مثلى ..
وخيل الى فى لحظة ان كل البنات عذارى .. حتى السيدات
الكبار عذارى .. أنا .. أنا وحدى التي ليست عذراء ..
والتفت الى هاشم كائنى اهم ان اكشف له عن سرى ..
مررت بي !حظة قررت فيها فعلا ان اصرح له بأنى ليست عذراء ..
ولكن لسانى تخشب فى حلقى ..
ولكن لماذا اصرح له ؟ ..

ان أحدا لا يعلم سوى امى وعادل .. فان عادل لم يطلع
أحدا على ما حدث بيننا ..

وامى تقول ان ما حدث لا يهم .. عملية صغيرة بسيطة ،
واعود عذراء ..

وبصرف النظر عن العملية ، فانى لم افقد الامل بعد فى زواجى
من عادل ..

فلماذا أفضح نفسي ..

ثم ان هذا الموضوع ليس مشكلتى .. ان مشكلتى هي زواجى
من عادل فلماذا أطلع هاشم عليه .. وما يستطيع هاشم أن
ينصحتنى به ..

ولكن لماذا أخفي هذا الموضوع بالذات عن هاشم .. ربما
لأنى أخشى ان اسقط من عينه .. أخشى ان ينظر الى نظرة
جديدة .. نظرة الرجل الى فتاة ليست عذراء ..

ما هذا الهراء .. لماذا اتعب نفسي .. ثم من هو هاشم
بالنسبة لى .. انه لا شيء .. لا شيء .. مجرد طبيب طيب
القلب يعالجنى .. فلماذا أخلق فى حياتى مشكلة بسببه ..
ولماذا انتقاد الى خيالات واحلام ، ستبقى دائمًا مجرد خيالات
واحلام ..

وزفرت أنفاسى فى ضيق ..

وسمعت صوت هاشم الملائكة الكسول ، يقول لى :

— مالك .. سرحانة فى ايه ؟ ..

والتفت اليه وقتل وعلى شفتي ابتسامة مهتزة :

— ولا حاجه ..

وقال وهو يبتسم فى اشفاق :

— انا عارف انتى سرحانة فى ايه ؟

وابتسامت ابتسامة مسكونة ..

وبعد قليل اوقف هاشم السيارة على كورنيش النيل ، وهو
يقول :

— ننزل نتمشى شويه ؟

ثم التفت الى وقال :

— علشان ما يتقاشر لك حجه ..

ونزل من السيارة ..
وفتح الباب لامي اولا .. ثم فتح الباب لى ..
ومشينا قليلا .. وانا اشعر بأن التقلصات التي اعاني منها
بدأت تذوب فعلا .. اشعر بعضلات صدرى مرتاحه .. ومعدتى
مرتاحه .. ورغم ان خطاي كانت مهتزه من ضعفي ، الا انى
أتعب من المشى .. وصدرى منشرح .. أصبحت كل مشكلتى
متجمعة فى عقلى وحده ..

وقف بنا هاشم يطل على النيل ..
وتردلت امى قليلا ثم قالت :
— انتم حا تقنوا .. طيب انا حامشى شويه .. الين ركبي ،
دنا بفالى شهر ما خرجتش من البيت ..

وتركتنا امى ومشت وحدها ..
ولم تكن سلبة النية ...
انى اعرف امى ..

لقد ارادت ان تتركنى وحدى مع هاشم .. تعمدت ان تتركنى
له .. حتى تقرب بیننا .. وربما خيل اليها في هذه اللحظة ان
هاشم سيصارحنى بحبه .. وأصارحه بحبى .. ويقبلنى وأقبله
.. وينتهي موضوع عادل .. ويبدا موضوع هاشم .. هذه هي
طريقة تفكيرها .. انى اعرفها ..

واستند هاشم على سور الكورنيش ثم قفز جالسا على
العمود الحجرى .. قفز في رشاقة .. كأنه لا يزال في العشرين
من عمره ..

ووقفت بجانبه أكاد التصدق به ، وانا احس بنفسي بجانبه
صغرى .. صغيرة .. لست صغيرة في حجمي ، ولكن صغيرة
في شخصيتي ..

وأسقط هاشم نظراته فوقى ، وهو جالس أعلى منى ،
يسقط على دشنا من الحنان يغسل به قلبى .. ثم قال :

— خدتي قرار فى مشكلتك ؟

ورفعت اليه عينى ، وقلت :

— أبدا .. لسى محترأ ..

قال :

— أنا عارف انه صعب .. ناس كثير بتحتار حيرتك ..
مشكلتك مشكلتك انتى لوحدك .. مشكلة ناس كثير ..
ساعة ما القلب بيقى في ناحية ، والعقل في ناحية .. بيقى من
الصعب أن الواحد يستريح ، أو يأخذ قرار ..

وخيال الى ساعتها انه يتحدث عن نفسه ..

في صوته رنة أسى وضيق ..

وقلت له وانا انظر في عينيه أحاول ان اكتشف سره :

— لو كنت انت محل يا دكتور .. كنت عملت ايه ..

وابتسم ابتسامة ساخرة ، يسخر بها من نفسه ، وقال :

— أنا محلك فعلا ..

قلت في دهشة :

— ازاي ؟

قال وهو يشكو لي همه :

— أنا كمان باعرف واحده ومتش مقتنع بيها .. بقالى ار
سنين باعرفها ، ولغاية دلوقت مش عارف أحدد موقفى منها ..
مش قادر أسييها ، ومش قادر أفضل معاهـا .

قلت وقد احسست فجأة انى كبرت .. أصبحت اكبر منه

.. كائني امه .. واحساس باللهفة عليه ينتابنى :

— بتحبها ؟ !

قال وهو يلتفت برأسه الى النيل ، ويفرق نظرته في مياهه .
كأنه يحاول أن يكتشف أعماقه :

— مش عارف .. ساعات بيتهيأني أنى باحبابها ، يرجع عقلى
يقول لي أنى مش ممكن أكون باحبابها .. لما أكون بعيد عنها أبقى
عايز أشوفها ، ولما أكون معها أبقى عايز أهرب منها .. مش
عارف .. مش عارف .. كل اللي أنا متأكد منه هو احساسى
بأنى مسئول عنها .. ويمكن ده الاحساس الوحيد اللي رابطنى
بها ..

قلت له وعقلى يتخيّل مختلف الصور :

— مسئول عنها ازاي ؟

قال :

— مسئول عن غلطتى معها .. مسئول عن أول يوم شفتها
فيه وخرجت معها ، وضعفت قدامها ..

وقفز الى ذهنى ما جرى بيني وبين عادل يوم ذهبت مع
عادل الى شقة أخيه .. يوم أصبحت بقى ليست عذراء .. هل
حدث نفس الشيء بين هاشم وفتاته .. وقلت له ورموشى ترتعش
فوق عينى :

— هي بنت زىي كده ؟

قال مبتسما :

— لا .. اكبر منك بسبع سنين .. وكانت متوجزة ومطلقه ..

واسترحت ..

لا ادرى لماذا استرحت .. ربما لأنى كنت اريد ان احتفظ
لهاشم بمكانة اكبر من بقية الرجال بما فيه عادل .. وقلت
وانا ابتسم فى سذاجة ، محاولة ان اكون المسيدة الكبيرة العاقلة
التي تحل له مشاكله :

— وما تتجوز هاش ليه .. يمكن أما تتجوزها تستريح ..
قال :

— مش ممكن .. لأنى مش مقتنع بيها .. زى ما أنتى مش
مقتنعة بعادل ..
وأحيتني رأسى وقلت :

— أنا كنت مقتنعة خالص بيه .. إنما الحاجات اللي عرفتها
عنده طيرت اقتناعى .. وأهلى كمان مش موافقين .. كل أهلى ..
أمى اللي عايشه معاهما ، وأمى الثانية .. وأبوايا اللي مربينى ،
وأبوايا الحقيقى .. كلهم .. كلهم موافق أبدا ..
قال وهو يبتسم ابتسامته الهدائة :

— لو كنتي مقتنعة بيه ، كنت اتجوزتية حتى لو كانوا أهلك
مش موافقين ..

قلت كأنى أخاطب نفسي :
— وسافر .. سافر الكويت ..
قال :

— برضه كنتي اتجوزتية ..
وبقيت صامته ، وعقلى سارح ..
واستطرد :

— اللي عايز أقوله لك .. إنك مش مظلومة .. ومش ضحية
.. ومامتك مش السبب .. لو كنتي أنتي مقتنعة بانجواز ..
كان زمانك هربتى له .. كان زمانك كسرتى الدنيا علشان توصللى
له .. النهارده ما فيش بنت ما بتعملش اللي هى عايزاه خصوصا
فى مسألة الجواز .. وانتى قويه .. وذكيره .. مش ناقصك
حاجه .. لكن مش مقتنعة ..
هل هذا صحيح ..

لا ادرى ..

ولكنى لا احس بانى اريد ان اهرب من بيتي ومن امى لاتزوج
عادل .. لقد اصبحت متربدة .. أصبحت اخاف من عادل ..
ا.. اتفق به .. انى نعلاقاً غير مقتنة به .. ولكن هل برئت من
حبه .. لا .. لا اظن .. انه لا يزال يعيش فى قلبي .. ويعيش
فى جسدى .. انه الرجل الوحيد الذى وهبته هذا الجسد ..
ولا استطيع ، حتى اليوم ، ان اتصور رجلا آخر يلمسنى ..

ولم اتكلم .. بقيت صامتة ..

وقتال هاشم كأنه يرد على خواطرى :

— متهدأ لي ان مش كل حب ينفع للجوائز .. الجواز يعني
هدوء ، واستقرار ، وأولاد ، ومستقبل ، ومحاج لحب يساع ده
كله .. انما فيه حب مجنون ما يستحملش الاستقرار ، ما يقدرش
عليه .. حب ناقص .. تعرفى انا ما اتجوزتش السنت اللي قلت
لك عليها ليه .. لأنى مقدرتشن احترمها .. عمرى ما احترمتها ..
عمرى ما حسيت ان عندها كرامة علشان احترمها .. والحب
اللى ينقصه الاحترام ، مش ممكن ينفع للجوائز ..

وقلت وانا ساهمة :

— ده صحيح ..

وأمرت بيتنا فترة صمت ، وكل منا ينظر فى صفحة النهر
الكبير ، كأنه يفرق فيه مشاكله ..

ونجاة رفع هاشم رأسه ، كان جرس منبه رن فى صدره ..
ونظر فى ساعته .. وقال مبتسمًا :

— ميعاد العيادة جه ..

ثم ضحك قائلاً :

— احمدى ربنا انك ما حبيتنيش دكتور .. كان عكنتن عليكى

كل ساعه بالعيانيين بتوועده ..
ورفعت اليه عيني وفيهما نظرة لوم .. ثم قلت وأنا أبعد عيني
عنه وابتسامة خجلة فوق شفتي :
— ليه .. فيه دكاثره كل البنات تتمنى تحبهم ..
وابتسام هاشم ..
وخطونا نحو السيارة ..
وفجأة وقفت ورفعت اليه وجهى ، وقلت فى رنة اصرار كأنى
طفلة صغيرة مدللة :
— أقدر أعرف اسم البنت اللي بتحبها ..
ورفع هاشم حاجبيه دهشة ، وأطلت ابتسامة حائرة من
تحت أنفه الكبير ، وقال :
— ليه ..
قلت وأنا ابتسام :
— نفسى أعرف البنت اللي ممكن يحبها الدكتور هاشم يكون
اسمها ايه .. أول اسمها بس ..
وتردد قليلا ثم هز كتفيه ، وقال :
— اسمها أمينة ..
واحسست انه اسم عادى ، لا يمكن أن يعبر عن شخصية
متميزة يحبها الدكتور هاشم ، وقلت فى صوت خافت :
— اسم حلو ..
ونظر الى هاشم وقال وكأنه يعتذر لامينة :
— أنا قلت لك حكايتى معاهما علشان تعرفى ان مشكلتك مش
مشكلتك لوحدك .. وان راجل زىي عنده أربعين سنه واقع فى
نفس المشكله ومتش عارف يحلها .. وكل ده علشان ترتاحى ،
واعصابك تهدى ، وصحتك تبقى كويسه ..

وقلت :

— أنا عارفه يا دكتور .. ومتش حابنسى أبدا .. ربنا يخليك
لى ..

وكانـت أمـي قد عـادـت مـقـبـلـة عـلـيـنـا ، وـعـلـى شـفـتـيـها اـبـتـسـامـة
صـغـيرـة ، وـوـجـهـهـا تـرـتـسـمـ عـلـيـهـ بـرـاءـةـ مـزـيـفـة .. وـعـيـنـاهـا مـسـلـطـانـ
عـلـى وجـهـهـا ، تـحـاـولـ أـنـ تـعـرـفـ كـلـ ماـ حـدـثـ .. كـلـ التـفـاصـيلـ ..
وـاسـتـقـبـلـهـا هـاشـمـ وـابـتـسـامـةـ كـبـيرـةـ عـلـى فـمـهـ قـائـلاـ :

— خـلاـصـ يا هـانـم .. أـعـتـبـرـيـ نـجـوـيـ خـفـتـ خـلاـصـ .. بـسـ
كـلـ يـوـمـ لـازـمـ تـخـرـجـ تـقـنـسـ ..

وقـالـتـ أمـيـ كـانـهـاـ تـحـاـولـ أـنـ تـضـعـ فـيـ كـلـامـهـاـ معـنـىـ خـفـيـاـ :

— الـبرـكـةـ فـيـكـ يا دـكـتوـر .. دـىـ مـاـ بـقـتـشـ بـتـسـمـعـ كـلـامـ حدـ
الـاـ كـلـامـكـ ..
وـعـدـنـا ..

وـكـنـتـ أمـيـ إـلـىـ الصـمـتـ فـيـ طـرـيـقـ الـعـودـةـ ..

وـكـنـتـ قدـ بـدـأـتـ اـشـعـرـ بـالـضـعـفـ يـعـاـدـنـى ..
رـكـبـتـايـ مـخـلـختـانـ .. وـتـقـلـصـاتـ فـيـ مـعـدـتـى .. وـصـدـرـى
يـضـيقـ ..

ولـكـنـىـ لـمـ اـشـكـ ..

وـأـوـصـلـنـاـ الدـكـتوـرـ هـاشـمـ إـلـىـ بـابـ الـبـيـتـ ، وـخـرـجـ مـنـ سـيـارـنـهـ
لـيـصـافـحـنـاـ ، وـالـحـتـ عـلـيـهـ أـمـيـ أـنـ يـصـنـعـ لـيـتـنـاـولـ فـنـجـالـاـ مـنـ الـقـهـوةـ
أـوـ الشـايـ .. وـلـكـنـهـ اـعـذـرـ فـيـ رـقـةـ .. وـاحـتـفـظـ بـيـدـىـ فـيـ يـدـهـ فـقـرـةـ
طـوـيـلـةـ .. أـحـسـتـ خـلـلـهـاـ كـأـنـ يـدـىـ التـصـقـتـ بـيـدـهـ لـاـ تـرـيدـ أـنـ
تـفـارـقـهـاـ .. وـقـالـ وـهـوـ يـرـبـتـ عـلـىـ خـدـىـ بـاـبـتـسـامـتـهـ :

— خـلاـصـ يا نـجـوـيـ .. حـاتـبـقـىـ كـوـيـشـ .. مـتـشـ عـاـيـزـ أـسـمـعـ
تـانـىـ انـكـ عـيـانـهـ ..

وقلت كأني اودعه الوداع الأخير ، وصوتي حزين :
— باذن الله يا دكتور ..
وعاد الى سيارته ..

وقد ابتعد هاشم عنى فعلا .. ابتعد طويلا .. مرت شهور
ثانية قبل ان أراه مرة ثانية .. وقبل ان تبدأ قصتى معه من
حدث ..

وجذبتنى يومها امى وصعدت بي الى البيت فى خطوات
سرية ولهفتها تتقدمها ..
وكنت اعرف سر لهفتها ..
ترى ان تعرف التفاصيل ..
وتذاللت عليها .. أخذت أخلع ثيابى فى بطء .. وهى جالسة
انمى دون ان تخلع ثيابها تسألنى :
— قوله لى يابنتى ، ربنا يهدى سرك ، كنت بتحكوا فى
ايه ..

قلت وانا مديرة لها ظهرى :
— ولا حاجه ..
ثالثت فى حدة :
— ولا حاجه ازاي بس .. ده انتم ما بطلتوش كلام ..
قلت فى برود :
— كنا بنتكلم عن عادل ..
وخطبت على صدرها قائلة :
— عادل !! يا خيتك .. يا خيتك .. وده موضوع تلمي
ـ الراجل .. انتى مش شايفاه طول الوقت بيأكلك بعينيه ..
والتفت اليها غى غصب :

— من فضلك ما تقوليش كده يا ماما .. هو كل راجل بيصل
لى يبقى حايكلنى بعنبه .. أنا ما شفتش فى عنبه غير طبته
ورقته .. ده الدكتور هاشم حاجه تانية ..
وصاحت أمى :

— ولا حاجة تانية ولا تالتة .. احفلك ميت حلفان انه معجب
بيكى ..

وقلت كأنى أصدماها :

— ادب اقولك انه بيحب واحده ..

ونظرت الى أمى كأنها لا تصدقنى .. ثم خفت حماستها مرة
واحدة ، وقالت فى صوت خافت :
— وجبتى منين الكلام ده ..

قلت :

— هو اللي قال لى .. واسمها أمينة ..

قالت :

— أمينة ايه ؟

قلت :

— ما اعرفش .. ما قاليش ..

وقالت أمى وهى تمصمص شفتيها :

— يمكن ..

وسمكت كأنها تفكرا فى خطة جديدة ..

وقلت لها كأنى أغبطها :

— انتى عارفة ان عنده أربعين سنه ..

قالت :

— ولا باین علیه ..

قلت كأني لم أسمعها .. كأني أخاطب نفسي :

— يعني أكبر مني بوحدة وعشرين سنة ..

قالت :

— وده يفرق آية .. ده انتى كنتي واقفه جنبه زى ما تكونوا متچوزين بقالكم سنين .. لا يقين على بعض زى تقاصه وانشقت نصين ..

وابتسمت لها كأني أسرخ منها ومن عقليتها ..

ولم تكت أمى عن الحديث عن هاشم .. ظلت تتحدث عنه طول الليل .. ولم أكن استمع لها .. ولم أكن متضايقة من حديثها .. وكانت تحاول أن تقنعني بأن هاشم معجب بي .. وتقارن بينه وبين عادل .. وتصعد بهاشم إلى السماء وتختسف بعادل الأرض .. وكنت أنا سرحانة .. افكر في اتجاه مختلف تماماً مما تقوله أمى .. كنت متأكدة أن هاشم ليس معجب بي .. ليس الأعجاب الذي تعنيه أمى .. ربما كان معجب بي كفتاة رقيقة ضعيفة تقرر أن يساعدها في أزمتها .. ولكن لا أكثر من ذلك .. وكانت أقاوم كل ما في خيالي من أحلام متعلقة بهاشم .. كنت أعرف أنه الرجل الوحيد الذي استطاع أن يثير أحلامي بعد عادل .. وربما كان الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يحل في تلبي مكان عادل .. بل أنتى كنت افكر فيه بطريقة أخرى غير التي نعودت أن افكر بها في عادل .. طريقة قد تقودني إلى نوع آخر من الحب .. حب أكبر وأعمق وأكثر استقرارا .. ولكن يجب أن أقاوم اندفاعي في هذه الأحلام .. أنتى ذكية واستطيع

أن أقدر أنها أحلام لا يمكن أن تتحقق .. أين أنا من هاشم ..
ماذا في حتى يحبني .. ثم انه يحب فتاة أخرى ..
ورفت في أذني كلمة هاشم « الحب اللي ينقصه الاحترام مش
ممكن ينفع للجوائز » .. ترى هل يمكن ان يحترمني هاشم لو علم
اني لست عذراء .. وهل يمكن ان اجعله يحترمني لو أحبني وهو
يجهل انى لست عذراء ..

ولكن لماذا انساق وراء كل هذه التفاصيل ..
من قال ان هاشم يحبني ..
او انى احب هاشم ..

وأمى تتقول كأنها تخطرف في نومها :

— صدقينى .. ما تبقيش عبيطه .. الدكتور هاشم معجب
بىكى .. ما تضيعيش راجل زى ده من ايدك .. دى فرصة ..
اعقلى يا نوجا .. وسيبك من لعب العيال بتاع سى عادل ده ..
وادرت لها ظهرى .. وانا اشعر بسخافتها .. بل اشعر
بالاشمتزار منها .. دكتور جاء ليمعالجنى وبلغ من اهتمامه بي
ان صحبنى فى نزهة قصيرة ، وبدل ان تشكر نبله ، تحاول
اصطياده .. شيء مفتر ..

وتناولت حبة « الليبرم » وحاولت أن أنام ..
وسمت من نومي عصبية .. ضعيفة .. منهكة .. اريد ان
اتحرك ان اخرج .. اريد ان اذهب عن افكارى وخواطرى ..
وفكرت ان اذهب الى المدرسة .. كان يجب ان اذهب الى
المدرسة .. فانا مستعد لنيل الشهادة الثانوية العامة .. ولم
يبق على الامتحان الا شهور ..
ولكننى جبنت ..

احسست انى لست قوية الى حد ان اووجه زميلاتى .. خين
الى ان كل من تنظر الى ستكشف فى الحال انى لست عذراء ..
وخيلى الى انى لن احتمل ان ابقي وانا لست عذراء وسط مئات
البنات العذارى .. لن استطيع ان اجرى مثلهن .. ولن استطيع
ان ادرج مثلهن .. ولن استطيع ان اتكلم كلامهن ..

ولم اذهب الى المدرسة

وصرخت فى امى :

— ماما .. عايزه اخرج ..

وقالت امى :

— تروحى فین ؟

قلت :

— ما اعرفش .. عايزه اخرج والسلام ..

قالت :

— طيب مش نكلم الدكتور هاشم فى التليفون الاول ..

وصرخت :

— اوعى.. تكلميه .. لو كلمتى هارمى نفسى من الشبك ..
انا مجنونه .. وانتى عارفه انى مجنونه ..

وقالت امى فى دهشة :

— ليه بس يا بنتى ..

وعدت اصرخ :

— اهو كده والسلام .. انا عايزه اخرج لوحدي ..
والتمعت القسوة على وجه امى المكرمش ، وقالت فى حدة :
— الا دى .. اظن عايزه تخرجى لوحدك علشان تهربى مره
تانية .. من هنا ورایع ما فيش خروج الا رجلى على رجلك ..

انشاء الله حتى تكونى رايحة كباريه ، برضه معاكي .. انتى
لسه بتقولى انك مجنونه .. ما فيش مجانين يخرجوا لوحدهم ..
ومن يومها ..

لم أعد أخرج إلا وامي معى .. رجلى على رجلها ..
وقد ذهبنا معا الى بعيد .. الى العن من « الكباريه » ..
سرنا معا طريقة طويلا ..
طريق اليأس ..

- ٣ -

فكرة امي بسرعة ، ثم قالت وهي تنظر الى عينين تائهةتين
كانها ترى بهما مستقبلا يحيرها :
— قومى نروح عند زيزى ..

وكانت زيزى أبعد ما يمكن أن يخطر على بالى فى الحالة
التي كنت أاعانيها .. لقد كان كل ما أفكر فيه أن اتصل ببعض
صديقاتي وانزل معهن لنطوف بالدكاكين ، أو نجتمع فى بيت
واحدة منهن لتبادل قصص حبنا .. صديقات فى مثل سنى ..
ملوينا تدور فى دوائر متشابهة ، وعقولنا تنطلق فى افق واحد
.. أما زيزى فهى شيء آخر .. إنها سيدة متزوجة .. زوجها
يعمل فى وظيفة كبيرة فى بنى سويف ، وهى تقيل فى القاهرة
وحدها .. حرفة .. منطلقة الى بعد حدود الانطلاق .. والناس
يتحدثون عنها ، ويررون عنها قصصا عجيبة .. وتعيش فى
مستوى أعلى من المستوى الذى يمكن أن يوفر لها زوجها ،
او عائلتها .. إنها تملك سيارة كبيرة شيفروليه .. وسيارة أخرى

صفيرة لأولادها .. وتسكن في شقة فاخرة بمصر الجديدة .. وتشترى ثيابها بالدستة .. معروفة عنها أنها مسرفة إلى حد الجنون في افتنان الشباب .. والناس تحدث .. ولكن زيزى لا تهتم بكلام الناس ..

وكانت أمى تعرف زيزى من زمن طويل .. وتعرف أنها وأخواتها .. وربطت بيننا وبينهم بصلة نسب كعادتها .. تمد فروع العائلة لتصل إلى كل من تريد أن تصل إليه ..

وكانت أمى معجبة بزيزى أعمجبا خفيا ، لا تعبر عنه إلا نادرا .. كانت تعتبرها سيدة شاطرة ، استطاعت أن تلعب بالرجال ، وأن تستخدمهم ليوفروا لها الحياة الفخمة الهنية التي تعيشها ..

أن أمى تؤمن بأن دور المرأة في الحياة هو أن تستغل الرجال .. ولا شيء أكثر .. لا تؤمن بأن هناك ما يمكن أن تقدمه المرأة إلا جسدها .. وأن عليها أن تساوم على هذا الجسد لتحصل على أكبر ثمن .. حتى الزواج .. ليس له معنى عند أمى ، إلا معنى الشراء والبيع .. ولهذا كانت أمى معجبة بزيزى .. لأنها تستطيع أن تساوم ، وتستطيع أن تحصل على ثمن كبير ..

وسيدات جمعية نور الهدى ، كن أيضاً معجبات بزيزى ، لأنها تتبرع للجمعية كثيرا .. ولأنها تلجم اليهن في أعمال السحر التي تحتاج إليها بين الحين والحين ..

ولكن أمى كانت حتى تلك الأيام ، تبقينى بعيداً عن زيزى .. لم تكن تنفرنى منها .. ولكنها لم تكن تشجعني على الاختلاط بها .. لذلك دهشت عندما اقترحت أمى أن نذهب إلى زيزى .. ونظرت إليها وأنا أبحث في وجهها لعل أكتشف سرها وقلت :

— أشمعنى زيزى ..

وقالت أمي وهي تخفي عينيها عنى :

— أصلها سرت دمها خفيف .. يمكن تضحك وتنسيكي اللي
أنتي فيه .. وكمان ناخد رايها غنى حالتك .. دي سرت بتفهم ..
وهززت كتفى وقلت بلا مبالاة :

— مافيش مانع ..

وقدمت أرتدي ثيابي بنفس مصدودة .. والضعف يسرى
عنى مفاصلى .. ولو نونى أصفر يميل الى الاخضرار .. وعقلى
مشتت بين يائسى من عادل ، وأملى فى هاشم .. وأحاول ان
فلا استطيع أن أياسر .. ولا أستطيع أن أعيش لحظات بلا أمل ..
وارتدت أمى معطفها الاسود ، وعمامتها السوداء ، ووقفت
على باب غرفتى تقول لي وانا سارحة غنى عذابى :

— ياللا يا نوجا .. استعجللى شويه .. ده احنا لسه حانطليم
مصر الجديد ..

ونظرت اليها فى حدة ، كأنها شكتنى بدبوبس لتوقظنى ..
وصدمت بشكلها وهى فى معطفها الاسود ، وعمامتها السوداء ،
كأنها جlad يواجهنى ليذبح قلبى .. وصرخت فيها كأنى أصرخ من
فزعى :

— ما تستعجلنيش .. احسن والله احلف ما اخرجش ..
انا مش طايقه حد يكلمنى ..
وارتعشت رموش أمى كأنها خافت من صرختى .. وتنهدت ..
ثم قالت فى صوت ضعيف :

— طيب يا نوجا .. ما تزعليش .. على مهلك يا حبيبى ..
ثم ابتعدت عن غرفتى ، وعادت بعد لحظات وفى يدها
« وابور السبيرتو » مشتعل وفوقه لوح من الصفيح ، يقطقق

فوقه البخور .. ووضعته على الأرض ، لاخטו فوقه سبع مرات ، كما عودتني في كل مرة أهم فيها بالخروج من البيت .. ودون أن أفكّر ، استدررت من أمام مرأتي ، وقدنفت وابور السبيرتو بقدمي ، بما فوقه من بخور ، وأنا أصرخ :

— مش عايزه أتبخر .. ما فيش حاجه جابتلي الكافيه الا البخور بتاعته ده .. بتخريني على ايه .. الناس حاتحسدنى على ايه .. على خيتي ! ؟

وأسرعت أمي والقطط وابور السبيرتو من على الأرض قبل أن يشعّل في البيت نارا .. وخرجت وهي تتمتم :

— ربنا يهدىكي يا بنتي ..

ومن يومها تعودت أن أصرخ في أمي .. وتعودت أن تحتمل صراخى .. ولكن احتمالها لم يكن يعني استسلامها لي .. إنها لم تسقسلم لي أبدا ..
وخرجنا من البيت ..

وركبنا سيارة تاكسي إلى محطة المترو .. ثم ركبنا المترو إلى مصر الجديدة ..

ووصلنا إلى بيت زيزى ..

بيت فخم ، لا يمكن أن يكون بيت موظف ، حتى لو كان موظفا في الدرجة الأولى .. الأرض الباركيه مغطاة بقطع .. السجاد العجمي .. والأثاث على الطراز الحديث ، يبدو كله جديدا .. ان زيزى تبدل أثاث بيتها كل سنة او سنتين .. والنجف ، والتماثيل .. مظاهر الاسراف في كل ركن من اركان البيت .. ورغم ذلك لم استرح .. احسست كلما نظرت إلى شيء كان نظرتني تقف في حلقي .. كان هناك شيئا مفقودا في هذا البيت .. لعله الذوق .. او لعله الاحساس بقيمة الاشياء التي

يضمها .. لا شك أنها أشياء قيمة .. غالية .. نقود كثيرة دفعت
فيها .. ولكنها ملقة ومكداة بشكل يفقداها قيمتها ..
وقالت أمي وهي تتبع عيني وأنا ادور بهما في ارجاء البيت :
— بكره أعمل لك بيت احسن من ده ميت مره ..
قالتها كانها تغريني بالأمل الكبير !
وقالت وأنا الوي شفتني :
— أنا ما أحبيش يبقى عندي بيت زى ده .. ما فيهش ذوق !
وقالت أمي والاعجاب يشهق على وجهها :
— ده زى ما يكون بيت واحده أميره ..
وقلت بسرعة :
— ده زى ما يكون بيت واحده ارتست ..
ودخلت علينا زيزى ..

مرتدية قمبص نوم شفاف ، وفوقه « روب ديشامبر » من
الحرير المطرز بالدانيل تركته مفتوحا ، ليكشف عن قمبص النوم
ومن تحته جسدها الممتلىء .. رغم أنها كانت فى الساعة الثانية
عشرة ظهرا ..
و قبلت أمي فوق كلتا وجنتيها وهى تقول :
— أهلا عزيزه هانم .. وحشتينا .
ثم التفتت إلى ، ولعلت فرحة عجيبة فى عينيها ، وقالت :
— نوجا .. مش معقول .. ده انتى كبرتى قوى .. أنا
ما شفتكيش بقالى سنه .. حد يكبر ده كله فى سنه واحده ..
ثم احتضنتنى إلى صدرها وأخذت تربت على ظهرى ، ثم
التفتت إلى أمي قائلة :
— دى انتى لازم تجوزيها حالا يا عزيزه هانم .. خلاص ..
آن الأوان ..

وقالت أمى وهى سعيدة بفرحة زيزى بي :

— هى يا ستي اللي بتطلع .. عايزه تكمل وتخش الجامعة ..

وقالت زيزى وهى تضحك ضحكة صاحبة رنانة :

— وده يمنع ..

ثم أخذتني، من يدى ، واجلسنى بجانبها على الاريكة ، واخذت
تبطلق فى وجهى ، ثم قالت كأنها كشفت سرى :

— مالك يا نوجا .. انتى مش عاجباني .. زى ما يكون
فيه حاجه مزعلاكي ..

وقالت أمى بسرعة كأنها تدافع عنى :

— ما انتى عارفه يا زيزى انها كانت عيانه ..

وقالت زيزى ، وهى تنظر الى :

— وتسرية شعرك مش حلوه .. دى تسرية بتاعة واحده
عجوزه ، مش بتاعة بنت حلوه زيك .. تعالى اعمل لك تسرية
تانية ..

وcameت واقفة وشدتني من يدى .. وسارت بي وهى تقفز
فى مشيتها كأنها طفلة .. ودخلت بي الى حجرة نومها .. وأمى
وراءنا ..

حجرة النوم .. لونها بمبى فاتح .. الستائر بمبى ..
وملامات السرير بمبى .. وكتاء المقادع بمبى .. والخشب لونه
بني غامق ..

واجلسنى زيزى امام مرآتها .. وعشرات من زجاجات
العطر الفالية ، وأدوات الزينة .. ووقفت فوق رأسي تسرح
لى شعرى .. وهى تتكلم ، وتضحك .. أنها تستطيع أن تبعث
الحياة حولها .. كلامها يطلق الزغاريد فى قلبي وأعصابى ..

ووجدت نفسي أتحمس معها .. وأضحك معها .. وإنني نفسي
وهي معها ..

وأمي جالسة بعيداً ، والسعادة تبرق فوق وجهها ، كأنها
اكتشفت الطريق الذي كانت تائهة عنه ..

ثم أخذت زيزى تعرض علينا ثيابها الجديدة :
فتحت دولاباً يمتد بطول الحائط كله .. وبرزت منه عشرات
الفساتين .. كأنها الجاريات المعلقتان في حريم السلطان ..
فساتين كثيرة .. ومعاطف .. وقطع من الفراء .. وأحذية .. لم
أر في حياتي كل هذه الأحذية في دولاب واحد ..

وفي بساطة خلعت ثيابها ، وارتدت ثوباً من ثيابها الجديدة
لتريه لي ..

ولم استطع أن أملأ عيني بجسدها عندما خلعت عنده ثيابها ..
خجلت ..

وبعد ذلك صممت على أن أخلع ثوبى لتنقيس على ثوباً من
ثيابها ..

وحاولت أن أرفض ..
ولكتها الحت ..

وأمي تلنج معها ، وتقول :

— جرى آية يا نوجا .. حاتنكسفى من مرات ابن عمك ..
وشدت زيزى ثوبى ، فاضطررت أن أخلعه .. ونظرت
إليـ أنا بالقميص ، كأنها تنظر إلىـ بعيون عشرات الرجال ، وقالـت
وفي عينيها بريق عجيب :

— آية الحلاوه دى كلها يا نوجا .. ده إنتى صدرك يجنـن ..
وضممـت ذراعـى حول صدرـى كأنـى أحـمىـه من عـينـيهـا ، وفيـهما
نظـاراتـ عشرـاتـ الرـجالـ ..

وارتعش من الخجل ..
مت من الخجل ..
والبستنى ثوبها ..

وجمعت قماشه فى يدها من عند الظهر ، حتى تشده على
جسمى ، لأنه كان واسعا على .. إنها أسمى مني ..
والتقت الى المرأة ..
ونظرت الى نفسي ..

الثوب من الشيفون الدهنهاف الازرق يكشف عن ذراعى ..
وعن مساحة كبيرة من صدرى .. ويلتف حول جسدى كأنه قطعة
من صفحة السماء تضمنى .. أحسست كأنى استطيع أن اطير
بهذا الثوب .. والتسريحة التى صنعتها لى زيزى ، تركت خصلة
من شعرى تهفو فوق عينى .. فأحسست انى اكاد اطير فعلا ..
وزيزى تضحكنى ..
لا تكف عن اثارة ضحكتانى ..
وكلماتها تثير فى معانى جديدة .. معانى الانوثة .. إنها ترفع
عمرى .. أحس انى كبرت .. وأحس انى امراة .. لم اكن
احس من قبل انى امراة .. رغم انى امراة ..
وقالت زيزى :

— عبد الله جوزى حاييجى من بنى سويف النهارده بعد
الشهر ، وحانزوح نسهر فى الأوبرج .. ايه رايكم تسهروا
معانا ..
ونظرت الى أمى ، كأنها تسألنى رأىي .. ثم التقت الى
زيزى قائلة :

— بس احنا يا زيزى مش واخددين ع السهر ده ..
وقالت زيزى :
— يا شبخه اخرجى من الحبسه دى .. ونوجا كمان تشوف ..

ازدواجاً وتنفسج .. حانفضل مخبياها كده لغاية امته .. اللي في
سنها كل يوم سهرانين في حته ..
وقالت أمي في صوت خفيض :
— أنا ما عنديش مانع .. بس ..
وعادت زيزى تقول في حماس :
— بس ايه .. لا بس ولا حاجه .. احنا حانكون مع عبد
الله جوزى .. انتي مش بتقولي جوزى بيقى قريبك .
وقالت أمي :
— بس أنا عمرى ما رحت الأوبرج .
وقالت في حماس :
— ما لكش دعوه بنوجا .. سيببها لي أنا ..
والتفتت إلى "قائلة" :
— ايه رأيشا يانوجا ..
قللت :
— بس أنا عمرى ما رحت الأوبرج .
وقالت في حماس :
— خلاص تروحيه ..
ثم اقتربت من أذني وهمست :
— هو الواد اللي بتحببه ما بيروحش الأوبرج .. او عى يكون
بيأخذك تزورووا المشايخ ..
واتفقنا على أن تمر علينا زيزى في العاشرة مساء ، هي
زوجها .. لتذهب معها إلى الأوبرج ..
وعدنا إلى البيت ..
والعالم الجديد الذي لوحظ لي به زيزى يشغلنى عن حيرتى ،
وعن وهمى ..

ولكنى لم اكن سعيدة ..

كنت أعلم أنى مقدمة على حياة ليست مقتنعة بها .. حياة لم انكر فيها من قبل ، ولم تمثل حلمًا من أحلامي .. ولكنني كنت منساقة إليها .. لأنى .. لأجد شيئاً يشغلنى عن نفسي ، ويملاً وقتى الفارغ ..

والقيت نفسى على فراشى متعبة ..

احس بالضعف .. ضعف صحتى ، التى لا تحتمل مشوار مصر الجديدة ، ولا تحتمل كل هذه الآثار الذى ملأت بها زيزى اعصابى ..

نممت من التعب ..

واستيقظت متعبة ايضا .. ولكنى قاومت التعب .. وجدت نفسى أفيض بعناد عجيب .. عناد كبير .. أقاوم به ضعفى .. وأقاوم به عدم اقتناعى بالاقبال على الحياة .. وأقاوم به الإيمان بالحب .. أريد أن أضحك .. أن الهو .. أن البس ثياباً كالثى تلبسها زيزى ..

وارتدت ثوبى الجديد .. ثوباً لونه أصفر .. وكل ثيابى لا تصلح للأوبرج .. إنها ثياب بسيطة ، لفتاة فى مدرسة .. تحب .. وتعد نفسها للزواج .. لا لفتاة تفكر فى السهر فى الأوبرج ..

وجاءت زيزى فى الساعة العاشرة والنصف ، وتركت زوجها بانتظارها فى السيارة ، وصعدت إليها ..
وصرخت بمجرد أن رأته :

— أيه اللي لابساه ده يا نوجا .. ده انتى زي ما تكونى ..
رأيحة المدرسه ..

ثم شدت فتحة صدر الثوب ، حتى كشفت عن كتفى ..

وخلعت دبوسا من الماس كانت تتحلى به فوق صدرها .. وشبكته فوق كتفى .. ثم أخذت تسرح لى شعرى وتطلق خصلة منه تتسلل فوق جبينى فى اغراء .. ثم اخرجت من حقيقتها اصبع الروج ، وصبغت به شفتي .. ثم اصلاحت وضع الكحل الذى اضجه حول عينى ..

وانا مستسلمة ..

وامي مستسلمة ..

كأن كلينا اثنان من نساء الريف جاءتنا الى القاهرة لأول مرة ، وسلمتا نفسيهما لمحالة ..

ولم تهتم زيزى بأمى .. لم تعلق بشيء على معطفها الاسود ، وعمامتها السوداء .. كانها لن يكون لها دور فى الحياة التى تسوقنا اليها ..

ونزلنا ..

لم يكن زوج زيزى وحده فى السيارة .. كان معه رجل آخر .. شاب .. أصغر من الدكتور هاشم .. لعله فى الخامسة والثلاثين من عمره .. محفلط .. كل شيء فيه مرسوم بدقة .. حتى خيل الى انه عد شعرات راسه قبل أن يضع كل شعرة بجانب الأخرى ..

نزل الشاب من السيارة ليستقبلنا .. وقدمته لنا زيزى قائلة :

— خيرى ..

فقط ..

لم تكمل اسمه ..
ثم قالت له :

— اقعد انت جنب عبد الله يا خيري .. والستات حاتقد
ورا ..

والنفت علينا . كأنها تقول لأمي أنها حريصة على الا يقترب
أى رجل من ابنتها ، وتبث لها أنها حريصة على التقليد ..
وحيانا زوجها وهو جالس أمام عجلة القيادة .. رجل طويل
عربي .. سمين .. ضحكته تملأ شفتيه .. وتبدو عليه السعادة
.. سعادة الحيوان الذى لا يفكر كما يفكر الناس ، ولا يشغله
باله بما يشغل بال الناس ..

وذهبنا الى الاوبرج ..

ودخلنا وأنا اسير ملتصقة بأمى كأنى احتمى بها .. لقد
كنت احتمى بها فعلا .. كنت مرتعشة ، والرعب تملأ كيانى ..
ونم الحظ أن أمى كانت ترتعش أيضا من الرعب .. وكلانا يعلق
عينيه بزيزى كأننا طفلتان تخشيان أن تتواهى عن أمها ..

وقادتنا ريزى الى مائدة .. كان يجلس علينا آخران ؟
وسيدة .. وهل الرجال لقدم زيزى .. ثم سكتا عن التهليل
مرة واحدة ، عندما سقطت عيونهما على .. وتبادل النظرات
المتسائلة مع زيزى .. وعاذا ينظران الى .. وقد انقلب كل منهما
مرة واحدة بعد التهليل الذى استقبلنا به زيزى ، الى رجل مؤدب
مهذب .. وابتسامة واسعة فوق شفتي كل منهما .. ابتسامة
لزجة ..

وجنست بين خيري الذى معنا فى السيارة ، وبين أحد الرجلين
الذين وجدناهما على المائدة .. كان اسمه سامي .. واستدار
كل منهما الى .. عيونهما لا تفارق وجهى .. وابتساماتهما تدور
حولى كالفراشات الجنونة .. وكل منهما يبذل جهده ليشير
ضحكتانى .. ويجدب اهتمامى ..

والرجل الثالث تفرغ لزیزی ، ينشب عینيه فى وجهها ،
ولا يكف عن التحدث اليها .. حديثا هاما لا أسمع منه الا اقله ..
وعبد الله الزوج ما كاد يجلس على المائدة حتى تفرغ ملء
كأسه ، والتهام قطع الخيار وأصناف « المزات » .. ويطلق بين
الحين والحين تعليقا لا يسمعه أحد ، ويضحك عليه وحده ..
كأنه ليس معنا .. وكأن زوجته ليست معه ..

وامي .. أنها جالسة بمعطفها الاسود وعمامتها السوداء ..
عند طرف المائدة ، لا ترفع عينيها عنى .. عينان خائفتان ..
خائرتان .. وتبعد كأنها من هذا الصنف من النساء العجائز
اللاتي يصاحبون النساء الجميلات ويقدن لهن حياتهن .. ربما
اعتبرها هكذا الرجال الذين معنا .. ربما لم يصدق أحد منهم
أنها أمي .. ربما اعتقادوا أنها تتجاهر بي .. لا أحد يهتم بها ..
لا أحد يتتحدث إليها .. عبد الله زوج زیزی وحده ، هو الذي
يلقى إليها بين الحين والحين .. ويقول لها بصوته الغليظ
الأشد :

— تا خدى حته خيار يا عزيزه هانم ..

ثم يخطب على ساقها بكفه الثقيلة ويصبح :

— والله أنسينا يا عزيزه هانم ..

وتبتسم أمي ابتسامة ضعيفة لا تثبت أن تموت على شفتيها .. وعيناهما ميركتان على ، ترقب كل حركة ، وكل لمسة ، وكل لفحة .. وأنناها منتصبان تحاول ان تلتقط بهما كل كلمة .. كل همسة .. أنها تجلس في طرف المائدة كالة إرادار ينعكس على وجهها كل ما يحدث لى .. تبتسم عندما ابتسم .. وتفرغ عندما يتمادي أحد الرجلين اللذين يحيطان بي ..
وصعبت على ..

ليس هذا هو مكانها ..
أنها ليست من هذا الصنف من النساء العجائز ..
ولكنها تفعل ذلك من أجلـي .. تفعله لأنـها تريد أن تنسـينـي
عادل .. تفعلـه لأنـها تخـاف اليـوم الذي تـفقدـني فـيه ..
ورغم ذلك فقد كان احساسـي ساعـتها حـائـراً بيـن الخـجل
منـها ، والاشـفـاقـ علىـها .. الخـجلـ منها وهـى جـالـسـة بـمعـطفـها
الأسـودـ وعـامـتها السـودـاءـ ووـجهـها العـجـوزـ المـكـرـمـشـ ، إـلـى مـائـدةـ
تـعلـوـها زـجاجـاتـ الـوـيـسـكـى .. والـاشـفـاقـ علىـها لأنـى أـعـرفـ لـماـذاـ
تـقـبـلـ عـلـىـ نـفـسـهاـ كـلـ هـذـا ..

وقـالتـ زـيزـىـ وهـىـ تـضـحـكـ ضـحـكةـ كـالـزـغـرـودـةـ :
ـ سـاكـنـتـ لـيـهـ يـاـ نـوـجاـ .. خـدـىـ بـالـكـ منـ سـامـىـ .. أـوعـىـ
تصـدقـىـ كـلـامـهـ .. دـهـ كـدـابـ ..

ولا ادرى لـماـذاـ نـظـرـتـ إـلـيـهـ ساعـتهاـ فـىـ تـحدـ .. قـرـرتـ
سـاعـتهاـ أـثـبـتـ لـهـ أـنـىـ لـسـتـ الفتـاةـ القرـوـيـةـ التـىـ تـصـلـ إـلـىـ القـاهـرـةـ
لـأـولـ مـرـةـ .. وـتـلـكـنـىـ عـنـادـ عـجـيبـ أـثـبـتـ شـخـصـيـتـىـ القـوـيـةـ فـىـ
هـذـاـ المـجـتمـعـ الجـديـدـ الـذـىـ يـحـيـطـ بـىـ .. اـنـ اـسـيـطـرـ عـلـيـهـ .. أـئـنـ
أـمـلـكـهـ .. وـأـحـكـمـهـ ..

وانـطلـقـتـ ..

تحرـرـتـ مـنـ الخـوفـ ..
تحرـرـتـ مـنـ ضـعـفـ صـحتـ ..
تحرـرـتـ مـنـ ذـكـرـيـاتـ حـبـىـ ..

وـجـمـعـتـ كـلـ ذـكـائـىـ لـاجـذـبـ كـلـ الـاهـتـمـامـ إـلـىـ .. وـانـطلـقـتـ
أـتـحدـثـ .. أـرـوـىـ الـحـكاـيـاتـ .. وـاطـلـقـ الـتـعـلـيقـاتـ السـاخـرـةـ ..
وـأـثـيـرـ الضـحـكـاتـ .. وـفـىـ دـقـائقـ اـصـبـحـتـ مـلـكـةـ المـائـدةـ .. كـلـ
الـاهـتـمـامـ مـوـجـهـ إـلـىـ .. حـتـىـ الرـجـلـ الـذـىـ يـجـلـسـ بـجـانـبـ زـيزـىـ

استدار الى .. وعبد الله زوجها نسى قطع « المزة » وأصبح يتلفف
كل كلمة تخرج من بين شفتي .. وأمى تلحظ اندفاعى وتحاف ..
وزيزى فوجئت بجرأتى ، ونظرت الى نظرة ثاقبة كانها اكتشفت
انى لست الفتاة الساذجة البسيطة كما كانت تظننى ..
وملا خيرى كأسا وقدمه الى .. ورفضته بابتسامة كبيرة ،
قائلة :

— مرسى ..
وقال :
— ليه ؟

قلت بصوت عال مساحر :
— انت كفايه .. تسكر !
وانطلقت الضحكات ..
وشرب خيرى الكأس وحده .

وسامى يحاول أن يجذبني فى حديث هامس بيني وبينه ..
ولكنى أحيل همساته الى كلمات مسموعة .. يسمعها كل من
على المائدة .. غيىز درد وجهه .. ويخرج من نفسه .. ولكن
تمادى .. كف عن محاولة الهمس .. وبدأ يلمسنى لمسات تبدو
كانهالا سات غير مقصودة .. ويتظاهر بأنه يريد أن يجذب طبق
الماء من آخر المائدة ، ليترك انفاسه تقترب من أذنى .. ووجهه
يلمس وجهى .. وتمادى أكثر ، فشعرت بيده فوق ساقى ..
وامسكت بيده باطراف أصابعى ، ورفعتها الى أعلى بحيث
يراها الجميع ، كأنى ارفع شيئاً قدرا .. وقلت باعلى صوتي :
— شوفى يا زيزى لقيت ايه على رجلى ..
وضج الجميع بالشحح ..
ثم القيت بيدي سامى من يدى .. والتفت اليه ونظرت اليه

نظره طويلة ثابتة .. الى ان نكس عينيه خجلا من نفسه ، وقال
فى صوت خافت :
— آسف ..

وامي تنظر الى وشفتها ترتعشان ، لا تدرى ماذا تقول ،
ولا كيف تتصرف ..

وشخصية زيزى تذوب امام شخصيتها .. انها تفقد عرشها
.. ورغم ذلك فهى تبتسם لى طول الوقت .. وتهتم بى طول
الوقت .. كائنا قبلت التحدى ..

وقالت بى كأنها لم تعد تحتمل اكثرا :

— احنا لازم نقوم باه يا زيزى .. نوجا لسه قايمه من العبا ،
وما تستحملش سهر .. اكتر من كده ..
وقالت زيزى بسرعة :

— واحتنا كمان لازم نقوم ..
ومنا ..

وضغط سامي على يدى وهو يصافحنى قائلا :

— احنا لازم نشوف بعض تانى ..

قلت ساخرة :

— امال .. ضروري ..

وركبنا سيارة زيزى وخيري معنا .. وفى هذه المرة لم تكلف
زيزى نفسها مهمة حمايتها .. فجلست بجانب زوجها فى المقعد
الأمامي .. وتركت خيري يجلس معنا فى المقعد الخلفى .. ولكنى
كنت اذكى منها .. وضعت امى بينى وبين خيري ..

وقال خيري وهو يصافحنى امام باب البيت :

— احنا لازم نشوف بعض تانى ..

وكررت نفس اللهجة الساخرة :

— أمال .. ضروري ..

وتصعدت الى غرفتي .. وامي ورائي .. وجلست على حافة السرير وانا اخلع ثيابي .. وقبل ان تسألني .. اشبعتك مصوّلها ؟ ورويتك لها كل التفاصيل .. كل كلمة .. وكل لمسة .. وكل رأى لي .. وبعد ان شبعتك تركتني وحدى الانام .. وسحب سوداء من الحيرة تبتلعني .. ماذا فعلت .. ولماذا فعلت .. لماذا وضعت قدمي في هذا الطريق .. انى لست ساذجة .. واعرف هذا الطريق حتى نهايته .. فلماذا سرت فيه .. ولماذا لم اسر في الطريق الذي فتحه لي هاشم .. لا .. ان طريق هاشم طريق مسدود لا امل فيه .. والحب النظيف الذي اثار به خيالي .. ليس الا وهما .. انه يحب فتاة اخرى .. وحتى اذا لم يكن يحبها .. فلماذا يحبني .. عادل .. عادل .. لماذا تركتني وسافر .. لماذا لم يبق الى جانبي لمحاول مرة اخرى ان يصل احدهنا الى الآخر .. ولكنك مستهتر ، لقد غازل اختي .. الى هذه الدرجة بلغ استهتاره .. ولكنك احبه .. هل صحيح انى لا زلت احبه .. لا ادرى .. لا ادرى ..

وبكيت ..

وانسابت حيرتى دموعا على خدي ..

ونمت باكية ..

وصحوت فى اليوم التالى وانا احس اكثر بضعف صحتى .. فقد اضطررت ان ابقى فى الفراش يومين .. وزيزى تسأل عنا فى اليوم اكثر من ثلاثة مرات .. وتحدث مع امى طويلا فى التليفون ..

وما كدت أغادر الفراش ، حتى جمعتنا سهرة فى بيت زيزى .. كان هناك سامي ، وخيري .. والرجل الثالث ..

مراد .. ب الرجال آخرون كثيرون .. و سيدات كلهن من صنف
زيزى .. أنا البنـت الوحـدة بينـهن .. بـنت ! و أنا أصـفـرـهن ..
أجمـلين .. أنا ورـدة نـى غـلـة من النـسـاء يـتـمـاـيلـن نـى خـلاـعـة
كـالـأشـجـار العـجـوزـة ..

و تـواـلت السـهـرات .. نـى الـبـيت .. فـى الـأـوـبرـج .. فـى
الـأـرـيزـونـا .. نـى الشـجـرـة ..
و أنا لم اـفـقـدـ شيئا ..

لم يـسـطـعـ رـجـلـ ان يـأـخـذـ منـيـ شـيـئـا .. وـلـاـ لـمـسـةـ وـاحـدةـ ..
وـلـاـ كـلـمـةـ تـرـيـحـهـ وـتـشـجـعـهـ عـلـىـ .. وـرـغـمـ ذـلـكـ فـكـلـ الرـجـالـ يـحـبـونـىـ ..
اـنـفـىـ نـفـحةـ مـنـ الـهـوـاءـ النـظـيفـ وـسـطـ الـجـوـ الفـاسـدـ الـذـىـ يـعـيشـونـ
فـيـهـ .. اـنـىـ اـرـيـعـ عـيـونـهـمـ مـنـ الـوـجـوهـ المـصـبـوـغـةـ بـالـلـوـانـ الـفـاقـعـةـ ..
اـنـىـ اـمـلـ صـعـبـ ، وـسـطـ الـأـرـضـ السـهـلـةـ الـتـىـ يـسـيرـونـ
فـوـقـهـا ..

وـاـمـىـ فـهـمـتـ الـمـجـتمـعـ الـجـدـيدـ الـذـىـ دـخـلـنـاـ فـيـهـ .. وـبـدـاتـ
تـكـونـ صـدـاقـاتـ خـاصـةـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـ الرـجـالـ الـذـينـ نـلـتـقـىـ بـهـمـ ..
صـدـاقـاتـ لـحـسـابـ طـبـعا .. وـأـصـبـحـتـ اـمـىـ تـرـتـاحـ لـصـدـاقـاتـهـاـ بـعـدـ
الـرـجـالـ اـكـثـرـ مـنـ اـرـتـياـحـهـ لـصـدـاقـاتـهـاـ مـعـ النـسـاءـ .. اـكـسـبـتـهـمـ
بـاثـارـةـ عـطـفـهـمـ عـلـيـهـا .. لـاـنـهـاـ وـحـيـدةـ .. عـجـوزـ .. وـزـوـجـهـا ..
مـشـلـولـ .. وـهـىـ تـعـلـمـ أـنـ عـطـفـهـمـ عـلـيـهـا .. لـيـسـ الـاـ تـقـرـبـاـ مـنـ اـنـاـ ..
وـاسـتـطـاعـتـ بـذـلـكـ اـنـ تـسـتـغـلـهـمـ .. وـاـنـ تـضـعـهـمـ فـيـ خـدـمـتـهـا ..
وـاـذـكـرـ اوـلـ يـوـمـ تـفـتـحـتـ فـيـهـ اـمـاـنـاـ كـنـوزـ هـذـاـ الـمـجـتمـعـ الـذـىـ
نـعـيـشـ فـيـهـ ..

لـقـدـ اـتـصـلـ بـنـاـ خـيـرـىـ فـىـ التـلـيـفـونـ ذاتـ صـبـاحـ ، لـيـدـعـونـىـ إـلـىـ
سـهـرـةـ فـىـ الـمـسـاءـ .. وـفـىـ خـلـالـ الـحـدـيـثـ قـالـتـ لـهـ اـمـىـ اـنـهـاـ
سـتـصـحـبـنـىـ لـنـطـوـفـ بـالـحـوـانـيـتـ ، وـنـشـتـرـىـ بـعـضـ الـحـاجـيـاتـ ..

ولا ادرى حتى اليوم اذا كانت قد قالت له ذلك عن قصد او عن غير قصد .. ولكن خيرى عرض ان يأتى ليصحبنا . ووافقت امى ..

وصحبنا لنطوف بالحوائين ..

واشترينا بضائع بما يزيد عن عشرين جنيها .

دفعها خيرى .

وانهالت الهدايا بعد ذلك .. من خيرى .. ومن غيره ..
هدايا فى مناسبات .. وهدايا بلا مناسبات .. وقد كنت ابهر بهذه الهدايا .. لم اكن اعتقد ان الناس يمكن ان تهدي بهذه السهولة .. وهذا الاسراف .. وامى تفرح بالهدايا اكثر منى .. وهى التى تحفظها فى دولابها .. وتحتفظ بالفاتح نى جيبيها .. لا استطيع ان استعملها الا باذنها .. واصبح عندى ثلاثة راديوهات ترانستور .. وجاءنى تلفزيون هدية .. وخواتم .. وثياب ..

ثم ..

فوجئت بسامى يتقدم لخطبتنى ..

انهم يتزوجون ايضا فى هذا المجتمع ..

وكتت اعتقد انه مجتمع يقوم على اللهو .. على تضليل السهرات .. وأن الازواج فيه هم المغلولون .. ولن يرضى أحد ان يتزوج منه حتى لا يصبح مغفلًا هو الآخر .. ولكن لا ... الرجال فيهم حاسة عميماء تقودهم الى دنيا المغلولين .. وربما اكتشف سامي حقيقتي ..اكتشف انى فى هذا المجتمع ليست الا ضحية عذابى وحيرتى .. وآمن بطهارتى ، خصوصا وأن كل هذا الفساد لم يصل الى .. انه يعرف ان احدا من الرجال لم يستطع ان بنال منى ..

ـ

وقدرت سامي ..
احسست به رجلا ..
وأنا لا أحبه .. ولكنه وسليم .. وفي مركز ممتاز .. انه
زوج تفخر به أى فتاة ..
ولم ترفضه أمي ..
ولم تقبله ..
وإكناها تركته معلقا ..
وأنا لم يكن يهمنى أن ترفضه أو تقبله .. فأنا لا أريد الزواج ..
ان ما ينقصنى شيء آخر غير الزواج .. ينقصنى الحب ..
وليس فى قلبي من الحب الا ذكرياتى مع عادل ..
وخيرى أيضا تقدم لخطبتي ..
وتركته أمى معلقا هو الآخر ..
وبدأت أتأكد ان أمى لا تزيد ان اتزوج .. تزيد لى عشرات
الرجال لأبقى لها .. ولكنها لا تزيد لى زجلا واحدا حتى لا يأخذنى
منها .. الى هذا الحد وصلت أنايتها .. ربما لأنها ليست أمى ..
وعشرات الرجال يتزدادون على بيتنا ..
يتزدادون بلا زوجاتهم ، وبلا شقيقاتهم ..
وليس معنى ذلك اننا فقدنا سمعتنا فى الحى الذى نقيم
نيه .. أبدا .. ان أمى لا تزال تحرص على كل مظاهرها ..
وسيادات جمعية نور الهدى لا يزلن يتزدادن علينا بانتظام ..
وابخور يحرق فى الصباح والمساء .. ولا تسمح لرجل ان يزورنا
الا فى مواعيد مناسبة .. وربما ثارت رغم ذلك بعض الاقوايل
عنى وعن أمى .. ولكنها كانت أقاويل خافتة .. وممحصورة فى
الحى الذى نقيم فيه .. وأصدقاؤنا كلهم من خارج الحى ..
وأنا تعيسة .

لست سعيدة بهذه الهدايا ، ولا بهذه الحفلات ..
ولكنني لا اجد شيئا آخر افعله الا ان اتلقى هذه الهدايا ،
وافرح بها فرحة تتصدر . ثم تنصر كلما توالىت الهدايا .. حتى
اصبحت فرحتى مجرد نظرة القى بها على الهدية .. والحفلات
سميتها حفلة بعد حفلة ، حتى أصبحت ابخل على الناس بذكائى
الذى اسلفهم به .. وامنحهم به وقتا لاهيا .. ولكن ماذا افعل
غير هذا .. هل اعود الى المدرسة .. مستحيل ..
لا استطيع ! ..

وانا متأكدة ان امي لا تزيد تزويجى ..
واستطيع ان اتحادها ..

ولكن لماذا اتحادها .. لماذا اتحدى أنانيتها .. واحساسها
بأنها اشتترت كل كيلو من لحمى وعظمى .. لماذا ؟
ليس هناك دافع يجعلنى اتحادها ..
فأنا ايضا لا أريد الزواج الان ..
الذين تقدمو الى لم يستطع واحد منهم ان يفتح قلبي ..
وبقيت مستسلمة لهذه الحياة ..
ثم ..

دخل حياتى فى هذه الاثناء عبد الفتاح بييه رفعت ..
عبد الفتاح بييه رجل فى الثامنة والأربعين من عمره ..
متزوج .. وله اولاد وبنات .. بنت منه اكبر منى ، ومتزوجة ..
ولها اولاد .. مليونير .. حتى بعد قوانين التأمين استطاع ان
يحتفظ بجزء كبير من ملايينه .. ربما أصبح نصف مليونير ..
وطبعا لم ار ابدا زوجته ولا بناته .. ولكن التقى به فى
بيت زيزى .. ليس نى سهرة ، ولكن على الشاي .. وكانت زيزى

قد انصلت بنا فى التليفون ودعنتى أنا وأمى لتناول الشاي ،
وأوصتنا الا نتأخر لأن عندها ضيوفاً مهمين ، وقالت لأمى :
— وخل نوجا تلبس الفستان الأخضر .. ما تشيش ! .
وكانت كل ميزة الفستان الأخضر ، انه يكشف عن كتفى
اللذين تعتقد زيزى أنها اجمل كتفين راتهما في حياتها ..
ولبست الفستان الأخضر ، وذهبت أنا وأمى ..

ولم نجد عند زيزى الا عبد الفتاح بيه رفعت ..

وقف عبد الفتاح يحيينى فى ادب كبير ، والقى على نظره
هادئة .. احسست رغم هدوئها أنها استوعبتى كلى .. وأنها
درست فى لحة واحدة ، كل قطعة منى .. نظرة خبير ..

ثم استدار وصافح أمى ، واهتم بها اهتماماً زائداً .. قدم لها
مقعد الصدارة .. وقدم لها اول فنجان شاي .. واتجه بمعظم
حديثه اليها .. دون أن يهملى .. ولكنه كان يتحدث الى كابنته
.. وفي وقار .. ووهد وء .. وحنو .. وأحسست كأنه يتعمد
ان يعفيفنى من المجهود الذى يمكن ان ابذله كى اهتم به .. كأنه
يريد ان يقول لي انه ليس كباقي اصدقاء زيزى .. وأنه لا يريد
منى ما تعود ان يطلبه اصدقاء زيزى .. وقد ارتحت فعلا الى هذا
الاحساس .. وشعرت بجانبه بأنى أستطيع أنا كون على
طبيعتى .. كأنى فعلا ابنته ..

وكعادة أمى جرت الحديث بينها وبين عبد الفتاح الى موضوع
العائلات ، والأنساب .. واكتشفت بسرعة نسباً بيننا وبينه ..
والتفتت الى آ وقالت :

— تعرفي يا نوجا .. ده عبد الفتاح بيه يبقى فى مكانة عبك
 تمام .. ما هر يبقى ابن خالة بنت عم أبوكى .. يعني عمك ..
وضحكت قائلة :

— ازيك با عمي ..
والنفت الى عبد الفتاح وفى عينيه نظرة جادة ، وقال :
— أنا عايزك تعتبريني عمي ب صحيح ..
واخرجت امام نظرته الجادة ، وقلت وانا ارخي عيني عنه :
— حاضر يا عمي ..
ولا اذكر كيف دار الحديث بعد ذلك .. ولكن اذكر ان زيزى
قالت لى بعد قليل :
— ايه الدبوس الوحش ده اللي شاباكاه فى صدرك ؟ ..
وقلت :
— يا خبر يا زيزى .. ده يجنن .. ده أنا شارياد بتلاته
جنيه من عند موناز ..
وقالت زيزى كانها تعلمى :
— حد يلبس دبوس بتلاته جنيه على فستان حلو كده ..
وصدر حلو بالشكل ده ..
وقال عبد الفتاح وهو يضحك ضحكة صغيرة :
— خلاص يا زيزى .. ما تزعليش ، الدبوس حا يتغير من
بكره ..
وقلت كأنى الومه :
— انت كمان مش عاجبك الدبوس بتاعى يا عمي ..
وقال عبد الفتاح وهو ينظر الى كأنه يتفق معى على زيزى :
— عاجبني .. بس علشان نسكت لسان زيزى ..
وقام عبد الفتاح منصرا فى الساعة السابعة ..
وبقينا مع زيزى وهى تحكى وتبالغ فى تعداد املأك عبد
الفتاح ، ومصانعه ، وادبه ، وذوقه .. ثم قالت :
— عيبه ان عمره ما يسهر بره .. الساعة تسعه لازم يكون

فى بيته .. وفى بيته شديد قوى .. تصورى ان ما حدش لغابة
دلوقتى شاف مراته .. يدوبك تزور قرايبها .. وقرايبها
بزوروها ..

وغي اليوم التالى ..

ارسل الينا عبد الفتاح سائقه الخاص .. يحمل لفافة صغيرة
.. فضتها امى لتجد داخلها علبة صغيرة من القطينة الحمراء ..
ما كدنا نفتحها حتى بهتنا نحن الاثنين ..
كان فى العلبة «بروش» من الماس ..
من الماس الحقيقي ..

ومع البروش كارت يحمل اسم عبد الفتاح رفعت ، وقد
أشفاف فوق اسمه كلمة واحدة : «عمك» ..
واسرعت امى فى نفس اليوم الى محل السرجانى الصائغ
لتثمن «البروش» .
ان ثمنه لا يقل عن ثلاثة وخمسين جنيها ..
وبلعت امى ريقها ..
ورفعت حاجبى دهشة ..

وتطورت علاقتنا بعد ذلك بعد الفتاح تطورا سريعا .. غريبًا
.. فقد كان عبد الفتاح صديقا لامى ، اكثر منه صديقا لي ..
رغم انى اعرف ومتأنكة ، انه لا يربطه بامى الا رغبته فى الوصول
الى ..

كان يتحدث معها فى التليفون مرتين فى اليوم .. حدينها
طويلا .. لا تبلغنى امى الا نصفه .. ولا اهتم بأن اسألها عن ..
نصف الآخر ..
ثم بدأ يتتردد علينا ..
لم يكن يتتردد كل يوم .. يومين او ثلاثة فى الاسبوع ..

ويدخل الى حجرة ابى المشلول ، ويبقى معه بضع دقائق ..
وكانـت امـى قد اقـنعت ابـى بـصلة النـسب الـتى تـربـطـه بـنا .. نـمـ
بعـد ذـلـك يـخـرـج وـيـجـلـس مـعـنـا فـى الصـالـة لـيـشـرـب فـنجـال القـهـوة ..
وـيـوـمـا بـعـد يـوـمـا اصـبـحـ هو كـلـ شـئـ فـى الـبـيـت .. هو رـجـلـ
الـبـيـت .. هو الـذـى يـهـتم بـشـئـونـنـا .. وـهـوـ الـذـى يـلـبـى حاجـاتـنـا ..
وـهـوـ الـذـى يـشـتـرـى لـى ثـيـابـى .. لـيـسـ هو بـنـفـسـه .. بل يـعـطـى
اـلـامـى لـقـشـتـرـى لـى .. وـعـينـ اـخـى من اـمـى الحـقـيقـيـةـ فـى اـحـدى
شـرـكـاتـه .. وـابـنـ عـمـى عـيـنهـ فـى شـرـكـةـ اـخـرى ..
وـالـكـلـفـةـ تـرـتفـعـ بـيـنـنـا وـبـيـنـه ..
وـانـادـيـهـ دـائـماـ : اوـنـكـلـ عـبـدـه ..

وـكـانـ اـحـيـاناـ يـقـبـلـنـى فـى وجـنـتـى .. قـبـلـاتـ يـحاـوـلـ انـ يـسـتـقـرـ
بـهـاـ عـلـى خـدـى .. وـلـكـنـى لاـ الـبـثـ انـ اـسـحـبـ خـدـىـ مـنـ تـحـتـ شـفـقـتـىـ ..
وـاجـرـىـ وـاـنـاـ اـمـثـلـ دـورـ اـبـنـتـه .. وـاحـيـاناـ كـنـتـ اـتـدـلـ عـلـىـهـ ، وـاجـلـسـ
عـلـىـ رـكـبـتـىـ .. ثـمـ لـاـ تـكـادـ ذـرـاعـهـ تـلـفـ حـولـ خـصـرـىـ حتـىـ اـقـفـزـ مـنـ
فـوقـ رـكـبـتـىـ وـاـنـاـ اـصـبـحـ فـى مـرـحـ يـلـيقـ بـسـنـىـ :
— اوـرـيلـكـ جـزـمـتـيـ الـجـدـيدـهـ يـاـ اوـنـكـلـ ..

وـبـيـتـسـمـ فـى صـبـرـ ..
وـلـكـنـىـ كـنـتـ اـعـرـفـ انـ لـلـصـبـرـ حـدـودـا .. وـاـنـ عـبـدـ الفتـاحـ
يـرـيدـ اـنـ يـصـلـ .. كـيـفـ وـمـتـى .. لـاـ اـدـرـى .. وـلـكـنـىـ بـدـأـتـ اـخـافـ ..
.. اـخـافـ الـيـوـمـ الـذـىـ يـصـلـ فـيـهـ .. وـاحـسـ بـهـ رـجـلاـ أـقـوىـ مـنـ
ذـكـائـىـ ، وـاقـوىـ مـنـ اـصـرـارـىـ عـلـىـ طـهـارـتـىـ .. آـسـفـةـ .. عـلـىـ
ماـ بـقـىـ مـنـ طـهـارـتـىـ .. وـبـدـأـتـ اـخـافـ هـذـهـ الـاحـادـيـثـ الطـوـيـلـةـ الـتـىـ
نـدـورـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ اـمـىـ .. وـبـدـأـتـ اـعـصـابـىـ تـثـورـ .. وـاـصـرـخـ فـىـ
وـجـهـ اـمـىـ ، وـاتـهـمـهـاـ بـاـنـهاـ تـخـفـىـ عـنـ شـيـئـا .. اـشـاءـ .. وـبـدـأـتـ
نـجـودـ عـلـىـ نـحـطـيـمـ اـىـ شـئـ .. كـلـمـاـ ثـارـتـ اـعـصـابـىـ .. اـحـضـمـ طـبـقاـ ..

او آنية زهر .. فني برة حطمته شاشة التلفزيون .. قذفتها
بمنفحة السجائر ..
وامي تحملنى ..

واونكل عبده يحتملنى فى صبر الرجل الذى يعرف كيف
يصل الى ما يريد ..

وكل شيء يتغير حولى بسرعة .. اسرع من تفكيرى ..
لم نعد نتردد على زيزى .. ولم تعد امى تشجع الرجال الذين
تعرفهم على التردد علينا .. كانها قررت ان تكتفى من كل الرجال
بعد الفتاح .. واصبحت احس ان هناك قوة تدفعنى لتحصرنى فى
ركن ضيق حتى تفترسنى .. قوة خفية لا اراها ، ولا استطيع
ان اقاومها ..

وانا خائفة ..
خائفة ..

حائرة ..
مرتبكة ..

محرومة من الحب ..
وابكي ..
وصحتى تسوء ..
و ..

وفى يوم دق جرس التليفون ، و كنت بجانبه صدفة ، وامي
فى المطبخ ..
ورفعت السماعة ..

وسمعت صوت عادل .. عرفته بعد هذا العمر الطويل ،
وصرخت :
— عادل ..

تم حفظت صوتي حتى لا تسمعني امى ، وقلت :

— جيت امته ..

وقال عادل مى صوت تمزقه انفاسه :

— وصلت البيت من نص ساعة بس .. ما كنتيش بترددى على
جواباتى ليه يا نوجا ..

وقلت وانا اتلفت حولى :

— أنا ما وصلنيش منك ولا جواب .
قال فى دهشة :

— ازاي ده .. أنا كنت بابعut لك كل يوم جواب ..

ـ بعدين بقىت ابعت كل أسبوع .. ما كنتيش مصدق انك حانفضلى
طول عمرك ما ترديش على .. و ..

وقاطعته قائلة :

— انت فین دلوتنى ؟

قال : -

— مى البيت ..

قلت :

— اقدر اشوفك ..

قال :

— طبعا .. أنا جيت مخصوص علشان اشوفك ..

قلت :

— بس مش فى بيتكم ..

قال :

— فین ؟

قلت :

— مى حته ما حدش يشوفنا فيها ..

قال في تردد :

ـ تحبى فين ؟

قلت بسرعة وانا اهمس :

ـ في شقة اخوك .. دلوقتي حالا ..

وضعت سماعة التليفون .. دون ان التفت خلفي ..
دون ان ابدل ثيابي .. سرت على اطراف اصابعى .. وفتحت
الباب في هدوء .. واغلقته بلا صوت .. وخرجت ..

سرت في الشارع بخطوات سريعة .. اكاد اجري ..
وائلفت خلفي خوفا من ان تكون امي قد لحقت بي .. وائلفت
حولى باحثة عن سيارة تاكسي .. ثم تذكرت ان عادل كان يخدمني
من بيته في حلوان ، وأنه لن يستطيع ان يصل الى موعدنا في
شقة شقيقه بالعجوزة ، قبل ثلاثي ساعة على الاقل .. وتذكرت
أيضا انى لا احمل معى نقودا . نسيت ان آخذ معى نقودا ..
وحتى لو كنت قد تذكرةت النقود ، فلم اكن استطيع ان احمل منها
 شيئا ، الا اذا اخذته من امي فهى لم تعودنى على ان تكون لى
نقود خاصة بي .. ولم تخصص لى ابدا « مصروف ايد » ..
فهى دائما معن ، وما اريده تشتريه لى بنفسها ..

وقررت ان اسير على قدمى من الجizة الى العجوزة ..
واختترت ان اسير في الشوارع الخلفية .. حتى لا ترانى امي
اذا ما فكرت في اللحاق بي ..

وسرت طويلا وانا سارحة ، لا اكاد أتبين جوانب الطريق
الذى اسير فيه .. لا اكاد ارى الناس من حولى .. ثم فجأة ..
اكتشفت انى سارحة فى امى .. افker فيها .. وافker فيما يمكن
ان يحدث لها عندما تكتشف اختفائى ... وافker فى الحياة التي
نعيشها معا .. وفي اونكل عبده .. وفي زيزى .. لم اكن افker

فى عادل .. ولم اكن هائمة فى لحظة لقائي معه ، بعد هذه الغيبة الطويلة التى استمرت اكثر من عام .. لم اكن اشعر باندفاعى اليه .. ولا بالشوق اليه .. ولا بحبى له .. كل هذه العواطف والاحاسيس كانت غاية عنى وانا ذاهبة اليه .. كل ما كان يشغلنى هو احساس بانى هاربة من امى ..

وحاولت ان اتعمد التفكير فى عادل .. حاولت ان اتصور شكله بعد هذه الغيبة الطويلة .. هل امتلا وازداد سمنة .. هل لا تزال على شفتيه هذه الابتسامة اللاهية .. هل لا يزال غى عينيه هذا البريق الجرىء .. وحاولت ان املأ صدرى بالاحساس بالحب .. وان اهيم فيه .. وان افرح به .. ولكنى ما لبّقت ان وجدت نفسي اعود الى التفكير فى امى ..

انى متاكدة انى هاربة من امى ..

ولكنى لست متاكدة انى هاربة الى عادل ..

ليس عادل هو السبب فى هروبى ..

ولكنها امى التي اهرب منها ..

انى افر من الحياة التي تعدّها لى امى ..

ولست هاربة الى حياة اعرفها وأريدها لنفسي ..

وبدأت اشك في انى لا زلت احب عادل ..

وحاولت ان اطرد هذا الشك ..

خفت .. خفت ان اكتشف انى لم اعد احب عادل .. وتمنيت ان اكون مخطئة في ظنني .. انى في حاجة الى حب عادل ..

في حاجة الى اى حب ، لينقتني من المصير الغامض الذي انساف اليه .. ليمنعني القوة على مواجهة امى .. واؤنك عبده ..

وهزّزت رأسى كائني انقض عنها ظنونى ..

لاشك اننى لا زلت احب عادل .. وسأكتشف حبى لحظة

لتقاني معه . ولكنها القطيعة الطويلة التي مرت بيتنا هي التي
تثير ظنونى ، وتسلط الشك على حبى ..

هكذا قلت لنفسي .. ثم عدت افكر في أمي .. ولونكل عبده ..
وسرت أكثر من ساعة .. ادخل في شارع وأخرج من
شارع ، دون أن اشعر بالتعب .. افكارى تلهينى عن التعب ..
ووصلت الى العمارة التي تقع فيها شقة شقيق عادل ..
ولكنى أخذت أطوف حولها . الى ان قدرت انه قد مرت فترة كافية
لوصول عادل من حلوان ..
وصعدت الى الشقة ..
لم اكن مرتبكة ..

ولكنى كنت لا ازال افكر في أمي ، لا في عادل ..
وحتى اللحظة التي ضغطت فيها على جرس الباب ، وأنا
افكر في أمي ..
ونفتح الباب ..

وكأنى أفتقت من افكارى .. عدت من عالم بعيد لم يكن فيه
عادل ..

ولم استطع ان اتبينه كله من النظرة الاولى .. بدا أمام عيني
كالمصورة المهزوزة .. وقبل ان اتبينه شدني اليه ، واغلق الباب
بيده الأخرى ، ثم احتوانى فى صدره ، وهو يهمس :
— نوجا ..

وضغطنى اليه كأنه يحاول ان يدخلنى تحت ضلوعه ..
وحاولت ان استريح على صدره .. وملت براسى على كتفه ،
وأغمضت عيني لاتسى كل شيء الا احساسى به .. ولكنى
"استطيع ان انسى .. ولا ان ارتاح .. كل ما احس به انى

مسنونة له .. وضفت باغماض عيني .. ففتحتها ..
واصطدمتا بحائط العرفة الذى أمامى ..

وابعدنى عادل عن صدره .. واخذ ينظر الى بعينين مبتسمتين ..
وانا انظر اليه كأنى ابحث فيه عن حبىبي القديم ..
وخيلى الى أنه تغير ..

عيناه لؤيس فيها هذا البريق الجرىء .. ان فيهما بريقا ..
ولكنه بريق حاد لا يخلو من قسوة .. بريق عينى رجل خاض
معركة الحياة فى اعنف ميادينها .. وابتسامته مستقرة هادئة ..
ابتسامة رجل لم يعد يلهو ..
ونظرت اليه نظرة ثانية ..

لقد ازداد سمنة .. وخيلى الى ان قامته قد قصرت ..
وجوجه أصبح اشد سمرة ، وخطوط عميقة تدور حول جانبي انه
وتحدد خديه .. كانها اثار جراح تركتها معركته هناك .. فى
الصحراء .. وشارب صغير فوق شفتيه .. خيل الى انه شارب
معمر ، لا تزال عليه آثار الرمال التى تذبذبها الريح فى وجوه
ال القوم الرحيل ..

وهمس عادل وهو ممسك بكلتا يدى .. وعيناه تتطلان فى
عينى وابتسامته تنطلق على وجهه كله :
— وحشتينى .. وحشتينى قوى ..

وقلت وبين شفتي شفتي ابتسامة لا احس بطعمها :
— وانت كمان ..

قال ورموشة تهتز فوق عينيه كأنه حائر من اين يبدأ :
— كده تسيببينى من غير ولا كلمة ..
قلت وشىء كخيبة الامل يزحف على صدرى :

— قعدنى الأول يا عادل .. أنا نعبانه موت .. تعرف أني
جايـه ماشيـه من بيـتنا لغاـية هـنا ..

قال :

— مش معقول ..

قلـت :

— أصلـى هـربـت من مـاما .. وـما كـنـش مـعاـيا ولا مـلـيم ..
وـكان لـسـه بـدـرـى عـلـى مـا تـبـيـجـى مـن حـلـوان ..

وـجـذـبـنـى مـن يـدـى وـاجـلـسـنـى عـلـى الـأـرـيـكـة .. نـفـس الـأـرـيـكـة
الـتـى سـفـحت عـلـيـها عـذـرـيـتـى .. وـطـفت بـعـينـى فـوق الـأـرـيـكـة قـبـلـى
اجـلـسـنـى عـلـيـها ، كـائـنـى اـبـحـثـتـ فـيـها عـن شـئـ غـالـ فقدـتـه .. ثـمـ تـعـمـدـتـ
انـ اـجـلـسـنـى فـوق شـخـصـ آخـرـ رـاقـدـ عـلـيـها .. كانـ هـذـا الشـخـصـ
الـآخـرـ هوـ أـنـا .. وـكـائـنـى لاـ زـلتـ رـاقـدـ فـوقـهـا مـنـذـ هـذـا الـيـومـ
الـبعـيدـ ..

وقـالـ عـادـلـ وـهـوـ يـجـلـسـ بـجـانـبـى مـلـتصـقـاـ بـىـ :

— أـنـا مـتـأـكـدـ أـنـ مـامـتـكـ هـىـ الـلـىـ كـانـتـ بـتـاخـدـ جـوـابـاتـىـ وـتـخـبـيـبـهـمـ
عـنـكـ ..

قلـتـ وـاـنـاـ لـاـ زـلتـ هـائـمـةـ فـىـ هـذـاـ الـيـومـ الـبـعـيدـ :

— يـجـوزـ ..

ثمـ التـفـتـ إـلـيـهـ وـاسـتـطـرـدـتـ قـائـلـةـ :

— بـسـ أـنـاـ عـرـفـتـ عـنـكـ حاجـاتـ كـتـيرـ زـعـلـتـنـى .. وـيـمـكـنـ لوـ كـنـتـ
استـلـمـتـ جـوـابـاتـكـ ماـ كـنـتـشـ رـدـيـتـ عـلـيـكـ ..

قالـ وـحـاجـبـاهـ يـرـتـفـعـانـ فـىـ تـسـاؤـلـ :

— عـرـفـتـ أـيـهـ ..

قلـتـ بـلـاـ حـمـاسـ وـدونـ أـنـ أـنـاـلـمـ ، كـائـنـىـ اـتـحدـثـ عنـ مـوـضـوعـ
لاـ يـهـنـىـ :

— عرفت انك خرجت مع اختى ، وجبتها معاك هنا .. فى
الشقة دي ..
وصرخ عادل :

— كدابين .. اللي قالولك كده كدابين .. عايزين يوقعوا بيننا ..
أنا كنت باروح لاماتك الحقيقه وأختك علشان اعرف أخبارك ..
علشان يساعدونى على امك الثانية ..
ونظرت اليه .. ولم يهمنى كثيرا ان اتكلد من صدقه ..
وقلت فى فتور وقد بدات احس بالتعب يسرى فى مفاصلى اثر
المشار الطويل الذى مشيته ..

— يجوز ؟ ..

وقال عادل :

— ما تقوليش يجوز .. صدقيني يا نوجا .. وحياتك عندي
ان كلامهم كدب ..

واجبته وابتسامة فوق شفتي كانى اطمئنه :
— مصدقاك ..

ومرت بينما فترة صمت ثقيلة .. تبادلنا خلالها نظرات
مختلسة .. وخيل الى لحظتها ان كلامنا اكتشف انه صدم
في الآخر .. لست وحدى التي صدمت .. ولكن عادل ايضا
صدم .. ولست وحدى التي شعرت بأن عادل قد تغير .. هو
ايضا شعر باني تغيرت ..

ورغم ذلك كان يجب ان فتاكد من حقيقة عواطفنا ..
كان يجب ان نحاول استعادة حرارة الحب الكبير الذي
عشت فيه صباى وشبابى .. الحب الذى روى أيام عمرى حتى
تفتحت ..

واقترب عادل منى وقال وأنفاسه تطوف بوجهى :

— احنا مش حانسيب بعض بعد كده ابدا يا نوجا .. ولا يوم .. ولا ساعه .. ما حدش يقدر يفرقنا عن بعض .

وقلت وانا ارخي عيني عن عينيه :

— أنا تعبت قوى يا عادل ، من يوم ما سبتنى ..

قال وشفتاه تقريران من شفتى :

— خلاص .. من هنا ورايح ، مش حاتتعبي ابدا ..

وأغمضت عيني ..

كنت اريد قبلته ..

أريد ان اتكلد من انها لا تزال القبلة التي عشت فى ذكرائها طويلا ..

واقربت شفتاه أكثر ..

احس بهما تلامسان شفتى ..

وأنا مغمضة العينين ..

وأتمنى فى قبلته كائنى اذوق طعاما لأنكلد من انه لا ينقصه الملح ..

لا ... ان قبلته ينقصها شيء .. ينقصها الملح .. وشفتائى اللتان أحسست بهما كالبيتيمتين يوم تركهما ، لا أحس بهما كأنها عادتا الى أبيهما ... أحس بهما كأنهما لا يذكران هذه القبلة .. تاهتا عنها ..

وتركته يقبلنى أكثر ..

أخذ شفتى كلهمابين شفتيه .. يعصرهما .. يحاول كل جده ان يبعث فيهما الحياة ..

وشفتائى صامتان .. مستسلمتان ..

وبذلت جهدا كبيرا كى احركهما بين شفتيه .. كى ابدله بثنته ..

ولكنى لا زلت غريبة عنه ..
وتركته يتمنى اكتر ..

يغضبني الى صدره فى عنف .. كأنه يختبئ عن ليستظر
بجسدى ، بعد الشهور الطويلة التى قضتها فى صحراء الكويت
.. ويده تمسح على ظهرى .. واصابعه كلها منفرجة عن
بعضها كأنه يحاول ان يكرمى فى قبضته .. ثم زحفت اصابعه
ومست صدرى .. صدرى الذى كبر بين يديه .. صدرى الذى
أخذه ممسوها وتركه مكورا ناضجا ..
وانا اراقب كل لمسة من لمساته بعقلى .. كانى ابحث عن
صداتها فى جسدى .. وفي قلبي ..

جسدى بارد كالثلج .. واعصابى صامدة كعروق الخشب
.. وقلبى يتملل فى ضيق .. وصدرى لا يستطيع ان يتعرف
على هذه اليد التى ربته ، وانضجته .. انى لا احس بشيء رغم
شهور الحرمان الطويلة التى مرت بي ..
ولكنى لا زلت مستسلمة ..

احاول ان ابحث فى عادل عن حبى ..

ثم مال بي فوق الاريكة .. وانفاسه تحرق وجهى كلفح النار
بعه ولحدى يديه مدمومة فى شعرى ، ويده الأخرى تقفز فوق
كل قطعة من جسدى .. وثقله كله فوقى ..

وأنا لا اطيق ان اغمض عينى ..

ولا اطيق ان افتحهما ..

ووصلت يده الى طرف ثوبى ، وهم ان يرفعه ..

وفكرت ان ابقى مستسلمة ..

لم لا ؟ !

ان من حقه على ان استسلم له .. انه الوحيد فى حياتى

الذى عبر على جسدى .. انه صاحب هذا الجسد .. انه الرجل
الذى صنعني .. وصنع منى امراة .. انه زوجى ، حتى ولو ..
لكن قد تزوجنا ..

ولكنى لم استطع ..

لم اعد اطيق مزيدا من الاستسلام ..

اعصابى تلتوى ..

والزهق يختنقنى ..

ومددت يدى امسك بطرف الثوب حتى لا يرفعه .. ونزعت
شفتى من بين شفتيه .. واشحت بوجهى عن وجهه .. وهمست
— كنайه يا عادل ..

ولكنه لا يريد ان يكف ..

وضايقنى انه لا يريد ان يكف ..

كنت اعتقد انه اكثر رقة ، واكثر حرضا على الا يأخذ منى
اكثر مما اعطيه ..

ولكن .. لعله لا يصدق انى لا اريد .. لعله يعتقد انى اتدلل
عليه ... او انى خجلة من ان اعبر عن حاجتى اليه ..
واضطررت ان اقاومه .. وقلت فى عصبية وانا احاول ان
ازيحه عن صدرى ، وصوتي يفيض بزهى :

— ما تبقاش مجنون يا عادل .. انا تعbanه ..

وانزاح من فوق صدرى ..

واعتدلت من رقتى ، وجلست احاول ان استرد انفاسى ..
وانا احس بشعرات ذقنه الثليلة وقد الهبت وجهى ..

وقال وانفاسه لاهثة :

— احنا لازم نتجاوز يا نوجا .. لازم ..

قلت وانا اساوى شعري بيدي :

— وتفتكر ان ماما حاتسيينا نتجوز ؟ ..
ونظرت الى الباب كأنى اتعجل امى لثائى وتضبطنى ..
وقال عادل :

— مش حانستنا لغاية مامتك ما تسبينا نتجوز .. وافقت
ولا موافقتش ، لازم نتجوز ..
قلت :

— انت عارف ان ماما مش سهلة ..
قال :

— مهمما عملت .. احنا تعينا كتير يا نوجا .. وما تعرفيش
انا تعبت قد ايه في الكويت .. كل يوم كان بيفوت على زى سنه
.. وكان كل الى مصبرنى انى كنت عارف انى باكسب واحوش
علشان ارجع واتجوزك ..

ثم بدأ يحدثنى عن حياته في الكويت .. وعن الاموال التي
ادخرها من عمله هناك ..

وانا انظر بين الحين والحين الى الباب ، في انتظار امى
.. لماذا تأخرت .. لقد مضت مدة كافية لتكلتش هربى ...
ولابد انها عرفت انى هربت الى عادل .. انها لم تصدق ابدا
انى نسيت عادل .. كانت دائما مؤمنة بأنى لا زلت احبه ...
ولابد انها عرفت ان عادل قد عاد من الكويت .. ما دمت قد
هربت .. وربما اتصلت بيته وعرفت من عائلته انه قد عاد
غمرا .. ولابد انه خطر لها انى سالتقى به في هذه الشقة التي
ضبطتني فيها عندما هربت في المرة الاولى منذ اكثر من عام ..
انها ذكية .. وفيها حاسة كلب الصيد ، تستطيع بها ان
تبينى اينما ذهبت ..
لماذا تأخرت ..

وقال عادل وصوته يأتى الى كأنه يشدنى من عالم بعيد :

— أنا حاسس انك اتغيرت يا نوجا ..

ونظرت اليه كأنه كشف سرى ..

وقلت وانا أحاول أن أبتسם :

— اتغيرت ازاهى ..

قال وفى عينيه لوم وعتاب :

— مش عارف .. بس حاسس انك اتغيرتى .. ما بقىتش زى زمان .. ومتهىالى انى ما وحشتكمش ..

قلت وابتسامتى ترتعش فوق شفتي :

— أبدا بس أنا كنت يائسه منك .. وكما كنت عيانه .. من يوم ما شفنا بعض آخر مره وأنا عيانه ..

وقال فى لهفة :

— عيانه ازاي ..

قلت ووجه الدكتور هاشم يقفز فى خيالى :

— باعصابى ..

وامسك عادل بيدي ، وضغط عليها ، وقال :

— وانتى استحملتى كتير يا نوجا ..

ونكست رأسى صامته ..

لقد احتملت فعلا .. وتغيرت .. وانى احس اليوم .. لمى هذه اللحظة .. بكل التغيير الذى حدث لي .. احس انى لم اعد الفتاة التى احببت عادل هذا الحب المراهق المعلق فى السحاب .. احس فى هذه اللحظة بالذات بانى انسانة اخرى غير التى كنت اتصورها .. احس بعقل جديد فى رأسى .. وقلب جديد فى صدرى .. وعالم جديد يحيط بي .. ان هذا العالم الجديد أصبح عالى فعلا ، مهما انكرت ، ومهما ترددت فى الاعتراف به ..

ولكن ما الذى غيرنى ؟

هل هو مجرد مرور الزمن ..
ام انى كنت احب عادل كفتاة ، ثم لم استطع ان احبه
كاميرا ..

ام هو يأسى من عادل .. أيام ان انتزعتنى منه امى ، وحطمت
جي ..

ام هم عشرات الرجال الذين رأيتمهم فجأة حولى ، وكأنى
نبهت الى ان هناك رجالا غير عادل .. كلهم معجبون بي ..
وكلهم يحبونى .. ولكل منهم اسلوب فى اعجابه وحبه ، ويختلف
عن اسلوب الآخر .. ويختلف عن اسلوب عادل ..

ام هو البذخ والاسراف والهدايا الكثيرة التى اذهلتني ..
ام هو هاشم ..

لماذا احضر هاشم فى كل حديث بينى وبين نفسي .. ان
هاشم مر فى حياتى مرور النسمة العابرة .. ولا يمكن ان يكون
قد ترك فيها أثرا يغيرنى .. ولكن .. من يدرى .. لعل هاشم
قد غيرنى فعلا .. لعله هو الذى جعل لي ذوقا آخر فى الرجال
.. لقد مرت أيام اعتقدت فيها ان هاشم يستطيع ان يحل فى
قلبى محل عادل .. صحيح انى احسست ان تفكيرى فى هاشم
هو مجرد طموح .. مجرد حلم بعيد .. ولكن فى هذه الأيام ..
نحطمت صورة عادل فى قلبى .. لم يعد عادل هو مثلى الاعلى ..
اصبح مثلى الاعلى هو هاشم .. شخصيته .. طبيعته .. حنوه
.. وعمره الأربعين .. ومن يومها وانا ابحث فى الرجال عن رجل
مثل الدكتور هاشم ، لا مثل عادل ..

واقرب منى عادل مرة ثانية ، وحاول ان يقبلنى .. ولكن

ـ١ـ كادت شفتاه تلمسان خدى ، حتى نفرت منه .. وهمست فى حزم :

ـ سينى دلوقت يا عادل ..

وابتعد عادل وهو ينظر الى بعینين واستعنين ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة مسکينة .. كأنها ابتسامة رثاء .. يرثى بها حبنا ..

وعدت التفت الى الباب كأنى استغيبت بأمى .. استغيبت بها من حيرتى ..

لماذا تأخرت منى

ووجدت نفسى الوم أمى ، لأنها تأخرت .. ثم أخيرا ..
ارتفاع رنين جرس الباب ..
وانطلقت فرحة خبيثة من صدرى .. وقلت كأنى أخاطب نفسى :

ـ دى لازم ماما ..

وقال عادل :

ـ اذا مش حافتتح ..

وقلت كأنى أرجو :

ـ لو ما فتحتني حاتفضل ماما تضرب الجرس ، انشالله
لغاية بكره الصبح .. وتعمل لك فضيحة من العماره .. ويمكن
تجيب البوليس ..

واكهر وجه عادل وقال كأنه يستعد للحرب :

ـ طيب قومى خشى جوه .. وانا حا اقول لها انك مش هنا ..

قلت وانا اشفع هليه :

ـ ما فيش فايده يا عادل .. لازم نواجهها بصرافه ..

ونظر الى عادل طويلا ..
وجرس الباب لا يكفر عن الرنين ..
وأنا التفت الى الباب .. ثم التفت الى عادل فـى رجاء ..
وزرنين الجرس يملا اذنى كأنه جرس سيارة المطافئ فـى طريقها
الى اطفاء حريق ..
وزفر عادل انفاسه ، ثم قام وفتح الباب ..
وكانت امى ..

مرتبية معطفهم الاسود ، وعمامتها السوداء ، ووجهها
المكرمش اشد قسوة ، والتجاعيد اكثـر عمـقاً كـانـها جـروح قـديـمة
جـفت ، وعيـنـاها مـلـهـوقـتـان ، قـاسـيـتـان ، فـيهـمـا تـحدـدـ مـرـبـع .. وـخـلـفـهـا
ثـلـاثـ من سـعـيـات جـمـعـيـة نـورـ الـهـدى ، مـتـشـحـات بـطـرـحـهنـ الـبـيـضـاء
كـائـنـهـاـ الاـشـباح ..
ومـاـ كـدـتـ اـرـاهـاـ حـتـىـ اـمـتـلـاـ صـدـرـىـ بـشـعـورـ التـحـدى ..
تحـدـ سـاخـر ..

شـعـورـ اـقـرـبـ الىـ الشـمـاتـة ..
وـنـظـرـتـ اـمـىـ كـانـهاـ تـصـفـعـنـ بـعـينـيـها .. وـقـالتـ فـىـ صـوتـ
مـبـحـوحـ :
ـ كـوـيسـ كـدـهـ يـاـ سـتـ نـوـجا .. كـوـيسـ لـعـبـ العـبـالـ دـه ..
وـانـكـاتـ عـلـىـ مـسـنـدـ الـأـرـيـكـة .. وـقـلتـ بلاـ مـبـالـاـ :
ـ أـنـاـ حـرـه .. مـاـ حـدـشـ لـهـ دـعـوهـ بـى ..
وـصـرـخـتـ :

ـ لـاـ اـنـتـ مـشـ حـرـه .. اـنـتـ مـشـ سـايـيـه .. اـنـتـ وـرـاكـىـ
اـهـلـ لـازـمـ تـحـسـبـىـ حـسـابـهـ ..
وـالـتـفـتـ سـيـدـاتـ نـورـ الـهـدىـ حـولـى .. بـطـرـحـهنـ الـبـيـضـاء ..
وـأـجـسـامـهـنـ الـضـخـمـة .. كـائـنـهـنـ قـرـنـ خـطـفـى .. اوـ قـتـلـى ..

وقال عادل ؟

— احنا حاتجوزا .. وما حدش حا يقدر يمنعا من الجوازا .. كفايه ضيعتى من عمرنا سنه .. حرام عليكى .. انتى .. غيش فى قلبك رحمه .. وقالت امى :

— لو صحيح قلبك عليها كنت جيت اتجوزتها ان بيت اهلها .. بنت الناس ما بيتجوزوش فى الشارع يا سى عادل .. نم التفتت الى ، وقالت فى حزם :

— قومى يا سنت نوجا وكفايه فضائح .. قومى معايا .. وقلت كانى أغطيتها :

— لا .. مش قايمه .. مش عايزة ارجع بيتك تانى .. وقالت فى تأثر :

— ده مش بيتنى يا نوجا .. ده بيتك زى ما هو بيتنى .. ولو انها تركتني فى هذه اللحظة ، لجريت وراءها ، ولحقت بها .. ولكنها لم تركتى .. وقفت امامى تلح على .. والنساء المتشحات بالطرح البيضاء صامتات ينظرن الى بعيون جامدة .. ثم قالت امى وهى تتنهد :

— قومى معايا يا حبيبى .. وعادل بيجى يتقدم لك فى بيتك .. وأحلفك انى مش حا اعارض .. كفايه اللي حصل .. واللى لنقى عايزة حا يتعلمل ..

ونظرت اليها فى تعجب ..
غاظنى استسلامها ..

انها لا تدرى انى لم اعد اريد الزواج من عادل .. لا تدرى انى اكتشفت ان حبى قد ذبل .. اصبح كوردة كنت قد وضعتها بين صفحات كتاب .. ولم يبق من عبرها الا الذكرى ..

وتفزت راقفة فى حدة :

— طيب انتضللى .. اما اشوفا ..

وقال عادل وهو ينظر فى وجه امى كأنه لا يصدقها :
— انتى بتتكلمى جد يا طنط ..

وقالت امى وهى لا تنظر اليه :

— طبعا يا عادل .. انا عايزة ايه غير سعادة نوجا ..
وقال عادل بحماس :

— افوت عليكم الليله دى ؟ .

وقالت امى :

— خليها بكره ..

ثم احاطتني بذراعها وجذبتنى ناحية الباب ..
وخرجنا دون ان التفت الى عادل ..

وخلقنا الثلاث المتshortات بالطرح البيضاء ..

ووجدت فى انتظارنا أمام باب العمارة سيارة عبد الفلاح
بيه رفعت .. اونكل عبده .. يقودها سائقه الخاص ..

وجلسنا داخل السيارة .. انا فى الوسط ويجانى امى ..

وحولى سيدات جمعية نور المدى .. كانى مجرمة ، قبض عليها ..
وفى طريقها الى السجن ..

ولم اتكلم خلال الطريق ، ولا كلمة ..

وشعور جارف باليأس يملؤنى ..
اليأس من كل شيء ..

من الحب .. ومن المستقبل .. ومن السعادة .. ومن
نفسى ..

ووصل ؟اليأس الى قمته فانقلب الى احساس باللامبالاة ..
لم اعد ابالى بشيء مما يجرى حولى .. لم اعد ابالى بما يمكن

ان يحدث لي .. بل لم اعد ابالى بآن اسائل نفسي عما أريد ..
ولا بآن اضع معنى لتصرفاً ..
وهززت كتفى ، وانا اخاطب نفسي ، كأنى اؤكد احساسى
باللامبالاة .. وقالت امى وقد لمحت هزة كتفى :

— مالك ..

قلت :

— ولا حاجة ..

ثم ابتسمت ابتسامة بلهاء ..
ووصلنا الى بيتنا ..

ودخلت حبرتى ، وانا منتظرة ان تلتحق بي امى لتسائلنى عن
التفاصيل .. كل التفاصيل .. التفاصيل التي تشبع شهوتها
العجبية لمعرفة ما يجرى بين الولد والبنت ..
ولكنها لم تلتحق بي ..

ظللت مشغولة عنى .. تتحدث طويلاً من التليفون .. وحولها
سيدات جمعية نور المدى ..

وحوالى الساعة الثالثة ، سمعت رنين جرس الباب .. نم
سمعت صوت اونكل عبده .. وانتظرت ان تأتى امى لتستدعينى
ل مقابلته كعادتها .. ولكنها لم تأت .. وتمسكت بعنادى .. ولم
خرج من غرفتى ..

وبعد اكتر من ساعة ، جاءت امى ووقلت امامى ووجهها
صارم جامد وقالت فى لهجة حازمة :

— عبد الفتاح بيه عايزك ..

قلت بلا مبالغة :

— ليه ؟ ..

قالت :

— ودى كمان فيها ليه .. ما تقومى تشوفى عايز ايه ..
وهززت كتفى .. وقمت وأنا بقميص النوم ، وارتدت غوفة
الروب ، وهمت بالخروج من الغرفة .. وقالت أمى :
— مش تلبسى فستان أحسن ..
قلت :

— مافيش لازمه .. اونكل عبده مش غريب ..
وخرجت ..
وقف عبد الفتاح يستقبلنى ..
وابتسامة كبيرة على شفتيه الفامقتين ، وقال فى حنان
مفتعل :

— أنا زعلان منك يا نوجا .. كده تخضينا عليكى .. دى
عمابل دى ..
وقلت :

— مش مهم ..
ثم جلست بجانبه .
ونظر الى أمى .. ونظرت اليه أمى .. ثم التفتت الى الى
قالة ، وهى تدفع أمامى ورقة كانت موضوعة على المائدة
الصغيرة :

— خدى امضى هنا ..
قلت فى دهشة :
— ايه دى ...
قالت :
— دى يا سقى ورقه علشان تانى مره ما تحاوليش تتجوزى
من ورانيا ..
قلت :

— مثل فاهمه ..

قالت :

— ما هو انا ما اقدرش استحمل اكتر من كده .. ما اقدرش
اعيش وانا خايفه في كل لحظة انك تهربى وتتجاوزى من ورانيا
.. الورقه دى تمنعك من انك تتجاوزى من غير ما نعرف ..
وبيوم ما تحبى، تتجاوزى ، نبقي نقطعها ، ونجوزك اللي انتي
عايزاه ..

قلت :

— ودى تبقى ورقة ايه دى ..

قالت أمى في حزم :

— ورقة جواز ..

قلت :

— يعني حا اتجوز ..

قالت :

— جواز كده بس لغاية ما تتجاوزى ب صحيح ..

قلت وانا اضحك :

— وحاتجوز مين باه باذن الله ..

وقالت أمى ووجهها بيتسم :

— عبد الفتاح بييه ..

وارتفعت ضحكتى ، كأنى اصرخ بها ، واستطردت أمى قائلة :

— الراجل الله يخليه ، حب يهدى سرى .. واتفقنا اتنا

نكتب الورقة دى .. يعني زى ما تقولى كده جواز عرفى ...

انما ما فيش اكتر من الورقة ..

وقلت وضحكتى لا تزال تصرخ وتملا البيت كله :

— صحيح حا تتجاوزنى يا اونكل ..

وقال عبد الفتاح بيه وعلى شفتيه ابتسامة هادئة :
— يا ريت يا نوجا ..
وقلت :

— وانا فى ديك الساعه يا اونكل .. حد طايل ..
وຈذبت الورقة ، وأمسكت بالقلم ، وقلت وانا أوقع دون
ان اقرأ شيئا :

— واديني مضيت ..
واخذت امى الورقة وطوطتها بعنایة ، ووضعتها فى صدرها
.. وقالت :

— لازم تفهمى انك لو اتجوزتى دلوقتى حد تانى .. قبل ما نقطع
الورقة دى .. حاتخنى السجن .. تبقى كأنك متجوزه اتنين ..
وقلت بلا مبالاة :

— ما تخافيش ..
وقال عبد الفتاح وهو ينظر الى بعينين هادئتين :

— وخدى ده كمان يا نوجا ..
وناولنى « شيك » ..
قلت :

— وده ايه كمان ..
قلت :

— ده المهر .. مش اللي بيتجوز بيدفع مهر ..
ونظرت فى الشيك .. انه بمبلغ الفى جنيه .. وهو مكتوب
باسم امى .. لا باسمى أنا ..
مهرى الفين جنيه .. كوييس !! ..
وابتسمت لعبد الفتاح بيه ، وقلت :

— مرسى يا أونكل ..
ثم انحنىت أقبله قبلة سريعة على خده ..
وقدفت بالشيك أمام أمى ..
وجريدة الى غرفتى ..
وجاء أونكل عبده خلفى ..

- ٣ -

هذه الورقة التي وقعتها بامضائى ، والتى لم اقرأها حتى
اليوم ، والتى تسمىها أمى ورقة زواج .. هذه الورقة حققت
لامى كل أمانيتها ..

وكانت كل أمانيتها أن تتزوجنى لرجل لا يأخذنى منها .. رجل
يتركنى لها .. زوج يتنازل عن كل حقوقه ، لها ، الا الحق
الوحيد الذى لا تستطيع أن تباشره بنفسها !

وكان عبد الفتاح بيته رفعت ، هو هذا الرجل ..

ولم يكن عبد الفتاح يريد أن يتزوجنى .. كان الزواج بمعنى
الزواج أبعد ما يكون عن خياله .. ولكنه كان يريد أن يأخذنى
.. بأى ثمن .. وكان يعلم أنه لا يستطيع أن يصل إلى عن طريق
قلبي .. ان عقليته وأسلوبه في الحياة لا يحتملان هذا الطريق
.. ثم انه كان يعلم أن هذا الطريق مسدود أمامه .. ليس عنده
شيء يمكن أن يفتح به قلبي .. كل ما عنده هو ثراوه .. ماله ..
فالطريق الوحيد هو أن يشترينى .. يشترينى من؟ ! من نفسي !!
لا .. لقد اكتشف أنتى لست حرة نفسى .. عرف أنتى ، سواء
سرادتى أو بغير ارادتى ، ملك لامى .. فقرر أن يشترينى من أمى

.. وبعقلية المقاول بدا يقاول أمى على وصبر طويلا على مساومتها .. مساومات كانت تجرى من وراء ظهرى .. لا اعلم بها .. وأمى ليست هيئه .. أنها تستطيع أن تساوم .. وهي فى الوقت نفسه ليست سيئة إلى حد الماجاهدة بسوئها ، فهى ت يريد أن تجد غلالة تغطى بها عملية البيع والشراء .. ولكنها كانت تعلم طول الوقت أن هناك مصلحة مشتركة بينها وبين عبد الفتاح .. فعبد الفتاح يريد أن ياخذنى ، ولكنه لا يريد أن يأخذنى منها .. بالعكس .. أنه حريص على بن يقيني معها .. فهو متزوج وله أولاد كبار ، وله مركزه الاجتماعى الذى يحرص على مظاهره ، وكل ذلك يفرض عليه أن تبقى علاقتى به فى السر .. لا يعلم بها أحد .. وكى لا يعلم بها أحد يجب أن أبقى مع أمى ، وأن تبقى نى كل مظاهر البنت التى لم تتزوج بعد .. حتى لو كان من بين هذه المظاهر أن يتقدم لى الخطاب .. وهذا يرضى أمى .. أنها تستطيع بذلك أن تضمن أنى سأبقى لها إلى الأبد .. ملكا خاصا .. فى بيتها .. أمام عينيها .. هى وحدها صاحبة الحق على .. ليس هناك رجل يشاركه! فى سلطتها على ..

وقد انتهت المساومة إلى الاتفاق على كتابة هذه الورقة .. التي تسمىها أمى زواجا .. أو زواجا عرفيا .. أنها فى الواقع عقد بيع .. وعقد بيع من نسخة واحدة تحفظ به أمى .. فقد رفضت أمى أن يكتب العقد من نسختين يحتفظ عبد الفتاح بالنسخة الثانية منها ، حتى لا يكون له حق يشهده فى وجههما وتكون هى وحدها صاحبة الحق عليه .. ورضى عبد الفتاح .. لأنه لم يكن يريد أن يكون له حق أكثر من الحق الذى يعلم أن أمى وافقت عليه ..

وكانت هذه الورقة هي الغلالة التى طوت فيها أمى ضميرها

.. انها لا تبىعنى .. انها لا تعطينى لرجل فى الحرام .. ولكنه زواج .. زواج عرفى .. فيه كل ما يتطلبه الشرع .. والدين الحنيف ..

ورغم ذلك ترددت امى فى ان تعرض على مشروع هذا العقد .. كانت خائفة منى .. خائفة من ان تفقد بقية هيبتها امامى .. الى ان هربت الى عادل ..

وكانت تعتقد انى لم ابرأ من حبى لعادل .. وانى لن اكتفى عن محاولة الهرب اليه ، والزواج به رغم اتفقا .. فقررت ان تنفذ مشروع الاتفاق بينها وبين عبد الفتاح ..
ان تزوجنى له ..

هذا النوع من الزواج !

وكل ذلك لم اتبينه لحظة ان وقعت على الورقة .. لم اعط نفسي مهلة للتفكير .. كنت واقعة فى براثن اليأس الذى انتقلب الى لا مبالاة ، بعد ان اكتشفت الفراغ القاتل الذى يملأ قلبى بعد ان تأكيدت انى لم اعد احب عادل .. وان كل ما كنت احس به نحوه ، لم يكن سوى وهم تشيره ذكريات حب مراهق .. حب لم يكبر مع عمرى .. تخلف مع طفولتى ..
ودخل عبد الفتاح ورائى الى غرفتى ..

تركته امى يدخل ورائى ، ويقيت منتظرة قريبا من الباب .. فى حجرة الضيوف .. وابى المشلول فى حجرته ، لا يدرى شيئا من كل ما يجرى فى بيته ..

والقيت نفسي على الفراش وانا لا زلت بالروب ثوق قميص النوم .. ونظرت الى عبد الفتاح نظرة لا مالية .. ربما كان فيها كثير من السخرية ..

جلس على حافة الفراش .. وأخذ يتكلم .. لم يكن يهمنى
ما يقول ولكن كنت اريد أن اسمع كلاما .. أى كلام .. كلام
يشعرنى بأن هناك شيئاً يحدث فى حياتى .. أى شئ ينتشلنى
من هذا الركود .. من هذا السنام .. من هذا الفراغ ..

وعيناي تطلان على وجهه .. ربما كنت اسمع كلامه بعينى
أكثر مما اسمعه بأذنی .. اسمعه ينطلق من تجاعيد وجهه
الأسمر .. سمرة تميل إلى زرقة .. ومن السنوات الخمسين
التي تحيط بعينيه .. ومن شفتته الرفيعتين الحازمتين اللتين
يملى بهما مشيئته على الناس .. ومن أصابع يديه القصيرة
الغليظة كأنها تأكلت وهو ينبش بها الأرض بحثاً عن كنز هارون
الرشيد ..

وخطر على بالى سؤال ..

هل يحبنى ..
عبد الفتاح .. هل يحبنى ؟

غريبة أن أسأل نفسي هذا السؤال .. إن موضوع الحب
لم يكن أبداً موضوعاً بيننا .. هو يعلم ذلك .. وأنا أعلم ..
ولكن لماذا الغى الحب بيننا .. لماذا افترض أن كل ما هو بيننا
هو بيع وشراء .. أنه لم يسترقى إلا لأنة يحبنى .. وأنا .. وأنا
لم أبعه نفسي إلا لأنى وجدت فيه شيئاً أحبه .. ربما احساسى
بقوته .. أقصد قوة ثراه .. قوة نفوذه .. قوة صبره على طول
الشهور التي مضت .. قوة ذكائه الذى استطاع أن يصل بها
إلى .. قوة اهتمامه بي .. أنى لم أحس بكل هذا تجاء أى رجل
آخر من الرجال الذين قدمتهم إلى زيزى ..

ووجدت نفسي أسأله كائني أحاديث نفسي :

— بتحبني يا أونكل جعه

وابتسم عبد الفتاح ابتسامة الرجل الصبور ، وقال :
— قوى يا نوجا .. باحبك قوى .. أنا كل ما ابص لك
يتهيألى انى لسه عندى خمسه وعشرين سنه .. وكل ما بتضحكى
بتهيألى ان الدنيا كلها بتضحك .. بتضحك لى انا ..
وسرحت ..

احاول ان احس بصدى كلماته فى قلبي .. انى فى حاجة الى
الحب .. اى حب .. وحاجتى الى الحب هى التى تدفعنى الى
التفكير فى الحب ..

ونظرت الى عينى عبد الفتاح .. وفيهما لمعة خاطفة .. انه
يحبنى بطريقته الخاصة .. طريقة الرجل الغنى .. يحبنى كما
يحب تحفة .. كما يحب عمارة .. حب تغلب عليه انانية الاملاك
.. كحب امى .. ولكن حب ..

وافقت من خيالى ، وعبد الفتاح يقترب بشفتيه من شفتي ..
ولم احاول ان اهرب من شفتيه ..

خيل الى ان محاولة الهروب ، لا داعى لها .. فانا وقعت
الورقة .. والرجل دفعنى جنبه .. وامي تقول ان هذا زواج
.. ثم انى أريد ان يحدث لى شيء .. ان اتسلى بشيء .. اى
شيء .. لا ابالى بأى شيء ..

ثم تملكتى شعور جارف بانى أريد ان اترجع على عبد الفتاح
ببه رفعت ، الغنى المشهور ، صاحب النفوذ .. وهو يمارس
الحب ..

وتراجعت ..

وتراجعت على شفتيه وهما تحركان بين شفتي .. نى اشتئاه
عنيف جشع .. وتراجعت على عينيه تبرقان احياناً كائناً ستنطلقان
من وجهه ، ويغمضهما احياناً كأنه يحفظ بهما لنفسه ، خوفاً من

ان يدركاه ويفرأ الى .. وترجت على يديه الثقلتين الجافتين ،
وهما تختاران الاماكن التي تتحسانها من جسدي .. وترجت
عليه وهو يطلع ثيابه في هرولة مضحكة ، وترجت على وجهه
وهو يحتقن ويزدرد ويُسخن .. وترجت على انفاسه وهي تفع
وثلثه .

ترجت ..

كل ما احسست به ، هو احساس المترجة .. كأنى اشاهد
فيلما سينمائيا .. للبار فقط .. كان هذا الجسد ليس جسدي
.. وكان كل ما حدث لا يحدث لي .. انا بعيدة .. هناك مقاعد
المترجين .. اترج ..

ولم اذكر ساعتها انى لست عذراء ..
لم يخطر على بالى هذا الموضوع ..

ولم يحاول عبد الفتاح ان يذكرني به .. لم تبد على وجهه
دهشة عندما اكتشف انى لست عذراء .. ولم يسألنى ، ولا علق
 بشيء ..

ربما لانه كان يعلم بينه وبين نفسه ، ان العلاقة بيننا لا تتطلب
ان اكون عذراء ، ولا تعطيه حقا ليحاسبنى على الماضي .. وربما
لان عقد البيع لم يسجل فيه انى عذراء ..
المهم ان هذا الموضوع لم يقلقنى ابدا طول فترة علاقتى بعد
الفتاح ..

ولكنى يومها .. وبعد ان ارتدى عبد الفتاح ثيابه ، وخرج
ليشرب فنجان قهوة مع امى .. بدأت احس احساسا جديدا ..
احسست بأنى سخيفة ..

كل ما حدث .. سخافة !
وانا .. سخيفة ..

استسلامي سخيف ..
وأفكارى سخيفة ..
والفيلم الذى شاهدته سخيف ..
انى لست نادمة ..
ولا سعيدة طبعا ..
ولا أريد أن ابكي ..
ولا أريد أن ابتسم ..
نقط .. سخيفة !

واحساسى بالسخافة يملؤنى .. يسرى فى كل عروقى ..
انه احساس مؤلم .. ليس هينا ابدا الشعور بالسخافة ..
انى احس بشئ ينزع من قلبي .. واحس بأعصابى تتلوى ..
ولا استطيع شيئا .. ليست لي دموع تريحنى .. ولا اجد دافعا
للصراخ حتى اصرخ وارتاح .. ولا استطيع ان اليوم احدا ..
ولا امى .. ان السخافة عذاب متجمد .. اصم .. كالخشب ..
كعمود من الحديد احمله فى صدرى .. واتلوى فى فراشى ..
واخفى وجهى فى وسادتى .. وأضرب عليها بقبضتى .. وصدرى
صيق ..

وجاءت امى بعد ان خرج عبد الفتاح من البيت ، لتسمع منى
التفاصيل .. كل التفاصيل .. ورفعت اليها رأسى فى زهرى ،
وقلت بلا صراغ :

— سيبينى دلوقتى يا ماما .. أنا تعبانه ..

وخرجت امى ..

ولكنها عادت لتنام بجانبى طول الليل ، فى انتظار ان تسمع
التفاصيل .

انها لن تستريح ابداً . الا اذا سمعت التفاصيل .. كل التفاصيل ..

وتحيرت حياتنا بعد ذلك . بفضل سخاء عبد الفتاح ..
انتقلنا من شققنا الصغيرة في الجيزة ، الى فيلا في شارع الهرم ..

وجدتنا اثاث البيت كله ..
وأصبح عندنا طباخ وسفرجي ..

وفى عبد ميلادى اشتريتلى عبد الفتاح سيارة اوبل كابتن ،
لونها أبيض .. ورفضت امى ان اتعلم قيادتها .. خافت على ..
وربما خافت ان اهرب بها .. وأصبح عندنا سائق ايضا ..

وعلاقتى بعد الفتاح لا تزال سرا .. لا يعلمه احد ..
والذين يعلمون لا يعلمون اكثر من انه صديق العائلة ، وبعضهم
يعتقد انه تردد لنا .. ولا زلت اناديده امام الناس ، وامام ابى
ايضا « اونكل عبده » . وهو لا يأنى لزيارتنا اكثر من مرتين فى
الاسبوع .. ويأتى غالبا فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وينصرف
فى السادسة .. وتستعد امى لزيارتة بأن تخلى البيت الا منى
ومنها .. تصرف الطباخ .. وترسل المسائق فى مشوار ..
تكلف السفرجي بأن يأخذ ابى المشلول فى كرسيه ذى العجلات ،
ويخرج به فى نزهة بشارع الهرم .. ثم يأتي عبد الفتاح الى
غرفتي .. وتجلس امى قريبا من الباب ..

وعندما يعود ابى من نزهته ، يكون عبد الفتاح قد خرج
من غرفتى وجلس مع امى فى الصالون ، يشرب فنجان القهوة ..
ولم يكن ابى يحب عبد الفتاح ولم يكن يكرهه .. ولكنه
مستسلم لوجوده وسط العائلة .. استسلامه لكل شيء
وربما كان يشعر ببعض الاعتزاز بأن يكون أحد أصدقاء العائلة

رجلًا مهما مثل عبد الفتاح بيه رفعت .. ريمًا .. فاني لم استطع
أن أعرف أبداً حقيقة شعور أبي نحو عبد الفتاح .. لسانه المشلون
كان يمنعه من التعبير عن شعوره .. وعيناه كانتا تصمتان
وتموتان كلما رأى عبد الفتاح أو تحدثنا عنه أمامه ..
وفيما عدا هذا ، كنت أعيش حياة فتاة عادية ..
فتاة ..

بنت رجعه

أمي تعاملنى أمم الناس على أنى فتاة ، وتأخذنى وتزور
بي العائلات ، وتقبل الحديث عن خطوبتى .. بل أنها لا تمانع
في استقبال الخطاب .. وانا بدورى لا أمانع في أن أبدو أمم
كل خطيب تعرضه على احدى صديقات أمي الكثيرات .. غريبة ..
أن خطابى كبرون .. وكلهم يلحون .. أمى هي التي ترفضهم
دائما .. وعادل لا يزال يحاول أن يتصل بي .. ولكنها محاولات
يائسة .. وانا أريده ان يظل على اتصال بي .. فقد كان عادل
هو سلاحى الذى أهدد به أمى .. أهددها بالهرب اليه والزواج
منه .. وكانت أمى لا تزال مقتنة بانى احبه ، وكنت اتركها على
اقتناعها .. حتى تظل خائفة .. وافتعم معها خنافس أهددها فيها
بالهرب الى عادل .. لتخاف أكثر ..
ولكنى أشعر بالسخافة ..

الاحساس بالسخافة لا يفلرقنى أبدا .. سخافة حياتى كلها ..
سخافة التمثيلية التي أعيش فيها .. وأحاول ان أهرب من هذا
الاحساس بالسخافة .. فاماًلا وقتى باشياء تافهة .. كل يوم
أنزل أنا وأمى لنطوف بالحوانين .. وأشتري .. أشتري فى
جنون .. أشتري بلا مزاج وبلا ذوق .. وفلوس عبد الفتاح
لا تنتهى .. وكل يوم اذهب الى سينما او فى زيارة .. ثم عرضت

على أمى أن نعود الى زيارة زيزى .. ورفضت أمى .. لقد كانت ت يريد أن تكون من مجتمع زيزى بعد الفتاح .. ولكن صرحت .. أنى زهقانه وأريد حياة تشغلى عن نفسي .. وأريد حياة صاحبة .. مزدحمة .. حفلات .. ورجال .. ورقص .. ولكن أمى ترفض .. وشكوت لعبد الفتاح .. ولم يكن عبد الفتاح يرفض لى طلبها .. فاستطاع أن يقنع أمى بأن تسمح لى بزيارة زيزى .. وقال لها :

— ما دام أنت معها يا عزيزه هاتم .. أنا مطمئن عليها ..
وردت أمى قائلة :

— أنت عارف يا عبد الفتاح بيه أنت مش موافقه على عيشة زيزى .. والناس بتتكلم عنها كثير .. واحنا مش ناقصين كلام .. نوجا لسه صغيره ومتش زى الستات اللي بينلموا على زيزى ..

وقال عبد الفتاح كأنه يدخل مع أمى فى مبارأة نفاق .. وكل منها يعلم حقيقة الآخر :

— يا ستي .. الناس بتتكلم على بعض بالحق والباطل .. والحقيقة زيزى سنت مسلية ، وينحب نوجا .. وما دام أنت معها .. خلاص .. أنت الخير والبركة ..

وكان عبد الفتاح مطمئنا على فعل ما دامت أمى معى .. كان واثقا أن أمى تعمل لحسابه .. أصبحت موظفة عنده .. وظيفتها أن تحفظ بي له .. وتعدنى له .. وتسجننى له .. ويصل عن طريقها الى كل ما يريد منى ..

وعدنا الى حياة زيزى ..
أنا وأمى :

ولكن زيزى لم تعد تعاملنى على أنى فتاة جديدة على مجتمعها

.. لم أعد في نظرها فتاة مازجة .. ولم تعد أمي أما مازجة .. لقد عرفت أننا أخذنا عبد الفتاح .. صحيح أنها لا تعلم بمدى العلاقة التي أصبحت تربطني بعد الفتاح .. لا تعلم بأمر الورقة المكتوبة بيننا .. ولكنها تعلم كل شيء بعد ذلك .. بل أنها في أول يوم عدنا إلى زيارتها قالت وهي تطلق ضحكتها الصارخة :

— وازاي عبد الفتاح بيه .. ده من يوم ما شافك عندى أول مره ما حدش شافه .. إنما مش والنبي راجل كريم .. مش قلت لك .. ما فيش حد في كرمه أبدا .. دم بيرمى الفلوس .. رمى ..

وكانت تتكلم وهي تنظر إلى ثوبى ، والى الساعة التي نى معصمي ، والخاتم الذي في أصبعى ..

ورغم ذلك لم تكن زيزى تمانع في أن نعود إلى صداقتنا .. فهى في حاجة إلى كل وجه جميل تستطيع أن تزين به سهراتها ، وترضى به أصدقاءها الكثيرين ..
وبدأت أستهر في المحال العامة ..

وأصدقاء زيزى يترددون على مستوى معين من المحال العامة .. الأوبرا .. الشجرة .. الاريزونا .. هناك مستوى آخر من المحال لم اذهب اليه مع شلة زيزى .. شبرد .. وسمير أميس .. وألهيلتون .. هذه المحال ذهبت إليها مع شلة أخرى ..

واذا لم أستهر في المحال العامة سهرت في الحفلات الخاصة التي تقيمه صديقات زيزى .. وكلهن زوجات .. ازواجهن مغفلون ..

ونظرات الرجال من حولى تلسعنى ..

انى لازلت اجمل وأصغر من في الشلة .. فـ
وكتت اتسلى بلسع نظرات الرجال .. ولكن أصبحت

عصبية .. انى اضحك فى عصبية .. واتكلم فى عصبية ..
واتحرك فى عصبية .. والبس واتزين فى عصبية .. ذوقى فى
اختيار ثيابى أصبح ذوقا عصبيا .. أصبحت انتقى ثيابا تكشف عن
مساحات كبيرة من لحمى .. واتزين زينة فاقعة .. لا لشيء ..
لا لأنى عصبية .. وأحيانا اجرح بعصبيتى دون قصد .. القوى
كلمة تجرح .. او ضحكة تجرح .. او حركة تجرح .. وأمى
بجانبى بمعطنهما الاسود وعمامتها السوداء .. كخفيه الدرك ..
تحاول أن تحمينى من عصبيتى .. ومن الرجال .. لا تستمع لى
منهم الا بلسغ نظراتهم ..
واحساسى بالسخافه يشتد ..

أعود الى البيت الالتوى فى فراشى ، وأخفى وجهى فى
وسادتى ..

ولا شىء يريهنى ..

يرىهنى من سخافتى ..

وكلما شغلت نفسى فى هذه الحياة ، شعرت بفراغ اكثر ..
كأنى أعيش فى كيس مثقوب كلما ملأته فرغ .. أن الفراغ فى
داخلى .. انى أعلم انه فى داخلى .. فى قلبى .. فى احساسى
.. فى رأسى أيضا .. ليس فى رأسى شىء لأنى أصبحت أخاف
ان أفكر .. وهذا الفراغ ، هو الذى يترك المجال للإحساس
بالسخافه ..

والسخافه تأكل من جسدى ..

اعصابى تمتص صحتى ..

انى أضعف .. وأحس .. ولوئى يذوب .. وزرقة باهته
تحت عينى .. ثم بدات أشعر بالالم فى [ُ]مفاصلى .. أخفيته عن
امى .. لم أشك .. ولكن الالم يشتد .. وأحس به ينتقل وينشر

.. وأنا أقاوم في صمت .. وأقاوم أكثر لاستمر في هذه الحياة
العنيفة التي أعيشها .. وتمر بي ليالي لا استطيع أن أخرج ،
فأدعى أمي أمي التي زهقانة دون أن أصرح لها باللامي .. ثم
بدأت أشعر بنغزات في صدرى كنفر السكين .. وحتى هذه
الآلام كتمتها .. ولكن النفر يشتد .. وأحس بقلبي يضرب ..
ضرباته ليست منتظمة .. ثم أصبت بالحمى .. ارتفعت درجة
حرارتي مرة واحدة الى الأربعين .. ربما ارتفعت قبل ذلك ،
ولكن ضربت عليها الى أن وصلت الى الأربعين ..

ووقعت ..

اصبت ..

واللهفة تصرخ على وجهي أمي .. وأنا مستسلمة اجتر الألم ..
وانصهر في الحمى .. صامتة .. لا أريد شيئا .. حتى الشفاء ..

وجاء عبد الفتاح ومعه طبيب ..

وجاء طبيب آخر ..

ثم كونسلتو من اريعة اطباء ..

انه قلبي ..

قلبي مريض ..

حمى الروماتزم وصلت الى قلبي ..

والاطباء يت Ruddون كل يوم .. ويتهامسون .. ثم يهمسون
في اذن أمي .. ولا احد يقول شيئا .. ولكن فهمت انه قلبي ..
وهبطت الحمى ..

ولكن قلب .. اني أفيق على نغزات تكاد تقتلني .. واحيانا
احس به كأنه متوقف .. واغمض عيني في انتظار الموت ..

وهمست لامي :

— ابعتى هاتى الدكتور هاشم ..

والتمعت عيناً أمي الحزينة ، كأنها تذكرت شيئاً كانت قد
نسيته .. لقد كانت حتى هذا اليوم تعتمد على الأطباء الذين
يستدعيمهم عبد الفتاح .. وعبد الفتاح لم يكن يعرف الدكتور
هاشم ..

واسرعت أمي نحو التليفون في خطوات حازمة كأنها قررت
أن تتحرر من سيطرة عبد الفتاح ..

وشعرت بين غابة الألم التي أعيش فيها كأنني ابتسم ..
أني لم أفك ساعتها في الدكتور هاشم ، كطبيب يشفيفني ، ولكنني
فكرة فيه كدواء مسكن .. ولا أدرى لماذا فكرت فيه بعد كل هذه
الشهور .. ربما لأنه كان دائماً في داخلني وكانت أضفط عليه
باعصامي حتى أقنع نفسي بأنه ليس في داخلني .. حتى أتخلص
من الأحساس التي تركها في عندما جاء يعالجني في المرة
الأولى .. وربما عندما طلبت من أمي أن تستدعيه ، كنت في
حاجة إلى هذه الأحساس ، أكثر من حاجتي إليه كطبيب ..

وجاء الدكتور هاشم ..
هاشم ..

جاء من نفس اليوم ، وفي المساعة الثانية بعد الظهر ، بعد
موعد عيادته مباشرة .. ولابد أن أمي قد أبلغته بخطورة مرضي ،
حتى جاء بهذه السرعة ..

وقف على رأس فراشي وسحابة من الجزع تطوف بوجهه ،
طردتها بابتسمة كبيرة ، ثم قال وهو ينظر في وجهي كأنه بدا
يغتصبني :

— أنا زعلان منك .. يعني حضرتك ما تفتكرنيش
لا لما تعبي ..
ملأات منه عيني ..

انه لم يتغير ..

ربما زادت الشعارات البيض في رأسه .. كان ذكاءه أصبع
أكثر اشعاعا .. وعيناه الواسعتان الطبيتان .. وجفناه المتفختان
كانه يحمل بلسما يكفي لشفاء الناس كلهم .. وأنفه الكبير الصامت
.. وشفتاه المبتسمتان دائمًا كانه يمسح بانتسامته آلام مرضاه
.. ورائحته نظيفة تفوح منه كأنها رائحة الهواء النقى ..
وابتسمت صامتة كأنى ارتحت لمجرد رؤينه ..

واحسست أنى اتعجله ليقترب مني حتى ي Finchني .. لا ..
لم أكن أريده ان ي Finchني .. كنت أريده ان يقترب مني لاضع
رأسى على صدره ، وارتاح .. أنام .. .

واقتراب منى ، وشد مقعدا وجلس بجانب فراشى .. نم
امسك بيدي يقيس نبضى .. وأحسست بيدي كأنها تريد ان تنام
فى يده .. احسست به يسرى فى اعصابى كلها .. وسكت
النفر فى قلبي ..
وقالت أمى :

— احنا غلبنا يا دكتور ، ده ..

وقطاعها بلهجـة حازمة :

— لو سمعتى يا عزيزـه هاتـم .. قـهوه ..
ونظرت اليه أمى كأنها تلومه لأنـه لم يمنـحـها فـرـصـةـ لـلـكلـامـ ،
ثم خـرجـتـ لـتـأـمـ بـأـعـدـادـ القـهوـةـ ..

وادرت رأسى نحوه .. ولم أكن أريد أن أقول شيئا .. كنت
نقط اريد ان انظر اليه .. ولكنه قال ، وحاجباه معقدان كأنـه
يجمع بينهما كل ذهـنـه :

— ما تتكلـمـيشـ دـلـوقـتـىـ ياـ نـجـوىـ ..
وبـداـ يـ Finchـنـىـ ..

وشعرت وهو يفحصنى بشئ لم اشعر به وای طبيب آخر
يفدمنى .. كان مستغرقا في فحصى الى حد انى شعرت باني
افحص نفسى معه .. كأني اانا وهو طبيان ، وهذا الجسد ليس
جسدي .. ولكنه جسد مريض اشتراك في فحصه .. وساعدنى
هذا الاحساس على ان احدد نوع آلامي اكثر .. وان اعبر بدقة
اكثر .. لقد كانت مواضع آلامي تفلت مني دائمًا عندما يسألنى
عنها الطبيب .. كنت لا اكاد احس بها في ركبتي حتى يخين
الىـ انها في كتفى ، وليس في ركبتي .. ولكنى الان أستطيع
ان احصر الالم .. واجيب على أسئلة هاشم السريعة ، وانا
واثقة من صحة ما اشعر به ..

ثم فحص قلبي ..

فحصه طويلا .. وسماعته في يده .. كأنه يخاطب قلبي
بالتلفون حديثا طويلا لن يتنهى عنه:

ثم فجأة رفع رأسه ، ونظر الى "مبتسما ، وقال وعلامات
الاجهاد على وجهه :

— انتي ما يكفيش دكتور واحد .. لازملك اتنين ..

ثم قام واقفا واستطرد قائلا في عجلة :

— مين التليفون ..

واشرت بأصبعى ، وقلت وانا ابتسم له :

— بره .. في الكوريدور ..

ومدت يدى لاضغط على الجرس الموضوع بجانب فراشى
حتى يأتى له أحد بالتلفون ، ولكنه خرج من الغرفة ليبحث عن
التلفون بنفسه .. خطأ في بساطة ، كأنه في بيته ..

وسمعت صوته يأتى الىـ وهو يحدث الطبيب الآخر .. كل
خلجة منى كانت منصرفة الى الاستماع لصوتة .. ونمت ضربات

قلبي المرتبكة .. نسيت أني مريضة .. كان كل ما في من مرض
اني لا استطيع ان اقوم من فراشي لالحق به ..
وعاد الى ..

وعادت وراءه أمي تحمل له فنجال القهوة ..
وأخذ الفنجال ووضعه جانبا كأنه لن يشربه ، وقال لأمي :
— أقدر أشوف الرشتات ..
واخرجت له أمي عشرات الرشتات ، والتقارير ، وصور
الأشعة ، التي اعدها الأطباء الذين سبقوه ..
واستغرق في دراستها ..
لم يلتفت الى ..

وفجأة وجدت نفسي اتساعل وأنا أنظر اليه وهو مستفرق في
دراسته .. هل يعلم شيئا عن علاقتي بعد الفتاح .. ولا ادري
لماذا خيل الى أنه قد يكون قد اكتشف هذه العلاقة وهو يفحصني
.. انه وهم .. ولكن هكذا خيل الى ساعتها .. كأنى خشيتُ نُ
يكون قد رأى بصمات عبد الفتاح فوق فخذلي .. او شم رائحته
فوق صدري .. واضطربت .. احسست كأنى اريد ان اجري
الى الحمام لاستحم حتى اتخلص من رائحة عبد الفتاح وبصماته ..
وأعود لهاشم نظيفة ..

والقى هاشم بالأوراق التي في يده ، بعصبية .. ثم نظر
إلى والقى بعيني المضطربتين فابتسم وقال :
— ما تسألنيش دلوقتى .. لسه ما عرفش .. بعد ربع
ساعة بالضبط حا اعرف ..

ونظر في ساعته ..
وقلت وأنا ابتسم بكل ما بقى من قدرة على الابتسام :
— تفك حافظ يا دكتور ؟

ونظر الى كأنه غضب مني وقال :

— نجوى .. ما تبقيش زى العيال الصغيرين .. اذا كنت
باتقول لك لسه ما اعرفش .. بيقى حاشرف ازاي اذا كنتى
حاتخنى والا لا ..

وأتسعت ابتسامتى ..

احسست به قريبا جدا منى .. احسست به فى قلبى المريض
.. حائز معه .. انه لا يحاول ان يبدو امامى كطبيب يقول كلاما
يشجع به «رضاه .. انه يريد ان يطمئن هو ايضا ، قبل ان
يطمئننى ..

وتكرمش وجه امى اكثر ..

احسست فى لهجته كأنه يقسوا على ..

وعاد هاشم بقوللى :

— تعالى نقول اي كلام لغاية الدكتور رشدى ما ييجى ..
قولى لى .. ، كنت بتعلمى ايه طول المده اللي ما شفتكمش فيها ..
ولم يكن يعني كلامه ..

كان يريد ان يقول اي كلام ليعرفه عن نفسه فى حيرته ..

قلت وابتسامتى لا تزال فوق شفتي :

— كنت عابشه ..

وقال هامسا وهو ينظر الى امى نظرة سريعة ثم يعود وينظر
إلى : ..

— ومين اللي تعب قلبك ..

قلت بصوتى الضعيف كأنى ادافع عن نفسى :

— ولا حد .. هو اللي تعب لوحده ..

قال ضاحكا :

— لازم علشان كان لوحده ..

قلت نى صوت خافت :

— يمكن ..

وعاد ينظر الى ساعته ، ثم قال :

— الدكتور رشدى اتآخر ..

ثم التفت الى واستطرد قائلاً :

— تعرفي أنا متقاضٍ منك .. أزاي تعبي .. بنت صغيره وحلوه زيك تسيب نفسها لغاية ما تعيا ليه .. ما تقوليش ربنا عايز كده .. ربنا مش عايز حد يعيا .. الناس هي اللي بتعني نفسها .. انتي ما تولديش عيانه .. انتي اللي عيتي نفسك .. ولدوقتي بتتألم .. ومامتك بتتألم .. وأنا بتألم ..

مرة ثانية كان يتكلم باخلاص .. ببساطة .. انه يتالملىء .. بتألم الى حد لا يشفق على فى مرضى ، بل يلومنى عليه ..

ومصيحست امى بشفتيها ، وسكتت ، وهى ملتفتة اليه ونظرة لوم كبيرة فى عينيها .. لوم لا تفصح عنه خوفا منه ..

وعاد هاشم والنقط اوراق الاطباء الآخرين ، يدرسها مرة ثانية ..

وجاء الدكتور رشدى يحمل معه آلة رسم القلب ..

وتقصد المكان الدكتور هاشم يستقبله كأنه صاحب البيت ، وعاونه على وضع آلة رسم القلب .. وعلى ربط قطع الرصاص فوقي ذراعى .. ثم اطل بعينيه يتبع الورقة التي تخرج من الآلة مرسوما عليها نبضات قلبي .. وهو معقد الحاجبين .. وخين الى أنه يلهث وراء الخطوط التي ترسمها الآلة ..

ولاحت على شفتيه طيف ابتسامة ، ما لبثت أن اختفت ..

ثم قام هو والدكتور رشدى بعد أن انتهيا من رسم قلبي ، وخرجما من الغرفة .. وأمى معهما .. وغاب طويلا .. ربع ساعة

.. او أكثر .. ثم عاد الى وحده وخلفه امي ، وكان الطبيب الآخر قد انصرف ..

جلس هاشم بجانب فراشى .. وقد أشرق وجهه بابتسامه كبيرة .. وأمسك بيدي فى يده .. وقال :

— دلوقتى اقدر اقول لك .. شوفى يا سنتى .. الدكاتره اللي شافوكى قالوا ان عندك روماتزم فى القلب .. انما انا باقول لا .. الروماتزم ماوصلش القلب .. انما قريب قوى من القلب ..

وأشار ماصبعة الى تحت قلبي مباشرة .. وقال :

— الروماتزم واصل لغاية هنا .. انما حا يحاول يوصلن للقلب .. والمفروض دلوقتى انى انا وانتى والروماتزم نخشن معركة .. بس لازم اعرف انتى حا تتفى مع مين .. معايا .. ولا مع الروماتزم ..

وابتسمت ابتسامة ضعيفة ، وقلت :

— معاك طبعا ..

قال :

— خلاص .. اتفقنا .. وانا مشن حا اخبي عنك حاجه .. علشان تبقى دائما عارفه انتى واقفه فين .. وصدقينى لما اقول لك انك اهم من نفى المعركة دي .. انتى بارادتك تقدرى تخفي .. وبارادتك .. تقدرى تموئى .. سقوليلى .. انتى عايزه ايه بالضبط ..

وقالت امى :

— ايه لازمة الكلام ده يا دكتور ..

قال شاحكا :

— ده كلام بيني وبين نجوى ..

و

وقلت :

— عابزه أعيش يا دكتور ..

قال :

— يبقى مش كفاية انك تفكري انك تتخلصي من الالم .. "ام الرومانز" .. لأن الموت يريحك من الالم اكتر من الحياة .. انها لازم تفكري في حاجه تعيشي علشانها .. حاجه عايزة تعملبيها .. حاجه حلوه .. حاجه تشرح .. حاجه تسعدك .. امل .. امل .. كبير .. وقرر بينك وبين نفسك انك تعيشي علشان الحاجه دى .. عابزك تحسى بأن لك اراده على الحياة .. قررى انك تعيشي .. وانتي تعيشي ..

ونظرت اليه ، وكلماته تواظب دمائى وتطلقلها فى عروقى .. احسست بشىء يتذبذب فى داخلى كانه يروى جفاف جسدى المهزين الذى أنهكه المرض .. وقلت :

— حاضر ..

وقال ضاحكا :

— حاضر دى مش كفايه .. قوليها تانى .. قوليها وانتي بتصحكي ..

وتعلقت عيناي بوجهه .. هذا الوجه كان معنـى منـذ رأيـنه اول مـرة .. كان معـى .. ولكنـى هربـت منه .. هربـت الى الفـراغ .. الى السـخافـة .. ربما لم يـعرض قـلبـى الا لأنـى اخـذـته بـعـيدـا عنـ هذا الـوجه ..

وقلت مـرة ثـانية :

— حاضر ..

وكدت استطرد قائلـة : سـأعيـش منـ أجـلك ..

وعاد هاشـم يقول :

— المسألة مش سهلة .. الحرب بیننا وبين الروماتزم يمكن
تاخذ لها شهر .. ولازم نستحمل الشهر ده .. ونستحمل شهرين
كمان .. ونستحمل واحدنا بنضحك .. واحدنا متأكدين اننا حانتنصر
.. وانا حاو صفقك حالتك بالضبط .. انتى تعرفي تقرى
انجلبزى ؟ ..

قلت :

— لا ..

قال :

— مش مهم .. الليله حا اسهر واكتب لك تقرير عن حالتك
بالعربي .. حا اقول لك كل الى باعترفه .. يعني لو حفظت
التقرير ده تقى دكتوره زىي .. وده علشان لو عرفتى مرضك
حاتعرفى ازاي تحرابيه .. مش بيقولوا اعرف عدوك .. اهم
أنا حاقولك ايه هو عدوك .. اتفقنا ..

قلت وانا أحس بابتسماتى تملأ وجهى كله :
— اتفقنا ..

— شيك هاند على كده ..

ومددت له يدى ، واحتفظ بها فى يده ، وقال وقد تغيرت
نبرة صوته .. أصبحت نبرة هادئة تتپس بالحنان :

— لازم تخفى يا نجوى ... لازم ...

ثم ترك يدى وقال وقد استرد لمجته :

— أول حاجه تعاليمها انك ما تتحرکيش من السرير .. مش
كفايه انك ما تقویش .. ما تتحرکيش خالص .. مش
عايزين تتعب قلب حضرتك .. زى انتى ما بتتعسى قلبنا .. وكل
حركة ممكن تتعب القلب .. ولما يتعب يضعف ، وما يقدرش
يقاوم العدو اللي واقف على بابه .. ورينى الأدويه اللي عندك ..

وأخذ يراجع زجاجات الدواء التي وصفها لى الأطباء الآخرون ، واختصر نصفها ، وأوصانى بالنصف الباقي ..
ثم نظر فى ساعته ، وقال :

— الليله حا اطمئن عليكى فى التليفون الساعه تمانيه ..
والساعه تسعه تكونى نمتى .. وبكره الصبح حا افوت عليكى
قبل ما اروح العياده واجيب لك التقرير معايا .. وبتحبى
ساندوبيتشات ايه ؟ !

قلت فى دهشة :

— أكل ساندوبيتشات !؟

قال ضاحكا :

— لا .. ده علشانى أنا .. أصلى لسه ما تغدقتش ..
وحا افوت أكل ساندوبيتش ..

وقالت أمى :

— نجيب لك الغدا حالا يا دكتور ..
قال :

— لا .. ما عنديش وقت ..

ثم عاد والتقت الى " قائلًا :

— بتحبى ساندوبيتشات ايه ؟ ..

قلت وأنا أبتسم وقلبى المريض يضحك فى صدرى :

— غراغ .. وسوسيس .. ومخ .. وروزبيف ..
قال :

— خلاص .. حا اكلهم فى صحتك ..

ونظر الى " بعينين مبتسمتين ، كانه يقبلنى بهما ..
وخرج ..

وهممت ان اعتدل فى فراشى واطل وراءه واتزود بنظرة اخرى

.. ولكنى ذكرت .. تذكرة انى يجب ان اعيش .. فبقيت
راقدة ..
انى أحشه ..

لن انكر هذا الحب مرة ثانية .. لن ايأس من حبه ، لأنى
لا اريد شيئا الا ان احبه .. كل ما اريده ان يتركنى احبه ..
وسأعيش من اجل هذا الحب ..
وكلى معه ..
خيالى ..
وآمالى ..
وقلبى المريض ..
يجب ان يشفى هذا القلب ..
يجب ..
انى لا اريد ان اعطيه قلبا مريضا .

- ٤ -

هزمنا الروماتزم ..
هاشم وانا ..
قلبي الان سليم يستطيع ان يحمل من الحب أضعاف ما يحميه
قلب اي بنت .. ولكنى لا ازال أخاف عليه .. على قلبي ..
انى لا ابعثر دقاته فى الجرى والتنفس .. ولكنى لاحتفظ بها كلها
للحب .. للحياة ..
ولا اعتقاد ان هاشم قد شفانى بعلمه كطبيب .. ان العلاج

الذى كان بصفه لى ، يستطيع اى طبيب آخر ان يصفه ..
ولكن هاشم شفاني بارادته .. بعناده فى مقاومة المرض ..
باصراره على ان اشفي .. لقد نقل الى هذه الارادة ، والعناد
والاصرار .. واطلق فى عروقى قدرته على الحياة ، وايمانه
بها ، وحبه لها .. سلط على قلبي اشعة الامل ، وحقنه
بالابتسام ، والمرح ، والتفاؤل .. واطلقه فى دنيا نظيفة ، طاهرة
.. حلوة ، تنسج بالزغاريد ..

ربما كان كل هذا جزءا من كناة هاشم كطبيب ، وسر
نجاده وشهرته .. وقد عشت فعلا أياما طويلا ، وأنا أعتقد أن
اهتمام هاشم بي كل هذا الاهتمام ليس سوى اهتمامه بأى
مريض من مرضاه .. ولكن ، لا .. مستحيل .. انه لا يستطيع
ان يعطي كل مرضاه كل هذا الاهتمام .. انه يعطيك كأنه ابى ..
كانه أخي .. كانه حبيبي .. ويعطيني في بساطة .. بلا تكلف
.. وبالرستميات .. وبسرعة أصبحت شخصية تملأ البيت كله ..
وأستطيعت شخصيته أن تجدد هواء البيت .. أصبح هواء
نظيفا .. واستسلمنا لهذه الشخصية .. أنا ، وابن ، وأمى
وربما كان استسلام امى ، استسلاما بلا اقتناع ، انما هو
استسلام للهفتها على وحرصها على شفائي .. ولكنها استسلمت
.. وأصبحت حياتنا كلها نحن الثلاثة ، وحياة الخدم أيضا .. تدور
حول الدكتور هاشم .. نعيش فى انتظار لقائه .. ونعيش فى
اللحظات التى يقضيها معنا .. وكل شيء تغير .. هذا الضجيج
الذى كان يحيط بي ، سكت .. والاطماع التى تملأ راس امى ،
نامت .. وزوارنا خفت اقدامهم .. حتى مواعيد زيارة عبد الفتاح
لنا تغيرت .. لم يعد يأتي لزيارتانا فى الساعة الثالثة بعد الظهر
.. لأن هاشم يأتي عادة فى هذا الموعد .. أصبح عبد الفتاح

يأتى فى الساعة الخامسة بعد ان يذهب هاشم الى عيادته ..
وكان هاشم يزورونى فى الصباح قبل ان يذهب الى عيادته .. وأحياناً كثيرة يعود الى نفى المساء .. وكان فى الايام الأولى يفحص قلى كلما جاء .. ثم يجلس بجانبى يشرح لى حالي ، وتطور الروماتزم فى صدرى ، ومفعول الأدوية التى يعطينها لى ويكتب لى ابحاثاً فى أسرار مرضى — باللغة العربية — . ويتركها لى لأقرها ، ثم يعود ويناقشها معى .. لقد استطاع ان يجعل مني اخصائىة فى القلب .. استطاع ان يتوجه بذكائى كله الى دراسة جديدة على ، المهنى عن العالم التافه الذى كنت استغل فيه ذكائى .. وأصبحت أعرف كل عرق فى قلبي .. وكل عضلة .. وكل دقة من دقاته .. وهو أيضاً .. هاشم .. لقد عرف قلبي كما يعرف أصابع يده .. ولم يعد يفحصنى كلما جاء .. وقال لى :

— أنا من كتر ما سمعت قلبك .. بقى أقدر اسمعه وانا بعيد عنك .. باسمعه فى العيادة .. وباسمعه فى البيت .. وباسمعه وأنا سهران مع أصحابى ..

ونظرت فى عينيه الطيبتين المبتسمتين .. وقلت :

— لازم اندوشت ..

وضحك قليلاً :

— اندوشت فى الأول .. انما دلوقتى خلاص .. خدت على الدوشة .. وأصل قلبك ابتدى بيقى مؤدب وبيطل دوشة .. وحررت يومها كيف أنسر كلماته .. خفت ان اطير معها فى الخيال الى حد ان هاشم يحبنـى .. وفى الوقت نفسه خفت ان اجردتها من الامل .. وهريت من حيرتى فى حلاوتها .. حلاوة كلماته .. وفى النظرة الطيبة المبتسمة التى تطل من عينيه .. انى

لست في حاجة الى أن يحبني .. يكفي أني أحبه .. ادب كلماته
.. وأحب عبنيه .. وأحب أنفه الكبير ..
وابتسمت له ابتسامة كبيرة ..

وقلبي المريض يبتسم معى ، ويستمد الحياة من الابتسام .
وبدا هاشم يحدثنى عن مرضاه .. ويتحقق قلبى بالامل وهو
يروى لي قصص المرضى الذين تم شفاوهم بعد يأس .. وكان
يتحدث عن مرضاه كأنه يتحدث عن كل حياته .. ان الدكتور
هاشم ليس سوى مجموعة من المرضى .. يعيش حياتهم ويتالم
بالآلام .. ويعطى لهم الدواء كأنه يعطيه لنفسه .. يحس بمرارته ،
ويحس بمفهوله .. ان كل احساسه معهم .. حتى أنى كنت
أتسائل ، هل يمكن ان يبقى جزء من احساسه لحب آخر ..
ولكنو ، لم احس بالغيره من مرضاه .. كنت احس انى شئ آخر ..
كنت انسى انى واحدة من هؤلاء المرضى .. وبالعكس بدأت
اشاركه فى احساسه .. بدأت اعيش معه فى نفس العالم الذى
يعيش فيه .. وعرفت مرضاه .. ورستم لك كل واحدة منهم
صورة فى خيالى .. وكنت افاجيء هاشم وأسئلته :

— ازاي الاستاذ مروان دلوقت .. شفته ..

والاستاذ مروان مريض بتضخم فى الكبد ..

ويبتسم هاشم كأنى ذكرته بأعز الناس عنده ، وينطلق يحدثنى
عن مروان بكل احساسه ..

ولم يكن اهتمامى بمرضى الدكتور هاشم ، نفاقا .. أبدا ..
قطعا أنى كنت اهتم بهم الاشراكه اهتمامه .. ولكن كان هناك
شيء آخر .. وهو انى كنت أجد فى حياة هؤلاء المرضى ، حياة
أنظر من الحياة التى اعيشها .. كنت أنقل تفكيرى فى همومى
إلى التفكير فى همومهم ..

هاشم سعيد بي ..
انى احس بسعادةه بي ..
احس انى لست مجرد مريض من مرضاه ..
هناك اشياء كثيرة اصبحت تجمعنا .. ربما كان بينها الاقتناع
انى احس انه مقتنع بي ، كما انى مقتنعة به .. حتى لو لم
يكن يعلم شيئاً عن حياتى .. شيئاً مما حدث لي بعد أن قابلته
عندما مرضت في الفترة الأولى ..

وسألنى هاشم بعد أيام كثيرة وبعد ان بدات دقات قلبي
تننظم :

— انتى عامله ابه في المدرسه ..
وفوجئت بهذا السؤال ..

نسبيت انى كنت تلميذة .. خيل الى انه مضت سنتين طويتين
منذ تركت المدرسة .. وخيل الى انى كبرت وعجزت الى حد اننى
لم اعد انتظر ان يسألنى أحد عن حالى في المدرسة .. وكدت
اصدقك لسؤاله .. ولكنى كتمت ضحكتى .. ومسحت احساسى
بالمفاجأة بابتسمامة هزلية ضعيفة .. انه لا يعلم انى تغيرت ..
لا يزال يعتقد انى الفتاة البريئة الصغيرة التي التقى بها اول مرة
وهي مصابة بحالة عصبية نتيجة صدمتها في حبها الاول ..

وقلت وأنا أرخي عيني عنه :

— ولا حاجه .. السنن اللي فاتت ما دخلتش الامتحان ..
والسنن دي ما رحتش خالص ..
وارتفع حاجبا هاشم من الدهشة وقال :
— ليه ؟ ..
قلت :
— ابدا .. زهقت ..

قال كأنه غضب مني :
— يا ده اسمه كلام .. انتى مامتك مدلعاكى .. افترضى
انك زهقت .. هى طاوعتك ليه .. زهقت هى كمان ؟ !
قلت وانا اتنهد :
— ماما كل اللي يهمها انى اقعد جنبها ..
قال :
— انتى كنتى فى سنن كام ..
قلت :
— غى الثانويه العامه .. وكته شاطره والله العظيم ..
قال :
— خلاص .. ترجعى شاطره تانى .. وتبندى تذاكري تانى ..
.. من الذهارده ..
قلت :
— وانتحن ت ..
قال :
— طبعا .. وتخشى الجامعه .. ما هو يا تتجوزى السنن
دى ، يا نخدى الشهاده .. واللا عايزه تتجوزى ..
ورفعت اليه عينى ، وخيل الى انى اهم بالبكاء .. انه لا يدرى
شيئا .. بل انه لم يلحظ التغير الذى حدث فى حياتنا .. لم يلحظ
اننا انقلنا من شققنا الصغيرة فى الجizza ، الى هذه الفيلا
فى شارع الهرم .. ولم يلحظ ان كل اثاث البيت قد تغير ..
ولم يلحظ غرفة النوم الفخمة التى اثام فيها .. ولم يلحظ انه
اصبح عندنا طباخ وسفرجي وسائق .. ان براعته ونظافته ضميره
تبعده عن محاولة تفسير كل هذا التغير .. وقد كانت امى فى
مناسبات كثيرة تكذب عليه وتدعى امامه انها باعت ارضها من

عزيتها .. وأنها اشتترت قطعة ارض في مصر الجديدة .. و ..
و .. كانت « تنتش » وتبالغ في ذكر أبي وثروتها ، لأنها تدافع
عن نفسها .. تدافع عن كل هذه المظاهر التي تحيط بنا .. وكان
يستمع إليها بلا اهتمام .. انه يفترض أننا قوم شرفاء .. وهذا
يكتفيه ..

وارخت عيني قبل أن تنهر دموعي .. وقلت :

— لا .. ميش عايزة أتجوز ..

قال وهو يقتسم ، ابتسامة تلمع فوق أنفه الكبير :

— خلاص .. تبقى تاخدى الشهاده ..

وسلكت قليلا ، ثم قال في تردد وهو يتلهى بالتكليب في
بعض التقارير الطبية الموضوعة بجانب فراشي :
— عملتني ايه مع عادل ..

ومرة ثانية أحسست كأني فوجئت .. انه لا يزال يذكر
عادل .. بل انه يذكرني بشيء نسيته ..

وقلت وأنا انظر اليه كأني أذوب فيه :

— خلاص .. سبته من زمان ..
وابتسم ..

ومرت بيئنا ببرهة صمت ، ثم قلت وأنا أشعر بدمائى تصرّ
وجنتى :

— وانت عامل ايه مع أمينه ..

واحنى وجهه قليلا ، ومرت على وجهه سحابة داكنة ،
وقال :

— لسه ..

قلت وقلبي الضعيف يرتجف :

— لسه معاها ..

قال وهو يبتسم ابتسامة حزينة :
— لا .. مش معها .. بس لسه ..
قلت وانا أتلتف الكلمات من بين شفتيه :
— مش فاهمه ..

ونظر الى كأنه يتساءل عن مدى ثقته بي ، ثم قال كأنه طفل كبير :
— اقول لك ..
قلت وانا ابتسم له :
— أنا مش قلت لك على عادل !!
قال وابتسامته الحزينة تملأ وجهه :
— هي دلوقتي بتعرف واحد تانى .. إنما لسه ما اعترفتش
لى ..

قلت وانا احسد أمينة على طيبة قلب هاشم :
— ما دام انت عارف ، ما تقول لها ..
قال :
— لو قلت لها حا تنكر .. لازم استنى لما هي اللي تقول لي ..
مش عايزة احسسها انى انا اللي سببتها ، عايزة هي اللي تحس انها لازم تسيبني ..
قلت :
— انت هايل .. مش معقول ان فيه رجاله زى كده ..
قال :
— أنا مش هايل .. بس حاسس بمسؤوليتى عنها ..
قلت وانا أنظر فى وجهه كأنى أبحث فيه عن مكان لي :
— وبتشوفها ..
وضحك نى براءة قائلا :

— مش كتير .. حتى لو حبيت اشوفها .. ما اقدرش ..
مشغول .. مشغول بقلبك ..
وستكتت ضحكته ..

ونظر في وجهي نظرة جادة ثابتة .. استقرت ببرهه ..
ثم أزاحها كأنه يطرد خاطرا من برأسه .. وقام واقفا ، وقال
وهو بيتسـم :

— تعرفي العلاج الجديد بتاعك ايه ؟
ورفعت اليه عينين متسائلتين ..
واستطرد قائلا :

— إنك تذاكري .. بتندئي من النهارده تذاكري .. وتدخلـي
الامتحان السنه دى .. وتنجحـي .. فيـن كتبـك ؟
قلـت وانا احسـ بأنـه يعيـدنـي الى عـهدـ الطـفـولةـ :
— ما اعـرفـش .. ماما شـايـلاـهم ..
ونـادـي هـاشـمـ عـلـىـ أمـيـ ، وـقـالـ لـهـاـ :

— يا عـزيـزـهـ هـاتـمـ .. تـجـوـيـ حـاـ تـبـتـدـيـ تـذـاكـرـ منـ النـهـارـدـهـ ..
هـاتـيـ لـهـاـ الـكـتـبـ بـتـاعـتـهـ ، وـخـلـيـهاـ تـذـاكـرـ فـيـ السـرـيرـ ..
وـقـالـتـ أمـيـ كـانـهـ صـعـقـتـ :

— ولازمـتهاـ اـيهـ المـذـاكـرـهـ بـأـهـ .. ما سـبـناـ الـحـاجـاتـ دـىـ سنـ
زـمانـ ..

وقـالـ هـاشـمـ ضـاحـكاـ :

— دـهـ عـلاـجـ ..

وـخـرـجـ .. وـأـمـيـ تـنـظـرـ خـلـفـهـ كـانـهـ تـحاـوـلـ أـنـ تـكـثـفـ حـقـيقـتـهـ
بـذـكـائـهـ .. ثـمـ التـفـتـ إـلـيـ قـائـلـةـ : ..
— تـعـرـفـ أـنـ مـتـهـيـاـلـيـ اـيهـ ..

قللت و أنا لا أنظر اليها خوفا من أن تكتشف سري :
— متهيألك ايه ..

قالت :

— متهيألى ان الدكتور هاشم بيحبك ..
قللت :

— والنسى بلاش تخريف يا ماما .. حايحبنى على ايه ..
على كده كل ما يعالج واحده يحبها ..
قالت :

— صدقينى .. ده بيحبك .. وبيحبك من يوم ما شافك
أول مره ..
قللت :

— انتى فاكره ما فيش حد فى الدنيا الا بنتان .. لو كان الكلام
اللى بتقولية صحيح ، كان قعد سنه ونص ما يسألش فيينا ليه ..
قالت :

— اهو انا حاسمه بکده وخلاص .. ده ما بيفوتتش يوم من
غير ما ييجي يزورك .. ويرفض ياخذ مني فزيته .. يبقى دم اسمه
ايه .. مش حب ده ؟

وادرت رأسى عنها كأنى لا أريد ان اسمع مزيدا من كلامها
.. وخيالي منساق وراء كلماتها يحاول ان يصدقها ..
وسكتت امى ، وعيناها سارحتان الى بعيد ، كانها تحاول
ان تضع خطة جديدة ..

ولم يكن هاشم حتى هذه الايام يسبب اى مشكلة لنا ..
كنت مريضة ..
وكان الطبيب ..

هذا هو كل شيء .. حتى لو كان يخيل الى امى انه يحبنى ^{اما}

وكان عبد الفتاح يتربّد علينا في مواعيده الجديدة مرتين في الأسبوع أو ثلاثة . وهو الذي غير مواعيده حتى لا يلتقي بالدكتور هاشم .. فلم يكن يحب أن يعرف أحد علاقته بي .. حتى لو عرفه على أنه « أونكل » ..

وكانت قوة احتمالي لعبد الفتاح قد بدأت تنهار .. لم أكن أفكّر فيه عندما داهمني المرض ، كان كل تفكيري في مرضي .. ولكن بعد أن جاعني هاشم .. وبعد أن بدأت أثق في الشفاء .. بدأت حقيقة علاقتي بعبد الفتاح تتكتشف لي بصورة جديدة .. لم أعد لا مبالية كما كنت .. ولم أعد في داخلٍ مستسلمة .. ولم يعد كل ما يحيطني بعد الفتاح من ترف ، يهمني في شيء .. لقد اكتشفت أن هناك أشياء كثيرة أهم وأجمل .. أهم من الفيلا التي نسكتها في شارع الهرم .. وأهم من سيارتي الأولى البيضاء .. وأهم من فساتيني الكثيرة .. هناك أشياء أهم .. حتى .. قلبي الذي اختلت دقائقه .. ثم .. هاشم .. ولكن ..

هل استطيع أن أعود .. هل استطيع أن أتراجع ؟
وكيف ؟ ..

ان أمي واقفة أمامي بوجهها المكرمش القاسي ، كخفيير الدرك .. فهل يمكن أن أقنعها ببساطة أنى لم أعد أريد عبد الفتاح .. وأسألها أن تطلق سراحى !! ..
مستحيل ..

وكنت أعلم أن مجرد التفكير في هذا الموضوع يتعب قلبي .. فقررت أن أبذل جهدى في أن أنساه ، بدلاً من أن أجده له حللا .. حاولت أن أنساه في الأمل الجديد الذي أطلقه هاشم في حياتي .. وفي اندفاعي في حبه .. واستسلامي لشخصيته ..

وأستطيعت الى حد كبير ان انسى .. او على الاقل استطعت ان
أؤجل التفكير في ازمتي .. خصوصا وان عبد الفتاح لم يكن
يطالبني بشيء وانا مريضة .. كان يخاف على قلبي من جشعه ..
وكان كل ما بفعله عندما يأتي هو أن يجلس معى قليلا .. ثم
يخرج ليشرب فنجال القهوة مع امي .. وربما لاحظ في الفترات
التي يجلس فيها معى انى بدأت انفر منه .. ربما لاحظ انى لم
أعد اندلل عليه كما عودته .. لم اعد أطلب منه شيئا .. ولكنه
نسب كل ذلك الى مرضي ..
وبدأت اذاكر ..

وكنت اذاكر في نهم .. كأنني استرد عمري .. كأنني اغسل
عقلى من السخافات التي علقت به .. وساعدتني المذاكرة أكثر
على الانتقال الى عالم انظرف من العالم الذي أعيش فيه .. انطلق
خيالى بعيدا عن دنيا زيزى .. والسهرات .. والأورج ..
وكازينو الشجرة .. ولساعات عيون الرجال .. وأصبحت اتخيل
نفسى كأنني بين زميلاتى في المدرسة .. العب لعبهن .. اضحك
ضحكاتهن .. وأهمس همساتهن .. وأحب بقلب كثلوبهن .. قلب
نظيف ساذج في أول تفتحه للحياة .. وبدأت أحس كأنى أستعيد
شيئاً كان قد فقد مني .. أستعيد شخصيتي المميزة .. شخصيتي
القوية التي استطعت بها يوما ما أن أكون شيئا له قيمة .. ان
أكون أولى طالبات المدرسة .. ورئيسة فريق التمثيل .. ومندوبة
مصلى في النشاط الاجتماعي .. ومندوبة المدرسية كلها في لجنة
اتحاد المدارس الثانوية ..

وكانت تمر بي لحظات أفيق فيها من خيالى .. وأصدم
بواقعى .. ويغلب اليأس خيالى .. وأدير عينى في أنحاء غرفتى
.. هذه ليست غرفة طالية .. هذه غرفة غانية .. أنا غانية ..

أنا عشيقة رجل غنى .. عجوز .. وأشعر بدقات قلبي تعود
إلى الارتباك .. وحلقى يختنق .. وأخاف .. أخاف على قلبي ..
فاتاوم احساسى باليأس .. واتعلق بطيف هاشم ، كانى اتعلق
بطوق النجاة .. واستمد منه الأمل .. لابد أن هناك طريقا
للوصول إلى الشاطئ .. شاطئ الحب .. أنى لا أدرى ما هو
الطريق .. ولكنى واثقة أنه موجود ، وإن هاشم سيدلنى عليه ،
ويأخذ بيدي فيه ..

وأعود مذاكر ..

في نهم ..

يومى كله مذاكرة ، وانتظار اللقاء هاشم ..

والروماتزم يبتعد عن قلبي .. وينحصر عن جسدى .. ووجهى
يسترد لونه .. وأنظر فى مرآتى الصفيرة ، فيخيل إلى أنى
ولدت من جديد .. وأنى أجمل .. جمال بلا زواق وبلا اصباح
.. عيناي المشروطتان الضاحكتان كلوزتين مفترشتين شهيتين ..
وشفتاي المفتحتان كورقتى الورد .. وعنقى المفروود كأنه يتباهى
برأسى .. ولكن .. هناك شيء ينقصنى .. ينقص جمالى ..
جمالى الذى أراه بعينى هاشم .. ربما كان ضعفى .. وربما
كان شيء فى داخلى لم أتخلص منه بعد ..

إلى أن جاء هاشم يوما وفى يده صندوق صغير ملفوف نى
ورقة أنيقة ، وجلس على حافة الفراش ، وقال لي وعيناه تلمعان
بابتسامته :

— تفكري أنا معايا أيه ؟

قلت :

— جزمه ..

ضحك ضحكة كبيرة ، وقال :

— دى حاجه علشانك ..
وابتسمت كأنى اقبل انفه الكبير ، وقلت :
— كتاب ..
قال :
— لا .. خفت أجيبي كتاب تعيني تانى ..
قلت :
— دوا ..
قال :
— بآه فيه دوا يتلف حلو كده .. ثم ان من هنا ورایح ما فيش
أدوية ..
وأمى واقفة عند رأس السرير تنظر الى اللافافه التى يحملها
هاشم ، بلهفة اكتر من لهفتى ..
وقام هاشم واقفا ، وخطف الغطاء من فوق جسدى ، وقال
ضاحكا :
— قومى أوقفى .. واو قدرتى تمثى من هنا للكرسى اللي
هناك ده .. حا اقول لك أنا جايب لك ايه ..
ونظرت اليه فـى تردد ..
كانت المرة الأولى التى يسمع لـى فيها هاشم بمغادرة الفراش ،
بعد ان قضيت فيه خمسة وثلاثين يوما .. راقدة .. لا اتحرك ..
ونظر الى هاشم نظرة جادة .. نظرة طبيب .. ثم قال فى
حنان :
— قومى ما تخافيش ..
ثم مد ذراعه وساعدنى على ان اعتدل جالسة .. ثم تركنى
.. وعاد يقول لـى فـى لهجة حازمة كأنه سلط على ارادته :
— قومى لوحدك ..

وقالت امی :

— قومی يا حبیتی .. يا الف نهار أبيض ..

قلت فی صوت متعدد :

— متهیاً لآنی حادوخ ..

وقال هاشم مبتسمًا :

— انتی حادوخی فعلًا .. انما لازم تقومی .. زی ما دوختینا
بقالک شهر ، لازم تدوخی انتی کمان ..

ووضعت قدمی علی الأرض .. فی تردد .. کائن اهم بآن
اضعهما فی ماء ساخن او فی ماء بارد .. لقد مضی علی عمر
طويل لم تلمس فيه قدمی الأرض .. وخیل الی ان الأرض أصلب
ما تعودناها .. ووقفت .. وشعرت فعلًا بالدوار .. كل شيء
یهتر امامی .. واهتزرت انا الاخری ، وکدت اقع .. وستدنی
هاشم .. ووقيعت فی حضنه ..

وقالت امی فی جزء :

— اسم الله عليکی يا بنتی ..

ورفعت وجهی الی وجه هاشم .. وشفتای قریتان جدا
من شفتیه .. والضعف یسری فی عروقی ویمتض لونی ..
والثنت عيوننا ..

وفی عینیه حنان جاد .. ولهمة .. کانه عالم ینتظر نتيجة
تجربته ..

وفی عینی استغاثة ..

وابعد هاشم وجهه عن وجهی ، وسند راسی علی کتفه ،

وھمس فی حنان :

— انا متأكد انك تقدر تمشی .. ده بس من الضعف ..

ثم أزاحتني عن صدره فـى رفق ، وتركتني واقفة ، واستطرد
 قائلاً :

— وربى كده ..

وبدأت أمشي .. وكل شيء يهتز ، والارض صلبة جافة تحت
قدمي العاريتين . ولكن الاهتزاز يقل فـى كل خطوة ، والارض
تلين .. وعيناي تستقران .. وأفيق من الدوار .. الى أن وصلت
الى المقعد الموضوع أمام مرأتى ، فالقيت نفسى عليه ، وقلت
وانا اتنفس خصعى :

— دم أنا حاسه زى ما يكون باتعلم المشى ..

وقال هاشم وابتسمة كبيرة تملأ وجهه :

— أصلك أتعودت على الكسل ..

وقالت أمى :

— ألف حمد الله على السلامة يا نوجا ..

والتفت لفتة سريعة الى مرأتى .. ان لونى أصفر فـى لون
ال الكريم .. وكرهت ان أبدو امام هاشم وجھي ممتنقع الى هذا
الحد .. وابتسمت .. افتعلت ابتسامة كبيرة .. لعل الابتسامة
تشد عضلات وجھي فتحرك فيه الدماء .. وترد اليه بعض
لونه ..

وقدم لي هاشم الصندوق الذى جاء به قائلاً :

— خدى شوفى بأه أنا جيت لك ايه ..

ونفتحت الصندوق بأصابع ترتعش باللهفة ، وأمى فوق رأسى
تطل بعينين لامعتين ..

وضحكت ..

زغردت الدماء فوق وجنتى ..

كان في الصندوق عروسه صغيرة .. شعرها في لون

شعرى .. وترتدى فستانًا لونه أحمر ..

وصحت :

— الله .. جنان .. تجن ..

ورفعت عينى الى وجهه وبى رغبة ملحة فى ان اقبله فى
وجنته .. فى عينيه .. فوق أنفه الكبير ..

ثم رفعت العروسة فى مواجهة امى ، وعدت أصيح :

— شوفى يا ماما ..

وقالت امى فى برود :

— حلوه ..

ربما كانت تنتظر ان تجد فى الصندوق شيئا آخر .. ان أول هدية اهدتها لى عبد الفتاح لم تكن عروسة لا تساوى اكثر من
ثلاثمائة جنيه ..

وضممت العروسة الى صدرى .. وضفتها الى .. بكل عواطفى .. بكل فرحتى .. كائى اضم قطعة من هاشم ..

وقال هاشم وابتسامة مؤها الحنان :

— اصلك اتولدت من جديد . قلت اجيب لك عروسه تلعبى
بها لـ اية ما تكبرى ..

وأحسست فعلا انى ولدت من جديد .. أحسست كائى طفلة .. وفرو قلبى فرحة الطفلة .. وفى عينى طهارة الطفلة ..

وجذب هاشم مقعدا وجلس امامى ، وأمسك بيدي ، وعروسته
فى يدى الاخرى أضفتها الى صدرى ، وقال فى صوت خافت
كائى يودعنى :

— انتى خفيتى خلاص يا نجوى .. ظلبك باه بمب ..
والرومانتزم راح ومش حايرجع طول ما انتى واخده بالك من

نفسك .. وتقى دلوقتى تجرى وتنططى .. انتى فى النادى
الاھلى ؟ ..

قلت وانتسامتى تذوب على شفتي :
— لا ..
قال : .

— يعني ما بتلعبيش كوره ؟

قلت وانا احاول ان اضحك :
— لا ..

— خلاص .. تبقى تقدرى تعملى كل حاجه ، من غير ما تخافى
على قلبك ..

ولم استطع ان اضحك ..

كان الاحساس بأنه يودعني ، يكاد يمزقنى ..
وعاد يقول كأنه يمنعني لحظة أخرى قبل الوداع :

— انتى خفيتى من زمان .. وكان ممكن تسيبى السرير
من أسبوع .. انما حبيت اريحك زياده شويه .. كل اللي لازم
تعمليه دلوقتى انك تنتقى .. عايزة اشوف خدودك فى لون
الورد .. تاكلى كوييس .. وتنامى كوييس .. وتأخذى ادوية
مقوية .. وتضحكى ..

ويدى لا تزال فى يده ..
لا اريد ان يتركها ..
لا تتركها ..

خيل الى انه لو ترك يدى فسأسقط .. سأضيع ..
وقام هاشم واقفا ، وقال :
— مبروك ..
وقلت فى لهفة :

— حاشوفك امتنى تـ؟

قال :

— انتي خفيتى خلاص ..

قلت :

— انت مش بتزعل لما ما بسألاش عنك الا وانا عيانه ..
انت مش قلت لي كده .. اهو انا دلوقتى مش عيانه ..

ونظر الى وفى عينيه شىء اكتر من الحنان .. شىء يربطنى
به .. وقال فى تردد :

— اضربيلى تلفون بكره .. علشان تطمئننى عليكى .. بكره
الصبح .. انتى عندك نمرة تلفونى الخصوصى ..

قلت :

— لا .. ما اعرفهاش ..

واعطانى نمرة تليفونه الخاصة ..

حفظتها دون ان اكتبها .. ودون ان يكررها ..
وقلت :

— وحا اشوفك ؟

— بكره اقول لك ..

وامي واقفة بيتنا تلتقط كلماته .. وتدير عينيها بينى وبينه ..
وجهها المكيمش جامد كلوح الصفيح لا يعبر عما يدور فى
راسها ..

وينت ليلتها وعروسته هاشتم فى حضنـى ..

من يومها .. وعروسته هاشتم تنام معـى ..

وانصلت بهاشـم فى اليوم التالى ..

انه لا يستطيع ان يتحدث طويلا وهو نـى عيادته .. كلماته

سريعة متجلة .. ولكنها رقيقة حلوة .. كلمات برقية تحمل
أحلى ما يستطيع رجل أن يعبر عنه ..

وجاء في اليوم التالي .. وجلس معى في الصالون لأول مرة .. وهو ليس غريبا .. لقد كان يتجلو في أنحاء البيت طول مدة مرضي .. ببساطة .. كأنه في بيته ولكنه صمم في هذه المرة أن يجلس في الصالون .. لقد كنت أنتظره في حجرتي كما هي العادة .. مرتدية قميص النوم وفوقه الروب ديشامبر .. وكان وجهي لا يزال ممتقا .. فكرت أن اللون خدي بالاحمر .. ولكن عدلت عن فكري .. قررت أن يراني كما أنا .. خيل إلى كأني أخدعه لو وضعت الأحمر على خدي .. واكتفيت بأن الروب ديشامبر لونه أحمر .. وشريطة حمراء فوق شعرى .. واللون الأحمر يعكس ظلاله على خدي فيجدد بعض ما فيهما من صفرة .. ودخل هاشم إلى حجرتي ، وجذبني من يدي إلى الصالون ، وقال ضاحكا وهو يشدني وراءه :

— انتي خلاص ما بقتش عيانه .. وأنا اتضاعفت من الاوده دي .. باتضاعف من كل أود النوم .. كل ما اخش أودة نوم احس انى دكتور .. متهيالى انى لو اتجوزت ، حانم انا ومراتى في الصالون ..

وجلست بجانبه في حجرة الصالون . وكلماته تتردد في خيالي وتشير .. خيل إلى أنا بجانبه مرتدية قميص النوم والروب ، انى ممكن أن اكون زوجته .. وننام في الصالون .. وأمى معنا ..

وأمى معنا ..
تدبر عينيها بيئي وبينه ..

وتحاول أن تجره في حديث معها .. ولكن هاشم ، ليس كعبد الفتاح ، انه يفضل أن يتحدث معى أكثر مما يحب أن يتحدث

الى امى .. وحديثه منطلق بسيط ، رائع .. ليس فيه هذا
الذكاء الخبيث الذى يتميز به عبد الفتاح والذى يتعامل به مع
امى :

وانتصلت بهاشم فى اليوم التالى فى التليفون ..
وأصبحت أتصل به كل يوم .. وأحياناً مرتين فى اليوم ..
وانتسع أفق أحاديثنا .. ورغم أنه دائماً حديث سريع
متجل ..

وجاء لزيارتني مرة ثانية .. وكان قد قال لي أنه سيأتي فى
الساعة الثانية بعد الظهر بعد موعد عيادته .. فارسلت المسائق
وأشترى مجموعة من الساندوتشات .. وما كاد هاشم يصل
وبجلس فى الصالون حتى وضعت قطع الساندوتش أمامه ..
ونظر إليها هاشم وقال ضاحكاً :

— أية ذه ؟

قلت وأنا أبتسم له :

— علشان الوقت اللي حاتفعيه عند بداع الساندوتشات
تقعده معالياً ..

وكلت أعرف أن هاشم لا يتناول طعام الغداء ، ولكنه يستعيض
عنه بقطع الساندوتش ، حتى لا يشق في معدته ، ولا يضيع وقتاً ،
ويستطيع أن يعود إلى عيادته نشيطاً ..

وفى المرة الثالثة التى زارنا فيها هاشم ، صحبنى أنا وأمى
فى سيارته .. وصعدنا إلى الهرم ..

ـ كانت المرة الأولى التى أخرج فيها من البيت .. ونزلنا نحن
الثلاثة من السيارة .. وتمشينا قليلاً ، ثم اجلسنى هاشم على
أحدى الصخور الملقاة تحت سفح الهرم .. وفعلت امى نفس
ما فعلته ، متندماً خرجنا مع هاشم أول مرة .. ادمعت انتها فى

حاجة الى ان تتمشى .. وتركتنا وحدنا ..
ورحت انا وهاشم فى حديث طويل :
لم يقل انه يحنى ..
ولا قلت له انى احبه ..
لم يلمسنى ..
ولم المسه ..

ولكن كان بيتنا شيء كبير .. شيء كنت معترفة به .. الحب .. ولكن هاشم كان يبدو كأنه لا يستطيع أن يصدق أنه يحبني « وانى احبه .. كانت عيناه لا تكادان تلتقيان بعيقى ، حتى يبعدهما عنى .. وكانت كلماته لا تكاد تهم بأن تعبر عن عواطفه ، حتى يقطعها .. يمزقها .. ويحليلها الى شيء آخر .. كنت احس به يعاني من التردد .. التردد امام نفسه .. امام عواطفه .. كأنه يروض شيئاً في صدره يريد أن ينطلق .. »

لاحظت كل ذلك باحساسى .. بذكائى .. بحواسى المفتوحة التي تلتقط كل لفحة من لفقاته .. كل هزة رمش .. كل تنحية تنطلق مع انتفاسه ..

وعندما نمت من جلسنى وسرنا نحو السيارة ، وجد كلّ مثا يده فى يد الآخر .. لم يتمدد ان يلتفت يدي فى يده .. بل انتا لم تتبه الى ان يد كلّ منا فى يد الآخر الا عندما اقتربنا من السيارة .. تنبهنا الى ضفطة سرت فى يدي ويده .. لم اذر هل هو الذى ضغط على يدى ، ام انا الذى ضغطت على يده .. وتوقفنا عن السير .. واطل على بعينيه .. وعيناي مرفوعتان اليه .. متلهتان .. واللقت نظراتانا فى حديث صامت .. ثم همس فى صوت محشرج ويده تضفط على يدى :

— انا عاليزك تستحمليني يا نجوى ..

قلت وانفاسى تلهث :
— أستحمل ايه ؟

قال :

— حاجات كتير .. بس لازم تستحمليني ..

قلت :

— أتا طول ما انت جنبى ما باحسش انى باستحمل حاجه ..
وابتسם كأنه يشفق علىّ من نفسه .. وقال :

— انتى حاجة تانية .. انتى اصغر منى بكثير .. و ..
قلت اقاطعه فى عجلة :

— أبدا .. انا عندي عشرين سنه دلوقتى .. واحد ..
وعشرين ..

قال فى اشفاق :

— وانا واحد واربعين ..
انه لا يدرى ..

لا يدرى ان عمرى اكبر من سنواته ..

لا يدرى ماذا صنعت هذه الفتاة بعمرها ..

قلت وانا ابتسم له :

— انا حاديه دلوقتى انى اكبر منك .. تعرف العروسه اللي
جيتهاى .. بيتهائى انك ادها .. وستاعات بيتهائى انها انت ..
وضحك ..

وامي تقترب منا ..

وعدنا .. وانا جالسته بجانبه .. وامي فى المقدم الخلفي ..
وبيننا صمت .. حاولت امى مرارا ان تقطعه .. ولكننا .. هو

وبيتنا صمت .. حاولت أمى مرارا أن تقطعه .. ولكننا .. هو
وانا .. صامنان .. نستمع الى دقات قلبينا ..

جلسست أمى فى حجرتى وانا أبدل ثيابى ، وقالت :
— ايه رايك باه .. بيحبك ولا لا ؟

قللت ؟

— يمكن ..

قالت :

— يا سنت بلاش كهن .. انتى عارفة ومتاكده اكتر منى انه
بيحبك ..

قللت وانا ساهمه :

— يا ربيت ..

قالت :

— انما تفتكرى بيچي منه ؟
قللت :

— بيچي منه ايه ؟

قالت :

— يعني بيتجوزك ..
قللت :

— يتجوزنى ازاي .. انتى مش مجوزاتى لعبد الفتاح ..
وقالت فى بساطة وذكاها الخبيث يطل من عينيها :

— وده بمنع ..

ونظرت اليها وكرهتها .. كرهتها من اجل هاشم .. لا يمكن
ان اتركها تفعل بهاشم ما يمكن ان تفعله باى رجل آخر .. انه
ليس مجرد رجل آخر .. انه حبيبى ..

ورغم ذلك سكت ..

انى فى حاجة اليها .. انى لا استطيع الان ان اتحداها ..
انى لا ازال ضعيفة .. ثم انى لو تحديتها فان اول ما تفعله ان
تبعد هاشم عنى ..
وقالت :

— انما ده باين عليه مش سهل ..
قلت :

— والنبو، يا ماما بلاش تخريف ..
وقالت فى حدة :

— تخريف ليه بآه .. انتى فاكراه انه كبير علينا ولا ايه ..
ولا علشان راجل مشهور .. ولا يهمك .. اذا كنتي عايزة انا
أجوزه لك ..
لم أرد ..

وقالت وهى تبتسم ابتسامة تنضح بذكائها الخبيث :
— سكتى ليه .. انتى فاكره يا بت انى مش فاهماكى .. ده
انا امك اللي مربياكى .. وفاهماكى من جوه ومن بره .. وعارفه
انك بتحببى .. كده ولا لا ؟ !

وترددت قليلا .. ثم القيت نفسى فوق صدرها وأخذت اقبلها
من وجنتيها .. وقلت :

— باحبه يا ماما .. باحبه ..

وكان يجب ان انفع ذلك .. كان يجب ان اعترف لها بحبى ..
حتى لا تحرمنى منه .. وحتى لا اشعرها بأنى اخفي عنها
 شيئا ..

وربعت على كتفى ، وهى فرحة بقبلاتى .. وقلت :
— خلاص .. سيبى الموضوع ده على انا ..

وفى هذه اللحظة جاء عبد الفتاح .. سمعت صوته خارج
غرفني .. فأسرعت بارتداء قميص النوم .. والقيت نفسي فى
سرائى ، وانا أقول لأمى :

— أنا عيانه .. عيانه خالص .. أوعى تسيبيني معاه لحظة
واحده .. لو قرب مني حا أموت نفسى فاهمه ..

وقالت وجهها المكرمش يعود صامتا كلوح الصفيح ..
— طيب اسكنى .. فهمت ..

وسوت غطاء السرير حولى .. ودخل عبد الفتاح ، ونظر فى
وجهى ، ثم نظر فى وجه أمى ، كأنه يشك فى كلتينا وقال :
— مالها نوجا ..

وقالت أمى :

— أنا عارفه .. الدكتور سمح لها تخرج من البيت .. خدنا
العربيه واتمشينا بيها رباع ساعه .. بصيت لقيت وشها أصفر
.. وزى ما يكون حا يغنى عليها .. رحت راجعه بيها على
طول ..

قال عبد الفتاح وكأنه نكب فى أعز امانيه :

— مش كانت كويسه أول أمبارح ..
وقالت أمى :

— أنا عارفه جرى لها ايه ؟

وصرخ عبد الفتاح :

— ده دكتور حمار .. ازاي يقول لها تخرج ..
وتأوهت ..

تأوهت لاكم اعصابى قبل أن تثور لهاشتم وانا اسمع عبد
الفتاح يهينه ..

واقتراب منى عبد الفتاح ، وأخرج من جيشه علبة صفيرة ؟

فتحها امام عينى .. وفيها قرط فى كل فردة منه حبة من اللؤلؤ
.. وقال :

— انا جبت لك الحلق ده هدية الشفاء .. لو ما خفتش
مش حاديه لك ..

وتنهدت ، كأنى لا استطيع ان اتكلم ..

وقال عبد الفتاح :

— احنا لازم نجيب دكتور تانى ..

وقلت فى عجلة :

— لا .. انا كويسه يا اونكل .. بس تعبت من الهواء ..
صلها اول مره اخرج فيها ..

ووضع عبد الفتاح القرط فى اذنى بأصابعه القصيرة الغليظة
.. ثم انحنى فوق وجهى ليقبلنى ، وأدرت وجهى ، فسقطت
قبلته فوق شعرى .. وقلت :

— نفسى .. مش قادره اخد نفسى ..

وقالت أمى :

— معلمتش يا نوجا .. دلوقتى تهدى يا حبيتى ..

جلس عبد الفتاح بجانبى ، وخيبة الامل تكسو وجهه ..
لقد جاء اليوم ومعه هدية اللؤلؤ على امل ان يعوض حرمانه
الطوبل منى خلال فتره مرضى ..

ثم حمل خيبة امله ، وخرج ليشرب فنجان القهوة مع أمى ..

و . . . واتحدث مع هاشم فى التليفون مريين فى اليوم . . ثم
أصبحت احداثة فى بيته بعد أن يعود اليه . . حديثا طويلا لا ينتهى
. . ساعة . . ساعتين . . ونجد دائما كلاما لا ينتهى . .
ويأتى لزائرتنا . .

وأمى تنظم مواعيد الزيارة بينه وبين عبد الفتاح .
وكلما جاء عبد الفتاح ادعى المرض . .

وعندما يأتي هاشم لزائرتنا لا ترకنا أمى او تغيب عنا بل
جلس معنا ، ثم ترکتى له المدة التى تقرراها بينها وبين نفسها ..
. احيانا عشر دقائق ، واحيانا ربع ساعة . . ولكن هاشم
لا يحاول شيئا فى غيبة أمى .. كل ما يفعله أن تحضن يده يدى
. . ونستفرق فى حديثنا . . حديثنا طو يكاد يغنينا عن القبلات
. . وعندما تعلم أمى أنه لم يقبلنى ، تطيل مدة غيابها عنا فى
الزيارة التالية .. لترک له فرصة أكثر .. ولكنه لا يقبلنى ..
وانا لا احاول ان ادفعه الى تقبلى .. اننا لا نحاول شيئا مفتعلنا
. . ولا شيئا مسروقا .. انى اعلم انه سيأتى يوم تلقى فيه شفاهنا
. . ولكن ليس هنا . . ليس لأن أمى تركتنا وذهبت الى الحجرة
الاخرى ..

وفى احدى زيارات هاشم قالت له أمى :
— ايه رايك يا دكتور .. نجوى جاي لها عريس .. ابن
محمود بيه حلمى ، بتوع البحيره .. مش، تذكر انها لازم تتجوز ..

لقد بدت امي تنفذ خططها ..
ونظر الى هاشم مبتسما .. ثم التفت الى امي وقال ضاحكا :
— بجوى ما تستاهلش تتجوز ..
وقالت امي فى دهشة :
— ليه باه ..
وقال هاشم :
— لأنها لسه ما خدتتش الشهاده .. اما نجح فى الامتحان
.. نبقى نجوزها ..
واخذت الشهادة ..
نجحت فى الثانوية العامة ..
وكان مجموعى ثمانية وستين فى المائة ..

اصبحت مشكلتى هي ان اقنع امي بأن تسمح لي بالخروج
مع هاشم وحدى .. وقد كنت اخرج مع هاشم كثيرا ، ودائما
مع امي .. كان يأخذنا في نزهة بسيارته .. ومرة او مررتين
دعانا الى الشناء في مينا هاوس .. ولم يكن منظمنا حلوا وأمي
معنا .. خصوصا وان هناك شيئا ينقص امي لتبدو كأنها ام ..
ولتبدو كأنها ام مودرن تخرج مع ابنتها وحبيبتها لتناول الشناء
في مينا هاوس .. لا ادرى ما هو هذا الشيء .. ربما الثياب التي
ترتديها .. المعطف الاسود والعمامة السوداء .. وربما تصرفاتها
.. وربما نظرات عينيها الحبيبة .. وربما قلة احترامها لها ..
لا ادرى .. ولكن كنت اتضالق منها وانا مع هاشم اكثر مما
تضالق منها في اي وقت آخر .. وأجل منها .. احس كأنها
مضيبة لي .. وكنت انظر في وجه هاشم كأنني ابحث عن آثار
فضيحتي .. ولكن هاشم لم يكن يبدو عليه انه يتضالق من امي ..
ولا يحس نحوها احساسى بها .. بالعكس .. انه يحترمها ..

ربما اكثر مما احترمها اى رجل من الذين عبروا في حياتي
وأحياناً يبدو انه يحبها .. وقال لي مرة :

— انا عمرى ما شفت ام بتحب بنتها زى مامتك ما بتحبك ..

وقلت له وأنا اتنهد في ضيق :

— يمكن علشان مش امى ..

— يجوز .. انما ده في مصلحتك .. انا باحترمها علشان
بتحبك الحب ده كله ..

وكان هذا الاحترام هو الذي يمنعه من ان ينتهز الفرص
التي تمنحها لا امى ليقبلني .. ليأخذ مني شيئاً ..

انه انسان طيب .. يعيش في عالم نظيف .. ويتخيل
الناس كلهم طيبين مثله .. نظفاء مثله .. وبناته سليمه ..
لا يفترض السوء في أحد .. ولا يحاول أن يبحث ورائي او وراء
أمى .. انه بصدق ما يراه بعينيه ويصدق ما يستمعه مني ومن
أمه ..

ولم يحاول هاشم في هذه الأيام ان يطلب مني ان اخرج
معه وحدى .. كان يبدو كأنه سيكتفى طول عمره بأن تبقى هكذا
.. نتحدث في التليفون ، ونلتقي تحت عيني امى .. بل انه حتى
هذه الأيام .. لم يكن قد صرخ لي بحبه .. كنت المح الحب يطل
من تحت جفنيه المتفتحتين .. وكنت احسه في لمسات اصابعه
السريعة المترددة .. وفي شفتيه عندما تتطلعان في حيرة الى
شفتى .. وكانت نتحدث أحياناً عن الحب .. نتحدث عنه كأننا نراجع
موضوعاً علمياً .. كانه ليس شيئاً قائماً بيني وبينه .. وائلقنا
الكلمات من شفتيه لعله يصرخ لي بحبه .. ولكن لا .. انه
لا يحدثني عن حبه .. ولا عن الزواج ..

ونوبات من الحيرة تقلع قلبي .. لعل هناك فعلاً صدقة

يمكن أن تقوم بين الرجل والمرأة وهو يؤمن بهذه الصداقة .. لعنه يكتفى مني بالصداقة .. ويفصل حبه لأمينة .. والحيرة تكاد تخنقني ..

وامي أشد حيرة مني .. إنها لا تستطيع أن تصدق أن رجلاً - حتى لو كان الدكتور هاشم - يمكن أن يعرفنى ، ويهمتن بي ، وتمنحه كل هذه الفرص ، ثم لا يحاول أن يطلب مني شيئاً .. لا يحاول حتى أن يقبلنى .. وحييرتها يجعلها تشكي في نيات هاشم .. بدأت تشعر به كأنه أقوى منها .. أقوى من ذكائهما .. وأقوى من خططها .. وكانت تسلط عليه نفس الخطط التي تسلطها على كل الرجال .. تحشره في حياتنا ، وتعرض عليه مشاكلها .. عظمها مشاكل مفتعلة .. بل كانت تفتصل مشاكل وخناقات بيني وبينها حتى تدخل هاشم ليصلح بيننا .. وتبعد أمامه دائماً في صورة المرأة العجوز الوحيدة الضعيفة التي أصيب زوجها بالشلل ، وأضطررت أن تواجه الحياة وحدها ، وحملت مسؤوليه تربى وحملت وحدها .. وتقول له والدموع تكاد تتفز من عينيها :

— الناس طمعانه فيـ وفى نوجا لأنهم عارفين ان معاناش راجل .. وانا تعبت خلاص يا دكتور .. تعبت من الناس ومن نوجا .. ما بقتش قادره استحمل .. واحده فيـ سنى مش ممكن تستحمل ده كلـه ..

ولم أكن أحاول أن أحذر هاشم من هذه الخطط .. كنت أخاف أن أشعر أمي بأنني أقف بجانبه عليها .. أخاف أن تحرمني منه .. وأخاف على حبى من حقيقتي .. كنت أكتفى بأن أقول له فيـ ضعف وانا لا أنظر اليـه :

— ما نصدقاهاش يا دكتور .. ماما دائمـاً تبالغ ..

كنت لا ازال أناديه بلقب « دكتور » ..

وكان هاشم يصدق أمي .. بل يصدقها أكثر مما يصدقني .. ويهمهم بالمشاكل المفتعلة التي تعرضها عليه ، اهتمامه بمريض من مرضاه .. وكان يقول لي عندما يخلو بي :

— اسمع يا نجوى .. أنتي لازم تريحى مامتك .. دى بتحبك مالهاش فى الدنيا غيرك .. وانتي ذكية وتعنى ازاى تريحها ..

واسكت .. انه لا يعرف أمي .. والحقيقة تشريح حلقي ولا استطاع ان أنطق بها .. وفي يوم قال لأمي وهى تشكو له :

— اسمع يا عزيزه هانم .. ارجوكى تعتبرى انك مش بحدك فى الدنيا .. أنتم عشتوا طول عمركم ثلاثة .. أنتي .. وظاهر بيه جوزك .. ونجوى بنتك .. ولدوقتى بقىتو اربعهانا الرابع ..

وابتسمت ابتسامة كبيرة ..
خيل إليها ان خطتها نجحت ..

اعتبرت هذا الكلام ، لأن هاشم يخطبني منها .. يطلبني للزواج ... بل أنها بدأت ترتب فعلا حياتنا بعد ان يتزوجنى هاشم ، كأنه لم يكن هناك شيء يمكن أن يفسد ترتيبها .. لا شيء .. لا حقيقة كامرأة .. ولا علاقتي بعد الفتاح .. ولا المال .. الحرام الذى نعيش عليه .. لا شيء أبدا يمكن أن يقف فى طريقها .. من طريق خيالها .. ان خيالها يتسع لكل أنواع الزبائن .

ولكن هاشم لم يتقدم خطوة أخرى ..
لا يصرح لي بحبه ..
ولا يطابنلى للزواج ..

وكل ما يهمه من مسبقلي هو الحقى بالجامعة ..
ولم أعد أطيق .. اتنى أحبه .. لا يهمنى اذا دخلت الجامعة
ام لم ادخلها .. لا يهمنى اذا تزوجنى ام لا .. كل ما يهمنى اتنى
أحبه .. واريد منه حق الحب .. أريده .. أريد ذراعيه ..
أريد شفتيه .. أريد همساته .. أريد ان ننطلق وحدنا فى دنيا
نملكها وحدنا .. دنيا ليست فيها امى ، ولا ابى ، ولا عبد الفتاح
.. وبذات اغناط من هاشم .. كيف يطبق هذا الحرمان الطويل
.. واذا استطاع ان يحرم نفسه منى ، ما ذنبى حتى يحرمنى
منه ..

ثم كان يوم .. وجاء هاشم لزيارتنا فى الساعة التاسعة
مساء بعد انتهاء عيادته .. واستعددت له فى هذا اليوم اكثر
من اي يوم آخر .. لا ادرى لماذا .. فلم يكن قد جد شيء ، ولكن
احسست بنفسى فى حاجة لأن استعد له .. كامرأة .. ارتديت
ثوبًا من الشيفون ، ازرق سماوى .. يكشف عن ذراعى «
ومساحة كبيرة من صدرى .. وله اىشارب من نفس اللون يلتفّ
على اهمال حول عنقى .. وحذاء اسود .. فرنبيه .. سبعة سنتى
.. وتعطرت بعطر « فام » .. واثقلت من العطر اكثر من عادتى
.. وتحلىت بخاتمى الماس ، والدبوس ، والقرط .. هدايا عبد
الفتاح .. وصبت شفتي بالحمر فاتح .. ووضعت ظلالا من
« الاومبر » فوق جفونى .. وكحل .. ورومبل .. وخصلة من
شعرى ملقاء فوق خدى .. كنت امراة .. كأنى متوجهة الى
حفلة من حفلات زيزى ..

واستقبلته فى الصالون .. حيث يحب دائمًا ان استقبله ،
حتى لا اذكره بأنه طبيب اذا استقبلته فى حجرة النوم .. ونظر

الى فى بحرة .. ارتفعت كل جفونه المنتفخة ، لتكشف عن كل عينيه .. وقال وهو ينظر الى "كانه لا يصدق" :
— ايه ده كله .. رايحة فین ؟

قلت وانا اتخايل امامه ، وأحاول ان ارى نفسي فى عينيه
كأنى أحاول ان ارى نفسي فى مرآتى :
— ولا حنه .. ليه .. بابين على "انى رايحة حته"
قال :

— بابين عليكى انك رايحة حفله كبيره قوى ..
قلت وانا انظر اليه بعينين جريئتين :
— أبدا انت حفلتى !

وابتسم ابتسامة قوية كأنه يجمع بها ارادته حتى لا يندفع
الى "ويأخذنى بين ذراعيه .. ثم اتجه يصافح امى فى حرارة ..
وجلست امى معنا قليلا ، وهى تنظر فى عينى هاشم وهما
يطلان على " ، كأنها ترصد النجوم لتنبأ بمستقبلى .. ثم قامت
واحتاجت ببعض مشاغلها ..
وتركتنا وحدنا .

وهاشم جالس على الاريكة .. يدخن سيجارته .. وخبل
الى " انه يدخنها بعصبية ..
واناجالسة على المعد الفوتيل .. ظهرى مشدود .. عنقى
مفرود .. كأنى عروسة فى الكوشة ..
وقلت له :

— تحب تتبرج على صورى وانا صغيره ..
ونظر الى " وقال مبتسمًا فى حنان :
— انا متهيالى انى شفتكم من يوم ما تولدت .. انما ورينى
الصور علشنان افتقرك ايام زمان ..

وجريدة الى غرفتى .. وعدت بالألبوم كبير احتفظ فيه بصورى الفوتوغرافية .. صور وأنا طفلة .. وصور وأنا فى المدرسة .. وصورة وأنا امثل عندما كنت فى فرقة التمثيل .. وهناك صور أخرى .. صور لى وأنا فى الاوبرج والأريزونا مع شنة زيزى .. ولكن هذه الصور لا احتفظ بها فى الالبوم ..

والفيت نفسى جالسة بجانبها على الأريكة .. وفردت الالبوم فوق ركبتي وركبتيه .. وبدأنا نقلب نى الصور .. وانحنى فيكاد خدى يلامس خده .. وأنفه الكبير وهو يتنفس يكاد يشفط خصلة شعرى .. وركبتي تصطدم بركبته من تحت الالبوم .. وحاولت أن بعد ركبتي ، وحاول أن يبعد ركبته .. ولكن ركبتيينا تعودان وتصطدمان .. وعطرى يختلط بهذه الرائحة النظيفة التى تفوح منه كأنها الهواء النقى .. وأنفاسى تستحسن وتلتقي بأنفاسه .. انفاسه أسرخ .. كل شيء حولنا وفيانا يسخن .. وأنا أحس بشعور جديد .. ليس الحب وحده .. شعور مثير يسرى من اعصابى كلها ، ولا أدرى هل يخدرها أم يتباهى .. أنى أشعر بأنى امرأة .. أنى لم أشعر من قبل بأنى امرأة .. لم يستطع عادل ولا عبد الفتاح أن يشعرانى بأنى امرأة .. ولكنى أشعر بنفسي الآن بأنى امرأة .. أنى لا أستطيع أن أحب كفتاة .. لأنى امرأة .. وخفت صوتانا ، ثم لم نعد نتكلم ، ولم نعد نرى الصور .. نقلب صفحات الالبوم دون أن نرى شيئا .. وأنا فى انتظار شيء .. أى شيء .. ان ترتفع ذراعه وتضمنى اليه .. ان بلقت بوجهه ليلتقي بشفقى .. أن يشدنى من شعري .. أن يضربنى .. أى شيء .. أى شيء ..

وفجأة نظر هاشم فى ساعته ، وازاح ال يوم الصبور من فوق

رجبه .. وتنز واقفا كانه ينجو بنفسه .. كانه يفر بن النار ..
وقال :

— أنا لازم أنزل .. عندي ميعاد مع جماعه اصحابي في
سميرامييس ..

وصرخت عيناي ..
وقلت صوت محشرج :
— لسه بدرى ..

وابتسم هاشم كانه يمدني ببعض قوتة ، وقال :
— ما اقدرش .. لازم انزل ..

نم مد يده والتقط يدى ، وجذبني لاقف بجانبه ، وقال في
حنان وهو لا يزال ممسكا بيدي :

— أحسن انى انزل دلوقت ..
واحنيت رأسى كأنى اهم بالبكاء :
— زى ما يعجبك ..

ووضع يده الأخرى تحت ذقني ورفع وجهي اليه ، وقال
وابتسامته الحلوة الحانية معلقة بين شفتيه المنحرجين :
— على فكره .. نسيت أقول لك .. أختى عازماكي عندها
على العشا يوم الخميس ..

وخيل الى انى لم اسمعه تماما .. او انى لم استطع ان
اسدقه .. وطارت مني فجأة احساس المراة ، وقلت :
— بتقول ايه ؟

قال في هدوء :
— أختى عازماكي يوم الخميس ..
قلت :

— بس انا ما اعرفهاش ..

قال :

— لازم تعرفيها .. مش ممكن حاتقدرى تعرفينو، الا اذا
عرفتنيها ..
قلت :

— وهى ما تعرفنيش ..
قال :

— هي عارفاك من يوم انا ما عرفتك ..
قلت وفرحة غامرة تملا قلبي :
— كلمتها عنى ؟ ..

قال :

— كثير ..

وسبكت برهة لانتقط انفاسى المبهورة ..
.. ثم تلت كأني تائهة :

— أنا خايفه ..

قال وهو يضغط يدى :

— خايفه من ايه ؟

قلت :

— من اختك ..

وضحك ضحكة كبيرة وقال :

— ما حدش فى الدنيا يخاف من اخти مدحه ابدا .. هي
اللى دايما تخاف .. تخاف على جوزها .. وتخاف على ولادها
.. وتخاف على ..

قلت :

— تخاف عليك من ايه ؟ ..

قال :

— من الستات طول ما أنا مش متجوّل .. وهى لخايفة على
.. متهياً لها أني حاندب .. واقع على دماغي رعن،
وبلعت ريقى ، وقلت فى صوت منهار وأنا أديبر عينى عنه :
— لها حق ..
وقال هاشم :
— ماما راحت فين ؟ ..
ثم رفع صوته قبل أن أجيبه ، وملا البيت كلها هاتندا :
— يا عزيزه هاتم .. عزيزه هاتم ..
وقلت وأنا انظر اليه فـى تردد :
— وما ماعزومه ..
قال نـى طلاقة :
— لو جـت حاتضنـاـيق .. لأنـ كلـ المعاـزمـ ستـاتـ صـفـيرـين ..
أـنـماـ طـبـعـاـ مـعـزـومـه ..
وجاءت أمـىـ علىـ صـوـتهـ ، وـقـالـ لهاـ هـاشـمـ فـىـ بـسـاطـةـ :
— أـخـتـيـ عـازـمـهـ نـجـوىـ عـنـدـهـاـ يـوـمـ الـخـمـيسـ .. وـارـجـوـ إـنـكـ
تـسمـحـ لـهـاـ تـيـجيـ ..
ونـظـرـتـ إـلـيـهـ أـمـىـ بـعـيـنـيـاـ الـخـبـيـثـيـنـ ، وـوـجـهـاـ الـكـرـمـشـ ،
وقـالـتـ :
— وـمـالـهـ يـاـ بـنـىـ .. نـتـشـرـفـ ..
وقـالـ هـاشـمـ ؛
— مـرسـىـ يـاـ اـفـندـمـ ..
ثمـ التـفتـ إـلـيـهـ وـأـنـاـ مـذـهـولـةـ وـقـالـ :
— مدـيـحـهـ حـانـضـرـ تـلـيـفـونـ بـكـرـهـ ، تعـزـمـ بـنـفـسـهـ .. تصـبـحـواـ
عـلـىـ خـيـرـ ..
وـصـافـحـىـ .. وـضـغـطـ عـلـىـ يـدـىـ .. كـائـنـهـ يـدـفـعـ الـأـمـلـ فـىـ

عزوٰتی .. ثم صافح امى .. وخرج .. وقبل ان يصل الى
الباب ، افقت من ذهولی ، وجريت وراءه لالحق به عند الباب ،
وقلت له فی صوت متهور :

— تفتکر البس ایه ؟ ..

وعاد هاشم يضحك ، وقال :

— ای حاجه ..

ثم نظر الى ثوبى الذى ارتديه وقال :

— بس بلاش الفستان ده .. لانه عاملک زى ما تكونى
واحده سنت .. ملکن يكون فستان بنت رايحة الجامعه ..

وقلت وابتسمة باهنة على شتفتى وريقى يتجمد فی زورى :

— لك حق ..

وابتسם كأنه يقبلنى بعينيه ..

وخرج ..

وجريت الى غرفتى ، والقيت نفسى على فراشى ، ودفنت
وجبى فی وسادتى .. وبكى .. دموعى كالسيل تزير امامها
الكحل والروج والمعطر ، وتلطخ بها الوسادة .. وكلى ارتعش ..
وجاءت سى ورائى ، وقالت فی جزع :

— بتعطى ليه .. هو قالك حاجه ..

وصرخت وانا أصرب الفراش بيدي وقدمى :

— سيبينى .. ابعدى عنى .. سعيينى اعملى معروف ..

وقالت هى تجلس على الفراش :

— ايه يا اختى الدلع ده .. ما تقولى بتعطى ليه ..

واخذت ابکى .. وابکى .. وهى جالسة فی انتظار ان انتهى
من البكاء .. ثم قلت من خلال دموعى كانى احاذث نفسى :

— ده أول راجل من اللي عرفتهم ، بعد عادل ، يعرقلنى

سبلنه .. اول رجل يحترمني .. ما فيش راجل من اللي كان
خرج معاهم عرض على انه يعرفنى بأمه ولا اخته ..
وقالت وهى لا تشعر بشيء مما احس به :
— ومالمه فيها ايه يعني دى .. هو انتى حبيتني تتعرفي بعيلة
حد وما تعرفتنيش ..
ولم ارد عليها .. انها لن تفهمنى ابدا ..
وعادت تقول :

— انتى عارفه معنى العزومه دى ايه .. معناها جواز ..
.. ما هو لو ما كانش ناوي على جواز كان عرفك بأخته ليه ..
المسئله بالعقل .. بس برضه لازم ناخذ بالنها ..
ورن فى اذنى صوت هاشم وهو يقول : « طول ما انا مش
متجوز أختي خايفه على انى اندب ، واتقع على دماغى ».
هل اتركه يندب ..
يندب فى ..

لا .. مستحيل .. انتى احبه الى حد انى لن اتركه يندب ..
ولكن ..

لماذا لا اصرح له بالحقيقة .. كل الحقيقة .. انى لا ذنب لي
فى حياتى .. وهو لا يستطيع ان يفهم .. ويغذرنى .. ويتزوجنى
بعد ان يفهمنى ويغذرنى ..
لا .. اذا كان قد احبنى ، فقد احبنى كما يتصورنى .. فتاة
بريئة ، طاهرة عذراء .. لم يحبنى على انى امراة .. عشيقة
رجل غنى ..

لن اصرح له بحقيقة ..
حتى لا افقد حبه ..

انى اريد حبه .. ولا اريد الزواج منه ..

ولكن الحب أهم من الزواج .. ان الزواج يمكن فسخه ببساطة .. ولكن الحب .. لا يمكن . ان فسخ الحب شيء كالذبح .. كالقتل .. وسأذبح .. سأموت .. اذا أقمت حبى على خديعة ، ثم فسخه هاشم بعد أن يكتشف حقيقتي .

ودموعى تجف .. كل شيء فى يجف .. وقلت وأنا ساهمة :
— أنا مش رايحة عزومة اخته ..

وقالت أمى وهي تنظر الى فى استئناف :

— ايه العيب ده .. ليه باه ..

قلت :

— ومش عايزة أشوفه تانى ..

قالت :

— ليه ده كلة يا بنتى .. هو حصل منه حاجة ..

قلت :

— لا .. بس أنا حاسه ان حياتي كلها حا تتلخبط .. وأنا مش مستعده الخبط حياتي ..

قالت :

— ولا تتلخبط ولا حاجة .. احنا نفضل معاه لغاية ما نشوف آخرته ايه .. والله اذا طلع راجل كوييس ، كان بها .. ما طلعش ، ما خسرناش حاجة .. وما تخافيش ، ما يقدرش يلعب بيكي .. أنا حاسه انه راجل كوييس .. بس خوف ..

قلت :

— خوافت من ايه ؟

قالت :

— من الستات .. ومن الجواز ..

وظلت أمى تتحدث .. وتتحدث .. وأنا ساهمة .. اسمع

نصف كلامها ، والنصف الآخر لا يصل الى .. وافكار كثيرة
تتجاذبني .. أحياناً اقر ان اذهب .. ثم أعود وأقرر الا اذهب ..
وأحياناً اقر ان أصرح لهاشم بحقيقة ثم أعود وأقرر الا أصرح
له بشيء .. ويمتلئ خياني بصورة اخته .. وبصورة بيته ..
وتصور نفسى كأنها احبتنى .. وتصورها كأنها كرهتني واكتشفت
سرى .. وأسمع صوتها يرتفع ويملاً السموات والأرض وهى
تصرخ فى أخيها .. أوعى تندب .. أوعى تندب ..

وامي لا زالت تتحدث ، وقلت لها كأنى ارد على نفسي :
— اعمل حسابك لو رحت العزومه دي .. مشر حاجيجى
معايا ..

وقالت أمى كأنها فوجئت :

— الا دى .. رجلى على رجلك ..

واعتدلت فى فراشى جالسة ، وقلت لها غى حدة وحزن كأنى
تزودت بقوة جديدة :

— اسمعنى يا ماما .. هاشم مش زى بقية الرجاله ..
وادى انتى شفتى .. بقالك سنت اشهر تسبيبينى معاه لوحدى
.. ما حاولشر بيوسنى .. ودول ناس مودرن ، ما عندهمش
مانع ان الاخ يعزم صاحبته فى البيت عنده .. و ..

وقالت أمى تقاطعني :

— أنا ما اعرفش مودرن ومشن مودرن .. هم المودرن مش
رجاله ، ولا ايه .. أنا ايه عرفنى حايขาดك فى بيتهم يعمل فيكى
ايه ..

قلت فى حدة وسخط :

— يعني حاي العمل فى "ايه .. ايه اللي فاضل علشان يعمله
نمى" !

قالت كأنها تهم بالصراخ :

— لا .. بأه اسمعى .. اذا كنتى فاكره انك حره .. تبقى
غلطانه .. كل حاجه عندى لها حساب ..

قلت أقاطعها :

— الا أنا ..

قالت كأنها جزعت :

— ازاي بأه .. أمال كل اللي عملته ده علشان مين ..
هو أنا اللي ساكته فى الفيلا دى لوحدى .. والعريبيه اللي
حضرتك رايحة جايه بيه طول النهار .. والفساتين .. والصيفه
والمجوهرات .. كل ده بتاع مين وعلشان مين ولو ما كنتش
انا .. مش كان زمانك مرمييه زى الكلبه مع الواد اللي اسمه
عادل ..

قلت :

— ما فيش لازمه للكلام ده .. وبما اقولك من دلوتني .. اذا
رحت العزومه حاروح لوحدى ..

ونظرت فى وجهي كأنها تبحث فيه عن شيء ، وعادت تقول :

— تكونيش بتستعرى مني يا بت .. ولا فاكره انى مش من
مقام الدكتور بتاعك والست اخته ..

قلت ولسة من الشفقة تم على قلبى :

— ابدا يا ماما .. بس هو قال لي ان كل المعزومين ستات
صغرىين .. وحاتبقي انتى فى وسطيهم نشاز .. وكمان ..
لازم تفهميه انك بتشتى فيه .. وهاشم حساس يقدر معنى الثقة
دى ..

وسكتت أمى قليلا كأنها تحاول ان تقنع نفسها ، ثم هرت
رأسها بعنف كأنها لا تستطيع ان تقنع ، وقالت فى عناد :

— لا .. لا ثقة ولا مش ثقة .. أنا ما فهمش الكلم ده ..
رجل على رجلك ..
قلت في حدة :

— يبقى مش رايحه .. ومن فضلك تسيبيني أنا باه .. أنا
تعبيت ..

وسممت وخلعت ثوبى كائى أمزقه عن جسدى .. وأطاحت
فردتى حذائى من قدمى فى فراغ الغرفة .. وعدت الى فراشى ..
وصمممت أم على ان تنام بجانبى .. وأعطيتها ظهرى ..
. وتركتها تتكلم .. لم أرد عليها .. وأنا مغمضة العينين ..
وكلى متيقظة .. عقلى .. وقلبي .. وأعصابى ..
وسكتت أمى ..

خيل الى أنها نامت ..
وانا لم أنم ..
لا استطيع ان انام ..

وسممت من فراشى .. ومشيت حافية على اطراف اصابعى ..
وسمعت فجأة صوت أمى ورائى ، كأنها ذئبة لا تنام الا بعين
واحدة :

— رايحه فين ؟
قلت دون أن التفت اليها :
— رايحه انام جنب بابا ..

وكلت أريد فعلا أن انام بجانبها .. ان أبي هو القطعة
الوحيدة النظيفة المغلوبة على أمرها فى هذا البيت .. أريد أن
الجا اليها .. الجا الى شيء نظيف ..

وفتح أبي عينيه .. ونظر الى كأنه يستطيع ان يفهم كل
مشاكلى دون أن أرويها .. وتدللت ابتسامة حانية فوق شفتيه

المشلوتين كأنه يواسيني بها .. وخرجت من تحت لسانه المشلون
أصوات هادئة ، كأنها حب الآخرين .. وتركى أنام على ذراعه
المشلو ..

ان حياتى أيضا مشلولة ..

وبعد مدة .. جاءت أمى وهزتني فى رفق معتقدة أنى نائمة ،
وقالت هامسة حتى لا توقظ أبي :

— خلاص .. افضلى روحى العزومه لوحدك .. قومى
أه نامى فى سريرك ..

وابتسمت مشفقة عليها من حبها لى ..

وعدت الى سريري ..

ونامت بجانبى ..

نمنا فى الخامسة صباحا ..

وفى صباح اليوم التالى ، اتصلت بهاشم فى التليفون
وكلت له ؟

— أنا مش رايحه ..

وقال فى دهشة :

— ليه ؟

قلت :

— خائنة ..

قال :

— ما تبقيش مجنونه .. أنا قلت لأختى انك قبلت العزومه
.. وزمانها حاتكلمك فى التليفون دلوقت .. وبكره حافوت عليك
الساعة تسعه ونروح سواه ..

قلت ؟

— مش قادر يا دكتور ..

قال :

— اعملی معروفة يا نجوى .. أنا عندي شفـل .. واذا كـتـنـى
مشـعـيزـهـ تـبـجـيـ لـوـحـدـكـ تـعـالـىـ مـعـ ماـماـ .. خـلاـصـ ..

قلـتـ :

— حـاـ اـفـكـرـ ..

قال :

— لا .. ما تـفـكـريـش .. حـاـ اـفـوتـ عـلـيـكـيـ بـكـرـ ..
وـأـنـهـيـ المـحـادـثـهـ ..

وـاتـصلـتـ بـيـ أـخـتهـ .. كـنـتـ اـنـتـظـارـهـ .. كـنـتـ جـالـسـةـ بـجـانـبـ
التـلـفـونـ طـولـ الـوقـتـ ، مـتـخـشـبـةـ ، فـىـ اـنـتـظـارـهـ .. وـسـمـعـتـ صـوـتاـ
رـائـقـاـ .. مـتـزـنـاـ .. فـىـ اـتـرـازـانـهـ طـيـبـهـ وـمـرحـ .. وـقـالـتـ كـأـنـهـ تـعـرـفـنـىـ
مـنـ زـمـانـ طـوـيـلـ ..

— نـجـوـىـ ..

قلـتـ :

— أـيـوهـ يـاـ اـفـنـدـمـ .. مـيـنـ ؟
وـكـنـتـ أـعـرـفـ مـنـ هـىـ .. وـلـكـنـ كـانـ يـجـبـ أـقـولـ «ـ مـيـنـ »ـ ..
وـقـالـتـ فـىـ طـلـاقـةـ ..

— أنا مدـيـحـهـ أـخـتـ الدـكـتـورـ هـاشـمـ .. أنا اـتـحـاـيلـتـ عـلـىـ أـخـوـيـاـ
اـنـهـ يـعـزـمـ بـكـرـمـ عـنـدـنـاـ عـلـىـ العـشـاـ .. نـفـسـيـ اـشـوـفـكـ مـنـ كـتـرـ ..
مـاـ كـلـمـنـىـ عـنـكـ .. وـبـاـذـنـ اللـهـ تـقـدـرـيـ تـبـجـيـ ..

قلـتـ :

— مـرـسـىـ قـوـىـ يـاـ اـفـنـدـمـ .. مـتـشـكـرـ .. بـسـ .. أـصـلـ ..
قـالـتـ تـقـاطـعـنـىـ وـبـنـفـسـ لـهـجـةـ أـخـيـهـاـ كـأـنـهـ هـىـ اـيـضاـ دـكـتـورـةـ :
— دـهـ أـنـاـ نـفـسـىـ، اـشـوـفـكـ قـوـىـ .. وـهـىـ عـزـوـمـهـ صـغـيرـ ..

عشرة أنفار بس .. وحايوجبوكي لما تتعزز بيهم .. خلاص ..
حاستنلکي يا نجوى ..

وقبلت دعوتها .. كانت بساطتها وانطلاقها أقوى من محاولتي
التدلل .. أحسست أنها تعلم أني أريد أن أقبل دعوتها ..
وخرجت من أن استمر في الرفض .. أو حتى في اطالة
الحديث ...

وقالت :

— أنا حاسه إننا حابقى أصحاب .. وانتي عاجبـانـى من
كتر ما هاشم أخويـا كلمـنى عنـك .. ويـكـنـ عـجـبـكـ إنـاـ كـمـانـ ..
وعلـشـانـ أـعـجـبـكـ ما تـسـمعـيـشـ كـلـامـ أـخـويـاـ عـنـ .. لـأـنـهـ دـائـمـاـ
يشـفـعـ عـلـىـ ...

قلـلتـ :

— دـهـ يـحـبـكـ قـوـىـ ..

قالـلتـ :

— بـسـ بـرـضـهـ بـيـشـفـعـ عـلـىـ ..

واحسست أنها أقرب الناس إلى قلبي .. صوتها ..
وبساطتها .. واسلوبها .. شيء آخر غير زيني والنساء اللاتي
عرفتهن وصادفتهن عن طريق زيني ..
وارتديت يومها ثيابي خمس مرات ..

من الساعة الحادية عشرة صباحاً وأنا أرتدي ثيابي .. البس
ثوباً وحذاء .. وأمشط شعرى .. وأجرب الكحل ، والأومبر ..
.. ثم أخلع الثوب والحذاء .. وبالبس ثوباً آخر وحذاء آخر ..
والخطيب شعرى .. وأمسح الكحل والأومبر .. و .. و ..
وفى الساعة الخامسة ذهبت إلى الحلاق بقيت عنده حتى
الساعة .. ثم عدت إلى البيت ولخطبـتـ كلـ ماـ صـنـعـهـ الحـلـاقـ ..

وأعدت تسرية شعري .. اخترت تسرية بسيطة ، وثوبا
بسيطا .. وروج بسيط كأني بنت على وشك أن تتحقق
الجامعة ..

وقد جعلت البيت كله طول اليوم في حالة عصبية .. وأمى
منظار إلى وتعجب ، ثم تقول :

— اللي يشوفك بتعمل كده .. بيتهiale إنك عمرك ما رحت
حفله .. يابت أثبتى ..

ثم تنظر إلى كأنها تطل في قلبي لنقيس مدى حبى .. وفي
عينيها شيء كالندم يشوبه الخوف .. كأنها نادمة لأنها تركتني
لهاشم .. وخائفة أن يأخذنى منها .. أنها على الأقل واثقة أنه
أخذ قلبي .. وهذا وحده يخيفها .

وجاء هاشم ..

ونظرت إلى نفسي في عينيه ..

عيناه مبهورتان ..

وقال والبهرة تخنق صوته :

— أنت هايله .. مدهشه .. احظى يوم شفتك فيه ..
النهارده ..

وقلت وقلبي يرتجف ، أريد أن أصدقه :

— صحيح والنبي يا دكتور ..

قال وهو لا يزال مبهورا :

— أختى مش حاتصدق إنك حلوه للدرجه دي ..
وجاعت أمى ، وارتاحت قسمات هاشم عنديا وجدها بثياب
البيت : ولكنها قال :

— أنتى مش جايه معانا يا عزيزه هانم ..
قالت في جفاف :

— لا .. تعبانه شويه .. انما حتى لو كنت تعبانه ما كنتش
ممكن أسمح لنجوى تخرج لوحدها الا لأنها خارجه معك ..
ولأنى بائق نيك ..

فقال :

— متشرك قوى ..

قالت :

— بس نجوى لازم ترجع السناعه اتناسير .. اتناسير بالضبط
انا مش حانم الا لما ترجع .. لا انا ولا ابوها ..
قال :

— خلاص .. امرك .. اتناسير بالضبط حاتكون هنا .. زي
سنديلا ..

و قبلت امن ..

وصافحها هاشم قائلاً :

— اطمئنى ..

وخرجت معه ..

كأنى عروسته ..

وامي تنظر خلفنا وطبقية من الدموع تلمع في عينيها .
وكانت المرة الأولى التي اخرج فيها مع هاشم وحدى .
شيء آخر احس به وأنا معه وحدى .. احس كأنى في عمرى
.. عمر العشرين .. وأحس بعواطفى كلها نشطة منطلقة ..
احس بالحياء .. والخوف .. والرهبة .. والتردد .. والترقب
.. كل حركة من هاشم تثير شيئاً في .. كأنى لا ازال فتاة ..
عذراء .. ساذجة .. بريئة .. وأحس بحى تظنينا .. طاهراء
.. لا يلحظه خبث امى ، وخططها .. ان الحب يكون اكثر براءة
وظهراء بعيداً عن الامهات ..

وبقينا صامتين في السيارة ..

كأننا فعلاً عروس وعريس في أول لقاء لهما ، كل منا يعيش
في عواطفه ، ويعجز عن التعبير عنها ..

و قبل أن نصل إلى المعادى ، أوقف هاشم السيارة فجأة
على الرصيف المحاذى للنيل .. وتطلعت البه في دهشة ..
والتفت إلى .. وما كدت التقى بعينيه ، حتى غلبني الخفر ،
فأرخت عنه عيني ..

وقال هاشم وهو يستدير في جلسته نحوى :

— أنا عايز أقول لك حاجه قبل ما نوصل البيت ..

وقلت في صوت خفيض يرتعش بعواطفى :

— خبر ..

قال وهو يطلق عينيه إلى صفحة النيل :

— أنا سبت أمينة .. خلاص ..

وفوجئت .. لقد كانت أمينة آخر ما يخطر على بالى في
هذه اللحظة .. ولكن .. لعله أذاقنى هذا الحرمان الطويل حتى
ينتهى من أمينة .. لم يكن يريد أن يجمع بيني وبين أي فتاة أخرى
في حياته .. ولعله لم يدعني إلى بيته إلا بعد أن تخلص من
أمينة .. لعله منذ اليوم سينطلق إلى بكل حبه ، وكل حياته ..
ما أروعه .. لم أكن أصدق أنه لا يزال في الدنيا مثل هذا
الرجل ..

وقلت وأنا أقبله بابتسامتي :

— من امتى ؟ ..

قال :

— من أسبوع .. وكان لازم أقول لك .. علشان تعرفني
كل حاجة عنى .. زى ما أنا عارف كل حاجة عنك ..

واحسست كأن سكينا شق قلبي .

انه لا يعرف شيئاً عنى .. لا يعرف .. لا يعرف انى لست الفتاة البريئة التي يحبها .. لا يعرف انى غشيبة رجل عجوزاً
اغنى ..

وبلعت ريقى وانا انظر فى الخاتم الماسى الذى فى اصبعى ..
خاتم عبد الفتاح :

— انا كنت عارفه انك حاتسيبها ..

وكمت الجرح الذى انتفع فى قلبي ، وتحاملت على نفسي
حتى ابتسمت ابتسامة كبيرة وقلت وانا ارفع عينى اليه :
— ورني عينيك ..

قال مبتسمـا :

— ليه ؟ ..

قلـت :

— علشان اشوف عينيك اذا كان فاضل منها حاجه فيك ،
ولا لا ..

قال ضاحكا :

— اطمئنى .. مش فاضل منها حاجه ابدا ..
قلـت :

— كل الرجالـه كده .. ينسوا بسرعه ..
قال :

— اصلـى بافكر فى حاجه تانيه ..
قلـت :

— ايـه ؟

قال :

— بعدين اقول لك ..

والتقط يدي ، ورفعها الى شفتيه ، وقبلنى فى راحة كفى .. اول لمسة من شفتيه .. سرت حتى أصبع قدمى .. ودفعت الدماء فى وجنتى .. ثم أدار موتور السيارة ، ودخل الى المعادى ..

وقلبى واجف ...

وأبذل جهوداً عنيفاً ، حتى احتفظ بشخصيتك كاملة فى بواجهة اخته .. وعندما وصلنا الى البيت كنت قد استطعت ان اسيطر على كل اعصابى .. سيطرت على مشيتك .. على ابتسامتك .. على لسانك .. على عقلك .. ولكن بقى شيء فى ربععش ..

واستقبلتني مدحية اخته فى ترحيب مرح .. ونظرت الى نظرة واحدة شملتني كلى .. وقالت فى بساطة كأننا صديقتان من زمان :

— اهلاً نجوى .. انتى حلوه قوى .. تعالى اعرفك ماصحابى ..

واخذتني الى الصالون وهاشم يسير حولى .. كل انتباھي بيجه الى السيطرة على اعصابى ..

وقف الرجال فى استقبالى .. واتجهت كل عيون السيدات اليـ .. خيل الى ان كل سيدة لها الف عين .. ودارت بي مدحية ستدمنى لهم ، وتقدمهم لي .. ومع كل منهم عين كأنها المنظار .. معظم ..

وأنا مت Manson ..

كان كل احساسى متوجه الى انتى يجب ان اشرف هاشم بي ، امام عائلته واصدقاء عائلته .. واجلسنى مدحية بجانبها على الاريكة .. كنت افضل ان اجلس على مقعد .. ان جلستى

على مقعد تساعدنى اكثر على التماسك .. ولكنى جلست على حافة الاریكة .. مشدودة الظهر .. مفرودة اعنق .. احاول ان احتفظ فى عينى بنظره هادئة ، وبين شفتى ابتسامة ثابتة .. والعيون كلها تلتقي عندي ، ثم تنتقل الى هاشم .. وأحس انهم يجمعون بيني وبينه فى خيالهم .. ربما اعتقدوا اننا على وشك ان نعلن خطوبتنا ..

واصدقاء مدحية كانوا مرحين .. مرح هادئ مهذب .. وبساطة .. بساطة ناس لم تتعقد حياتهم .. وبسرعة ادمجوني معهم فى احاديثهم .. وبسرعة احسست اننى منهم .. وبدأت اجد القدرة لاطоф فى البيت فى انجاء البيت .. الذوق هادئ مريح ، انيق .. شىء آخر غير الذوق الصارخ الذى احسست به فى بيت زيزى .. وقد يكون فى بيت زيزى قطع من الايات او من السجاد أغلو ، مما رأيته فى بيت هاشم .. ولكن هنا تحس بأن كل قطعة مستريحة .. هادئة .. تحس بالجلال ..
واسترحت ..

استرحت فى هذا البيت .. احسست انى كنت واقفة طول حياتى ثم جلست .. احسست كلن اعصابى كانت متقطنة العمر كله ، ولم تتم الا الان .. وآنية كبيرة انيقة ممتلئة بالزهور امامى ، ارى طريقى من خلالها ، كأنه مفروش بالورد .. وهاشم يجلس بعيدا عنى يعادلى نظرات حلوة احس من خلالها كأنه يتباهى بي .. كأنه فخور بي ..

وقمنا الى مائدة العشاء .. وكتت اخاف لحظة العشاء .. ان عملية الاكل عملية مربكة ، اخاف خلالها ان افقد سيطرتى على اعصابى .. ولكن كل شىء تم فى بساطة .. اجلسنى مدحية فى مكان الشرف ، على يمين زوجها .. باعتبارى ضيفة جديدة

.. وساعدنى زوجها بمرحه وطبيته على أن أكون على طبيعتى ..
و هاشم جالس بعيدا عنى .. يسأل عنى بعينيه فى كل لحظة ..
ولا نظرة جرحتنى .. ولا كلمة مستنرى .. الجو نظيف ..
نظيف . الرجال هنا يشربون كثيرا من ال威سكي .. ولكنهم
لا يسكون ولا يتبدلون ، ليسوا كأصدقاء زيزى .. ربما لأن
أصدقاء زيزى يشربون ليتذلوا ، أما هؤلاء الرجال فيشربون
ابرتاحوا من عناء يومهم ..
وفى الساعة الثانية عشرة الا ربعا وقف هاشم .. وقال اى
ضاحكا :

— الأوانـ إننا نكون فى البيت الساعه اتناسـ ..
وقمت ..

والسيدات صافحنى جالسات ، وكل منهن تسألنى وعدا
لن تراني مرة ثانية .. والرجال قاموا واقفين فى وداعى ..
وخرجت مدحـة معى حتى الباب الخارجـى ، والتقت الى
هاشم قائلـة :

— اسمع يا اخـوا .. نجـوى من هنا ورأـيـ صاحـبـتـى أنا
.. مـالـكـشـ دـعـوهـ بـيـها .. فـاهـم ..
وقال هاشم ضاحـكا :

— صـاحـبـتـكـ آـه .. إنـماـ مـالـيـشـ دـعـوهـ بـيـها ، لا ..
وـهـمـسـتـ مدـحـةـ غـىـ اـذـنـ قـائـلـةـ :

— اذا عمل حاجـه ، قولـلى .. أصلـىـ أناـ عـارـفـهـ اـخـواـ ..
.. عـمـاـيلـهـ تـجـنـ ..
قلـتـ وـاـنـاـ اـضـحـكـ :

— لـغـاـيـةـ دـلـوقـتـىـ كـويـسـ ..
وـقـبـلـتـنـىـ مدـحـةـ نـوـقـ كـلـتـاـ وـجـنـتـىـ ..

وركبت بجانب هاشم فى سيارته ، وقلبي مفعم بالفرحة .. لقد نجحت .. ربما نجحت هذه المرة بمجموع تسعه وتسعين فى المائة .. اخته احبتنى .. وصديقاتها احبنى .. والرجال نلت اعجابهم واحترامهم .. لم افكر لحظتها فى هاشم ، قدر ما فكرت فى تجاھى .. ولكن فجأة ، قفز الى رأسى خاطر اسود .. والتقت الى هاشم وسألته فى لهفة :

— هاشم .. قول لى .. انت عرفت أمينه باختك ؟ .

ولم انتبه الى انها كانت المرة الاولى التى اناديھ فيها باسمه مجردًا ، بلا لقب « دكتور » ..
وابتسم هاشم ، وقال :

— لا .. انما هي اللي عرفت نفسها بأختي .. كانت بتكلمها فى التليفون ..
واسترحت ..

ثم أوقف السيارة على جانب الطريق والتقت الى بكل جسمه واستطرد قائلاً :

— ما كانش ممكن اعرف حد بأختي الا انتي .. انتي حاجه تانية .. واللي بيني وبينك مش ممكن يكون كان بيني وبين حد تانية .. انتي مش بنت حلوه انتي اكتر من كده .. شخصيتك .. عقلك .. انا متهيالى ان ما فييش حد كان يمكن يفهمنى الا انتي .. وكلام كتير بتقوليه ، بيتهيالى انى اانا اللي باقوله .. لدرجة انى ساعات وانا باكتشف على عيابن واحتار فيه ، اسئل نفسي .. يا ترى نجوى رايها ايه .. وساعات يتهيالى انك اكبر مني .. عمرى ما حسيت بالاحساس ده قبل كده .. حتى وانا صغير كان بيتهيالى انى اكبر من ابويَا ..
وانا انظـ اليه مبهورة ..

كيف استطاع أن يحرمني من كل هذا الكلام هذه الشهور ...
ولم أتكلم ..
لم أستطع أن أتكلم ..
عيناي معلقتان في وجهه ، كأنى عبيطة .. لا ادرى كيف
أتكلم ، ولا ادرى ماذا أفعل ..
وسبت هاشم ..
وعيناه تتحثان في عينى عن شيء يسأل عنه ..
ثم اقترب متنى بوجهه .. وقبل أن يصل .. أقيمت بوجهى
اليه .. ولف ذراعه حولى .. وضغطنى إلى صدره .. وخده
يضغط خدى .. وأنفاسه تمتص على عنقى .. أريد أن أنام على
هذا الصدر .. على هذا الخد .. أريد أن أنام في هذه الأنفاس ..
وشفتاه قريبتان جداً من أذنی .. ثم أحس بهما على خدي
.. ثم فوق شفتي .. وأنا مغمضة عيني .. اتلقى قبلته الأولى
.. هادئة .. ناعمة .. كأنه يقبلني بقلبه .. لا أريث أن أفتح
عيني .. أرى أراه بشفتي .. أرى قلبه .. أرى حنانه .. أرى
طبيته .. أرى رجلة العارمة .. أرى دنيا آمنة .. حلوة ..
وفتح عينيه ..
وفتحت عيني ..
وشفتاي لا تزالان في شفتيه ..
كأننا لا نصدق ..
كأننا نريد أن نتأكد ..
نتأكد أنى أنا .. وأنه هو .. وأن هذا هو الحب ..
وخبأت وجهى في صدره ، وهمست :
— احنا تأخرنا يا هاشم ..
واعتدل أمام عجلة القيادة صامتا .. وقاد السيارة بيـ

· واحدة .. ويده الأخرى ممسكة بيدي .. تضفط عليها طوں
الطريق ونحن صامتان .. يدي ويده فى حديث طويل ..
وصلنا الى بيتنا فى شارع الهرم .. وافت من حلى الجميل
على منظر أمى وهى واقفة فى الشارع أمام باب البيت ، وشعرها
منكرش ، كالجنونة ..

وما كادت السيارة تقف بجانبها حتى صرخت فىنا :
— أتأخرتم ليه .. أنا كنت رايحه ابلغ البوليس دلوقت ..
ونظرت اليها وتمنيت أن تنشق الأرض وتبتلعنى .. مستحيل
.. مستحيل أن أطيق هذه الام .. انها فضيحة .. فضيحتى ..
ونزل هاشم من السيارة بسرعة ، وقال لها فى رقة :
— آسف يا عزيزه هانم .. أتأخرنا نص ساعة بس ..
على بال الستات ما وقفوا يسلموا على بعض ..
ونظرت اليه نظرة مجنونة سريعة ، ثم التفتت الى " ، وقالت :
— افضللي يا سرت هانم ..
ونزلت من السيارة وأنا ادعى اللامبالاة ، وهمس هاشم :
— بكرة الصبح .. أول ما تصحى من النوم .. اضربيلى
تليفون ..

وقلت وانا انطلع اليه كأنى اشرب من وجهه :
— حاضر ..
ورفع صوته قائلا :
— تصبھى على خير يا عزيزه هانم ..
وردت عليه وهى تدير ظهرها له ..
وجاعت ورائى وهى تصحيح فى : ..
— اووعى تعملى كده تانى مره .. فاهمه .. كتنى حاتجتنينى

.. أنا ما استحملش كده .. ودى آخر نوبه تخرجى فيها
لوحدك ..

ولم اكن أريد أن أناقشها .. لم تكن لى طاقة لأن اتحداها
.. أريد أن أخلو بنفسي لاستعيد قبلة هاشم الأولى .. لاعيش
فى أحساسى بها ..

والتفت اليها وقبلتها حتى أستكتها وقلت :
— ربنا يخليكي لى يا ماما ..

وجلست أمى على سريرى ، ووضعت رأسها فوق كفها
وقالت :
— احكيلي ..

وحكيت لها .. بسرعة .. أريد أن أخلو بنفسي .. ولكنها
لا تكتفى .. تسأل عن مزيد من التفاصيل .. وانعذب وأنا أرد
على أسئلتها الكثيرة .. حرام .. حرام والله .. حتى حقى فى
أن أخلو بنفسي فى غرفتى ، تأخذه منى ..
واخيرا .. نمت ..

وعيناي مفتحتان .. أستعيد قبليه .. وكلماته .. انى
حفظت كل كلمة خطرت بيننا .. وجمعت فى خيالى كل لحة ..
وأخته .. وأصدقاؤه .. وبنته .. وآنية الزهر .. و .. وفجأة
همج على خاطر كالكابوس ..
انه لا يحنى انا ..

انه يحب فتاة أخرى .. فتاة عذراء .. طالبة فى الجامعة
.. لبست انا .. أنا لست عذراء .. أنا عشيقة رجل عجوز ..
وأهرب من هذا الخاطر فى ذكرى قبليه ..
انه لا يستطيع أن يحرمنى من قبليه .. لا يستطيع ..
انى غى حاجة اليها .. يستطيع دائمًا أن يعطيها لي ..

وسمت فى الصباح منهكة .. انهكتنى الفرحة .. وانهكتنى
الحب .. وانهكتنى الخوف ..
وحادثته فى التليفون .. وقتلت وقلبى يقنز فى داخل سماعة
التليفون :

— صباح الخير يا دكتور ..

قال فى عجلة كعادته عندما يتكلم وهو فى العيادة :

— صباح النور .. حاتعملى ايه دلوقتى ..

قلت :

— يمكن انزل البلد ..

قال :

— طيب اسمعى .. تعرفى الترزى كاريوشيان اللي فى
شارع عدلى ..

قلت :

— لا ..

قال :

— تلاقيه جنب محل رينولى .. فوتى عليه ، ونقى بدله
صيفى ، وست قمحان ، وخليبة يفصطلهم .. هو عنده مقاسى ..
كان يتكلم ببساطة .. كانى .. كانى تزوجته ..

قلت فى تردد :

— بس ده ما يعرفنيش ..

قال :

— أنا حاكلمه فى التليفون ..

قلت :

— وعايز البدله لونها ايه ..

قال :

— زى ها يعجبك ..

قلت :

— بسن با دكتور .. و ..

وقاطعنى قائلًا :

— وفبه محل نى شارع ابراهيم بىيغ مسدسات .. فوتى
عليه واشتري لى مسدس ..

وقلت نى دهشة :

— انت عاليز مسدس ؟

قال :

— آيوه ..

قلت :

— ليه ت ..

قال :

— علشان أضرب نفسى بيه لو سمعتك تانى مره تقوليلى
با دكتور ..

قلت ضاحكة :

— طيب خلاص .. مش حا اقول لك ..

قال :

— حاتقوليلى ايه ..

قلت :

— مش حاتقول لك دكتور ..

قال :

— قولى ..

قلت :

— اقول ايه ..

قال :

— قوله هاشم ..

وتردلت .. احسست انى فى حاجة لأن يقلنلى مرة ثانية
حتى انطق باسمه دون لقب دكتور .. وقلت فى حياء وكان كل
حرف من اسمه يحمل قطعة من قلبي ..
— ها .. شم ..

وقال :

— طيب سيبيني بأه أحسن العيان اللي فى أودة الكشف
زمانه قلع هدومه ..

ووقفت سماعة التليفون ، قبل أن أعيدها الى مكانها ..
ونزلت الى البلد .. ومعي أمى .. فى سيارتي الاول البيضاء ..
وامي تعود وتسألنى الأسئلة التى سالتها ليلة الامس .. ثم
تعود وتضفط على سؤال بالذات :
— تفكري حا يتقدم لك امتى ؟
وقلت :

— ما اعيريش يا ماما .. ده لسه معرفنى باخته اميارح ..
قالت :

— ما انا عايزة أطمئن يا نوجا .. عايزيزن نعرف رايحين معاه
على غين ..
ولم أرد عليها ..

وكل نشاط ذهنى موجه الى البدلة والقمصان التى ساختارها
لهاشم .. وقد قضيت فى محل كربوشيان الترزي أكثر من نصف
ساعة .. أسأله عن ذوق هاشم .. وعن البدل الذى سبق أن
فصلاها .. ولم أشعر بالحيرة قدر ما شعرت بها وأنا اختار له
بدلته .. خيل الى أن حبى كله معلق على هذا الاختيار ..

ثم اخترت له القمسان ..

ثم قررت فجأة ان اشتري له كرافت هدية .. قررت ان اشتري له كرافت واحدة .. ولكن كان هناك اكثر من كرافت جميلة .. كلها أريدها لهاشم .. فاشترىت له عشر كرافات .. وأمي واقفة مذهولة ..

تحاول ان تمنعني عن الشراء .. ولكنني صمت .. وعدنا الى البيت ، وقالت امي وهي تخلع عمامتها السوداء من فوق رأسها ..

— عبد الفتاح بيه جاي النهارده الساعه ثلاثة .. والفتت اليها مذعورة كأنها أطلقت على ثعبانا .. وقلت في حدة :

— وما قلبيش ليه من الصبح ..
قالت :

— ودى فيها ايه دى .. غريبه ان عبد الفتاح بيجي ..
قلت وانا اخلع حذائي والقيه كائني اضرب به الدنيا :

— أنا عيانه ..
قالت في هدوء :

— لا .. ما بقاش يصدق حكاية العيا .. امبراح تعد يكلمني ساعه في التليفون .. الرجل شامم فيه حاجة في الجو .. وده راجل نبيه وبيفهمها وهي طايره .. مش حانقدر أنا وانتي عليه ..

قلت في حدة :

— نقدر ولا ما نقدرش ، مش ممكن يقرب لى ..
وقالت :

— بآه اسمعى يا نوجا .. عصفور فى اليد خير من عشره ..

على الشجر .. وانا ما اطيرش عبد الفتاح من ايدينا علشان خاطر
سي الدكتور بتاعك .. يوم ما نعرف هو عايز ايه بالضبط ، نبقى
تنصرف ..
قلت :

— لا عصفور ولا عشره .. أنا ما بقتش أقدر اطيق عبد
الفتاح .. ما اقدرشن .. ما اقدرشن ..
قالت في هدوء :

— امال طايقه فلوسنه ازاي ..
قلت وأنا أصرخ :

— مش عايزه فلوسنه .. ياخدهم ويغور من وشى ..
قالت كأنها تسخر مني :

— وتشترى للدكتور هاشم كرافات منين .. تسمى
تقوليلى ..

وكانت لفافة الكرافات لا تزال في يدي .. فنظرت اليها في
نزع كأنها تضم ثعابين لا كرافات .. وفتحت راحة يدي ..
فسقطت على الأرض ..
وعادت أمي تقول :

— ولما يرجع هاشم ويلاقينا ساكنين في شقه بخمسه جنبه
حاتقولى له ايه .. وحا تيجيبى منين فستانين تروحى بيهم لاخته ..
وانا انظر في وجهها المكرمش القاسي .. كان تجاعيده حبال
لتف حول عنقى ..

— ما تبقيش مجنونه .. وما تنسيش نفسك .. وما تنسيش
ان عبد الفتاح جوزك ..
وصرخت :

— ما تقوليش جوزى .. ده مش جوزى .. وانتى عارفة

انه مش جوزى .. «أنتى بعثينى له بالفلوس .. أنتى بتاجرى
بى .. أنتى عايشه من جسمى ..

ونظرت الى، كأنها صدمت فى ، ثم قالت فى صوت محشrig :

— الله يسامحك يا نوجا يا بنتى .. هو أنا كنت غصبتك على
حاجه .. ما أنتى مع الرجال بقالك سنة .. وساكته وحامده
ربنا ..

وجريدة من أمامها الى غرفتي ، وصوتها يجري خلفي وهى
تصبيح :

— اعمل حسابك انه جاي الساعة ثلاثة .. ومتش عايزه
دلع ... فاهمه .

وانكفات على سريري ابكى .. ووجدت نفسى اهمس خلال
نشيجى .. هاشم .. هاشم .. كأنى استغاث به ..
وهذا بكائى ..

وهذا صوت امى ..
هذا البيت كله ..

وقمت ، وخرجت من غرفتي .. أسيعر على اطراف أصابعى ..
وأتلقت حولى .. لعل امى في المطبخ .. او في حجرة ابى ..
وخرجت من البيت ..
وجريدة في الشارع ..

وركبت سيارة تاكسي ، وذهبت الى الوايلية .. الى بيت
امى .. امى الحقيقة ..

طول الطريق الى الوايلية وانا احس بأنى اهرب من لحظة
لقائي مع عبد الفتاح .. اللحظة التي تغلق فيها امى حجرة النوم
 علينا .. أنا وهو .. وتنقذ خلف الباب كخفيه الدرك ، لطمئن
 الى ان عبد الفتاح اخذ حقه منى .. الحق الذى اشتراه بماله

.. وقد كنت أستطيع حتى بعد أن تغلق أمي الباب علينا أن أصد عبد الفتاح عنى .. أدعى المرض .. أقاومه .. أبكي .. أفعل أى شيء حتى لا يصل إلى جسدي .. ولكن مجرد التفكير في هذه المحاولات أصبح يقزني من نفسي .. وكانت تتملكني رغبة أكيدة جارفة في أن أهرب من هذا الجو كله .. أن، أغير حياتي .. أغير نفسي .. أن أكون فعلا الفتاة التي يتصورها هاشم ويحبها .. ولكن لم أكن أدرى كيف أهرب من هذا الجو .. ولا أدرى كيف أغير نفسي .. وكنت ذاهبة إلى « الوايلية » عند أمي الحقيقة ، وانا لا ادرى ماذا سأقول لها .. ولم أكن قد اتخذت قرارا لأقيم معها .. لم أكن أفكر في شيء من هذا .. كان كل ما أفكر فيه هو أن أهرب من لحظة لقائي مع عبد الفتاح ، وأن أحاول أن أكون الفتاة التي يحبها هاشم ..

و « الوايلية » هي شعبي من أحياء العباسية .. كنت أحس دائمًا كلما زرتها وانا في سيارتي الاولى ، كأنى سائحة تتبرج على حى اثري من أحياء القاهرة القديمة .. ولكن في هذه المره لم أكن في سيارتي الاولى البيضاء .. ولم أحس بأنى سائحة .. أحسست أنى أعود إلى بيتي .. إلى أصلى .. أحسست كأنى غسلت حياتي من الزيف البراق ، وعادت كما أنا .. بنت هذا الشارع الضيق المزدحم بالضجيج ولم ابتسم لعم حسنين البقال الذى يفتح دكانه تحت بيت أمى .. وهو يمد عنقه خارج دكانه ويصبح مرحبا بي :

— يا صلاة الزين على الزين ..

ولم تنتدى سلامه العجلاتى وهو يدق لي جرس احدى عجلاته ويصبح :

— وسع للجميل ..

ان أهل الحى هنا يعرفون قصتى .. . يعرفون أن أمى تنازلت عن لخالتى الفنية .. ورغم انى لم اكن أزور أمى الا نادرا كل ستة شهور أو سبعة .. الا انهم كانوا يعتبروننى دائمًا بنت حبيهم ، رغم سبارتى الاولى ، وثوبى الاتيق ، وابتسامتى المتعالية التي تعودت أن القيها اليهم .. .

وصعدت الى بيت امى ..

وفتحت لى الباب اختى الصغيرة ، هناء .. وما كانت ترانى حتى هلت ، وفرحة كبيرة تزغرد على وجهها ، وصاحت :

— ابله نجوى جت معنی

ثم جرت الى داخل البيت قبل ان تصافحنى ، وهى تتنط وتصيح :

— ابله نجوى جت .. ابله نجوى جت ..

وفى لحظة انطلق البيت كله الى .. امى .. واخوانى البنات الأربع .. واخى اسماعيل .. واخى الصغير سمير .. وكلهم يقبلوننى ويضموننى الى قلبهم .. وفرحتهم الكبيرة تعطوف بي ، وتنسلل الى قلبي .. وكان من عادتى كلما زرت بيت امى ان احمل لهم معى شيئا .. صندوق شيكولاتة .. بعض الشياطين القديمة .. أصنافا من البقالة .. اي شيء .. وكانوا يفرحون بهذه الهدايا .. ولكنى فى هذه المرة ذهبت اليهم وأنا لا احمل لهم شيئا .. ورغم ذلك لم تقل فرحتهم بي ..

واتت امى خلفى .. وقالت :

— أمال فین مامتک عزيزه ..

وقات بلا مبالاة :

— مش جايـه .. أنا جيت لوحـدى ..

وكانت هذه ايضا اول مرة اذهب اليهم وحدى .. وليسـت

معي « ماما عزيزه » .. وكان هذا حدثا هاما ؛ فان « ماما عزيزه » كانت تحرص على ان تكون معي كلما ذهبت الى امى الحقيقة التي اناديها بلقب خالتى .. كانت تحرص على ان تكون معي ، اكثر من حرصها على اى شيء آخر .. فقد كانت تغار من امى الحقيقة .. وكان اكثر ما تخافه هو اليوم الذى اتذكر فيه ان لى اما اخرى .. اما حقيقة .

ونظرت امى الى وجهى كأنها تحاول ان تكتشف سرى .. ولكنها لم تسائلنى شيئا .. وجذبتنى اختى سميرة من يدى .. قائلة :

— تعالى معى اوريكى فستانى الجديد ..

ودخلت معها الى حجرة اخواتى البنات ، والجميع معى .. شاهدهم المبتسمة ، وعيونهم المبتسمة ، تكاد تحملنى من على الارض ..

والبيت كله ثلاثة غرف صغيرة .. كل غرفة أصغر من حمام الفيلا التى أسكنها فى شتارع الهرم .. امى وأختى الصغيرة ينامان فى غرفة .. وأختى الكبير فى الغرفة الأخرى .. واحواتى البنات فى الغرفة الثالثة .. ومائدة طعام فى الصالة .. وتطلعت حولى وتساءلت هل استطيع ان اقىم فى هذا البيت .. هل اجد لنفسى مكانا فيه .. اين .. هل أنام مع امى .. او مع اخواتى الأربع .. او مع اختى .. واحسست ساعتها انى لو اقامت فى هذا البيت فسأكون عينا على الجميع ..

وصاحت اختى الصغيرة هناء :

— انتى شفقى رقصى يا ابله نجوى ..
ٌ
قلت :

— لا .. وربني كده يا هانو ..

وبسرعة ، شدت هناء الطلبة من تحت السرير الحديدى
الصغير ، واعطتها لاختى فوزية .. والتقطت سميره ايشارب
حرمت به هناء .. وارتقت نقرات الطلبة .. حلوة .. مرحة ..
.. على واحدة ونصف .. ويدانا نصفق على دقات الطلبة ..
ـ هـاء ترقص .. وأمى تصيح فى مرح ضاحك :
ـ يا بت هزى وسطك .. ده رقص ده ..

ثم صاحت :

ـ قومى انتى يا سميره ورى اختك نجوى رقمتنا ..
وقامت سميره ترقص .. انها ترقص احسن من نجوى
مؤاد .. واخذت امى الطلبة تنقر عليها بنفسها .. وقامت فوزية
ابضا ترقص .. وانا اضحك .. واصفق بيدي .. وغتنى بيرقص
على « واحدة ونص » .. ومشكلتى تبتعد عن راسى ..
وتنعد ..

ان فى هذا البيت شيئاً أقوى من كل المشاكل .. فيه حب ..
وكل قرش فى هذا البيت مشكلة .. مشكلة صعبة .. ولكن
الحب يحلها .. أما فى بيتنا .. البيت الذى اقيم فيه فالقروش
فيه ليست مشكلة .. مشكلته ان ليس فيه حب .. فيه ام قاسية
.. ؤاب مثلول .. وبنت مغلوبة على أمرها ..

وصاحت اختى هناء :

ـ قومى انتى بآه يا أبله نجوى ..

وقلت :

ـ لا .. بلاش انا ..

وقالت امى :

ـ دى تلاقوها خيبة .. جسمها وقف من ركبة امعريبه ..

قلت ضاحكة كأني اتحداها :
— كده .. طيب والله لاوريكم ..

وقدفت بفردتى حذائى فى الهواء .. ووقفت .. حزمتني
اختى سميرة .. ورقصت .. رقصت بكل قطعة من جسدى ..
.. رقصت كأنى اشكو .. كأنى أناجى هاشم .. كأنى اتمرد
.. كأنى استغىث ..

وبهرتهم برقضى ..

رقصت احسن مما رقصت اختى سميره ..

وصاحت امى :

— ايه ده كله يا نوجا .. والله عزيزه عرفت تربى ..

وقالت اختى سميرة :

— هم متوع شارع الهرم بيعرفوا يرقصوا كده ..

وصاحت اختى هناء :

— رقصك حلو قوى يا ابله .. يا ريتني اعرف ارقص زيك
كده ..

وانا ارقص .. وارقص .. لا اريد ان اكف عن الرقص ..
ودقات الطبلة تملأ قلبي .. وتملا رأسى .. وتملا جسدى ..
وضجيجها الحلو أعلى من ضجيج هومى وعدايبى .. الى ان
تعبت .. احسست بخفقات قلبي ترتبك .. كأنى سامرض من
جديد ..

وألقيت نفسى على السرير الحديدى الصغير ..

وسكتت نقرات الطبلة ..

والجميع يهلهلون ..

قالت امى :

— قومى تسطحى على سريرى شويه ..
شم جذبتنو من يدى ، والتفتت الى اخواتي قائلة :
— سيبونا لوحدننا شويه يا بنات خلونى اتهنى ببنى .. دى
وحسانى .. وانتى يا سميحة خشى المطبخ وحطى حلة الخضار
لس الوابور .. انتى متش حا تتفددي معانا يا نوجا ؟
قلت وانا التقط انفاسى من الرقص :
— أيوه ..
واخذتني الى حجرتها .. وارقدتني على فراشها .. ورقدت
جانبى .. وابتسمة كبيرة حلوة بين شفتىها :
— ايه باه حكاياتك يا سست نوجا .. زعلانه ليه ؟
ونظرت اليها . واحترت ماذا أقول لها ..
انى لا ادرى اذا كانت تعلم حقيقة علاقتى بعد الفتاح ،
ام لا .. انها تعرف عبد الفتاح ، وتعرف انه صديق العائلة .
وبسبق ان وظف اخى فى احدى شركاته .. ولكن هل تعلم حكاية
الحقيقة التى وقعتها والتى تربطنى به .. وهل تعلم انى عشيقته
.. وهل تعلم انه ينفق علىـ وعلى البيت كلـه .. لا ادرى .. فلم
بسبق لى او لها ان تحدثنا فى هذا الموضوع ..
ولم ارد عليها ..

علقت عبئى فى سقف الغرفة . وسكت ..
وعادت ابى تسالنى :
— عزيزه اختى عامله فيكى ايه .. ما انا عارفاهـا .. جباره ،
طول عمرها .
وانطلقت دموعى فجأة ، وقلت :
— خلاص .. متش قادره اطيقها .. متش قادره استحملها ..
ده حسانى زى ما اكون مجرمه .. بتعاملنى زى ما اكون لسه

عندى اتناثر سنه .. تصورى انى عمرى ما خطيت الشارع
لوحدى .. عمرى ..
ثم استدرت ودفنت وجهى فى صدرها واستطردت وأنا
اجهش بالبكاء :

— أنا مش عايزة أقعد عندها .. مش عايزة .. الموت
أرحم .. عايزة أقعد معاكى انتى .. انتى ماما .. مش ممكن
يكون لى أمين .. ما ليش الا ام واحده بس .. انتى ..
وضمتني أمى الى صدرها فى حنان ، وقالت ودموعها تنهمر
هي الأخرى :

— طبعا يا حبيتى .. أنا أmek .. وما فى يوم مر على نسيت
فيه انك بنتى .. هو الضنا يتنسى يا حبيتى .. وبيتى بيتك ..
واهى اللقمه اللي تكفى سبعة تكفى تمانيه ..
قلت :

— أنا حاقعد هنا من النهارده .. من دلوقتى ..
وقالت وهى تربت على ظهرى فى حنان :

— وماله .. بس والتبى لو جيتنى للحق عزيزه اختى بتحبك
ما تقدرش تستغنى عنك .. غيرش انها صعب شويه .. واذا
كانت مضابقاكى فى الخروج فلانها خايفه عليكى و ..
وقاطعتها قائلة :

— يعني ما بتخافيش على سميره اختى .. أمال بتسمحى
لاتها بالخروج ازاي ؟ ..
قالت وهى تبتسم :

— أنا حاجه تانية .. أنا مريبه بناتى على الحرية .. ومفهوماهم
وموعياهم .. وبعد كده اللي تغلط أهنى غلطتها تيجى على
دماغها ..

قلت :

— اهو أنا عايشه ام زيك كده ..

قالت ضاحكة :

— ما أنا امك يا بت .. بس مسلفاكي لاختى تلعب بيكي
شويه ..

واستتم حوارينا .. كلامنا لا ينتهى .. ولكن لم أجرؤ على
ان اصرح لها بعلاقتي بعد الفتاح .. ولا هي بدا عليها انها
عرف شيئا عن هذه العلاقة ..

وطيف هاشم يطوف بي ..

انى غي حاجة اليه حتى يمنحنى الامل والقوة .. لقد
منحنى القوة حتى يشفى قلبي .. وانا في حاجة اليه الان ليشفى
حياتى ..

واحسست انه اوحشنى .. احسست انى بعدت عنه كثيرا ،
منذ وصلت الى الوايلية .. وتنبأت ان اتصل به في التليفون ..
ولكن ، ليس في هذا البيت تليفون .. ترى هل استطيع ان
أعيش في بيت ليس به تليفون اتصل به بهاشم ..
وانا ولد لا نزال نتحدث ..

ونجاة سألتني :

— انما ما قلتليش .. مين اللي شاغل بالكاليومين دول ؟

وابتسمت .. وربما احمر وجهى ..

وعادت امى تقول في مرح :

— اظن حاتقولى لى ما غيش حد ..

قلت :

— لا .. فيه ..

واعتدلت جالسة فى الفراش وقالت وفى عينيها نظرة حلوة
بتطلعها كأنها صديقتي الحميمة :

— مين .. قوليلى عندها
قلت :

— الدكتور هاشم .. اللي كان بيعالجني ..
وسرحت أمى بعينيها برحة كأنها تتذكر ، ثم قالت :
— افتقربت .. شفته نوبه لما كنت عندكم وانتي عيانه ..
ده راجل أبهه .. ومحترم .. وشكله يهوس .. أصل أنا أحب
الرجاله اللي شكلهم حلو .. إنما قوليلى عملتى معاه أيه ؟ ..
قلت :

— ولا حاجه .. تصورى بقاله سنت اشهر داخل خارج منى
البيت .. وعمره ما لمسنى ، ولا قال لي كلمة كده ولا كده ..
قالت :

— إنما فهمتى منه أيه .. بيحبك ..
قلت فى دلال :

— موت ..
قالت :

— وناؤى على جوازا .. ولا أيه ؟
قلت :

— لسه ما كلمنيش فى جواز .. أصله مش ممكن يتجوزا
الا ما يتأكد من الحب الاول .. إنما عرفنى باخته ..
قالت :

— خلاص .. يبقى ناوي .. وعزيزه اختى عارفه الحكايه
دى ؟
قلت :

— عارفه .. ومطلعه دينى .. خانقانى .. تصررى انها
مش راضيه تسبيينى اروح اتابله ولا مره لغاية دلوقتنى .. قال
ايه .. رجلها على رجلى .. تصورى باه لما اروح اتابل هاشم
وهي معايا .. يبقى شكلنا يكشف ..
قالت :

— اذا كانت هي دى مشكلتك .. سببها علىـ انا .. انا
حاكمها ..

وحديثنا لا ينتهى ..
وحديث امى .. امى الحقيقية .. فيه حلاوة لسانها ..
وخفة روحها .. وطيبة قلبها .. وایمانها بالحب .. انها هن
نفسها حملت كل مأسى الحياة لأنها تزوجت الرجل الذي احبت ..
ونجا ..

سمعننا طرقا على الباب ..
ودخلت امى الثانية .. وجهها المكرمش الصامت كلوح من
الصفير الصدىء .. دون ان تحبى احدا من فى البيت ، نظرت
إلىـ بعينين غاضبتين قاسيتين ، وقالت :

— اتفصلى قومي معايا ..
قلت وأنا انزوى فى جانب من السرير كأنى اتشبث بمكاني :

— مش قايمه .. مش حارج بيتك تانى ..
وقالت فى لهجة آمرة لا تخلو من تهمك كأنها تعرف دائمـا كيفـ
تصل الىـ . وكيف تعدينى اليها :

— قومى .. الدكتور هاشم مستنى تحت فى عربته ..
وقفزت من فوق الفراش وأنا اصرخ :

— هاشم .. ايه اللي جابه ..

قالت فى غرور كأنها تتباهى بذكائها :

— أنا ..

انها هذه السيدة .. لقد عرفت انه لن يعيديني اليها الا هاشم
مجاءت به ..

وقالت أمي الحقيقة :

— بس أنا عايزة أقعد اتكلم معاكى يا عزيزه يا اختى ..
وقطاعتها أمي الثانية قائلة :

— مش وقته ..

ثم التفتت الى قائلة :

— احنا حانسيب الرجال مستنى وسط القرف اللي فى
الشارع ده ، ولا ايه ..
وقلت وانا انظر فى تحد :
— انا نازله ..

ولبسست حذائى ، ونزلت معها .. وكلانا صامت ..
واستقبلنى هاشم بابتسامة صغيرة ، وفتح لى باب سيارته
.. وجلست بجانبه .. وجلست أمى فى المقعد الخلفي ..
وانا ثائرة .. ثورة داخلية .. وتأثيرة فى ثورتى .. لا
استطيع حتى ان ابتسم لهاشم .. وأحس بموجة من الكراهيه
لهذه الام اللى تجلس فى المقعد الخلفي .. اكرهها لأنها اموى
مني .. واذكى منى .. ولاني لا استطيع ان اهرب منها .. ولأنها
 تستغل ضعفى لحبيبي .. وتستغل براءة حبىبي وجهله بحقيقة تها ..
وحققتى ..

وقال هاشم وهو يقود سيارته فى شارع رمسيس :
— أنا زعلان منك .. مش لأنك خرجتى .. إنما لأنك خرجتى
من غير ما تقولى لي انا .. نفرض انك زعلانه من ماما .. وانا
.. زعلانه منو، أنا كمان ؟

تالت وادا لا انظر اليه :

— لا ..

قال :

— أمال ما كلامتيش ليه قبل ما تخرجى ..

قلت :

— كنت متضايقة .. ما كنتش عارفه باعمل ايه ..
ومرت بقلبي لمسة من الفرحة وهاشم يحاسبني .. انه
يعتبر نفسه رجل .. انه رجل ..
وسكت هاشم ..

ووجدت نفسي انتقل بخيالي الى بيت امى الاحقى في الوالية ..
ارقص على نقرات الطلبة .. وانام على مرتبة ملقاء على
الارض بين اخواتى .. واطبخ على وابور الجاز .. وأستحم بماء
في ميفيحة الغلية ، بدلا من البانيو .. وأضحك .. وأمرح ..
واحب .. ترى هل كان هاشم يحبنى في هذا البيت .. هل كنت
التيت به اصلا لو اتى اعيش في هذه الحياة ..

وصلنا الى البيت في شارع الهرم ..

والتفت هاشم الى امى وقال :

— تسمحى لي يا عزيزه هاتم اكلم نجوى كلمتين ؟

وقالت امى وهي تنزل من السيارة :

— كلماها يا بنى .. اما اشوف آخرة البنوت دى ايه ؟
ودخلت الى البيت .. ولكنى كنت واثقة انها تطل علينا من
خلف باب او من خلف شباك ..

وقال هاشم بعد برهة صمت كأنه يستجمع فيها افكاره :

— انا عايز اسألك يا نجوى وتجاويني بصرافه .. انت
لمسه فيه بينك وبين عادل حاجه ؟

وَغُوْجِئْت ..

لَقَدْ نَسِيَتْ عَادِلْ مِنْ زَمَان .. اَنَّهُ ذَكْرِيَّ مِنْ ذَكْرِيَّاتِ الطَّفُولَةِ
لَا اَذْكُرُهَا اَلَا كَلَمًا ذَكَرْتُ طَفُولَتِي .. وَقُلْتُ وَالْدَهْشَةُ تَمَلأُ وَجْهِي :
— عَادِل .. اِيَّهُ اللَّى نَكَرَ بِيه .. اَنْتَ عَارِفٌ اَمِّي نَسِيَّتِه
مِنْ زَمَان ..

قَالَ :

— اَمَالْ مَامِتَكْ اَفْتَكَرْتَ اَنْكَ هَرِبَتِي عَلَشَانْ تَرْوِحِي لَهُ لِيَه ؟
قُلْتَ :

— هِيَ تَالَّتْ كَدَه ؟
قَالَ :

— اَيُوه .. وَأَخْذَتِنِي لِغَايَةِ بَيْتِه فِي حَلْوَانْ عَلَشَانْ تَسْأَلْ
عَلَيْكِي هَنَاك ..

قُلْتَ كَائِنَ اَخَاطِبُ نَفْسِي :
— عَجَبِيَه ..

ثُمَّ تَبَهَّبَتْ مِنْ دَهْشَتِي وَقُلْتَ :

— اَنْتَ عَارِفٌ مَامَا .. مَشْ مُمْكِنْ تَصْدِقُ اَنِّي اَهَرِبُ اَلَا عَلَشَانْ
عَادِل .. خَدَتْ عَلَى كَدَه ..

قَالَ :

— اَمَالْ هَرِبَتِي مِنْهَا لِيَه ؟
قُلْتَ وَاَنَا اَرْخِي عَيْنِي :
— عَلَشَتِك ..

قَالَ :

— اَزَايِ ؟
قُلْتَ :

— لَانَهَا مَشْ عَايِزَه تَسْمَحُلِي اَقْتَابِلَكْ لَوْحَدي ..

وابتسه هاشم كأنه استراح .. ثم قال فى هدوء :

— احنا لازم نتحمل مامتك يا نجوى .. من حقها انها تخاف عليكى .. ومن حقها انها تفك بعقليتها .. وضرورى حائلaci طريقة نشوف بعض بيها من غير ما نزععلها .. وانتى اقوى منها .. اقوى بشبابك وجمالك ، وحبها لك .. وفى اى وقت تقدرى تعملى اللي انتى عايزةاه ..
انه لا يعرف امى ..

وهممت ساعتها ان احدثه عنها .. ان اقول له كل شىء ..
ولكن هل استطيع .. لا .. لا استطيع ..

وتركت هاشم على ان احدثه في المساء ..

ودخلت البيت .. ووقفت امام امى ، وصرخت فيها بتحدى :

— انتى ازاي تاخدي هاشم لغاية بيت عادل .. وتفهميه
اني يمكن اكون هربت هناك ..

وقالت فى برود :

— انا كنت فاهمه كده ..

قلت :

— انتى عارفه كوييس انى سبت عادل من زمان ..
قالت :

— ايش عرفنى .. يمكن تكوني اتجننتى .. وكان لازم
الدكتور يفهم ان فيه واحد تانى علشان يتتحرر شويه ..
وقلت وقد فهمت ما تقصده :

— من فضلك ما لكيش دعوه بالدكتور .. ارحميه ، وارحمينى
من خلطك ..
ونظرت الى ، وعيناها الضيقتان كأنهما ثقبان فى لوح الصفيحة ،
وقالت :

— خلنا فى الجد .. أنا دلوتنى عايزه أعرف انى عايزه
ايه بالضبط ؟
قلت :

— عايزه تعرفي انى ما بقتش بنت صغيره .. أنا عندي
عشرين سنه .. ومن حتى اخرج وأدخل زى ما أنا عايزه ..
قالت :

— علشان تقابلى الدكتور هاشم .. مش كده ؟
قلت :
— آه ..

وتنهدت كأنها تستعين بالصبر .. وقالت :

— وعد الفتاح ؟
قلت في حدة :

— مش عايزه أشوفه ..
وعادت تنهد كأنها تشد حبال الصبر ، وقالت :
— ونعيش منين ؟
قلت :

— ما اعرفش .. انشا الله حتى نعيش فى الوايليه وناكل
عيش بدقه . وفيها ايه لما نرجع نسكن فى شققنا اللي فى الجيزه
.. ونعيش زى ما كنا عايشين قبل ما نعرف عبد الفتاح ..
قالت في هدوء :

— ده كلام عيال .. انتي ما تقدريش تعيشى زى ما كنتي
عايشة فى الجيزه .. أنا حا اقول لك على اللي يتعمل .. انتي
عايزه تتجوزى الدكتور هاشم .. مش كده ؟
قلت وانا لا زلت محتجدة :
— أنا ماحبه .. مش مهم انى اتجوزه ..

ورفعت امي الى عينيها كأنها تتعجب لوقاحتى ، ثم قالت :
— طيب عايزه تقابلية لوحدك ..
قلت :

— آه ..
قالت :

— وانتى عارفه انك مش ممكن تقابلية لوحدك الا اذا وافقت
انا .. انشالله تهربى لآخر الدنيا حتلائقنى وراكى .. مش
حا اهنيكى بدقيقته واحده لا مع هاشم ولا مع غيره .. الا اذا
اتفقنا ..

قلت وانا اتحداها فى تهكم :
— وايه الاتفاق ؟
قالت :

— انا حاسمح لك تخرجى مقابلى الدكتور ..
قلت وانا لا زلت اتهكم :
— متشكره قوى .. نعمه ..
قالت :

— بس على شرط ..
قلت :

— عارفه ان فيه شرط .. اتفضلى اتكلمى ..
قالت :

— على شرط تكونى لطيفه مع عبد الفتاح .. وأوعدك
يوم ما الدكتور يتجاوزك .. مش حانشوفى عبد الفتاح .. وانتى
عارفه ان عبد الفتاح ما عندوش مانع انك تتجاوزى .. ولسه
من شهرين وعدنى انك يوم ما تتجاوزى حايجهزك بنفسه جهاز
احسن من جهاء بنته ..

ثالث :

— بس له شرط ..

ثالثاً :

— شرط ايه ؟ الرجال ما اشترطش حاجه ..

قلت :

— شرط ضمنى .. انى افضل لطيفه معااه حتى بعد
ما انجزو ؟

قالت وهى تنظر الىّ فى غيظ :

— ساعتها بيقى يحلها ربنا .. ومش ممكن أشوهك متجوزه
واحد زى الدكتور هاشم ، وحد بيقى لو عين عليكى .. المهم ..
خلينا فى الموضوع .. رأيك ايه فى اتفاقنا ..

وقلت بلا مبالاة :

— موافقه ..

ونظرت الىّ كأنها لا تصدق اذنيها .. كأنها لم تكن تنتظر ان
تأتى موافقتي بهذه السرعة والبساطة .. وقالت وهى تحدق
فى وجهى :

— يعني اتنق مع عبد الفتاح بيجي بكره ؟

قلت :

— لا .. بعده ..

ثالثاً :

— ليه مش بكره ..

قلت :

— لأنى بكره عايز أقابل هاشم ..

ثالثاً :

— بس ده عبد الفتاح النبارده كان حايتجنن ، لما ضربت له
تلفون وقلت له انك خرجتى تزورى خالتك ، علشان عيانه ..
قللت :

— أحسن .. خليه يتجنن كمان وكمان ..
قاللت فى كمد :

— امرک يا سست نوجا .. أما اشوف اخرتها معاكى ايه ..
ودخلت غرفتى ..
وجاءت ورائى ..

ونظرت اليها فى تحد وصرخت فى وجهها :

— من غضلك سيبيني انام لوحدى .. أنا مش طايقه حد
ينام جنبى ..

واتسعت عيناهما فى هلع ، كأنى طعنتها بخنجر فى قلبها ..
ثم ابتلعت الطعنة .. واحت ظهرها فى يئس .. وخرجت من
غرفني تسير فى خطوات متربحة ..
والقيت نفسى فى فراشى ..
ابكى ..

★ ★ ★

والايات تمر ..
النقى بهاشم ..
واستقل عبد الفتاح ..
وحيان تلتوى أكثر .. وتنعدى أكثر .. و قطرات العذاب
منزف فى داخل صدرى .. وتنفر فى عقلى ..
وكان هاشم يلقاني فى سيارته .. ونذهب الى ترعة المنصورية
.. او الى طريق المطار .. وأحيانا نتناول الشاي فى مينا هاوس

أو غى استراحة الهرم .. ومرات كثيرة كان يصحبنى الى مطعم « الاستريو » عند أول طريق الفيوم ، ساعة الغداء ، ثم يدخل وحده ويشتري قطعا من الساندوتش نأكلها فى السيارة وأحيانا تدعونى أخته الى جلسة عائلية ، وهو دائما رقيق معى .. طيب حنون .. يعاملنى كائى عذراء .. كائى ملاك .. كائى مصنوعة من زجاج رقيق معرض للكسر .. ويختار على أن تكسرنى كلمة او لمسة .. وليس بينى وبينه سوى هذه القبلات التى تأخذ قلبي وتنتقله الى عالم النظيف ، النقي ، الطاهر .. وأحيانا كثيرة كانت قبلاته تسرى فى دمى وتحرك انوثتى .. تشعرنى أنى امراة .. انه لا يزال الرجل الوحيد الذى يستطيع ان يشعرنى بائى امراة .. واكاد أصبح فيه .. خذنى .. خذنى كامرا .. اكاد اعترف له بكل قصتى .. ولكنى لا استطيع .. اخاف ان انقده .. فأستسلم لعذابى .. وأحيانا كثيرة كنت اشعر به هو الآخر ورجولته تزار بين شفتى .. شفتاه تقದان رقتهمما وتنطلقان فى صخب .. وذراعاه القويتان يفقدان حنانهما ويلتفان حولى فى قسوة .. واغمض عينى واتمنى أن يزداد فى تسوته .. وفي انتلاقه .. ولكن لا .. ان ارادته اقوى من غرائزه .. ويسطير على نفسه بسرعة ، ثم ينظر الى .. وفي عينيه اعتذار .. ويعود رقيقا ، حنونا .. ورقته تعذبنى .. تشعرنى أكثر بمصيبة ..

الى أن قال لي مرة :

— تعجبى يا نجوى أنا كل ما بعرفك اكتر ، باتوه فيكي اكتر .. كل ما اعرف عنك حاجة يتهيألى ان فيه حاجات كتير عايز اعرفها ..

ونظرت اليه بعينين مذعورتين .. ماذا يقصد .. هل يشك
عنـى .. هل سمع شيئاً عنـى .. وقلت وحلقى جافـ :
ـ انت عارف عنـى كل حاجـ .. ما فيـش حاجـ ما قلتـش
انـك عنـها ..

قال وهو بيتسـم :
ـ طبعـا .. بـس أنا باكلـمك عنـ احسـاسـي .. دـايـما حـاسـسـ
انـى منـظـر انـك حـانـقـولـلـى حاجـ جـديـدـه ..
قلـتـ :

ـ زـى اـيه ؟ ..

قال وهو يـهـزا كـتـفـيه ﴿

ـ ما اـعـرفـش ..

قلـتـ :

ـ اـسـالـنـى عنـ اي حاجـ ، وـاـنا اـقـولـ لك ..

قال وابـسـامـته تـتـسـعـ :

ـ بـرـضـه مش فـاهـمـانـى .. أنا باـكـلمـك عنـ اـحسـاسـي ..
 مجرد اـحسـاسـ ..

ثم رفع يـدى الى شـفـتـيه وـقـبـلـها .. وـانـحنـى يـقـبـلـنى بـجـانـبـ
اذـنـى ..

ان اـحسـاسـه صـادـقـ .. اـشيـاءـ كـثـيرـةـ لم يـعـرـفـها عنـى ..
اـشـيـاءـ هـائـلـةـ .. آـهـ لـو عـرـفـها .. وـربـما كانـ هذا الـاحـسـاسـ
الـ...ـاقـ الذى يـحـيرـه هو الذى يـجـعـلـه يـتـرـددـ حتـىـ الـيـوـمـ فـىـ تحـدـيدـ
نوـعـ عـلـاقـتـهـ بـىـ .. وـهـوـ لا يـدرـىـ انـىـ اـتـعـذـبـ .. وـلا يـدرـىـ انـىـ
أـرـضـىـ بـايـ عـلـاقـةـ يـخـتـارـهـ بـيـنـا .. اـيـ عـلـاقـةـ .. الا انـ يـسـتـمـرـ
مـىـ بـعـذـيبـىـ بـرـقـتـهـ .. وـحـانـهـ .. يـعـذـبـنـىـ أـكـثـرـ مـاـ يـعـقـبـنـىـ عـبـدـ
الـسـاجـ ..

وعبد الفتاح يشعر بأنى تغيرت .. تغيرت كثيرا .. انى
لم اعد أستطيع ان امثل له دور المرأة .. دور الفانية .. لم اعد
أستطيع وانا معه ان افتعل احساس المرأة .. لم اعد أستطيع
ان استقبله باحساس اللاملاة ، كان الجسد الذى اعطيته له
ليس جسدى .. لقد أصبح يؤلمنى .. كل شئ فيه يؤلمنى ..
اما حقيقيا .. شفتاه تؤلمنى .. لسانه تؤلمنى .. جسده يؤلمنى ..
.. ولم يكن عبد الفتاح يطلب مني الحب .. كان كل ما يطابه
ى .. هو ساعة منعة .. ولكن هذه الساعة لم اعد أستطيع
أن اعطيها له .. انى اعطيه ساعة عذاب .. انى اشعره بعجزه
.. بالفرق الكبير بين سنى وسنـه .. وقد أصبح يشك فى ..
اصبح يعتقد ان هناك شيئا حدث لي .. رجل آخر فى حياتى ..
وقد صرخ بشوكه لأمى .. وأجبت امى :

— ابدا والنوى يا ابني .. ما فيش حد .. انما هى من يوم
ما قامت من العيا وهى متغيرة ، وزى ما تكون بقت واحده تانبه
.. اسألنى انا ، دى موريانى القلب ..

ولكن عبد الفتاح لم يصدق ان السر غى تغيرى هو مرضى
.. بـدا بيبحث وراى .. ويحاسبنى .. ويحاسب امى ..

وأمى تنفس النار من انفها ومن عينيها فى انتظار نتيجة علاقتى
بهاشم .. وتحاول ان تصل الى معرفة نياته عن طريق اثاره
زواجه .. فى كل مرة يزورنا تدعى امامه ان خطيبها قد تقدم
لى .. وكان هناك خطاب يتقدمون لى فعلا ، ولكن امى لم تكن
تعنى ان تستشير هاشم فيما .. كان كل همها ان تدفعه ليحدد
بوقفه .. وقالت له :

— ايه رايـك يا دكتور فى عبد العزيز زحمى .. تعرفه ! ؟
وقال هاشم غى هدوء :

— لا ^{بره}
وقالت أمى :

— ده مهندس معروف .. عنده تلاتين سنه .. وعمارتين ..
ومتقدم لنجوى .. وأمه رايحة جايه .. وما بتبطلش كلام في
التليفون .. ومش عارفة أقول لها ايه ..

وقال لها :

— اللئن تقوله نجوى ..
وقالت :

— نجوى بتطلع .. إنما أنا شايفه إن كفايه دلع باه ..
لازم نتنفعها بالجواز ..

وقال هاشم :

— فعلا .. نجوى لازم تتجوز .. إنما مين وامنى ، ده هي
اللى تقرر له بحدها ..

وقالت أمى :

— بحدها ازاي باه .. واحنا مالناش راي ..
وقال هاشم وابتسامته الهاذة بين شفتيه :

— لا .. مش احنا اللي حاتتجوز ..

وسكتت أمى وهي تنظر اليه في غيظ ..

وبعد ان خرج هاشم ، صرخت في وجهها :

— اوهى تاني مره تتكلمي قدام هاشم عن الجواز .. دي
طريقه بدوى .. مكتوفه .. واللى زى هاشم مش عبيط ..
ناهمك اكتر ما انتي فاهيماء ..

وقالت في حدة :

— ولما هو فاهيمى ، ساكت ليه ، لغاية دلوتنى .. ما يقول
أيوه ، ولا لا ..

وعدت أصرخ فـى وجهها :

ـ مـالـكـيـش دـمـوه بـيه .. با اـقـول لـك ما لـكـيـش دـعـوه بـيه ..

وسـكـنـت اـمـى وـهـى تـنـظـر إـلـى، كـانـهـا تـتـرـيـص بـى ..

ويـوـمـا بـعـد يـوـمـ، لم يـعـد مـوـضـوـع الزـوـاج هو ما يـشـفـل بـينـ اـمـى .. لـقـد اـحـسـت اـنـهـا بـداـت تـفـقـدـنـى .. تـفـقـد اـرـتـبـاطـى بـهـا .. وـتـفـقـد سـبـطـرـتها وـتـأـثـيرـها عـلـى .. وـاحـسـت اـنـى حـتـى لو تـزـوـجـت هـاشـمـ، فـلـنـ يـرـى هـذـا لـيـهـا .. بل سـتـفـقـدـنـى اـكـثـر .. سـيـاخـذـنـى هـاشـمـ الـى عـالـمـ بـعـيدـ عـنـهـا .. بـعـيدـ عـنـ نـفـوـذـهـا .. وـعـنـ عـقـلـيـتـهـا .. وـكـانـت السـاعـاتـ الـتـى تـسـمـح لـى فـيـهـا بـالـخـروـجـ لـلـقـاءـ هـاشـمـ تـفـقـدـهـا عـقـلـهـا .. وـكـنـتـ اـعـود لـاجـدـهـا شـبـهـ مـجـنـونـةـ ، وـلـمـ يـكـنـ يـهـمـهـا مـاـذـا فـعـلـ هـاشـمـ بـى .. وـلـكـنـ كـانـ كـلـ ما تـحـسـ بـهـ اـنـى تـحرـرـت من سـيـطـرـتها سـاعـةـ او سـاعـتـيـنـ .. اـنـهـا تـغـارـ .. تـغـارـ من هـاشـمـ .. تـغـارـ اـكـثـرـ مـاـ يـغـارـ عـبـدـ الـفـتـاحـ .. كـانـهـا تـعـشـقـنـى كـمـا يـعـشـقـنـى رـجـلـ .. اـنـهـا تـمـلـكـنـى ، لـا كـمـا تـمـلـكـ اـمـ اـبـنـتـهـ .. وـلـكـنـ شـىـءـ آخـرـ .. مـلـكـيـةـ شـاذـةـ .. وـتـحـسـ بـهـاـشـمـ كـانـهـ يـعـتـدـى عـلـى اـمـلاـكـهـ .. اـنـهـا لا تـرـيدـ انـ اـكـونـ سـعـيـدةـ لـاـ فـى حـدـودـ السـعـادـةـ الـتـى نـهـبـهـا لـى عـلـى السـعـادـةـ الـتـى تـائـى لـىـهـا عـنـ طـرـيقـهـا .. اـمـا انـ اـكـونـ سـعـيـدةـ بـعـدـا عـنـهـا .. سـتـعـادـهـا اـسـتمـدـهـا مـنـ رـجـلـ يـاخـذـنـى وـلـا يـأـخـذـهـا مـعـى .. مـسـتـحـيلـ .. وـزـادـ مـنـ جـنـونـهـا اـنـى اـصـبـحـتـ الحـ عـلـيـهـا كـثـيرـاـ انـ تـذـهـبـ لـبـيـارـةـ اـمـيـ الحـقـيقـيـةـ .. اـصـبـحـتـ اـذـهـبـ الـيـهـا كـلـ اـسـبـوعـ عـلـى لـلـأـقـلـ .. وـتـرـانـى هـنـاكـ سـعـيـدةـ اـضـحـكـ وـارـقـصـ .. وـلـا اـتـأـفـ .. مـنـ الفـقـرـ الـذـى يـحـبـطـ بـى .. كـانـى اـفـكـرـ فـى كـلـ لـحظـةـ اـنـ اـقـيمـ فـى هـذـا الـبـيـتـ وـبـطـ هـذـا الفـقـرـ ..

وـكـلـ ذـلـكـ مـنـ تـأـثـيرـ هـاشـمـ ..

وـهـى تـعـلـمـ اـنـى اـحـبـ هـاشـمـ .. وـتـعـلـمـ اـنـهـا لـنـ تـسـتـطـيـعـ

أن تنزع هذا الحب من قلبي بكلمة منها .. ولقد حاولت كثيراً أن تمنعني من الذهاب للقائه .. أصبحت تثير مشكلة في كل مرة أكون على موعد معه .. وأصرخ في وجهها ... وتصرخ في وجهي ... ثم أهددها .. أهددها بأن أقطع علاقتي بعمر الفتاح .. وأن أصرح له بحبى لهاشيم .. وأهددها بأن أذهب وأقيم مع أمى الحقيقية .. وأخيراً تضطر أن تسمح لي بالخروج وحدى ، وتتسنّر علىٰ حتى لا يعلم عبد الفتاح شيئاً ..

وفى يوم ^{١٩٤٥}، جاءت ورتقت بيجانى وعلى شفتيها ابتسامة، نشق وجهها المكرمش كأنها فتحة علبة من الصفيح الصدىء ... وضمتني إلى صدرها في حنان .. وقالت لي أنها استطاعت أن تدخر ثلاثة آلات جنية .. من تقد عبد الفتاح طبعاً .. وأنها قررت أن تدفع هذا المبلغ كمقدم لعمارة تشترىها وتنكتبها باسمى .. وقلت لها :

— مرسى ^{١٩٤٥} ..

واغتصبت قبلة ، طرقتها فوق خدتها ..

ومسكت أمى قليلاً ثم قالت :

— اسمع يا نوجا .. تعالى نتكلم بالعقل بأه فى الموضوع

آيات ^{١٩٤٥} ..

قلت :

— موضوع آية ؟ ..

قالت :

— موضوع الدكتور بتألك ..

قلت وقد اكتشفت سر العمارة التي قررت أن تشترىها لي :

— اتكلمى ..

قالت وهي ترشوني بابتسامة :

— بآه أنا شايفه ان الدكتور ده مش بناتع جواز .. ده راجل
عنده اتنين وربعين سنه ولسه ما تجوزش لغاية دلوقت ..
يبقى ايه اللي حايكليه يتجاوز بعد العمر الطويل ده كله ..
صدقيني ده مش بناتع جواز ..

قللت :

— أمال بناتع ايه ؟

قالت :

— بناتع سبات ..

قللت :

— ولما هو بناتع سبات ما طلش مني حاجه لغاية دلوقتى
لية .. ده بيبيوسنی بالليله ..

قالت :

— طيب .. بناتع حب .. ما هو فيه رجاله كده ، غاوبيين
حب .. وبعد ما الواحده تقع في الحب ما يرحموش ..

قللت فـى ضيق :

— عايزه تقولى ايه .. قصدك ايه ..

قالت :

— قصدى ان احنا نشيل حكاية الجواز دى من دماغنا ..
قللت وأنا انظر فى وجهها أحاول ان ازبح عنه سحب الخبر
لاكتشف سرها :

— طيب افرضى اننا شيلنا حكاية الجواز .. ايه اللي
حايحصل ..

قالت :

— يبقى خلاص .. نعرفه من غير ما نلف ولا تدور .. والشرط
يبينا ثور ..

قللت وانا انظر اليها فى قرفه :

— يعني ايه ؟ ..

قالت :

— يعني بييجى يشوفك فى البيت هنا .. بدل ما تمرمى نفسك فى الشارع .. خصوصا ان الناس ابتدت تتكلم عنك وعنك .. وانتى مهمما قلنى ، لغاية التهاردہ ما حدش قدر يتكلم عنك .. سمعتك زى البرانى ، والخطاب رايحين جايين ..

قللت وانا أدعى الغباء :

— ما هاشم ببييجى يزورنا فى البيت .

قالت وغد ظنت أنها على وشك أن تقعنى :

— لا .. تصدى انكم تقعدوا هنا لوحدكم .. انشا الله حتى
بيجي كل يوم .. وانا ماليش دعوه بيك .. اللي تعملوه اعملوه ..
قللت في تهمكم مر :

— يعني زى عدد الفتاح .. مش كده ؟ ..

ثالثت :

— وهو هاشم مش راجل وعبد الفتاح راجل .. كل الرجال
زى بعض .. واللى عايزينه من الاست ما بيتغيرش .. والشاطره
هي اللي نعرف تستانيه ..

وسلطت كل ارادتى على اعصابى حتى لا تثور ، وقللت في
هدوء أكتم به ناري :

— انتي وحشه يا ماما .. وحشه قوى .. أنا حبيت هاشم
لأنه أقنعني بأنى أقدر أكون بنت كويسه .. إنما انتي مصممه
على إنك تخليني بنت وحشه .. وأفضل طول عمرى بفت
وحشه ..

وقالت :

— سيبك من الكلام ده اللي لا يودي ولا يجيب .. احنا
سنكلم بالعقل .. و ..
وصيرخت بي .. انطلقت النار :

— سعيينى .. اخرجى من اوتني .. مش عايزه اسمع
ولا كلمه منك .. اخرجى .. اخرجى ..
ورفعت الوسادة ووضعتها فوق رأسي ، وسددت بها اذنى
حتى لا اسمع كلامها .
وخرجت امى ..
وتركتنى ابكي ..

ولم تحاول ان تعود اليه فى تلك الليلة .. وفى الصباح
كانت هادئة ، ووجهها جامد .. ولم تحاول ان تعيد على حدث
الامس .. لم ييد عليها اتنا اختلفنا على شيء ..

٦٧٣

اتصلت بهاشم فى الطينون كعادتى كل صباح .. وقال لو
وصونه ينبع بالخيرة :

— اسمع يا نجوى .. فيه حاجه مثيرانى ، قعدت طول
الليل افكر اقولها لك ولا لا .. ولغاية دلوقت محitar .. انما يظهر
انى لازم اقولها لك .. لأنك احق بيها منى ..
قلت :

— خير ..
قال :

— ماما اتصلت بي امبارح بالليل .. وطلبت انها تشوفنى
لوحدها .. بره البيت .. ووصتنى اتنى ما قلش لك ..
وشهقت .. انى اعرفت ماذا تزيد امى منه .. وكمت
شهقتنى ، وقلت وكل عقلى متارح وراء امى ووجهها المكرمش :

— وقتل لها ايه ؟ ..

قال وهو يضحك :

— اديتها ميعاد النهارده الساعه اربعه ونص ، قدام نفق
جيزه .. زى الحباب ..

وقلت له نى توصل ؟ .. اكاذ ابكتن :

— ما ترحس .. او عى تروح تقابلها .. علشان خاطرى
با هاشم .. وحياتى عندك ..
قال نى دهشة :

— ليه ؟ ..

قلت :

— بعدين اقول لك .. انت اصلك ما تعرفش ماما ..
قال ودهشته تستبد به :

— بس أنا وعدتها ..

قلت :

— افتر لها .. وحياتى .. وحياة اختك .. ورحمة مامتك ..
قال :

— بس متش اعركت ليه ..

قلت :

— حاقول لك بعدين ، انا حاقابلك النهارده بدل ماما ..
لاش اربعه ونص .. خليها اتنين ونص .. بعد العياده على
ملول ..
قال :

— واعمل ايه نى مامتك ..

قلت :

— اعتذر لها .. انا حاقتل السنكه دلوتنى .. وانت اضرب

١٤ - تليفون .. قول لها ان جاتلك حاله مستعجله ..
وقال هاشم كأنه ليس مقتنعا تماما :
— حاضر ..

وضع السماعة فى بطاء كأنه لا يفهم شيئا ..
وكتبت أعلم ما تريده منه امى ..
انها تريد أن تعقد معه اتفاقا كالذى عقدته مع عبد الفتاح ..
ورقة مكتوبة .. ويدفع الفى جنيه .. وتبيعني له ..
ولا مانع أن تبقى ورقة عبد الفتاح ايضا .. لا مانع من أن تبيعني
لأنثين بدلا من واحد ..

وبعد قليل دق جرس التليفون ..
وردت امى .. تركتها ترد .. انه الدكتور هاشم .. ورأيه
وجه امى يتغير .. وسمعتها تقول كأنها ساهمة :
— متشكره قوى يا دكتور .. كويسه والحمد لله .. عابر ..
تكلم نجوى .. طيب .. مع السلامه ..
ثم أعادت السماعة ..

ونظرت الى نظرة واحدة .. ثم أرخت عنى عينيها سرعة ..
ولم تتكلم .. انها لا تستطيع ان تقول لى انها حاولت ان
تنشق مع هاشم على ، من وراء ظهرى ..
وسألتها وأنا أتظاهر بالسذاجة :

— مين ؟ ..
قالت :
— ده الدكتور هاشم .. مستعجل .. ماقدرش يكلمك ..
وتركتنى ودخلت الى المطبخ ، كأنها تفر منى ..
ولم أقل لها انى على موعد معه ..

نـم استاذـنـها قبلـ انـ اخـرـجـ ..
دـهـبـتـ اليـهـ ..

ونـظـرـ الىـ هـاشـمـ وـاـنـاـ بـجـانـبـهـ فـىـ السـيـارـةـ ،ـ وـقـالـ وـهـوـ يـقـبـلـنـيـ
سـابـتـسـامـتـهـ :

ـ مـالـكـ ..ـ مـبـوزـهـ لـيهـ ؟ـ ..

ـ قـلـتـ وـاـنـاـ لـاـ انـظـرـ اليـهـ :

ـ مـاـمـاـ مـزـهـقـانـىـ فـىـ عـيـشـتـىـ ..

ـ قـالـ وـهـوـ يـمـسـحـ عـذـابـيـ بـابـتـسـامـتـهـ :

ـ اـحـناـ اـنـفـقـنـاـ اـنـ اـحـناـ الـاثـنـيـنـ نـسـتـحـمـلـهـ ..
ـ وـلـمـ أـرـدـ ..

ـ بـقـيـتـ سـاـهـمـةـ فـتـرـةـ ..ـ وـهـاشـمـ يـقـودـ السـيـارـةـ فـىـ طـرـيـقـ شـارـعـ
ـ نـهـرـ ..ـ ثـمـ قـالـ :

ـ تـحـبـيـ نـرـوحـ سـقـارـهـ ؟ـ ..

ـ قـلـتـ وـاـنـاـ لـاـ زـلـتـ سـاـهـمـةـ :

ـ اـنـتـ كـنـتـ بـتـقـابـلـ اـمـيـنـهـ فـيـنـ ؟ـ

ـ وـبـوـغـتـ هـاشـمـ ،ـ وـنـظـرـ فـىـ وجـهـ كـائـنـهـ يـحـاـولـ أـنـ يـكـثـفـ
ـ مـاـ بـىـ ،ـ وـقـالـ ؟ـ ..

ـ اـيـهـ لـازـمـ السـؤـالـ دـهـ دـلـوقـتـىـ ..ـ اـحـناـ مـاـ نـسـيـنـاـ اـمـيـنـهـ مـنـ
ـ رـمـانـ ..

ـ قـلـتـ كـائـنـ اـكـادـ اـصـرـخـ :

ـ لـازـمـ اـعـرـفـ ..ـ كـنـتـ بـتـقـابـلـهـ فـيـنـ ؟ـ

ـ فـهـ الشـقـهـ ..

ـ قـلـتـ :

ـ اـنـتـ عـنـدـكـ شـقـهـ ؟ـ ..

ـ قـالـ :

ـ اـيـوهـ ..

قلت :

— وما قلتليش ليه ؟ ..

قال :

— كان حاييجي يوم اقولك ..

قلت :

— عايزه أشوفها ..

قال في دهشة وقد عاد ينظر في وجهي :

— ليه هي ؟

قلت :

— الشقة ..

قال :

— باذن الله نروح نشوفها يوم ..

قلت :

— عايزه أشوفها دلوقتي .. دلوقتي حالا ..

قال :

— بس مش اعرف ليه ؟

— لأنني لازم اعرف كل حاجه عنك .

ونظر في وجهي كأنه يفحص مريضة من مرضاه .. مريضته
بعقلها .. مجنونة .. وقال :

— حاضر ..

وأدأر عجلة القيادة ..

واتجه في الطريق إلى الزمالك ..

كنت أعرف، بالضبط ماذا أريد من هاشم ، في هذا اليوم ..

كنت قد قررت أن أضيع حداً لهذه المهرولة التي أعيش

فيها .. قررت أن أضيء النور الأبدو أمام حبيبي على حقيقتي ..
مهما كانت حقيقتي .. مهما جازفت بحيبي .. مهما كان مصيرى ..
لم أعد أطيق هذا الخداع .. هذا الفش .. هذا الكذب ..
أصبح أرحم على أعصابى أن أفقد حبيبي ، من أن استمر فى
خداعه ..

ودخلت شقة هاشم وأنا لا أكاد أرى منها شيئاً .. كنت
انتظاره بأى انتفاف حولى ، ولكنى لم أر لون الجدران ، ولا شكل
قطع الأثاث .. كان كل ما أراه هو اللحظات القادمة التى أعد
نفسى لها ..

وطاف بي هاشم على جميع الحجرات .. أقف على باب كل
حجرة ، وأطل فيها بعينين ساهمتين .. والمطبخ .. والحمام ..
ثم عدنا إلى الصالة الخارجية .. وهممت أن أجلس على
المقعد ، ولكنى تنبعت إلى خطفى ، فاخترت أن أجلس على الأريكة ..
وجلس هاشم بجانبى .. قريراً جداً منى ، ولكنه ليس ملتصقاً
بى .. وقال وعلى شفتيه ابتسامة تنبض بطبيته :

— استريحتى .. آدى الشقه يا ستي ..

قلت وأنا أبتسم كائنة نفس عن نفسى شرودها ، وأسترد
نشاطى :

— أنا شایمه ماضيك كله ..

قال ضاحكا :

— لا .. مش كله .. نصه بس ..
قلت :

— والنصل الثاني فين ؟ ..

قال وهو لا يزال يضحك :

— في شقه تانية .. كنت واخدتها قبل دي ..

قلت وأنا أبتسم ابتسامة كبيرة :

— أصل ماضيك ما ت ساعوش شقه واحده ..

وضحك .. وترددت ضحكته في أنحاء الشقة كان كل قطعه فيها تضحك معه .. ثم اقترب بوجهه مني ، وقال في صوت جاد حنون ، وصدى ضحكته بين شفتيه ، وفي عينيه حب كبير :

— أنا خلاص ما بقاليش ماضى .. شطبته .. نسيته ..
أنا دلوقتى ماليش الا مستقبل .. أنتى مستقبلى ..
وأنحبت رأسى أنظر فى أظافر يدى .. كأن رأسى لا يستطيع
أن يحمل كل هذا الحب ويظل مرفوعا .. لا يستطيع أن يحمل
مستقبله ..

ومرت بيمنا فترة صمت ..

ووجهه قريب جدا من وجهى .. أحس بنفسى كأنى اغرف
في عينيه .. أغرق في أنفاسه .. وأكاد أهم بأن القوى النفسى
بين شفتيه ..

وقلت في صوت خافت وأنفاسي مبهورة :

— تعرفت أني ساعات ما بصدقش .. باشك فيك ..
بيهيالى انك بتعرف بنات كتير ..

قال وذراعه ترفع ويلقى بها فوق حافة الاريكة خلف ظهرى :

— لو كان فيه واحده تانىه ، كنتى عرفتى ..

قلت :

— ازاي ؟ ..

قال :

— كان بان على .. أصلى ما بعرفش أخباري .. من كتر
ما أنا مشغول بانسى أنى أخباري .. وبانكشف في الحاجات دي
بسريعه ..

قلت :

— أمال لسه عندك شقه ليه ؟

قال :

— علشان أعمل فيها قهوه .. على نكره .. تحبي أعمل لك
قهوه ..

قلت :

— لا .. مرسى ..

وهم أن يقوم من جانبى وهو يقول :

— ده أنا أحسن واحد يعمل قهوه ..

وتجذبته من يده حتى لا يقوم من جانبى ، وقلت وعيناي
معلقتان بعيئنيه :

— صحيح مش عايزه يا هاشم ..

وعيناه تطلان فى عينى .. وشفتاه تطلان على شفتي ..

وقال وصوته بدأ يخفت ، ولمسة حمراء تطوف على خديه :

— أنا آسف .. ما عنديش حاجه اقدمها لك الا القهوه ..
قلت وصوتي مبهور :

— بس ؟ !

قال :

— وأنا ..

ثم سقط على شفتي ..

إن قتلته هنا ، تختلف عن قتيله فى السيارة .. قبلة مرتاحه
لا تختلف .. ولا تتردد .. ولا تحسب حساب أحد قد يمر بي
الطريق ..

واغمضت عينى .. وكل اعصابى ترتاح بين شفتيه ..
اريد أن أبقى هكذا العمر كله ..

وطالت قبلتنا ..
أطول مما تعودنا ..
وتطورت ..

احس بها تنطلق .. وانطلق معها .. وذراعاه تضفطنى
اليه ، وأضفت نفسي اليه أكثر .. ووجهه يسخن ، ووجهى ..
وأصابعه تتحسس ظهرى ثم تقاد تنفرز فيه .. وكل شىء يطير
من عقلى .. كل ما كنت انكر فيه .. كل ما قررت .. فقط أريد
ان يقبلنى .. ويقبلنى أكثر .. بلا حساب .. بلا حدود ..

وفجأة نزع شفتيه من شفتي ..

وابتعد عنى قليلا ..

وفتحت عينى كائني افقت من حلم ..

وجمعنا الصمت .. وهو يقتضى عنى محاولا ان يشعل
سيجارة .. وانا انظر اليه كائنى الومه لانه يشعل سيجارته ..
انه يستطيع ان يشعلنى أنا .. وقال وهو لا ينظر الى :
— متاكده انك مش عايزة تشربى قهوه ..

قلت :

— لا ..

ثم مدا يقلع سترته فى هدوء .. لم يبد عليه انه يخلعها متعمدا ..
انما يخلعها لأن الجو حار .. وكل شىء حولنا كان حارا ..
سار ..

وقال وأنفاسه مبهورة ، والصهد يفع من وجهه ، وعيناه
برختان لا يريد ان ينظر بهما الى : ..

— ما قلتليش .. ما رضيتش انى اروح أقابل مامتك ليه ..
وانا انظر اليه بكل عينى .. لم اعد استطيع ان امثل دور

لعناد العذراء .. دور الملائكة .. انى امرأة .. ويجب أن يعرف
مو امرأة .. ويرحمنى ..

وقلت وانا أعود بوجهى اليه الاتدفأ بصفته :

— ولا حاجة .. ما حبيتش انها تشوفك لوحدها ..

وابتسامة ابتسامة ترتعش بانفعاله ، وقال :
— ليه ؟

قلت :

— كده .. باغير عليك ، حتى من امى ..
ووضعت خدى على خده ..

وبقى صامتا برها كأنه يقاوم .. ثم التفت الى : كأنه لم يعد
يستطيع ان يقاوم .. واخذنى بين ذراعيه ..
واستسلمت ..

استسلمت لاحساسي باني امرأة .. الاحساس الذي لم
أشعر به أبدا الا معه .. وقبلتني تقنعه باني امرأة .. كل
حركة من حركاتي تقنعه باني امرأة .. وهو يفتح عينيه كأنه
لا يصدق ما يحس به .. ثم يغمضهما ، ويعود يستجيب لندائي
.. نداء كل قطعة مني ..

وفجأة .. عاد ونزع ثقفيه من شفتي .. وكله مبهور ..
عيناه .. شفاته .. أنفاسه .. و حاجبياه معقدان ، كأنه يعاني
الماء ..

وتعلقت به ، وهمست .. همسة كالصراخ :

— بوسنی يا هاشم .. بوسنی .. ما تسبنيش ..

ونظر الى كأنه يسألني شيئا .. كأنه يستاذنى ..

وريما تلقى الجواب من عينى ..

وعاد الى ..

أخذنى بين ذراعيه ، ومال بي فوق الاريكة ..
 ولم يعد يحاول أن يقاوم ..
 استسلم لرجلته ..

وحاول ان يأخذنى كفتاة .. عذراء ولكنى مكته من نفسي
 كامرا ..

أنا النى مكته من نفسي ..
 تعمدت ..

وفتح عينيه ملؤهما الدهشة .. ثم عاد وأغمضهما بسرعة ،
 كانه اكتشف ان هذه ليست لحظة السؤال .. ولا الدهشة ..
 وأنا لا اشعر بالخطيئة ..
 ولا اشعر بأنى اتحدى ..
 ولا اشعر بأنى اعطي ..
 ولا اشعر بأنه يأخذ ..

لا اشعر بشيء مما شعرت به مع عادل .. او مع عبد الفتاح ..
 ولا شيء مما كنت اتصور ان اشعر به لو كان رجلا آخر غير
 هاشم ..

انى اشعر بالحب فى قمته .. أعلى قممه .. والحب يسرى
 فى اعصابى .. هادئا .. جميلا .. كالطفل الوديع .. فى كل
 قطرة من دمى طفل يقتسم ..

وانهمرت دموعى .. دموع صامتة .. لعلها دموع السعادة ..
 سعادة لم اكن اعلم بها ..
 وشفتاه لا تزال بين شفتي ..
 وانا هائمة فى انفاسه ..
 ،
 م ارتخت اعصابنا ..

وسحب هاشم شفتيه من بين شفتي .. ودفن وجهه غربا
طبات شعرى ..
وبقينا صامتين ..
دقات قلبينا يختلط بعضهما ببعض ..
وأنفاس كل منا تستريح فى أنفاس الآخر ..
ثم اعتدل هاشم جالسا على حافة الأريكة ، بجانب جسدى
المدد .. انه يعرف الان أنى لست عذراء .. وانكفات على
وجهى .. وأغمضت عينى ، فى انتظار أن أسمع كلمته .. كانى
فى انتظار أن أسمع حكم القدر ..
ووضع هاشم رأسه بين يديه .. وطال سكته .. ثم قال
فى صوت خافت كأنه يقتهد :
— أنا مش عايزة تقوليلى حاجة مش عايزة تقوليها ..
ولم أرد ..
لم أعرف ماذا أقول ، وقلبي يرتجف بين ضلوعى .. ودموعى
عادت تسيل على خدى .. دموع أخرى غير التي سالت من قبل
.. تحمل احساسا آخر .. معنى آخر .. تحمل مصيبي ..
ومرت فترة صمت أخرى ..
ثم عاد هاشم يقول فى صمت خافت كأنه اتخذ قرارا بينه
وبين نفسه :
— احنا حا ننجوز ..
وصفت .. انى لا استطيع ان أصدق ما سمعته ..
واستدررت .. رفعت وجهى المبلل بالدموع اليه .. ورأيته
محنى الرأس ينظر الى بوز حذائه كأنه أصيب بمصيبة .. كأنه
فقد شيئا غاليا عليه .. وعلى شفتيه ابتسامة مستكينة يواسى
بها نفسه ..
وانطلقت دموعى كلها ..

وارتفع حسون شيجى ..
وعدت انكفاء على وجهى .. واضرب الاريكة التي ارقد
عليها ، بيدى وقدمى ..
واستدار هاشم الى بوجهه ، وقال وهو يضع يده على ظهرى
فى حنان حزين :
— انتي بتعيطى علشان حاتجوز ..
ورفعت وجهى اليه ، وصرخت من خلال دموعى :
— ما نقدرش .. ما نقدرش ..
وقال والدهشة تكسو وجهه :
— ما نقدرش ليه ؟ ..
قلت :
— ما نقدرش نتجوزا ..
قال وعي غارق فى الدهشة :
— ليه ؟
قلت :
— لائى متجوزه ..
واتسعت عيناه كان يدا امتدت الى عنقه وخنقتة .. وقال :
— بتعولى ايه ؟ ..
وعدت اصرخ وسط نشيجى كائى طفلة صغيرة ، وانا اضرب
الهواء بقدمى :
— متجوزه .. متجوزه ..
وسمكت ..
ونظرت اليه ، وقلت :
— كان لازم اقول لك قبل كده ، انما .. او ..
وقططعنى قائلًا :

— استنى .. ما تتكلميتش معه

ثم قام من جانبي ، والقى بنفسه على المقعد العريض الموضوع
بجانب الاريكة .. ووضع يده على قلبه .. وأخذ يلتقط أنفاسه
من الهواء .. ثم شد نفسا عميقا ، كأنه يقاوم به الاختناق ..
واعتدلت جيالسة ، والتقطت حفيتي .. وأخرجت منديلا
أجففت به دمعي .. ونظرت اليه .. انه يبدو كأنه يعاني الما حادا
.. يبدو كأنه كبر فى لحظة عشرة أعوام ..
والتهف قلبى عليه ..

خفت عليه معه

لم اكن أعتقد أنه سيصدم الى هذا الحد ..
لم اكن أعتقد أنه يحبني الى هذا الحد ..
ولم أدر ماذا أفعل ..
ولا ماذَا أتول ..

ولكنى أحسست ساعتها أنى كنت قاسية عليه أكثر مما
تصورت .. قسوت عليه عندما أخفيت عنه حقيقتي .. وقسوت
عليه عندما صرحت له بها .. أحسست أنى مجرمة .. كأنى
ذبحت حببى .. ذبحت ابنى .. ابنى المسكين .. الصغير ..
الذى لا يعرف أن فى الدنيا كل هذه الدناء .. لا يعرف ، ولم يكن
يتصور ، أن أمة .. حبيبته .. هي هذه المرأة الخاطئة ..

وتمنيت ساعتها ان أضع وجهه فوق صدرى ، وأبكى فوق
رأسه .. لعل دموعى تغسل عنه الالم ، وتحفف عنه الصدمة ..
ولكن هاشم رفع رأسه ، وأثار الجهد الذى بذله ليضبط
أعصابه بادية تحت عينيه ، وقال وبين شفتينه ابتسامة مهزوزة
يحاول أن يستعين بها ليجدد صدمته ، وقال فى صوت يحاول أن
يكون مرحًا :

— أظن من حقى أشرب قهوه دلوقتى ..

ثم قام قبل أن يسمع اجابتي ودخل المطبخ ، وغاب فيه .
وتركتى أحاول أن أعد مى ذهنى الكلام الذى سأقوله له .. ولم
أكن أتمنى أن أخفي عنه شيئاً .. ولكنى كنت اختار الكلمات التى
لا تجرحه .. التى تخف عن مصيبي ..

وهاد هاشتم يحمل فنجاناً كبيراً من القهوة ، وجلس على المبعد
العریض ، وأشعل سيجارة ، ثم قال وهو يبتسم لى كأنه يخف
عنى بقدر ما أحاول أن أخف عنـه :

— نبتدى من الأول .. أنتى بتقولى إنك متجوزه .
وقلت ودموعى متحجرة مى عينى كحبات الحصى :

— أيوه ..

قال وابتسماته تتensus ؟

— قولى كمان موه بعده ..

قلت وإنما أتمنى أن يعذبني .. ان قسوته فى هذه اللحظة
أرحم من شهامته :

— أنا متجوزه ..

قال ؟

— من أمتى ؟

قلت رانا أخفي عنه عينى :

— من سنـه ونصـه تقريباً بعده ..

قال :

— يعني من قبل ما تعيى ..

قلت فى صوت خافت :

— أيوه ..

قال :

— أمال ما شفتش جوزك ليه ؟

قلت نى سوت ثابت :

— لأننا متجوزين في السر ..

وارتفع حاجباه فوق أنفه الكبير ، وقال والدهشة تماماً صوته :

— ليه .. ايه اللي يخللى واحده زيكم تتجوز في السر ؟

قلت :

— لأنه متجوز واحده تانيه ..

قال في لهجة اشباه بالتهكم :

— وحبيته .. ضروري تكوني حبتيه ..

قلت :

— لا .. ما حبتوش ..

وقال في صوت محتد كأنه يصرخ :

— أمال اتجوزتيه ليه ؟

قلت في بساطة :

— علشان فلوسه ..

وصرخ :

— مش معقول .. مش معقول .. ما تقوليش عن نفسك
كده ..

قلت ودموعي المتحجرة تحرق جفونى :

— أنا كده .. احنا مش أغانيا يا هاشم زى ما انت شايفنا

دلوقتى .. وانت ما خدتش بالك من الفرق بين عيشتنا لما كنا ساكنين في الجيزه ، وعيشتنا دلوقت واحدنا ساكنين في شارع الهرم .. ما حاولتش تاخذ بالك ... ما شفتش ان بقى عندي عرببه .. رفساتين .. وصيفه .. وفيلا .. وسفرجيه .. كل ده جابه عبد الفتاح .. ؟

قال وعيتاه جاحظتان فوق انه الكبير :

— عبد الفتاح مين ؟ ..

قلت :

— عبد الفتاح رفعت .. تعرفه ؟

قال :

— ده اللي انتي متجوزاه .. منجوزاه جواز يعني ؟ ..

قلت :

— ماما بتقول انى متجوزاه ..

قال :

— يعني ايه ماما بتقول انتك متجوزاه ؟ !

قلت :

— خلتنى امضى على ورقة .. وقالت ده يبقى جواز ..
جواز عرفى ..

وقلب شفتيه وقال فى امتعاض قاس :

— ما فبيش حاجه اسمها جواز عرفى ، وجواز شرعى .. غده
حاجه اسمها جواز وحاجه اسمها حب ، وحاجه اسمها رفق ..
واللى بتتكلمى عنه ده ما اسموش جواز ولا حب ..
وابتعلت قسوته صامته .. ان من حقه ان يقسوا .. من
حقه ان يضربنى بالسياط ، ولا اشنكو ..

وسكت هاشم .. اعطانى ظهره .. ورفع فنجال القهوة
بعصبية ، وارتشف رشفة ، كأنه يسكر بالقهوة .. يسكر لينسى
.. ثم شد نفسا عميقا من سيجارته ، كأنه ينفتح عذابه ..

وقلت بعد فترة صمت كأنى استجدديه الرحمة :

— ماما هي اللي خلتقى اعمل كده ..

والتنت الى وصرخ وعيتاه غاضبتان :

— ما تقوليش ماما .. انتى مش عيله صغيره .. انتى أقوى من ماما .. أقوى منها بشبابك ، وجمالك ، وذكائك ، وارادتك . اذا كتى عملتى حاجه تبقى عملتىها لأنك عايزه تعاملها .. مش لأن ماما أقوى منك .. مش لأنها خلتك تعاملها ..

قلت وأنا أتمنى أن أبكي :

— أنا كنت أيامها مصدومه فى حبي لعادل .. ما كنتش عارفه أنا باعمل ايه .. وماما هي اللي اتفقتو مع عبد الفتاح .. وكتبوا الورقه دي علشان ما يبتاش لى الحق أتجوز من وراها ..

وانهمرت دموعي ..

دموع صامتة حزينة .. أبكي بها على نفسي ..
وأدار لى هاشم ظهره ، وأخذ ينفث دخان سيجارته فى

غسل

وطالت فترة صمتنا ..

وبدأ هاشم كأنه استعاد سيطرته على أعصابه ، والفتت إلى ، وعلى شفتيه ابتسامة حزينة وقال فى صوت خافت بحشرجة حنانه :

— أنا آسف .. اعذرني .. أصلك فاجأتيني ..

ثم ضحك قائلًا :

— احمدى ربنا أنى ما مقتنش ضربتك علقه ..
قلت :

— لو كنت ضربتني كان يبقى لك حق ..
قال :

— أنا مقدر ظروفك .. وعارف ان كل انسان له ظروفه .. ما فيش انسان بيعمل حاجه غلط الا لأن الغلط أقوى منه

.. لأن ظروفه بتدفعه غصب عنه للغط .. وانتي كويسيه ..
ـ حا افضل طول عمرى مقتنع انك كويسيه .. ويمكن لو كانت
ـ انتي ولا امى فى مكانك كانت عملت زى ما عملتى .. انتا
ـ اسف ..

ـ والتقط منديلى من يدى ، واخذ يجفف به دمعى من نوق
ـ جنتى .. وغال وعو يبتسسم فى وجهى ابتسامة كبيرة :
ـ فين ابتسامة شفافيك ؟

ـ ولم استطع ان ابتسם .. وقلت وراسى ملقى على صدرى
ـ كان رقبتى فد قطعت ، فلم اعد استطيع ان ارفعها الاتباھى بها :
ـ انتا مش عارفه اعمل ايه يا هاشم ؟
ـ قال وهو يضفط على يدى كأنه يمدنى بقوته :
ـ انتي تقدرى تعملى كل حاجة ..
ـ قلت :

ـ اعمل ايه يعنى ؟
ـ قال فى لهجة حازمة كانه يشير ارادتى :
ـ تقدرى تفضلى مع الرجال ده زى ما انتي معاد ..
ـ وتقى تتجوزيه جواز حقيقى .. وتقى تسيبببه وقت ما تخبو ..
ـ قلت :

ـ واىس ؟
ـ قال :

ـ انتي اقوى منها .. ما حدش فى الدنيا يقدر يفرض ارادته
ـ عليكى ..
ـ قلت ؟

ـ انت ما تعرفش ماما .. ده مستعده تعمل اى حاجة ..

قال :

— تأكدى انها ما تقدرش تعمل حاجه اذا افني صممتنى على اللي
عايزاه .

قلت وانا أشعر بعروقى تمتلىء بارادتى .. وعيناي تتسعان
وينطلق منها بريق الحزم :

— أنا حاسبيه .. حا اقطع الورقه اللي بينه وبينى ..
حاليوح أعيش مع أمى فى الوايليه ..

وسكت هاشم قليلا ، ثم قام واقفا يتمشى أمامى ، وقال :

— بس فى حاجه لازم أقولها لك ..

قلت وانا أرفع وجهي اليه :

— ايه ؟

قال :

— اذا كنت حاتسيبيه ، مش عايزك تسيبيه علشانى ..

قلت :

— يعني ايه ؟

قال :

— يعني لو سبتيه علشانى تبقى ما عملتش حاجه .. تبقى
مش قويه ولا حاجه .. انما لازم تسيبيه علشان نفسك ..
لازم تسيبيه وانت مقتنعة انك كان لازم تسيبيه حتى لو ما كنتش
انا في حياتك .. تسيبيه علشان شخصيتك .. علشان تحسى
ان ما فيش في حياتك حاجه غلط .. علشان تثبتى لنفسك انك
اقوى من ظروفك .. ولازم تعرفي ان مش مهم الناس تعرف
انتى بتعملى ايه ولا ما تعرفش .. انتى مهمها خبى على الناس
مش ممكن تخبى على نفسك .. ومهمها كذبti على الناس مش
ممكن تكذبti على نفسك ، حتى لو الناس ما اقتنعواش بيكي ..

ونظرت اليه بعينين مبهورتين أحاول ان الاحق بهما كلماته
السريعة .. ثم قلت :

— أنا من يوم ما عرفته وأنا أحاول تسيبيه ..
وقال وهو لا يزال يروح ويجيء أمامي ، كأنه يخاطب نفسه .
وكانه لم يسمع كلمتي :

— أنا مش حا اساعدك على انك تسيبيه .. ده قرار لازم
تاخديه بنفسك ، وتنفذيه لوحدك .. لو ساعدتك حا احس كانى
بانافس الرجال الثاني عليكي .. وأنا عمرى ما نافست حد على
 Bent .. مش لأنى مغورو .. أبدا .. إنما لأنى باحترم ارادة
البنت لدرجة انى بأسيبها تختار بارادتها من غير تأثير منى و ..
وقلت أقاطعه :

— أنا ما طلبتش منك حاجه يا هاشم ..
وتوقف عن المشى ، ووقف أمامي وخط من الالم يشق جبينه ،
وعيناه مكدرتان مهمومتان ، وشفتاه ممطوطتان كانه طفل غاضب
.. وقال :

— أنا ما قلتش انك طلبتى منى حاجه .. ولازم تعرفى انى
بابحبك .. ما جبتش حد فى حياتى اد ما حبيتك ، وكتت مقرر
انى اتجوزك .. حتى بعدما عرفت النهارده انك مش بنت ..
كتت مقرر انى اتجوزك برضه .. ما غيرتش رأى .. كنت
عارف انك حبيتى واحد قبلى ، وفضلتى مخطوبه له خمس سنين
.. وكان مكان فى الخميس سنين دول يحصل اي حاجه .. ورغم
كده فضلت محترم حبك .. ومحترمك .. لأنك محبتش عنى
حاجه .. إنما دلوقتى .. دلوقتى حاجة تانية .. متھيالى انى لازم
أعرفك من جديد .. لازم ابتدئ أحبك من أول وجديد .. مش
عارف .. مش عارفة ..

قلت وانا أعود وألقى برأسى على صدرى :

— أنا كمان مش عارفه .. مش عارفه اذا كنت حانفضل
تحبني والا لا .. كل اللي أنا عارفاه انى أنا باحبك .. وانى بقىت
واحده تانية من يوم ما حبيتك ..

قال وهو يتنهد :

— ازاي قدرتى تحبى على المدة دى كلها .
قلت :

— كنت خايفه .. مش خايفه منك .. انما خايفه على
حبك .. وكان ممك اقدر أخلى على طول .. انما ما اقدرتش
.. لأنى باحبك ..

والقى بنفسه جالسا بجانبى على الأريكة .. والتقط من
صدره نفسا عميقا كأنه عاد من مشوار بعيد منهكا ، وقال وهو
يبتسم ابتسامة حزينة :

— أما حنة حكاية .. انما أنا قلبى كان حاسس .. كنت
دائما حاسس ان فيه حاجه عنك لسه ما عرفتهاش .. وقتلتك ..

— كان لك حق .. انما تأكد ان كل يوم كنت عاوزه أقول لك ..

والقى رأسه على صدره كأنه طفل غلبه النعاس ، وقال :

— أنا عمرى ما اتصدمت زى التهارده .. تعرفي انى
لأول مره أحس انك أقوى مني ..

وقلت :

— أنا قويه بيتك يا هاشم .

ورفع راسه .. ورفع الى عينيه .. وشفتاه قريبتان من
شفتى .. وقال وهو ينظر الى كأنه يتغير حمسى :

— انتى مش محتاجه لحد .. لا لي .. ولا لغيرى .. انتى
تقدرى تخشى الجامعه وتنجحى وتشتغلى .. وتقدرى تتجوزى

مى اى وقت .. او عى تقولى انك قويه بى .. انتى قويه بذكائك
وشبابك وارادتك .. قويه بنفسك .. بشخصيتك ..

قلت وانا غارقة فى عينيه :

— انا اوعدك انى حاكون بنت كويسه ..
قال :

— وانا اوعدك انى مش حاسبيك .. انا قلت لك انى
مش حاساعدك فى انك تحدى موقفك .. انتى مش معنى كده
انتا نسيب بعض .. وكل اللي انا عايزم انك تسحملينى .. لغايه
ما اخرج من حيرتى ..
قلت وانا ابقىسم :

— عمرى ما حسيت انى باستحملك .. ولا غى يوم حا احس
انى باستحملك .. كل اللي باحس بيه انى ياحبك ..

وانحنبت اقبل شفتىه المهمومتين بحيرته .. وأقبل خط الالم
الذى يخط جبينه .. وأقبل عينيه المكدودتين المعدبتين ..

ثم قمت واقفة وانا انظر فى ساعنة يدى ، وقلت :
— ياه .. الساعه خمسه ونص .. ميعاد العيادة يا هاشم ..
قال :

— ما اظفتش اى حاروح العيادة النهارده .. مش حا اقدر
اشتغل ..
قلت :

— لا .. لازم تشتغل .. علشان انا كمان اروح اشتغل ..
انا عندى شغل كتير مع امى ..
قال :

— حاضر ..
قلت :

— أوعذني ..

قال :

— حاهاول ..

س وقف الى جانبى ، وأخذنى بين ذراعيه .. ونفسى انى صدر ،
س رفق ، وقال وصرته محشرج :

— ما تنسيش انك قويه ..

قلت :

— اطامن .. أنا عمرى ما حسيت انى قويه اد النهارده ..
س قبلته فى شفتيه ..

وشفتاه حزينتان ، متعبتان ، نائبتان ..

وقلت :

— مش نازل ..

قال وهو يوصلنى حتى الباب :

— حاقعد شويه ..

وفتح لي الباب .. وهمت بالخروج .. ولكنى عدت اليه
برتد لطشنى خاطر جديد ، وقلت له :

— حاتقول لمديحه اختك ؟

قال وهو يبتسامة حزينة :

— مش حاتقول لها الا اذا سمحتى لى ..

قلت وراسى مرتفع :

— تول لها ..

وخرجت منه

وراسى لا يزال مرتفعا .. واحس بنفسى قوية .. قوية ..
انى لم اكن ابدا قوية كما انا قوية فى هذا اليوم .. احس
شخصيتك كاملة . احس كأنى تحررت .. كأنى انطلقت فى عالم

جديد ، أسيطر عليه ، وأفرض عليه ارادتى وانا وحدى سيدته
.. عالم داخل نفسي ..

ولم انكر طوال الطريق فيما قلت لهاشم ، ولكنى كنت انكر
فيما سأقوله لامي .. والكلمات تزدحم فى خيالى .. كلمات
قوية حازمة .. كأنها كلمات القدر .. قدرى ..

وقد وجدت امى جالسة فى الصالون وراسها على كفها ..
وبجانبها عبد الفتاح ..
ودخلت اليهما .. قوية .. ونظرت فى وجه كل منهما دون ان
ترتعش عيناي ..

ورفعت امى وجهها المكروش الى .. وصرخت :
— أنا خلاص .. ما ليش دعوه بيکى .. انتى حاججنينى ..
حا تموتنى .. واهوه عبد الفتاح بيه يعرف شفله معاکى ..
وابتسامة ساخرة تدللت على جانب شفتى ..
وتنحنح عبد الفتاح ، وقال فى هدوء مفتعل ، ولهمة وقره
اكثر افتعالا :

— انتى كنتى فين ؟
قلت :
— مالکش دعوه ..

وارتفع حاجباه فوق عينيه كأنه دهش لجرأتى .. لم اكن
من قبل اجرؤ على محادثته بهذه اللهجة الصريحة ..
وضاقت عيناه وهو ينظر الى وجهى كأنه يحاول ان يكتشف
سرى ، وقال :

— أنا عارف كنتى فين كنتى مع الدكتور هاشم .. مش
كده ..

ونظرت امى الى فى جراة ساخرة .. وقالت كأنها تولول :

— أنا قلت له على كل حاجه .. خلاص ، ما بقتش أقدر
أحمل مسؤوليتك لوحدي ..
ونظرت الى عبد الفتاح وأنا لا زلت واقفة عند الباب وقتلت
بن استخفاف :

— أيوه .. كنت مع الدكتور هاشم ..
وعاد حاجياء يرتفعان فوق عينيه .. وازرد وجهه ..
بنال وهو يحاول أن يضبط أعصابه :

— أنتي عارفه هاشم ده كوييس .. عارفه انه عرف بيت
بنت قبك .. وعارفه انه كان مائى مع واحده اسمها أمينه ..
وبرمطها وخللى سمعتها فى التراب .. وبعدين سابها زى الكلبه
..

ثلاث وأنا اقاطعه ساخرة :

— وانت حاتبسنی زى ايه ؟

وفلتت منه أعصابه وصرخ :

— أنا عايز انفهم ، أنتي بتكلمي بالشكل ده ازاي ..
وقلت وأنا انظر اليه فـى تحد :

— أنا اللي عايزه انفهم ، أنت بتحاسبنـى بصفتك ايه ؟
وتردد قليلا .. ثم نظر الى امى كانه يستشيرها .. ثم عاد
إلى وجهه الكريه ، وقال :
— أنا جوزك يا ذوجا ..

قلت :

— ده مش جواز ده .. الجواز يعني بيت وأولاد وناس ..
اذا كنت عايز تعتبر نفسك جوزى انتضل اتجوزنى قدام
الناس .. زى ما اتجوزت مراثك .. وزى ما جوزت بنتك ..
انا مش اقل من مراثك ، ولا من بنتك ..

قال فى تحد :

— واذا ما اتجوزـتكيس ..

قلت :

— تبقى تاخد فلوسك وما تورنيش وشك ..

وصرخت أمى ..

— اخريسي ..

وشال عبد الفتاح غى خبث :

— ده اللي انت عايزة .. ولا ده اللي قاله لك هاشم ..

قلت ؟؟

— ده اللي كان لازم يحصل ..

قال :

— حاضر يا سست نوجا .. نتجاوز ، زى ما انت عايزة ..

قلت كأنى أبصق غى وجهه :

— طيب لما تحدد انت وماما يوم الجواز .. ابقي تعالى

كلمنى وحاسبنى ..

وتركتهما مبهوتين ..

واخذت التليفون من أمها .. ودخلت به الى حجرتها

وأغلقت بابها ورائى بالفتح ..

وهما صامتان ..

واتصلت بهاشم ..

كنت أريد أن أطمئن عليه .. بعد أن تركته مصدوما ..

ولم أجده ، وقالت لى ممرضة العيادة انه اتصل بها واعتذر

عن عدم استطاعته الحضور لأنه مريض ..

لعلها المرة الاولى التي يتخلف فيها هاشم عن عيادته ..

بسبيسي ..

انى مجرمة ..

لم يكن عبد الفتاح جاداً عندما وعدنى بالزواج زواجاً كاملاً
شرعياً يعلمه للناس .. انما كان يعتقد أنه يستطيع بخبثه أن
يجرني وراء هذا الوعد إلى أن أهداه ، وأستسلم ، وأعود إليه
كما كنت ..

وأنا أيضاً لم أكن أعنى ما أقول عندما طالبته بأن يتزوجنِي
زواجاً شرعياً .. كنت فقط ، أتحداه .. وأتحدى أمي .. كنت
أثير في وجههما مشكلتي .. كنت أحاول أن أفتح ثغرة في الجدار
الذى يسجّناني وراءه .. الأهرب منها .. ولكن لم اتصور نفسي
لحظة زوجة له .. لم أكن أريد .. لا أريد شيئاً من ماله ، ولا من
اسمه العريض .. كانت شخصيتي الكاملة القوية التي أعادها
إلى هاشم ، ترفض عبد الفتاح .. حتى لو أصبح زوجاً لي ..
أني أريد أن أكون شيئاً آخر .. شيئاً نظيفاً ، بريئاً .. ينطلق في
الحياة بلا خجل ، وبلا عقد ، وبلا خطيبة .. شيئاً يستحق هذا
الحب الكبير الذي أحاطني به هاشم .. وأنا قوية .. هاشم
منحني القوة .. وأستطيع أن أكون لهذا الشيء النظيف ..
ولكن ..

الطريق إلى الحياة النظيفة صعب ..

خضت معركة ..

معركة هائلة ..

عبد الفتاح وأمي في جانب .. وأنا وحدي في الجانب
الآخر .. وحدي .. حتى هاشم يرفض أن يقف بجانبي ..
يرفض أن يتدخل .. يرفض أن يقوم بأى عمل يخفف عنى عباء
المعركة .. انه لا يزال مصرًا على أنها معركتي وحدي .. وقد
زودنى بالقوة لأخوضها .. وعلى أن أنتصر .. أو أیأس ..

لا .. لن ايس ..

وامي وعبد الفتاح ، لا يكمان عنى .. اصبح عبد الفتاح يأتى
الى البيت كل صباح قبل ان يذهب الى المصنع ، وكل مساء قبل ان
يعود الى بيته .. وامي تصرخ .. وعبد الفتاح يصرخ .. وأنا
اصرخ .. والصراخ ينطلق فى رأسى كأنه السنة النار .. ولكنى
احتقل .. أقاوم .. وأصر على ما اطلبه .. ولم اكن أطلب
الاشيئا واحدا ، هو أن يخرج عبد الفتاح من حياتى .. وأن
تُمزق الورقة التي وقعتها .. وأن يتركنى حرة ..
وقال عبد الفتاح وهو ينفعل المهدوء :

— اسمعى يا نوجا .. اسمعى كلامى كوييس .. أنا
حااشتربلك الفيلا الللى انتو ساكنين فيها دى .. وتنستنى على ..
شهر ولا شهرين ، لغاية يومين التأيم دول ينتهوا ، وبعديها
اتجوزك .. انتى عارفه انى كاتب كل حاجه باسم مرانى ؛
ولو اتجوزتك دلوقتى ، وعرفت انى اتجوزت ، حا ابص الاقي
نفسى من غير ولا مليم .. ايه رايتك بآه ..

وقلت وانا انظر اليه فى قرف وتحد :

— رايى ان ما فيش فايده ..
وصرخت امي ..

— يا اخواتى .. الرجال أكل عقل البنت .. الله يقطع سنين
هاشم ويوم ما شفنا هاشم ..
وقلت ساخرة :

— لو ما كناش شفنا هاشم كان زمانى مت ..
وعادت امى تولول :

— يا ريتني يا شيخه كنت شفتكم ميته .. ولا انى اشوفك
مجذونه .. يا بنت اعقلى .. شوفى عبد الفتاح بيه بيقول لك ايه

.. حا يشتريلك الفيلا .. والله ما تستناهلى ولا اوده ..
ولا حته خرابة .. انتى فاكره نفسك ايه .. حلوه .. الحلوين
على قفا من يشيل .. فاكره نفسك امبراطورة الانجليز .. يا بنت
حطي عقلك فى دماغك ..

وقاطعها عبد الفتاح قائلا : كائنة اكتشف طريقا حديدا الى
قلبي :

— مش مهم الفيلا يا عزيزه هانم .

ثم التفت الى و هو يمسك بيدي و شفتاه الغامقنان ترتعشان
على وجهه الازرق :

— المهم انى باحبك يا نوجا .. باحبك لدرجة انى ما اقدرش
اتصور نفسى من غيرك .. ما فييش حاجه حلوه فى حياتى
الا انتى ..

ونظرت اليه .. ربما كان صادقا بل انه فعلا صادق ..
انه يحبنى .. وربما كنت مسؤولة عن هذا الحب .. لقد تركته
حتى أحبنى .. وهو لم يخدعني .. ان كل ما اعطيته له ، أعطيتها
بارادتى .. وليس ذنبه انى كنت ايامها ضعيفة .. او كنت
مغلوبة على امرى .. او كنت يائسة .. ليس ذنبه وحده انه
أحبنى .. وربما ليس من حقى حتى الان ان اذبح حبه .. ليس
هذا من حقى ..

ومرت على قلبي لمسة من الضعف .. كدت أشفق عليه ..
وارتعشت رموشى فوق عينى .. وربما لاحظ ارتعاشها ، فقد
ابتسمت بتسامة مسكنة ، وتنهى كائنة يستمرد أنفاسه .. ولكنى
استعدت قوئى بسرعة ، قوة تصميمى .. حتى لو كان يحبنى ،
 فهو ليس حبا نظيفا .. لو كان يحبنى حبا نظينا لما رضى لى

بالحياة التي وضعنى فيها حتى لو رضيت أنا بها .. لأنها حياة
لا يرضها لا ينته ..

وسبحت يدى من يده ، واستقرت رموشى حول عينى .
وقلت فى هدوء :
— أسفه يا عمى ..

ولأول مرة أحس بآنى أقسو عليه وأنا آناديه بيا عمى .
ونظر إلى فى حدة كأن كرامته ثارت وقال :
— أسفه يعني أيه ؟
قلت :

— يعني ما فيش فايده .. لازم حكايتها تخلص ..
وصرخ :

— اذا كنت فاكره ان الدكتور بتاعك حايجوزك ، ينفترس
ينجوازك .. أنا موافق .. بس ينجوازك ..
ثارت دمائى وصرخت :

— انت مش من حتك انك توافق .. ولا من حبك انك ترفض
.. انت فاكرنى جاريه عندك .. فاكر انك اشتريتني بفلوسك ..
وقف عبد الفتاح بجسده القصير السمين ، ورفع يده الغليظة
وهو بها على صدغى .. وهو يصبح :

— انت بتكلمي كده ليه .. من امتى قلة الادب دي ..
من امتى بتقدرى تحطى عينك فى عينى .. اسمعى ..
بالقولك اهو .. اذا كنت فاكره انك حاتقدرى تخلصى منى
بساطه .. تبقى غلطانه .. مش ممكن أسيب بنت مفعوصه زينة
تلعب بي .. فاهمه ..

وارتجلت تحت وقع صفعته .. ولكن لم اصرخ .. ولم
يُنك .. ولا وضعت يدى على خدى مكان الصفعة .. وسيطرت

• ثم ادرت له ظهرى ... ومشيت بخطوات ثابتة الى غرفتي .
وأغلقت الباب بالفاتح عصا

وكلت استطيع ان ابلى في غرفتي يوما كاملا .. لا يهمنى ان اكل ولا ان اشرب .. كلت اجتر غذائى من قوتى .. قوه نسميمى على موقنى .. وكانت امى تقف خلف الباب تتسلل الى ان افتح لها فارض ، واصم على الرفض .. لم اكن افتح لها إلا عندما تجر ابى المشلول فى عريته ، وأسمعه ينقر على باب غرفتى بذراعه السليم ، وأسمع صوته الاخرس ينطئ متحشرجا فى زوره ، ينادينى فى توسل .. فافتتح له .. والقى بنفسى على صدره .. وابكي .. استريح ببرهة من قوتى ..

وسلطت على أمي صديقاتها سيدات جمعية نور الهدى ..
فكن في الأوقات التي يغيب فيها عبد الفتاح وتشاغل فيها أمي ..
يلتفن حولي برهة وهن منشحات بطرحهن البيضاء كالعفاريت ..
ويتبادلن « الزن » فوق رأسي .. يحاولن اقناعي بأن علاقتى بعد
الفتاح ، حلال ... وأن الورقة التى وقعتها تتبع له أن بطلبني
في بيت الطامة ... و .. كلام كثير يحاولن ان يخفننى
به حينا .. ويغرينى به حينا .. انى اعرفهن .. سيدات نور
الهدى ... ان عبد الفتاح دفع لهن باسم البر والتقوى .. كثير
من الرجال يدفعون لهن ، ليسحبن اليهم بنات الناس ..
وكل هذا كنت استطاع احتماله ..

ولكن ما لم أتحمله أني لم أعد أستطيع أن أرى هاشم :

ولا حتى أحادته في التليفون حديثاً يشجعني .. يصبرني ..
مدحني بمزيد من القوة ..

وكانت أمي منذ رفض هاشم أن يقابلها على انفراد قد اقتنعت
بأنه يريد أن يأخذني منها .. وأنه لا يعترف بملكيتها لي .. وأنه
يريد أن يصل إلى عن غير طريقها .. ثم بعد ذلك عندما رفضت
أن أروى لها تفاصيل ما دار بيني وبينه يوم ذهبت للقائه فـ
شققته وأصررت على الرفض .. اقتنعت أن هاشم أصبح أقوى
منها على .. أقوى تأثيراً .. أقوى في سيطرته .. وانى أصبحت
أحبه إلى حد أن أضحي بها .. إلى حد أن أخفي عنها
التفاصيل .. وجنت .. وأعلنت الحرب الصريحة عليه ..
قررت لا يدخل هاشم بيتنا .. ولم يكن هاشم يأتى إلى
البيت إلا بعد أن أدعوه والمع عليه .. وقد أحس بالقرار الذي
أصدرته أمي ، لأنى لم أعد أدعوه ..

ثم أصبحت أمي تمنعنى من التحدث في التليفون .. كانت
تضيع التليفون دائمًا بجانبها ، وتحمله في يدها وهي تنتقل من
غرفة لآخر .. فإذا الححت عليها أن أحداث أحدى صديقاتي ،
سررت على أن تدبر الرقم بنفسها .. وفي المرات القليلة التي
استطعت أن أسرق فيها لحظة أحدث فيها هاشم في التليفون ،
لم أكن أستطيع أن أقول له شيئاً .. كان كل شيء يختلط ويرتكب
فوق لسانى ، ربما لأنى كنت أحاول أن أقول له كل شيء في لحظة
.. ثم أفاجأ بأمي واقفة أمامي كالصبية .. وانظر إليها في سخط
وتحد .. وأقول لهاشم :

— بعدين حابقى أكلمك .. لو قدرت ..

واضع السماعة في هدوء .. والتلتالي أمي قائلة :

— ما تسائلنيش أنا كنت باكلم مين .. لأنى مش حاقولك ..

وترد ، وهى تتبع على التليفون بيد قوية . . ثانها تختنق
صوتي ، وصوت هاشم :

— من حاسالك .. لأنى عارفه كنت بتتكلمى مين ..

ثم تأخذ التليفون وتختفى به ..

وكانت تمنعنى من الخروج .. حتى لزيارة امى الحقيقية ..
سيجنتى ، وسجينت نفسها معى .. وسلطت كل خدم البيت
ليتجسسوا على .. دائماً ورائى عين تراقبنى .. كلما نمت
وصحوت وكلما دخلت غرفة او خرجت من غرفة .. وانقضت
ايمان طويلة وانا لا ارى احدا الا وجه امى المكرمش ، ووجه عبد
الفتاح الازرق ، ووجوه سيدات نور الهدى ، الباردة كالثلج ..
واثير فى كل يوم خناقة لاقل استفزاز .. ثم ادخل حجرى واغلق
بابها على ، واتعذب ..

وكنت فى عذابى استغىث بهاشم .. واحيانا كنت الومه
الى حد السخط عليه .. لماذا يتذكرى وحدى .. لماذا لا يفعل
 شيئاً لينقذنى من مصيبي .. انه لا يحادثنى في التليفون ..
ولا حاول ان يتصل بي .. ولكنى كنت اعود واهدا .. اعود الى
دفء الحب .. حب هاشم .. ان هاشم لا يستطيع شيئاً ..
لا يستطيع ان يتصل بي في التليفون .. امى ستلفى السماعة
في وجهه ، وقد تلعنه وتسلط عليه لسانها الطويل ، وهو اكثر
اعتزازا بكرامته من ان يعرضها لهذا الموقف .. ثم انه لا يستطيع
ان يأتي انى البيت بلا دعوة ، لينقذنى ، او ليطلبنى للزواج ..
انه يعلم الان انى متزوجة .. هذا النوع من الزواج .. ولا يمكن
لرجل ان ينقدم للزواج من امرأة متزوجة .. انه لا يستطيع
شيئا .. وقد كان على حق عندما قال لى انها معركتى وحدى ..
نعم ، انها معركتى وحدى .. ولعله يتذنب الان قدر عذابى ..

ربما اكثر .. يتعدب بحيرته .. ويتعذب بالصدمة .. ويتعذب بحرمانه مني ..

وأجد نفسي لخلال سحب العذاب الذى تحبط بي ، أبتسم له .. لهاشم .. كأنى اواسية فى عذابه .. كأنى أعتذر له عما سببته له .. ثم أتخيل نظرته الطيبة الحنون التى تطل من عينيه .. واتخيل لسعة شفتيه فوق شفتي .. واتذكر كلماته القوية النظيفة .. واستعد من كل ذلك قوة اكبر على المقاومة .. وعلى التصميم .. والطريق يتضح أمامى .. الطريق النظيف .. انى أفعل كل ذلك الاكون زوجة لهاشم .. لا .. لا يهم الزواج .. ولكن المهم ان الاكون فتاة متحقق حبها هاشم .. ومن السهل ان اتصور نفسي هذه الفتاة .. فتاة كاملة الشخصية .. تدخل الجامعه وتتجه .. وتعلّم .. وبعدها يستطيع ان يتزوجها اى رجل .. وهو مرفوع الرأس ؟ فخور بها .. واستطيع ان احب زوجى ، حبا كاملا ؟ بلا عقد وبلا شروط ..

وامى عادت تتنقعن بالسحر .. والشعودة ، كما فعلت أيام حطمته حبي لعادل .. ولكنى فى هذه المرة لم استسلم لها .. اتى ارفض أن أسلم نفسي للسحر والمشعوذين .. فكانت سرق المشط الذى امشط به شعرى .. وتعطيه للست فيكتوريا انتقض عليه طلامسها السحرية .. وكانت توقد شمعة فى الحمام عقب ان استحم ، فى يوم من أيام النصف الأخير من الشهر العربي ، وتتركها موقدة طولا الليل .. و .. و .. اشياء كثيرة فعلتها اعتقادا منها ان السحر يستطيع ان يمحو حب هاشم من قلبي .. وكانت الحظ كل ما تفعله تكون ان أعلق بشيء .. انظر اليها باستخفاف واعطيها ظهرى ، وابتعد وأنا واثقة ان حبى اقوى من السحر .. بل انها وصلت الى اكثر من ذلك .. اتممت

نى « زارا » .. زارا حسامتنا .. اوصتها به الشیخة زهرة ..
فأعطتها حجاباً وضعته دون ان ادرى تحت وسادتي قل ان انام
.. وفي الصباح التالي ، جاءت امى الى ، تسالنى في رقة وحنان
على الحلم الذي حلمته وانا نائمة .. وقلت لها انى حلمت بـنى
اجرى نازلة على السلم .. وووو .. ثم حاولت اـن اقوم غلم
استطع .. اكتشفت ان رجلي قد كسرت .. وكانت فعلاً قد حللت
هذا الحلم .. وعادت امى تسالنى باهتمام ، اذا كنت قد رأيت
في الحلم دماً ينزف مني .. فأجبتها بالايجاب .. دون ان الحظ
 ساعتها ، اهتماماً .. وحملت امى الحلم الى الشیخة زهرة ،
ونفسرته الشیخة بـأنه يجب ان يذبح لى جدى اسود .. وبعدها
بـ أيام نادتني امى الى حجرة بجانب المطبخ ، كانا نسماعـانها كمخزن
.. فذهبت اليـها .. وما كدت اخطو داخل الغرفة .. حتى ذبحـوا
حتـى قدمـي الجـدى الاسـود .. وصرختـ من المـجاجـة .. وتـلـلتـ
حولـى فـراـيـتـ الشـیـخـة زـهـرـة .. وـثـلـاثـ سـيـدـاتـ من جـمـعـيـةـ نـورـ
الـبـدـى .. وـأـمـى .. وـكـلـهـنـ مـتـشـحـاتـ بـالـطـرـحـ الـبـيـضـاءـ .. حتـىـ اـمـىـ
.. وعدـتـ اـصـرـخـ فـيـهـنـ :

— ايـهـ العـبـطـ اللـى بـتـعـمـلـوهـ دـهـ .. انـقـمـ فـاـكـرـينـ انـکـمـ تـقـدـرـوـاـ
تـوـصـلـوـ لـحـاجـهـ بـالـطـرـيـقـهـ دـىـ .. اـعـقـلـ بـاهـ ياـ مـامـاـ .. وـبـلاـشـ
جنـانـ ..

وعـدـتـ الـىـ غـرـفـتـيـ وـأـنـاـ مـصـمـمـةـ الـاـ أـبـقـىـ فـيـ هـذـاـ الـبـيـتـ ..
وبـقـيـتـ الشـیـخـةـ زـهـرـةـ وـسـيـدـاتـ نـورـ الـهـدـىـ فـيـ الـبـيـتـ ثـلـاثـةـ
أـيـامـ بـلـيـالـيـهـ ، يـتلـونـ التـعـاوـيـذـ فـوـقـ دـمـاءـ الجـدىـ اـسـودـ ..

وـقـرـرـتـ آنـ أـهـربـ ..

صـحوـتـ مـنـ النـوـمـ ذاتـ يـوـمـ ، وـأـنـاـ مـصـمـمـةـ عـلـىـ الـيـربـ ..
لـمـ تـعـدـ تـجـدـيـ الـقاـوـمـةـ ..

ان صبر امى وصبر عبد الفتاح اطول من صبرى ..
وبدوت هادئة فى هذا اليوم ، حتى اكتسب ثقتها .. ثم
انتهزت فرصة انشغالها ، ودخلت حجرتها .. وفتحت الدرج
الذى اعلم أنها تحفظ فيه بالنقود التى تصرف منها على المطالب
اليوميه .. ولم أجد فيه سوى ثلاثة جنيهات .. اخذتها ..
وابى راقد فى الفراش ينظر الى بعينين مبتسمتين مؤهلاً للحب
.. دون أن يبدو عليه انه فهم شيئاً ، او ارتتاب فى شيء ..
والقيت نفسي على صدره ، وقبلته .. قبلات كثيرة ، ودموعى
حيبيسة خلف جفونى .. كنت اودعه .. كنت مصممة يومها على
الا اعود الى هذا البيت ابداً .. وكان ابى هو الشيء الوحيد الذى
احبه فى هذا البيت ..

وخرجت من غرفة امى ، وصحت بأعلى صوتي لـ الخادمة :
— روحى املى البانيو .. عايزة اخذ حمام ..
وسمعتني امى ..

ودخلت حجرتى برحة ، الى ان سمعت صوت الماء يملا
البانيو ، وتأكدت ان الخادمة فى الحمام .. وخرجت .. تسقلت
على اطراف اصابعى الى خارج البيت .. وجريت فى الشارع ..
جريت حتى وجدت سيارة تاكسي ركبتها .. وقلت للسائق :
— اطلع على الزمالك يا اسطى ..

ونزلت قريباً من شقة هاشم .. ثم اتصلت به فى التليفون
من دكان بقال هناك .. والمساعة الثانية بعد الظهر . موعد
انتهائه من عيادته .. وقلت فى لهفة بمجرد أن سمعت صوته :
— أقدر اشوفك دلوقت يا هاشم ..
وقال وصوته ينتبه كأنه يفيق من يائسه :
— انتي فين ؟ ..

قلت :

— أنا باكلمك من الشارع .. جنب الشقه بتاعتكم ..

قال :

— حاكون عندك بعد عشر دقايق ..

قلت :

— نتقابل فى الشقه ؟

قال :

— أيوه ..

قلت :

— هي نبره كام .. نسيت ؟

قال :

— الدور الثالث .. شقه واحد وتلاتين ..

قلت :

— ما تتأخرش يا هاشم .. أنا فى الشارع ..

قال :

— مسافة السكه ..

ووضعت سماعة التليفون .. واخذت أسير على مهل حون
العمارة التي فيها الشقة ، الى ان مر اكثر من ربع ساعة ..
ثم صعدت اليه ..

وفتح لى ..

ووقفت انظر اليه ، كانى اشرب من ملامحه بعد عطش
طويل .. ان خط الالم لا يزال يشق جبينه .. والحيرة تركت
بصمات غامقة تحت عينيه .. وابتسماته حزينة وخيل الى ان
وجهه نحيل اكثر مما عرفته .. وانفه اكبر .. ونظرته منفردة
لا يستطيع ان يستقر بها على مكان معين من وجهى .. وخيل

الى ان شعراته البيض قد ازدادت فوق رأسه كأنه ينسج منها
كفنا لافكار تعذبه ..

وحاولت ن ابقي عيني فوق وجهه . ولكن لم استطع ..
شعرت بكل قوتي .. قوة شخصيتي .. تنسلت مني .. على
قدر ما كنت اشعر بقوتي امام امي وعبد الفتاح ، اشعر الان
بخسفي امام هاشم .. وارخيت عيني عنه ، ووقفت امامه
صامتة ..

وخللت نظرته الحائرة تطوف بوجهى برهة ، ثم جذبني اليه ،
واحتوانى بين ذراعيه ، وأسند وجهه فوق رأسي .. وبقى
صامتا ..

كل منا يستريح فوق صدر الآخر .

كل منا يستردد أنفاسه ..

كل منا عاد الى الآخر ..

وابعدنى عنه فى رفق .. ونظر الى " ، وابتسامته اكبر ، وحزنه
اكبر .. ثم اخذنى من يدى ، واجلسنى على الاريكة .. و قال
كانه يهمس :

— وحشتينى ..

قلت وانا ارخى عيني :

— وانت كمان ..

قال :

— انتي خسيتى ..

ورفعت عينى الى وجهه ، وقلت :

— وانت كمان ..

قال وهو يبتسم ابتسامة ساخرة ، كانه يسخر بها من نفسه :

— أنا كان لازم أخس أكثر من كده .. إنما علشان خاطرك
قررت إنى أبطل خسسان ..
قلت وإننا لا انظر اليه :
— أنا تعبت قوى يا هاشم ..
قال :
— وعملتى ايه ؟
قلت :
— هربت ..
وارتفع حاجبام دهشة ، وقال :
— هربتى ورحتى فین ؟
قلت :
— جيتك ..
وترک يدی من يده ، وقال وهو ينظر الى بوز حذائه :
— بس ده مش حل ..
قلت كانى اهم بالبكاء :
— ما لقيتش حل غير كده .. انت ما تعرفش بيعملوا فيـ ..
اـ ..
واخذت أروى له ما حدى لـ .. وهو يسائلنى ، ويستزيدنى
من التفاصيل .. ثم قال بعد ان قلت له إنى قررت ان اهرب من
البيت :
— ونـاـويـه تـعـمـلـى اـيه ؟
قلـتـ :
— نـاـويـه أـقـعـدـ هناـ علىـ طـوـلـ ..
ونـظـرـ فـىـ وجـهـىـ ،ـ وـقـالـ فـىـ هـدوـءـ :

— ده مش حل ..

قات رأنا انظر اليه كأنى اتهمه بأنه لا يحس بمشكلتى :

— أمال الحل اليه ؟

قال :

— الحل انك ترجعى الـبيـت ، وتفضلى فيه لغاية ما توصلـي

لـلى انتـى عـاـيزـاه ..

قلـتـ :

— ولا اـشـونـكـثـش .. مشـ كـدـه ؟

قالـ فـي هـدوـء وـهـ يـضـغـطـ أـصـابـعـهـ بـبعـضـ :

— المـشـكـلـةـ مشـ انـكـ تـشـوـفـيـنـيـ ، وـلاـ ماـ تـشـوـفـيـنـيـشـ ..

مشـكـلـتـكـ دـلـوقـتـيـ انـكـ تـخـتـارـيـ الـحـيـاـهـ الـىـ اـنـتـىـ عـاـيزـاـهـ ..

ونـظـرـتـ اليـهـ كـائـنـيـ اـحـاـولـ انـ اـرـىـ شـيـئـاـ خـلـفـ عـيـنـيـهـ .. ثمـ قـلـتـ :

وـقـلـبـيـ يـرـجـفـ :

— هـاشـمـ .. قولـ لـىـ بـصـراـحـهـ .. اـنـتـ لـسـهـ بـتـجـبـنـىـ ؟

وـنـظـرـ الـىـ نـظـرـةـ سـرـيـعـةـ ، ثمـ عـادـ يـنـظـرـ الـىـ اـصـابـعـهـ ، وـقـالـ :

— مشـ عـارـفـ ..

وارـتعـشـ قـلـبـيـ كـعـصـفـورـ مـذـعـورـ ، وـقـلـتـ بـصـوتـ مـبـحـوحـ :

— مشـ عـارـفـ اـزـايـ ..

وـقـامـ وـاقـفاـ وـاخـذـ يـتـمـشـيـ أـمـامـيـ ، قـائـلاـ نـىـ عـصـبـيـةـ :

— مشـ عـارـفـ حاجـهـ .. مشـ عـارـفـ اذاـ كـنـتـ باـحـبـكـ ، وـلاـ

ماـ بـحـبـكـيـشـ .. اـنـاـ مشـ حـيـرـانـ فـيـكـىـ ، اـنـاـ حـيـرـانـ فـىـ نـفـسـىـ ..

وـحـيـرـانـ فـىـ كـلـ يـوـمـ فـاتـ عـلـىـ منـ سـاعـةـ ماـ عـرـفـتـكـ .. اـنـاـ حـبـيـتـكـ

وـاـنـاـ مـتـصـورـكـ بـنـتـ صـغـيرـهـ ، بـرـيـئـهـ ، قـوـيـهـ ، طـيـبـهـ .. كـانـتـ

دـىـ الـبـنـتـ الـىـ باـحـبـهاـ .. وـمـرـهـ وـاحـدـهـ بـصـيـتـ لـقـيـتـ قـدـامـيـ

بـنـتـ تـانـيـهـ .. لـقـيـتـ قـدـامـيـ سـتـ لـهـ رـاجـلـ بـيـصـرـفـ عـلـيـهـ ، وـفـاتـيـجـ

لها بيت .. سنت قدرت تخبي على "سنه بحالها .. وابتديت اشك
في كل يوم من أيامنا .. واشك في كل كلامه حنوه قلتليها لي ..
مش قادر أصدق انى لما كنت بانزل من بيتك كان راجل تانى
بيخش بعدى .. مش قادر أصدق ان كان فيه راجل تانى
بيوسك بعد ما ابوسك .. مش قادر أصدق ان امك بالشكل ده
.. مش قادر أصدق انى كنت مغفل للدرجة دي .. وانك انتي
اللى استغفلتني .. مش قادر .. يمكن لو كنتي قلتلي على
حكاينك من أول يوم ، كنت حبيتك برضه .. حبيتك من غير
ما بيجى يوم اكتشف فيه انى كنت مغفل .. انما دلوقتني .. مش
قادر اعرف انا باحرب مين .. باحرب البنت البريئة ولا باحرب
الست الای لها راجل تانى .. حيران .. حيران .. عمرى
ما احترت اد اليومين دول .. الحيره حاجتنى .. مش عارف
اشتغل .. لاول مره بالسرج وانا باكتشف على عيان .. لاول
مره ما بعرفش أنم الا وانا سكران ..

وانهارت دموعي ..

دموع صامتة ..

كان يضربني بالسياط .. ولا استطيع بن شكر ، ولا ان
اعرض .. فقط ابكي في صمت .. وتوقف عن المشي ، وجاء
الى .. وركع بجانبى ، وامسك بيدي ، وقال في لوحة وهو ينظر
إلى دموعي :

— افهميني يا نجوى .. ارجوكي تفهميني .. انا محتاج
لمساعدتك اكتر ما انتي محتاجه لمساعدتى .. وانا عارف انك
كويسه .. مش ممكن تكوني وحشه .. مش ممكن تكوني قصدتى
انك تخدعني ، ولا تخبي عنى .. انما لازم تعذریني يا نجوى ..
لازم تعرفي ان المشكلة مش مشكلتك .. انتي مالكيش مشكله ،

لأنك تقدري اختارى .. تقدرى تقولى أيوه .. وتقدى تقولنى
لا .. انما المشكله مشكلتى أنا .. لأنى مش قادر اختار ..
مش قادر أقول أيوه ولا أقول لا .. مشاكل الواحد مع الناس
لها حل ، إنما مشكلته مع نفسه هي اللي مالهاش حل .. وانتى
مشكلتك مع أمك ومع الرجال اللي انتى عايشه معاه .. مالكيش
مشكله مع نفسك ، لأنك عارفه انتى عايذه ايه .. وعارفه إنك
بحببيني .. إنما أنا مشكلتى مع نفسى .. مش عارف باحبك
ولا ما بحبكش .. وإذا كنت باحبك استسلم لحبك ولا أقاومه ..
وإذا استسلمت .. أتجوزك ، ولا أعيش معاكى من غير جواز
..

ورفت اليه عينى المبللتين بالدموع ، وقاطعته قائلة :

— أنا ما طلبتش إنك تتجوزنى يا هاشم ..
وصرخ وهو يقفز من ركعته ويلقى بنفسه على المقعد
العریض :

— إنما أنا كنت عايزة أتجوزك .. كنت باحبك حب مالوش
نهاية إلا الجواز ..
قلت :

— ودليقتى ؟
قال وهو يلهث :
— ما اعرفش ..
قلت :

— أنا حانحصل قاعده هنا لغاية ما تعرف .. اقعد يوم ..
شهر .. سن .. أنا باحبك با هاشم .. بأحبك .. ما اقدر شر ..
استغنى عنك .. مش عايذه منك حاجه إلا إنك تحبني ..

قال بى حوت خافت كأنه يحادث نفسه :

— لا ..

قللت :

— لا .. ايه ؟

قال :

— ما تقدعيش هنا .. البت اللى حاتقعد هنا مش هى البت
اللو، حبيتها .. وتبقى ما عملتىش حاجه .. تبقى ما تغيرتىش ..
زى ما كنتى قاعد مع عبد الفتاح ، حاتقعدى معايا .. لو كنتى
بنحببنى ما تعليميش معايا اللى عملتىه مع راجل تانى .. اذا
كنت بتحببلى لازم جبك يخلق منك واحده تانى .. واحده تانىه
حالص ..

قللت ودموعى ترحف على خدى كأنها تسعى اليه لتفسل
تمدبه :

— أنا مش ممكن حا اكون معاك زى ما كنت مع عبد الفتاح ،
انا ..

وقاطعني :

— متن حاصدق .. ما تنسيش انى باشك نيكى .. مش
حا احس انك بتضحي بحاجه يوم ما تسيبى اهلك وتيجي تقدردى
معايا .. كل اللئى حا احس بيه انك متعموده على كده ..

واحسست كأنه طعنى بسكين باردة فى قلبي ، وترنحت
فى جلسن ، وأسندت ظهرى على مسند الأريكة ، حتى لا أقع ، ثم
تنهدت كأنى ابتلع دمى المزوفة ، وقلت وانا استسلم للذئاب :

— انت مش عايزة يا هاشم ..

وتمام من مكانه وجاء بجانبى ووضع ذراعه على كتفى وقال
وهو ينظر فى عينى :

— يا ریت .. يا ریت احس انى مش عايزة .. ما فيش
يوم فات على حسبت فيه انى مش عايزة .. ما اقدرتش اكرهك
.. ما اقدريتش احتجد عليكى .. ما اقدرتش اقمع نفسي انى اقدر
استغنى عنك ..

قللت وانا اسند رأسى على صدره :

— وما اقدرتش تسامحنى ..

قال وهو يضغطني اليه فى رفق :

— ما اقدرتش انسى .. ما فكرتش انى اسامحك ، انما حاولت
انى انسى .. ما قدرتش ..

ورفعت اليه وجهي وهمست وعيناه تتسلان اليه :

— اندن يا هاشم .. انس ..

وشفتاى قريبتان من شفتى ..

وانحنى يلمس شفتى .. لسهما لسة خفيفة .. ثم ضمنى
اليه بعنف وقبلنى بكل شفتى .. ثم عادت شفتاه ورقتا .. امتلأتا
بالحنان .. قبلنى .. كأنه يمسح فوق جرحى برفق .. وانا محترارة
فى قبليه .. وأريد ن اهيم فى عنقه ، فيجاجثنى برقتنه ..

وسحب شفتى من بين شفتى ، وقال وانفه الكبير يصطدم
بأنفى ، وابتسمة حزينة مسكونة بين شفتى :

— تعرفي انى حيران أبوسك ازاي ..

قللت وصدرى يمتلىء بالبكاء :

— ما تعذبنيش يا هاشم .. انا اتعذبت كنایه ..

ونظر الى بكل غينيه .. ثم سقط على شفتى بكل شفتى ..
.. يقبلنى فى عنف .. كأنه ينتقم منى .. كأنه ينفتح فى كل عذابه
.. وشفتاه عصبيتان .. وذراعاه عصبيتان .. واصابعه عصبية
تزحف على ظهرى وتندس بين طيات شعري ، ثم تجذبه فى

قصوة .. وأنا مستسلمة لعصبيته .. وعنفه ، وقسوته .. أريد
أن أنسى نفسي .. أريد أن أنسى عمرى كله ..
وفجأة تركنى ..

قام من جانبي .. وجهه محترق .. وإنفاسه لاهثة .. ثم
اسند رأسه على حائط الغرفة .. ثم استدار واخذ يضرب الحائط
بقبضة يده ، وهو يردد :
— لا .. لا .. لا ..

واعتدلت فـى جلستى .. وساويت ثوبى .. وساويت شعري ..
ثم وضعـت رأسـى بين كـفى ، واستسلمـت للـيأس ..
وقال هاشم وقد هـدـات انفـاسـه ، واستـدار إلـى وـقـفـ مـسـتـنـداـ
بـظـهـرـه إـلـى الـحـائـطـ :

— دـه مـش حل ..

ورفـعت إـلـيـه عـيـنـي الـيـائـسـتـينـ ، وـقـلـتـ :

— هو فيـه حل ؟ !

قال :

— لـازـمـ يكونـ فـيـه حل ..

قلـتـ :

— تـفـتـكـرـ اـيـهـ الـحلـ ..

قال :

— إنـناـ بـتـبـدـىـ نـعـرـفـ بـعـضـ مـنـ أـوـلـ وـجـدـيدـ ..

قلـتـ :

— اـزـايـ ؟ ..

قال :

— ماـ نـتـقـابـلـشـ هـنـاـ فـىـ الشـقـهـ .. نـتـقـابـلـ فـىـ أـىـ حـتـهـ بـرـهـ ..

وندى لنفسنا وقت لغاية ما أحبك زى ما انتى ، متش زى ما كنت
متصورك ..
وسبكت ..
لم أتكلم ..

واقتب هاشم منى .. عاد وجلس بجانبى .. وقال وهو
يمسك بيدي ويبتسم لي :

— كل ده علشان باحبك يا نجوى .. لو ما كنتش باحبك
ما كانش بقى فيه مشكله خالص ..
قلت له وأنا أبتسם من خلال ياسى :

— عارفة ..
قال :

— كل اللي حصل ان حبي اتهزا .. اتصدم .. استنى عليه
لغاية ما يفوق من الصدمة ، ويرجع زى ما كان ..
قلت :

— نا متش حا احس انى باستنى ، لأنى باحبك حتى وانت
مهزوز ..

وابتسם تائلاً :
— وتوعديني ؟
قلت :

— بایة ؟
قال :

— بانك تساعدينى .. ومشن حاتقدرى تساعدينى الا اذا
افتتعتينى بانك بنت قوية .. حياتك كلها قوية .. أقوى من
تلرونك .. وأقوى من أمك ..
قلت :

— اطس .. أنا مصمم ..
قال :

— وأنا أ وعدك ، أني حا احاول أني ارجع زى ما كنت ..
قلت :

— أ وعدنى انك مش حا تكرهنى حتى لو ما قدرتش ترجع
زى ما كنت ..
قال :

— أنتى عبطة .. أنا باحبك يا مجنونه .. اكرهك ازاي ..
وابتسمت له ابتسامة تقطّر ذمما ..
ثم قمت واقفة واتجهت الى الباب ..
وقال وهو يقوم معى :

— حا تروحى فين دلوقتى ؟
قلت :

— مش عارفه ..
قال .

— حا ترجعى البيت ؟ !
قلت :

— مش عارفه .. حا ابقى اتصل بيتك ، وقول لك أنا فين ..
قال :

— علشان لخاطرى ترجعى البيت ..
قلت وأنا أحس بكلّ قوتى .. بكلّ شخصيتى :

— سيبينى اتصرف يا هاشم .. أنا عارفه ظروفى كوييس ..
واطمئن ..
قال :

— يى ما أنتى عايزه ..

ونظرت فى وجهه .. ان خط الالم لا يزال يشق جبينه ..
وبدمات الديرة تحت عينيه .. ووجهه النحيل ينضح بالعذاب ..

وفتح لمى الباب ..
والقفت اليه قائلة :

— قلت لاختك على حكايتك ؟
قال وهو يحنى رأسه فى أسى :

— لا ..
قلت :
— نيه ؟
قال :

— ما اقدرتش ..
ونظرت اليه فى اشفاق كائى امده ببعض قوتى ، ثم لمست
لخده بشفتي .. وخرجت ..

ولم افكر طويلا ، الى اين اذهب ..
كنت اعرف اين اذهب ..

ذهبت الى امى الحقيقية فى الوالية . واستقبلنى اخواتى
والفراحة تزغرد على وجوههن الضاحكة .. والتفن حولى بهللن
لعادتهن .. ويصرخن :

— ابله نجوى جت .. ابله نجوى جيت ..
لكنى ابتسمت لهن ابتسامة حزينة ، وتطلعت بعينى ابحث
عن امى ..

وجاءت امى بـ جبها النسيج النشوش ، وهى ترحب بي
بابتسامة كبيرة حلوة ، كأن كل تطعة منها تضحك :
— اهلا ببنتى حبيبى .. اهلا بست الكل ..
وقلت وأنا أرد ضحكتها بابتسامتى المهمومة :

— عايزه أقعد معاكى شوية يا ماما ..
واختفت ابتسامتها ، وقالت فى جزع :
— تعالى يا حبيبى ..
ثم التفت الى اخواتي قائلة :
— باللا يا بنات .. خشوا اودتكم .. سيبونى انا ونوجا
لوحدنا شويه .

ثم أخذتني من يدى ودخلت بي الى حجرتها .. وقلت وانا
اجلس على حافة السرير :
— اسمعى يا ماما .. انا جايه النهارده علشان أقعد هذا
على طول .. عندك مانع ..
قالت :
— مانع !! مانع ايه يا بنتى .. ده بيتك يا حبيبى .. وأنا
امك .. بس مش اعرف السبب .. أصل ما فيش حد يسيب
فيلا فى شارع الهرم وييجى يقعد فى الواليلية الا بسبب .. سبب
مهم ..
وسمكت .. ابتلع ريقى ..
وعادت امي تقول :
— برضه اختى عزيزه مخبيقه عليكى وكاتمه نفسك ؟
قلت :
— اكتر من كده ..
قالت :
— ايه بس يا حبيبى طمنينى ..
قلت :
— تعرشى عمى عبد الفتاح ..
قالت :

— ملبيدا يا بنتى .. فيه حد ما يعرفوش ..
قلت :

— تعرفي ان هو اللي بيصرف على ..
قالت وهى تخطب على صدرها :

— يصرف عليكى ليه بأه يا بنتى .. دى أختى عزيزه غنبه ..
عندھا معاش جوزها .. وعشر فدادين .. وبيت فى السبtie ..
مشحتاجه ..
قلت :

— بيس عبد الفتاح هو اللي بيصرف .. هو اللي بيدفع
إيجار البيت .. وهو اللي اشتراطى العربية .. وهو اللي ببابسى
.. هو كل حاجة ..

قالت وعيتها تتسعان :

— غريبه .. ولية بأه الصرف ذه كله ..
قلت وانا ارجى عيني عنها :

— لأنه متجوزنى ..
ومصرحت وهى تخطب على صدرها :

— بتقولى ايه .. متجوزك .. متجوزك ده ايه .. ده راجل
أد أوكي .. دى بنته اكبر منك .. قولى كلام غير ده يا نجوى
يا بنتى ..
قلت :

— متجوزنى .. و ..
قالت مقاطعنى وهى تصرخ وعيتها تنطقان بالغضب :
— ويتجوزك ازاي من غير ما اعرف .. هو انا مش امك ..
هو انا مت .. ولا كنت مت ..
قلت :

— ئىبارىته دتجوزنى .. ده مرافقنى .. يعنى عايش معاليا من غير جواز ..
وقدرت واقفة ، وكل خلجة من وجهها تصرخ كأنها جنت ..
وامسكتنى من كتفى واخذت تهزنى بعنف وهى تصبيع :
— ايه اللي بتقوليه ده يا بنت .. ما كتبتوش عتقد ..
ما جيبتوش ماذون ..

قللت وأنا مستسلمة لهزاتها العنيفة :

— لا ..

قالت :

— ورایح جاي من غير جواز ..

قللت :

— ايوه ..

قالت :

— يعني انتى مش بنت ..

قللت :

— لا ..

وصرخت :

— يا خرابى .. يا مصيبة فى بنتى ..

واندفعت اخواتى الى الغرفة على صوت صرخ امى .. فنظرت اليهن كالجنونة وعادت تصرخ :

— اطلعوا بره .. امتنوا من هنا ..

ثم اغلقت الباب علينا ، وهى تقول كأنها تخاطب أختها :

— والله عال يا عزيزه يا اختى .. باه اديكى البنت تقومو تاخديها شغليها على الرجاله ، وتكسبى من شرفها .. اشحال

اذا ما تأتن عنك عشر فدادين .. اخص عليكى يا عزيزه ..
اخص عليكى .. طيب لما اشوف .. والنبي لوريكى ..
ثم فتحت دولابها الفقر .. واخرجت معطفها وجلست على
حده اسرير نلبس الجورب والحذاء .. وقلت لها :
— رايحة فين ..

قالت :

— رايحة لست عزيزه .. رايحة للست المحترمه الكباره ..
ثم التفتت الى بعينها المجنونتين وقالت كأنها تصرخ :
— الرجال ده لازم يتجاوزك على سنة الله ورسوله ..
قلت :

— منش عايزم انجوزه ..
قالت :

— نتجزريه غصب عنك .. ويتجاوزك ورجله على رقبته ،
والا والله وسيدنا الحسين اعمل له فضيحة بجلجل .. هو فاكرنا
ايه .. اكمتنا فقرا .. فقرا انتا شرفا .. و ..
وفجاه .. سمعنا خبطا على باب الشقة ..
ودخلت امي ..
امي الثانية ..

كان على وجه امي عزيزة صرخة غصب .. كل خط فى وجهها
المكريش يصرخ بالغضب .. غصب ينضح بالفيظ .. وركزت
عينيها المحتدتين المنطلقتين بالشرر ، فوق وجهى .. وصرخت :
— انقى فلكره انى حانضل طول عمرى اجرى وراكى ،
وانتى من كل حته شويه .. اتفضلى قدامى .. قومى انجرى
..

وتقاطعتها امى الحقيقية ، وقد وقفت بينى وبينها منتصبة ،

تنظر اليها فى تحد قوى كأنها مستعدة أن تذبحها لو وضعت يدها على ، وصرخت هي أخرى :

— حيلك يا سرت عزيزه هانم .. حيلك يا سرت يا نقيه ياللى بنعرفى ربنا .. حيلك شويه .. فهمينى .. ايه حكاية سى عبد الفتاح بيه ..

وارجعت أمى فى وقتها كأن حجرا ثقيلا سقط فوق رأسها وارتعشت نظرتها الغاضبة ونظرت الى كأنها لا تصدق انى افشيته سرى لامى الحقيقة ، ثم قالت وتد بدأ صوتها ينحازل وينكمش :

— ماله عبد الفتاح بيه ..

وعادت أمى الحقيقة تصرخ :

— ماله يعني ايه .. بأه أديكى بنتى علشان سمله خبكي بيتك ، تقومى تاخديها تتجاهري بيه .. تبيعيها للترجمانه .. اشحال اذا ما كنتيش غنيه وعندي عشر مدادين ..

وجلست أمى عزيزة على حافة السرير كأنها سقطت من طولها ، وقالت وصدرها يلهث بأنفاسها :

— نوجا هي اللي قالت لك كده ! ؟

وقالت أمى الحقيقة :

— ايوه هي اللي قالت لي .. وكان لازم تقوللى من زمان لولا تربیتك المحببه ..

وقالت أمى عزيزة وهي تنهد ورأسها منكس :

— هو الجواز ببقى اسمه بيع يا خديجه يا حتى ..

وقالت أمى خديجة :

— وده جواز ده ..

ورفعت أمى عزيزة عينيها كأنها قررت ان تخوض المعركة الى اخرها وقالت :

— ايوه اسمه جواز .. جواز محلله ربنا .. جواز عرفى ..
ونص سبات البلد واللى احسن من نوجا متجوزين جواز عرفى ..
وصرخت امى خديجة :

— وانا بنتى تتجوز جواز عرفى ليه .. ناقصها ايه علشان ..
تتجوز جواز عرفى ..
وردت امى عزيزة :

— الراجل ظروفه كده .. ماكنش ممكن يتجوز الا جواز ..
عرفى ..
وصرخت امى خديجة :

— يعني ايه ظروفه كده .. واحنا مالنا ومال ظروفه .. ذنب
بنتى ايه فى الظروف دى ..
وقالت امى عزيزة :

— راجل متجوز وله مركزه .. حاي عمل ايه يعني ..
وقالت امى خديجة :

— يتلهم ويرحم بنات الناس .. ولا يعني يدور يشتريهم
بنفسه .. دى عمله تعليمها يا عزيزه يا حتى .. يا عزيزه
يا كباره ..

— وقالت امى عزيزة وهو تحاول ان تتفلب على احساسها
بغضيحتها :

— وانا عملت ايه يعني .. عملت ايه غير انى حبيت اعيش
بنتى زى احسن دنت فى البلد .. جوزتها راجل غنى .. فاتح
لها سرايه .. ومركبها عربى .. ومبسها اشكال والوان ..
انتى فاكير العشر فدادين يكفووا العيشه اللي عايشاها نوجا ..
ده ايرادهم ما يكفيش حساب الخياطة ..
وقالت امى خديجة :

— ولما انتى ما عملتىش حاجه .. خبىتى عنى ليه ؟ ..
وقالت أمى عزيزة :

— كان الشرط كده .. ان ما حدش يعرف ..
وقالت أمى خديجة :

— ولا أنا ! ؟

وقالت أمى عزيزة :

— ولا انتى ..

وقالت مى خديجة وهى تصرخ :

— ده انا امها يا عزيزة ..

وقالت أمى عزيزة فى تحد كأنها تداعع عن حيائنا :

— انا امها .. انتى شيلتيها تسعة أشهر .. وانا شيليه
عشرين سنه .. ابقي انا امها ..

وقالت أمى خديجة وهى تنظر الى أمى عزيزة مى فسرت
واحترق :

— لو كنتى امها ما كنتيش عملتى فيها كده ..
وقالت أمى عزيزة :

— نو كنتى امها كان زمانها عايشه فى النقر اللى نفسى
عايشه فيه ..

وقالت أمى خديجة :

— انتى اللي فقيره .. الفقير هو اللي نقصه حاجه .. وانت
مش ناقضنى حاجه والحمد لله .. بناتى ما فيهمش واحده متجرد
فى السر .. واللcome بتكتفينا .. الدور والبقيه على اللي عينهم
فارغه .. انها الحق على انا .. ورينى الورقه ..

وقالت أمى عزيزه كأنها دهشت :

— ورقه ايه ؟

وصرخت أمى خديجة :

— ورقة الجواز .. أمال احنا بنتكلم شى ايه من الصبح ..
وقالت أمي عزيزة وهى تخطب على فخذها بيدها وتنهد كأنها
تشد حبال الصبر ؟

— مثـن معايا معـنـى
وصرخت أمي :

— يعني ايه مثـن معاـكـى .. لازم أشوفـهـا ..
وانتفضت أمي عزيـزةـ واقـفةـ وصـرـختـ وهـىـ تـشـوحـ بـيدـهـاـ :
— انتـىـ فـاكـرهـ حـامـشـىـ وـأـنـاـ شـايـلـهـ وـرـقـةـ جـواـزـ بـنـقـىـ شـىـ
شـنـطـقـىـ .. دـهـ أـنـاـ نـسـيـتـ أـشـيلـ شـنـطـهـ .. خـرـجـتـ مـنـ الـبـيـتـ زـىـ
المـجـونـهـ ..

وـأـنـاـ وـاقـفـهـ فـىـ رـكـنـ الغـرـفـةـ وـرـاءـ ظـهـرـ أـمـىـ خـدـيـجـةـ ،ـ وأـحـسـ
بـنـوعـ مـنـ الشـمـاتـةـ فـىـ أـمـىـ ،ـ كـانـىـ اـنـتـصـرـتـ عـلـيـهـاـ .ـ كـانـىـ أـقـفـ وـرـاءـ
مـدـعـ يـدـمـرـهـاـ ..

وعادت أمي خديجة تقول :

— اسمـعـىـ يـاـ عـزـيزـهـ يـاـ أـخـتـىـ .. نـوـجاـ لـازـمـ تـتـجـوزـ الرـاجـلـ
دـهـ جـواـزـ شـرـعـىـ .. تـتـجـوزـهـ قـدـامـ النـاسـ .. اـغـرـضـىـ اـنـهـ سـابـهـاـ .ـ
يـبـقـىـ اللـىـ حـايـيـجـىـ يـتـجـوزـهـاـ بـعـدـ كـدـهـ ،ـ مـثـنـ لـازـمـ يـعـرـفـ حـكـاـيـتـهـاـ ..
وـلـاـ حـاتـقـولـ لـهـ اـيـهـ .. حـانـقـولـ اـيـهـ لـمـاـ يـلـاقـىـ الـبـنـتـ مـثـنـ بـنـتـ ..

وابتسـتـ أمـىـ عـزـيزـةـ اـبـتـسـامـةـ مـرـةـ سـاحـرـةـ ،ـ وـقـالـتـ :

— وـالـهـ عـبـدـ الـفـتـاحـ مـالـهـ ذـنـبـ فـىـ الـحـكاـيـةـ دـىـ ..

وـصـرـختـ أمـىـ خـدـيـجـةـ :

— يعني اـيـهـ مـالـوـشـ ذـنـبـ ..

وقـالـتـ عـزـيزـةـ وهـىـ تـنـظـرـ إـلـىـ كـانـهـاـ تـعـاـيـرـنـىـ :

— هوـ أـنـاـ عـمـلـتـ كـدـهـ أـلـاـ مـنـ غـلـبـىـ مـنـهـاـ .. عـلـىـ كـلـ حـائـ

ـ سـبـبـىـ الـحـكاـيـةـ دـىـ عـلـىـ اـنـاـ ..

وقالت أمي خديجة في اصرار :

— ما سبيهاش .. بنتي لازم تتجاوز جواز رينا .. هي
مش أقل من حد .. لو كان الملك حتى لازم يتجاوزها قدام الناس ..
وala والله العظيم أعنن له فضيحة من هنا لرب السماء ..
دلوقتني ما بقىتش أنتي لوحدك .. لازم تعرفني كده ..

وقالت أمي عزيزة كانها تسخر من جهل أمي خديجة :

— ونوجا ترضي تتجاوز قدام الناس !

وقالت أمي خديجة :

— تتجاوزه غصب عنها ..

وقالت أمي عزيزة :

— ما فيش حاجه بالغصب .. يوم ما اجوزت عبد الفتاح
جواز عرفي .. ما غصبتش عليها .. مضت على الورقه بخط
ايدها ..

وصرخت وأنا واقفة في ركن الغرفة ، ادفع عن نفسي :

— أنتي عارفه أنا كنت حالي شكلها ايه ..

وقالت أمي عزيزة :

— حاليك .. المهم ان ما حدش غصب عليكى ..

وقالت أمي خديجة :

— وأفرضي ان الرجال غواها .. ولا ضحك عليها .. دي
بنت صغيرة ، وما تعرفش .. المهم أنتي يا سمعت عزيزه ..
سبتيها للراجل ليه ..

وقالت أمي عزيزة وهي تنظر إلى "والى" أمي الثانية لأنها
تسخر منها :

— والتبى بلاش كلام فاضي .. المهم ان الست نوجا دلوقتني
عايزه تتجاوز واحد تانى ..

وقالت أمي بسرعة :

— «ماله .. ما دام بتحبه .. مش قصدك الدكتور هاشم ..
قالت أمي عزيزة :

— هي حكت لك كمان عن الدكتور هاشم ..

وقالت أمي كأنها تتباهى بأنها تعرف كل شيء :

— طبعاً .. حكت لي .. حكت لي من زمان ..

وقالت أمي عزيزة ساخرة ووجهها المكرمش ينضج بالفيفظ
والقصوة :

— بس المهم ان البيه الدكتور مش عايزة يتجوز .. بقاله
سنن داخل خارج .. ويأخذ البت في العربيه ويغيب بال ساعتين
والتلاته .. ولغاية دلوقتي ما جبتش سيرة الجواز على لسانه .
وصرخت وأنا أنظر اليها في غيظ :

— أنا ما قلتتش أني عايزة أتجوز هاشم ، ولا انه عايزة يتجوزين
.. انتي اللي بتقعدى تدبرى في خطط .. ومين فضلك ما تغيريش
الموضوع .. احنا دلوقتي بنتكلم عن عبد الفتاح .. خلصوني
الاول من عبد الفتاح ، وبعدين ابقوا اتكلموا عن هاشم ..
وقالت أمي عزيزة :

— سمعتني با خديجه .. باه ده اسمه كلام .. نسيب راجل
قبل ما نعرف حانعمل ايه مع الثاني .. مش الواحد قبل ما يخطي
بشوف حابحط رجله فعين ؟

واهتررت رموش أمي خديجة كأنها بدأت تحترق ، ثم قالت
في عناد :

— ايه اللي يحط رجله وما يحطش رجله .. هي بيع واشتري
.. نوجا لها حق .. المهم وقبل كل شيء ، انتا نشوف حل لسى
عبد الفتاح بتاعك ..
وقالت أمي عزيزة :

— حاضر .. نشوف حل .. بس لو قعدنا نتكلم كده للصبح .
مش حانلaci لـ حل ولا ربط ..
ونظرت الى من فوق رأس امي الثانية .. واستطردت قائلاً :
— ياللا يا نوجا .. نروح دلوتنى .. وبكره الصبح يحلها
حلال ..

وقلت وانا انظر اليها فى تحد :

— انا مش حاروح معاكى .. انا مش حادخل بيتك تانى ..
خلاص ، ما سبتش بنتك .. انا رجعت لامي ..
ونظرت الى وسحابة صفراء تتخلل تجاعيد وجهها الم kms ..
ثم عادت تجلس على حافة السرير وقالت وهى تتنهد فـى تعب
 حقيقي :

— باه اسمعى يا نوجا .. انا ما بقاش فى .. قومى خليسا
نروح بأمن الله .. واللى انتي عايزةاه يتعمل ..
قلت فى اصرار تجمع فيه كل ارادتى :
— يعني لا .. انا حاقد هنا ..

واحسست برنة الاصرار فى صوتي ، ونظرت الى وعيناها
تشهقان .. ثم عادت ونظرت الى امي خديجة ، وقالت كانها
تتوسل اليها :

— عقلتها يا خديجه يا اختى ..
وقالت امي وهى تنظر الى اختها فى عطف :
— ده بيتها يا عزيزه .. عايزانى اعقلها اقول لها ايه ..
اقول لها امشى اطلعى من بيتك ..
وانطلقت نظرات مجنونة من عينى امى عزيزة ، وصرخت :
— انت حا تجتنوى .. بتعدبوني ليه .. بتعملوا فـى كده ليه ..
.. انا ما سبتش بنتى لحد ..

واستمر صراخها ..

وانا مصرا على موقفى .. لن اذهب معها .. وكلما ارتفع
صراخها ، ازدادت تشبيها ، واميلات بقوة اكبر على الاصرار .
وامي خديجة تعطف على اختها حينا .. وتکاد تهم بأن تطلب
مني ان اذهب معها .. ثم تعود وتعطف على وتويدنى في موقفى ..
واخيرا انتفضت امي واقفة .. ووجهها ممتقع ، كأنى صفيت
كل دمائها . وانطلقت خارجة ، وهى تصرخ :

— طيب خليكى .. أما اشوف آخرتها معاكى ايه ...
ثم عادت والتفت الى واستطردت في صراخها :
— أما اشوف آخرتها معاكى ايه انتى وسى هاشم بتاعك ..
وازاحت اخواتى الذين كانوا متجمعين خلف الباب ، واندفعت
خارج من البيت وهي ترتعش في مشيتها ..
وفي هذه اللحظة تأكّدت انى اقوى منها ..
اقوى منها بحاجتها الى ..
بحبها لى ..

وقد تجمع اخواتى حولى بعد ان خرجت امى عزيزة ..
وحاولن ان يرفعن عنى بضحكاتهن .. وجئن بالطبلة واخذن يرقصن
لى .. وحاولت ان اندمج فى مرحهن ورقصهن .. ولكن افكارى
كانت تغلبني .. فأسرح .. وامي ايضا كانت تسرح معى ..
وتشسينا .. اكلنا سمك مقللى ارسلت امى فى شرائط من سوق
الوايلية ، احتقاء بي .. واجتمعنا كلانا حول المائدة الموضوعة فى
المصالة .. نتخاصط السمك بآيديينا ، وندب اصابعنا فى طبق
الطحينة .. واكلت كثيرا .. وضحكت كثيرا .. ولكنى كنت اعود
عن لحظات وأسراح .. وتنقطع ضحكتى .. ويتوقف فكى عن
المضغ .. وتصرخ اختى الكبيرة :

— ممبوح السرحان .. الليلة سmek .. لbin .. تمر هندى ..
داعوه اضحك ..

ثم نام اخوتي .. وجلست انا وامي فوق سريرها .. واخي الصغير نائم بجانبنا .. ثم جاءت اختي الكبيرة وجلست معنا .. سندث فى حكاينى ، ونعيد ما نقوله .. واسرح .. ثم بدت اشعر بالضيق .. انها الليلة الاولى فى حياتى التى اقضيها فى بيت امى .. الليلة الاولى التى اقضيها خارج بيتي .. وشعرت ليتلتها ان بيت امى ليس بيته .. بيته هناك فى شارع الهرم .. وبدأت افتقد اشياء كثيرة .. سريري .. مخدى .. مرأتى .. تميص نومى .. زجاجات العطر المصنوفة بجانب المرأة .. فرشاة اسنانى .. الحمام .. و .. انى احس انى فى العراء .. لا الان بيت امى غتير .. ولكنى لم اتعود على الفتر .. وكان جب ان اقاوم هذا الاحساس .. احسانى بالغرابة .. احسانى لست مرتاحه .. وساعدتني طيبة قلب امى ، وخفة دمها على المقاومة ..

ونمنا ..

امى ، واخى الصغير ، وأنا ، فى سرير واحد ..
وارقت ..

كنت احس طول الليل كائنة ممددة على خيط ادق من الشعرة ،
اخاف ان اغمض عيني فاتحرك ، واقع من فوقه ..
ولكنى نمت فى الساعات الاولى من الصباح .. نمت من التعب ..

وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي ، فوجئنا بأمى تدخل ومعها عبد الفتاح .. كنا جميعا لا زلنا بقمصان النوم .. وجرت اخواتي البنات وهن يتضاahkan ودخلن حجرتهن .. ووقفت

أمى سيفيل عبد الفتاح وهى بجلباب النوم .. وفوق كتفيها شان
وعيناها مربكتان ميهورتان كأنها لا تصدق أن رجلاً عظيماً مثل
عبد الفتاح يمكن أن ينماز ويدخل بيتها ..

وقالت وهى تنظر إلى أمى عزيزة في لوم :
— مش كنتي تديينا خبر يا عزيزه يا اختي ..

ووقفت بجانبها وأنا بقميص النوم .. انظر في وجه عبد
الفتاح وقد ازداد زرقة .. وفي وجه أمى ، وقد ازداد كرمشه
وصفرة .. ولم الق اليهما بتحية الصباح .. بقيت انظر اليهما
في صمت .. وعبد الفتاح ينظر إلى نظرة مرتعشة كأنه يعاتبني ..
وأمى تنظر إلى نظرات فيها غيظ مجنون .. ثم خطوت أمامها
صامتة ، ودخلت حجرة أخي الكبير ، وأغلقت بابها ورائي
بالمفتاح ..

وأمى عزيزة تصبيع خلفي :

— مجايب .. شوفوا البنـت قليلـة الـادـب .. مش هـايـن عـلـيـها
تقول صباحـ الخـير ..

ومضت أكثر من ساعة وأنا جالسة وحدى في غرفة أخي
أتخيل ما يمكن أن يقوله عبد الفتاح لأمى خديجة .. انه قادر
بخبيه وهدوء اعصابه أن يقنع السيدات العجائز .. قادر على أن
يثير أطماءين السانحة .. ويحركهن في طريق أغراضه ..
نهل يستطيع أيضاً أن يثير أطماء أمى خديجة ، كما أثار أطماء
أمى عزيزة .. هل لأمى خديجة هي أخرى أطماء ولو كانت
على حساب سعادتي .. هل تختلف الأم الحقيقة عن الأم
بالتبنى ..

وبعد أكثر من ساعة طرقت أمى خديجة على باب غرفتي ،
وسمعت صوتها الحنون :

— اخرجى يا نوجا .. عايزيتك ..
قلت :

— مش حاخرج الا لما الضيوف ينزلوا ..
قللت :

— ما نبقيش كده يا نوجا .. بلاش عند .. افتحى ..
قللت فى اصرار :

— مش حافتتح ..
قللت :

— علشان خاطرى .. افتحى بس .. نتفاهم يا حبيبى ..
وصرخت :

— مش حافتتح .. مش حافتتح .. افضلوا اكسرروا الباب ..
وسمعت صوت عبد الفتاح هادئا خبيشا :

— مشن ضروري يا خديجه هاتم .. ابقى افوت عليكم مره
ثانية ..

وقالت أمى خديجة :

— والنبي أنا مكسوفه قوى يا سى عبد الفتاح بيه .. انما
اعذرها يا أخويها أصلها واحد على خاطرها شويه ..
وصرخت من داخل الغرفة :

— وما ماما عزيزه كمان تنزل قبل ما افتح الباب ..
وصرخت أمى عزيزة بعلو حسها :

— لتنى بتطردinya يا بت .. والا فاكره انى عايذه اشوفه
خلفتك .. الحق على أنا .. ده أنا لو كنت رببيت تعبان كان
سر فيه ..

ولم ارد ..
ولكنى احس بقللى ينقض .. انى لا استطيع ان اقسو

عليها الى هذا الحد .. ولكن يجب ان اقاوم .. يجب ان اقاوم
الى حد القسوة ..
وسمعت صوت اقدام عبد الفتاح وأمی عزيزة ، وهما يخرجان
من البيت .

ونفتحت الباب ..

واخذتني أمي الى حجرتها ، وقتلت لها وعيناي ملؤهما الشك :
— خير ..
وقالت أمي وهي تنظر الى كأنها تحاول ان تمسح عنادي :
— والنبي الراجل بيتكلم كلام معقول ..
ونظرت اليها والفيظ يكاد يخنقني .. الفيظ من عبد الفتاح ،
وقلت في حدة :

— طبعا قالك انه كان مضطر يتجوزنى في السر علشان
شفله ، ولأنه كانت كل املاكه باسم مراته .. وانه مستعد يضم
مستقبلى .. ومستعد يعلن جوازنا بعد شهرين ثلاثة .. وعرض
عيدي انه يديكي شنته في العمارة بتاعتته .. مشن كده ..
ونظرت الى أمي في دهشة وقالت :
— ايش عرفك انه قال ده كله ؟
قلت وانا لا زلت محتده :

— انا عارفاه .. واحب اقول لك انه مش حايعلن جوازنا ..
ده بس بيقول كده علشان ارجع له .. مش مستعد يعمل اي
حاجه الا انه يدفع فلوس .. فلوس بس .. واقول لك اكتر
من كده .. انا متأكده انه مش متجوزنى خالص حتى ولا في السر
.. الورقة اللي مضيتها مش ممكن تكون ورقة جواز .. انتى
قربيها .. ماما عزيزه جابتها لك ! ؟

وقالت أمي خديجة ووجهها يمتصع :

— لا .. ما شفتهاش ..

قلت :

— ولا أنا شفتها .. أنا مضييت من غير ما اترأها ..
ما اعرفش فيها أيه .. يمكن تكون ورقة فاضية ضحكوا بيها على ..
وكل ما أقول لاما عزيزه توريهالى .. ما ترضاش ..

وقالت أهي خديجة ووجهها يمتفع :

— طيب بس يا بنتي .. اتعدى ..

وأجلستنى بجانبها على السرير ، وقالت :

— تفكري أيه العمل دلوقتى ..

قلت ودموعى تنطلق من عينى :

— مئن مكن أرجع له يا ماما .. مش ممكن .. حتى لو حط
تحت رجليه مال قارون .. ده حرام .. حرام ..

قالت :

— خلاص يا بنتي .. ما فيش حاجه غصب عنك .. بس
حاتعملى أيه بعد كده ؟

قلت :

— حالاقعد عندك هنا على طول ..

قالت :

— بس صعبان على تتمرمطى معانا بعد ما أخذتى على العر ..
ده كل أخواتك بيحسودك على اللي أنتى فيه ..

قلت :

— أنا باتمرمت هناك اكتر .. وأنا باحسد أخواتي اكتر ..
— بيحسدونى ..

قالت :

— وهائىم ؟ ..

تلت کانی فوجئت :

— ماله هاشم ..

ثالث و هي تبقسم لى :

— ما أنا اللي فهمته ان هو اللي غير مخك ..

تلت وانا النقط دموعي بالصابعى :

— هو اللي فتح عنيه .. هو اللي حسنسنى بانى كدب
عايشه زى الحيرانه .. حيوان جميل بيلبسوا فيه وبزوقوه ..
انما برضه حيوان .. ما اقدرش دلوقت ارجع حيوانه تانى ..

ثالث :

— يعني موقفه ايه ؟

تلت :

— ما اعرفش ..

ثالث :

— ما نعرفيش ازاي .. لازم تعرنلى ..

تلت :

— كل اللي اعرفه انى باحبه ..

ثالث :

— رهو ؟

تلت :

— بيحبنى .. انا متأكده انه بيحبنى ..

ثالث :

— وعارف حكايتك ؟

تلت :

— كلها ..

ثالث :

— ومستعد يتجوزك ..

ثلاث

— ما اعرفش .. اصله ما عرفش حكايتها الا اليومين دول ..

وستكت أمي .. ثم قالت بعد برهة :

— والنبي أنا خابنه يا نوجا .. الحكايه ملعبة توى ..

ثلاث

— ما تخافيش .. المهم انى ابقي بنت كويسه .. وحابقى ..

قالت :

— رينا يستر ..

ثم اخذتني بين ذراعيها وضمنتني الى صدرها لمى حنان كبير ،
وقالت بعد برهة ، وهى تضحك :

— انا ما كنتش يا بت فاكره انى باحبك للدرجه دي ..
ـ اتارى بعيد عن العين ، قريب من القلب .. قومى باللا
اعسلى وشك والسى فستانك ، وورينى حلاوة بنتى ..
ثلاث

— بس بعد ما اساوى اودتك ..

قالت ضاحكة :

— ابدا .. لا يمكن .. احنا حانفضل محترمينك تلات ايام ..
عاية ما تاخدى على الجو ، ونبتدى نشغلك ..

وفي المساء ..

عادت أمي عزيزة ..

عادت كما يعود العاشق المهجور .. عيناهما مجنونتان ..
ووجهها أكثر من كرمشة واكثر صفرة .. وحاولت ان تعيدنى الى
البيت .. ولكنى رفضت .. وأصررت على الرفض .. ووضعت
تسريوطى .. أن تمزق الورقة التى تحمل توقيعي .. وأن يخرج

بعد الفناح من حياتي .. وان تتركى حرقة ، وتعاملنى على امى فتاة فى الحادية والعشرين لا على انى فتاتة قاصر .. وان ادخل الجامعة . والا تتدخل بينى وبين هاشم ..

ورفضت امى جميع الشروط .. كبرياوها ، وعنادها ، رفضا الخصوص .. وكانت تعتمد فى رفضها على انى لن اطيق حياه الفقر فى الوالية .. وانى قد احتمل يوما او يومين ولكنى لن احتمل اكثر من ذلك بعد ان عودتني على الحياة المرفهة ..

وقد بدأت اعاني فعلا من حياة الفقر .. اشياء كثيرة تنقصنى .. والزحام فى البيت يكاد يخنقنى .. وكل شىء فوضى .. الثياب ملقاة فى الارض .. والمقشة فوق السرير .. وحزائى كل فرد منه فى غرفة .. واخى الصغير يأخذ قلم الكحل ويرسم به على الحائط .. ان الفقر لا يحتمل النظام .. النظام يكلف غالبا .. وانا قد تعودت على النظام .. ومضت ايام لا استطيع ان ارتدى ثيابى .. ولا ان اتجمل .. ولا اعرف كيف استحم فى ماء سفيحة الغلبة بعد ان كنت استحم فى البانيا .. ولكنى اقاوم .. كل دقيقة فى يومى احس انى اقاوم شيئا .. وأحس انى فى حاجة لكل ارادتى حتى اقاوم ..
وليس فى البيت تليفون ..

لا استطيع ان اتصل بهاشم ، الا اذا حادثته من تليفون الصيدلية التي تقع فى اول شارع الوالية ..

وحادثته مرة بعد ان مضت خمسة ايام لم اسمع فيها صوته .. وكان حديثا عاجلا لم استطع ان اقول له خلاله شيئا .
وبعد خمسة ايام طلبت من ماما خديجة ان تسمح لى بالخروج للقائه .. لم اكن اريد ان اخدعها او اكذب عليها .. ولم اكن

حتى هذا اليوم قد خرجت من البيت .. أكثر من عشرة أيام لم أخرج
نفيها من الغرف الثلاث ..

وقالت أمي خديجة في دنان وابتسمة كبيرة على شفتيها :

— وحشتك ..

قلت ؟

— موت ..

قالت :

— خدى معاكى حد من اخوانك ..

وفرحت ..

وفرحت أكثر لأنى ساصلب معى واحدة من اخواتى ..
خيل الى انى سأتباھى بأختى امام هاشم .. ان احساسى بأنى
اعيش فى عائلة كبيرة وان لى اخوة واخوات ، احساس جديد على
.. يفرحنى ..

واتصلت بهاشم فى التليفون ، وطلبت منه ان يلقاني فى
سيارته عند اول شارع الملك فى الساعة الثالثة بعد الظهر ..
ووقفت اخواتى البنات يستاعدننى فى زينتى قبل ان اخرج ..
كلهن يعلمون انى ذاهبة للقاء هاشم .. وكلهن يعلمون ان هاشم
حببي ..

وفوجيء هاشم عندما رأى معى اختى الصغيرة سميرة ..
لحت المفاجأة فى عينيه وهو ينحني ليفتح لى باب السيارة .. ثم
انقلبت نظره المفاجأة الى نظرة شك .. لعله اعتقاد انى جئت معى
باختى بناء على خطة موضوعة .. انه يشك فى ، وقد سبق ان
صرح لى بأنه يشك فى منذ صرحت له بقصتي ..

وخط الالم يشق جبينه .. وبصمت الحيرة تحت عينيه ..

وابتسامة باهتة فوق شفتيه ..

وقاد سيارته ، وأنا بجانبه ، وأختي سميرة في المقعد الخلفي .. ونظر إلى كأنه لا يدرى ماذا يقول أمام اختى ..

والتفت إلى سميرة ، وقلت لها حتى يعلم أنها تعرف كل شيء ..

ـ أهو ده الدكتور هاشم يا ستي .. عجبك ..

ـ قالت: سميرة؟

ـ ده هايل .. أحلى من وصفك ..

ـ واتسعت ابتسامة هاشم قليلا ..

ـ وانطلقت سميرة تقول :

ـ دى ابله نجوى بتحبك قوى يا دكتور .. طول النهار والليل نتكلمنا عنك ..

ـ وقال هاشم وهو ينظر إلى نظرة سريعة :

ـ وأنا كمان باحباها قوى .. بس مش لاقى حد اكلمه عنها ..

ـ ونظرت إليه ودمائى تتصاعد إلى وجنتى ..

ـ ومررت بيمنا فترة صمت طويلة .. وأنا مرتبكة ، لا أدرى لماذا .. ولكننى أحس بشيء كالضباب يتجمع بيئنى وبين هاشم ..

ـ وسميرة اختى مرتبكة .. تنطق بكلمات لا معنى لها كلما ضايقها ارتباكاها .. وهاشم مرتبك يخفى ارتباكه تحت صمته ..

ـ ووصلنا إلى مصر الجديدة ، ووقف هاشم السيارة في طريق المطار ، واستدار نحوى ونظر إلى من خلال صمته ، ينتظر منى أن أتكلم ..

ـ وتكلمت ..

ـ قلت له ما جرى لي منذ رأيته آخر مرة .. انطلقت أروى له كل التفاصيل دون أن أخشى وجود سميرة معنا .. فسميرة تعرف كل شيء .. لا يمكن إخفاء شيء في بيت أمى خديجة .. إن الغرف الثلاث أضيق من أن تضم سرا ..

وهاشم يستمع صامتاً . ويقطع صيته أحياناً بكلمة أو كلمتين
تعليق على كلامي .. ثم قال بعد أن قلت له كل شيء :

— أنا مش عارف أعمل إيه يانجوى ؟
قلت وأنا أبتسّم له لعلى أبدد ارتباكه :
— ما ت عملش حاجة .. أنا حا عمل كل حاجة ..
قال :

— بس أنا حاسس إننا بنبعد عن بعض قوى .. ما بتقدر يشر
تشوفيني .. وما بتقدر يشر تكلمي في التليفون .. وأنا ما بقدرش
اتصل بيكون ..
قلت :

— ملعهش .. استحمل اليومين دول يا هاشم ..
قال :

— أنا باقعد أتخيل حاجات كثير .. خالي بيوديني وبيجيبي
.. وبتوحشيني ..
قلت :

— وانت بتوحشنى أكثر .. واعمل معروف ما تتخيلش حاجة ..
أنا مباباخبيش عنك حاجة .. كل حاجة انت اعرفها ..

وابتسّم ابتسامة مسكونة ، وقال :

— حاضر .. مش حاتخيل ..

وادرّ محرّك السيارة ، وعاد بنا ..

وقالت سميرة فجأة ونحن نقترب من مدخل شارع الوايلية :

— انت مش حاتتجوز أبله نجوى يا دكتور ..

وقال هاشم وقد فوجئ :

— يا ربي يا سميره ..

والتفت إليها وقلت وأنا أفعل الغضب :

— اسكنى يا بيت ..
وعادت سميرة تقول فى تحد :
— انت مش بتحبوا بعض .. خلاص .. اتجوزوا ؟
وضحك هاشم ، ضحكة كبيرة عصبية ..
وعدت أقول لها :
— اسكنى ماقول لك .. احسن والله اوريكي شفلك فى
البيت ..
وضحكت سميرة ، ضحكة القلب الحالى السعيد بصباه ..
ونزلنا فى شارع رمسيس ، والتفت الى هاشم قبل ان أنزل ..
وقال وهو ينظر الى بعينين حانيتين :
— مش عايزة حاجه ..
وقلت وانا انظر فى حنان .. حنان كبير .. كأنى امه :
— لا .. مرسى ..
قال :
— وحاشوفك ازاي ؟
قلت ؟
— حابقى اتصل بيك ..
واحتفظ بيدي فى يده برهة ، ثم قال بصوت خافت :
— مع السلامة ..
وانطلق بسيارته .. بعيدا ..
كان نقاء فاترا .. مرتبكا .. احسست خلاله بأن هاشم ابتعد
عنى اكثر .. ورغم ذلك فقد شعرت بهدوء نفسي .. اشعر
بالسکينة .. وأشعر بقوتى بل اشعر انى اصبحت اقوى من هاشم
.. اقوى بوضوح الطريق امامى .. اقوى بارادتى .. وعدت الى
البيت .. وانا اشد تصميما على موقفى ..

والتف حولى اخواتى البنات يسألننى فى مرح عما جرى
بينى وبين هاشم .. وسميرة تحكى لهن .. وتصرخ .. ده هاين
.. مدھش .. نفسى لما اكبراحب واحد زيه .. وضحكاتهن
ونكاثهن تجعلنى ارتفع فوق مشاكلى .. واضحك معهن .. وأحس
منفسى كأنى اميرة .. كأنى عروس .. ان الحياة اجمل وأسهل
عندما نعيش مع اخواتنا ..

وامي عزيزة تأتى لزيارة كل صباح .. واحيانا تأتى فى
الصباح والمساء .. وتتوسل الى ان اعود الى بيتها .. وتحاول
حيانا ان تذكرنى ببابى المشلول وتشدفى من قلبى الملهوف عليه ،
لاعود .. وحينما تهددى .. ولكنى اصر .. ولا اتزحزح .. يجب
ن تنفذ شروطى اولا .. والمع المهزال يدب فى عودها .. ووجهها
بزداد كرمشة .. احس كأنى ثقبت ثقبا فى قلبها تنزف منه ..
وتجف .. صبحت حمود الخشب .. انها تحبني .. لن تستطب
ان تعيش بدونى .. ولكنها تقاوم .. لا تريد ان تتنازل عن عنادها
.. لا تريد ان تبدو ضعيفة امامى ..

وعبد الفتاح ايضا جاء الى البيت اربع مرات .. ولا اكاد
اراه حتى ادخل غرفة اخى وأغلق على نفسى بالفتح .. وامي
حديجة تستمع الى كلامه فتنتفخ .. ثم تستمع الى كلامى فتنتفخ
ايضا .. ولا تدفعنى الى شيء .. انها واقعة فى حيرة .. حيرة
كبيرة ..

ومضى اكثر من خمسة عشر يوما ، لم استطع خلالها ان أحادث
هاشم فى التليفون الا مرتين .. هذه الكلمات السريعة المرتبكة ..
التي لا تشبع ..
ثم كاب يوم ..

وانفقت مع اختى الكبيرة على ان امر عليها فى مقر الشركة التى

نعمل بها في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر .. لنذهب سويا
ونطوف بالدكاكين ..

ولنلت من البيت في الواحدة والنصف .. واتصلت بهاشم في
عيادته فلم أجده .. ربما عاد الى بيته .. واتصلت به في البيت ؛
فلم أجده .. ربما ذهب لعيادة أحد مرضاه .. ووجدت نفسي اتجه
الى الزمالك .. الى شقته .. لم اتعمد ان اذهب الى هناك لابحث
عنه ، ولكنني ذهبت نقط لامر من امام الشقة التي شهدت مأساة
جبي ..

وفوجئت عندما رأيت سيارته أمام باب العمارة ..
— ولا أدرى كيف افسر شعوري ساعتها ..

لقد ابتسمت اولا ابتسامة هادئة .. كأنني اشاهد ابني وهو
يلعب .. ثم احسست بنفسي ابتسامه ابتسامة ساخرة .. كأنني
اسخر من الرجل الذي احبه .. ثم بدأ قلبي ينبض شيئا فشيئا .
ثم بدأت اشعر بصاروخ من النار يندلع في صدرى .. وهممت
ان اصعد الى الشقة .. ولكنني لم اصعد .. ربما كان جالسا في
الشقة وحده ، يشرب فنجان القهوة كعادته .. ورغم ذلك لم اجرؤ
على ان اصعد الى الشقة .. ولكنني صممت ان انتظر الى ان اتأكد
من انه في الشقة وحده .. واخذت امشي حول العمارة بحيث
لا يغيب بابها عنى .. واتلّكا حول فوانيس النور .. وانتظاره باني
ابحث عن عنوان .. وطول الوقت وانا احاول ان اقنع نفسي بانى
محجونة .. وانى يجب ان اعود .. ولكنني لا استطيع .. ونظرات
البوابين تلاحقنى .. ونظرات المارة تلقى على وجهى كأنها قطع
الطوب .. ثم وجدت دموعى تنهر على خدي .. صامتة ..
غزيرة ..

وحاولت ان اوقف دموعى ..

فلم استطع ..
ثم انتظرت ..

ساعة .. ساعتين .. ثلثا .. لا ادرى .. ولكن انتظرت
الى ان رأيت من خلال دموعى فتاة تخرج من العمارة ، لم ار ملامح
وجهها .. بل لم ارلون شعرها ، ولا لون ثوبها .. ولكن احسست
ان هذه الفتاة بالذات هي التي كانت مع هاشم .. وتبعتها بعيبي
الى ان رأيتها تركب تاكسي من عند موقف التاكسيات فى اول
الطريق ..

وبعد خمس دقائق خرج هاشم من العمارة .. وركب سيارته ،
وسر من امامى دون ان يراني .. لم تكن تبدو عليه السعادة ..
ولكن كان يبدو عليه الانهك .. وجهه ممتصوص .. وشعره اكتـ
ـياضا ..

ومررت اتعثر فى دموعى ، وركبت تاكسي الى بيتنا فى الوايلية ..
كان موعدى مع اختى قد ضاع ..
واستقبلتني اختى فى البيت غاضبة ثائرة ، لأنى اهملت موعدها ..
ولم ارد عليها ..

واستقبلتني أمى جزعة لأنى تأخرت .. ولم ارد عليها ايضا ..
وجلست بجانى تنظر فى لوعة الى آثار دموعى فوق خدى :
نم قالت :

— انتى شفتى الدكتور هاشم ..

وقلت كأنى اخاطب نفسي :

— أيوه شفته مع واحده تابيه ..

ومصمصت أمى شفتيها ، وأسندت راسها على يدها ، وصمتت
برهه ، ثم قالت نجاة كأنها قررت أن تزيح شيئاً عن صدرها :
— وانا كمان شفته ..

قلت :

— امتنى .. النهارده ! ؟

قالت :

— لا .. أول امبارح ..

قلت :

— فين ؟ ..

قالت :

— فى عيادته .. رحت له بنفسى ..

قلت مارخة :

— رحتى له ليه ؟

قالت :

— علشان أطمئن يا بنتى .. كلمته بصرامة .. قلت له إن
بنتى متعلقة بك قوى .. ومن حقى أنى اعرف اذا كان ناوي
على جواز ولا مش ناوي ..

وشعرت بدمائى تغلى ، وقلت وانا لكم بخار الدم المغلى :

— وقال لك ايه ؟

قالت وهى تخفي عينيها عنى :

— قال انه بيرحبك .. انما ما يقدرش يفكر فى الجواز
دلوتقى ..

وصرحت :

— انتى مجنونه .. انتى زى ماما عزيزه .. لكم مجانين ..
ما حدش فيكم فاهمتى .. ما حدش فيكم بيرحمتى .. انتم مالكم
ومالى .. ومالكم ومالي .. مين قال لكم انتى عايزة اتجوز ..

وقالت امى :

— انا امك يا نوجا . . ولازم اطمئن . . ماقدرش اشوفك
بعملى ده كله ، من غير ما اعرف اخرة ده كله ايه ..
وتملكتني نوبة عنيفة من العناد ، وقتل لها فى صوب
ذلكراخ :

— اسمعى .. اذا كان هاشم مش حايجوزنى ، فمش معنى
دده انى ارجع بعد الفتاح .. ولا ارجع شارع الهرم .. واذا
كنتى مش مستحملانى فى بيتك انا مستعده اخرج منه دلوقتى .
وانشا الله اعيش فى الشارع ..
وصرخت امى :

— ده بيتك يا نوجا .. ده مش بيقى يا حبيبى .. ده بيت
ولادى .. لولا انتم ما كانش بقى لى بيت ..
وحاولت ان تخفف عنى .. وقالت لى انها اخفت خبر مقابلتها
لهاشم حتى لا تصدمنى .. والتف حولى اخواتى .. كل منبن
تحاول ان تخضع شيئا حلوا فى قلبى .. ولكن كنت قد انتقلت الى
كتلة جامدة من العناد .. لم اعد افكرا .. لم اعد احس بشىء
الابعنادى .. عنادى فى ان ابدل حياتى كلها ..
ومرت عشرة أيام أخرى ..

وجاءت امى عزيزة ، ووقفت امامى كعود الخشب الذى
نخره السنوس ، وقالت وكلها ترتعش ونظراتها منهارة :
— افضلى قومى ارجعى بيتك .. واللى عايزة حاينعمل
بس علشان خاطر ابوكى .. ومتش حاتشومنى عبد الفتاح بعد
كده .. هو كمان مش عايزة يشوفك .. وادى الورقة المهيبة .
وأخرجت من صدرها ورقة، نزعت طرفها الاخير بسرعة ،
واعطته نى قائلة :

— مش دى امضتك .. افضلى كلبيها .. ولا بليهما واسربى
بيتها ..

ثم بسرعة .. أخذت تمزق ياقى الورقة فى عصبية قطعا
صغريرة ..

مزقتها قبل أن يقرأها أحد ..

ربما كانت ورقة بيضاء ..

من يدري ..

وأنا انظر اليها فى دهشة .. وشك .. أخاف أن أصدقها ..

وهى واقفة منتصبة كعود الخشب الذى نخره السوس ..

وعيناهَا تطلان من خلال وجهها المكروش وفيهما نظرات ضعيفة
مستسلمة ..

وقمت والقيت نفسى بين ذراعيها ..

وبكٍت ..

واحسست بها تبكي معى ..

انى احس هنديا ارى ماما عزيزة تبكي ، كانى ارى جيلا من
الصخر يذوب ! ..

عدت الى البيت ..

انى غريبة فى كل بيت الا فى هذا البيت .. انى غريبة حتى
فى بيت أمى الحقيقة وبين اخواتى .. أما هنا .. فانى فى بيته

.. سريري .. دولابى .. مرأتى .. شبشبى .. لقد احسست
عندما وضعت قدمى داخل شبشبى ، انى وضعتهما فى مكانهما ..

واستقبلنى ابى كان الحياة ردت اليه .. التمعت عيناه المطفأتان
.. وانتعشت وجنتاه الذابلتان .. ومد ذراعه السليمية الىـ ،

وخليل الىـ ان ذراعه المشلولة كاد تتحرك .. وانطلقت هممـات
فرحة من تحت لسانه المتحجر ، كانها زغاريـد مخنوقة ..

والقيت نفسى على صدره ، وأنا أردد :

ـ أنا آسفـه يا بـابـا .. آسفـه .. سـامـحنـى ..

وضمى بذراعه السليمية ، واخذ يمسح على شعرى بيده ..
وشفاته الذابلتان راقدتان على خدى ..

وبقيت بجانبه طول النهار .. اروى له حكايات مرحة عن
الحياة فى بيت امى الحقيقية ، وهو ينظر الى بعينين مبتسمتين
ماهمتين . كانه فاهم كل شىء ، ولكنه لا يستطيع ان ينطق ..
وامى تررح وتجيء فى انبية متظاهر بالنشاط .. نشاط مفتعل
.. ان خطوانها ليست قوية كما تعودتها .. ونظراتها ليست
حازمة اميرة كما كانت .. وصوتها مهزوز كأنها لم تعد تدرى
ما تقول .. والهزال والتعب يبدوان عليها ..
.. ولم تستطع ان تستمر طويلاً فى التظاهر بالنشاط فجاءت
وجلست على الاريكة فى حجرة ابى ، وتنهدت تنہيدة حارة كأنها
تررت ان تستريح بعد كل هذا العمر الطويل .. ونظرت الى
نظره طويلة فيها ظل فرحتها بعودتها اليها ، وفيها بعض اللوم
كأنها نلوكنى على قسوتى عليها فى حين انى اعلم ان لا حياة لـ ..
بدونى ..

ولم تتكلم ..

ظللت صامتة ، كانه لم يحدث شىء بيننا يستحق الكلام ..
كأنها تربى . ان تتجاهل كل ما حدث بيننا .. كل قصتى ..
وفى المساء ، بعد ان نام ابى ، جاءت الى حجرتى ، ولم تجلس
فى مراشى كعادتها ، بل جلسـت على المـقعد المـوضع بـجانب
المـرأة ، ونظرت الى وـبـين شـفـتيـها اـبـتسـامـة مـرـتـعـشـة ، وـقـالتـ :
ـ اـسـمـعـي يـاـ نـوـجاـ .. اـنـاـ تـعـبـتـ خـلـاصـ .. مـاـ بـقاـشـ مـنـ ..
ـ بـرـتـ يـاـ بـنـىـ وـأـتـهـدـيـتـ .. وـمـنـ هـنـاـ وـرـايـحـ اـنـتـىـ سـتـ الـبـيـتـ ..
ـ اـنـتـىـ الـلـىـ تـمـسـكـيـ كـلـ حاجـهـ .. وـ ..
ـ وـقـاطـعـتـهاـ فـىـ لـهـفـةـ حـقـيقـةـ :

— ما تقوليش كده يا ماما .. انتي الخير والبركة .. و ..
وقطاطعنى هى الآخرى .

— سيبينى اكمل يا حبيبى .. شوفى ..انا محوشه تلات
الاف جنيه .. وآدى انتي عارفه ايراد الأرض وايراد البيت ..
ومعاش ابوكى .. والمصيفه بتاعتك وبتاعتي .. واتصرفى انتي
باء .. انتي حاتمسكى المصروف .. ما ليش دعوه بحاجه ..
عيشينا زى ما انتي عايزه .. انتي كبرتى وما بتقىش صغيره ..
قللت :

— انتي لسه زعلانه منى يا ماما ؟
قالت وهى تخفي عينيها عنى :

— أدايا نوجا .. بس أنا كنت باتصرف على انك لسه صغيره
.. البنت يا نوجا عمرها ما بتكبر فى عين أنها .. ما كنتش قادره
احس ان باء عندك واحد وعشرين سنه .. أنا اللي كنت غلطانه ..

قللت وانا اقترب منها :
— لا يا ماما .. ما حدش نينا كان غلطان .. اللي حصل
حصل .. وأنا آسفه اللي زعلتك .. ومن هنا ورایح نبتدى من
اول وجديد .. وكل حاجه حاتبقى حلوه ..
قالت :

— باذن الله يا بنتى ..
ثم تنهدت واستطردت قائلة وهى تقوم من على مقعدها :
— أما اقوم أنا باء ..

قللت فى جزع :

— مش حاتنامى جنبى ؟
قالت كأنها عاشق يتدلل :
— لا .. حا انام جنب ابوكى ..

قلت وانا اقترب منها وأحيطها بذراعى :

— علشان خاطرى يا ماما .. اخس عليكى ..
ما وحشتكيش ! ..

وضممتى الى صدرهافي حنان ، ودموعها تطل من عينيها .
وقالت فى صوت مبهور :

— وحشتني يا حبيتى .. وحشتني قوى ..
وخيل الى لحظتها ان وجهها المكرمش .. قد انفرد .. وائشع
بنور الحنان .. نور الارومة ..
ونمت ليلتها بين ذراعيها ..

نمت ملء جفونى ..

كأنى لم انم طوال الخمسة والعشرين يوماً التي مضت ..
وخطرت على خيالى صورة هاشم قبل ان انام ، ولكنى لم اكدا
اهم بان افكرا فيه حتى غلبني النوم .. كأنى غبت تحت تأثير البنج
.. كنت متعبة .. أيام كثيرة من التعب مررت بي ..
واستيقظت فى الصباح ، واستيقظت معى صورة هاشم
الراقدة فى خيالى ..

ودخلت الحمام واستقلقنت فى البانيو .. وحاولت ان ارخي
اعصابى فى الماء الفاتر ، وأن أتمتع بحمامى ، بعد كل هذه الأيام
التي كنت فيها استحم بماء صفيحة الغلبة .. ولكنى لم استطع ..
لم احس بحلوة الماء الفاتر .. كان كل فكري منطلقاً وراء هاشم
.. وكل اعصابى مشدودة اليه ..

ان هاشم لا يعلم حتى الان انى عدت الى بيت شارع الهرم ..
لم اتصل به لاقول له ما حدث ؟
لم اتصل به بعدما رأيته يخرج من الشقة وراء فتاة اخرى !! ..

واحسست بصاروخ النار ينطلق من صدرى من جديد ..
صاروخ الغيرة ، صاروخ الكراهة المروقة ..
لا .. لن أتصل به ..
ليكن هذا هو نهاية ما بيننا ..
ولكن ..

اذا كان من حقى أن أغار عليه ، فليس من حقى أن أغضب
منه .. ليس من حقى أن الومه .. فاما التى خدعته .. أنا
التي أعطيته فتاة مزيفة ليحبها .. ومن حقه بعد أن عرف خدعتى
أن يعتبر نفسه حرا .. من حقه أن يتحرر منى .. بل من حقه
أن يحاول التحرر من حبى ..
انى لست غاضبة منه ..
لن الومه ..

بالعكس .. ان من حقه على " انى اشكره .. ان اعترف بفضله
.. لقد اعاد تقوتى في الحب .. منحنى حبا كبيرا نقيا .. جعلنى
اومن بأن الحب موجود في حياتنا .. وعندما آمنت بالحب ..
آمنت بنفسي .. بقوتى .. واستطعت عندما آمنت بنفسي ، أن
انقذها .. ان انتشلها من الطريق المظلم الذي كنت مندفعه فيه .

انه رائع ..
لقد رد الى " حياتى ..

ورغم ذلك مرت أيام كثيرة دون أن اتصل به .. كنت كلما
حاولت أن أتصل به تغلبني كرامتى المجرورة .. فإذا ما قررت
الا أتصل به غلبني حبه واحساسي بفضله .. كنت أحس بفضله
على " كلما شممت رائحة النقاء في حياتى .. وأحيانا كنت اقول
لنفسى ان من حقه على " ان أساعدته على نسيانى .. فاني لم أعد
أصلح له .. لا أصلح له ليتزوجنى ، وما دمت لا أصلح لزواجه .

فانى لا أصلح لحبه .. وخير طريقة أساعدك على نسيانى الا اتصل
به .. ولكننى كنت لا أكاد أتصور أنه يستطيع أن ينسانى حتى
اجن ..

وفي هذه الأيام بذات أعادت الاتصال بزميلاتى القدامى نى
المدرسة الثانوية .. قلت لهن انى كنت مريضة طوال هذه المدة ..
وانى نلت شهادة الثانوية العامة من البيت .. وبذات أزورهن
ويزررنى .. وأحسست انى استرد عمرى .. أضحك ضحكات
عمرى .. وأهمس همسات عمرى .. ثم بذات استعد لدخول
الجامعة .. وقررت ان التحق بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية
لأنها كلية جديدة .. ولأن صديقنى نعمت التحقت بها .. ولأن
مجموعى يكفى للالتحاق بها .. وشفلنى حماسى للالتحاق بالجامعة
.. والطريق واضح أمامى .. طريق زاه نظيف .. وأمى أيضا
اصبحت ترَهُو بأمى سأتحق بالجامعة ، وتباهى بي أمم صديقاتها
أكثر مما كانت تباھي بثيابي ومصاغى .. وسألتني بعد أن اخترت
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية :

— ودى تطلع منها تشتفلى ايه ؟

— أطلع أشتغل في السلك السياسي .. واترقى وابقى
سفيره .. وبعدين أبقى وزيره ..

وقالت أمى والسعادة تلمع على وجهها :

— طيب أما نشوف يا سنت يا وزيره ..

وفي يوم جاءت أمى الى " وفي عينيها نظرة مرتعشة ، وقالت
والكلمات ترتعش على شفتيها :

— أنا عايزه أقول لك حاجه يا نوجا ..

ونظرت اليها في دهشة وقلت :

— خير ..

قالت وهي لا تنظر الى :

— عبد الفتاح بيده بقاله مده بيضرب تليفون . . . و . .

قلت اقاطعها :

— وما قلتليش ليه ؟

قالت وهي تجلس على المعد من ضعنها :

— خفت منك ..

قلت :

— وعايز ايه ؟

قالت :

— عايز يشوفك . وخلف لي مش عايز حاجه الا انه يشوفك ،
ويتكلم معاكى كلمتين ..

قلت :

— ورأيك ايه ؟

قالت وهي تنظر الى نظرة سريعة ثم تعود وتخبئ عينيها
عفن ♀

— رأيي رأيك .. أنا قلت له انى دلوقتى ساييالاك كل حاجه ..

قلت وأنا ازم شفتي كائني استجمع بينهما كل قوتى :

— لما يتكلم تانى ابقى قولى له يتفضل ..

وجاء عبد الفتاح فى اليوم التالى ..

واستقبلته فى الصالون كاي ضيف ..

وجهه الازرق الصد ، قد لان وخفت زرقته .. وعيناه
الحازمان الجشعتان تبدو فيهما الطيبة وقد غلت الجشع ..
وابتسامته الذكية الخبيثة تبدو مستسلمة مسكونة .. وقام واقفا
يصفحنى وينظر فى وجهى يعيينين قلقتين .. لم يضفط على يدى
وهو يصفحنى .. بل لم يبق يدى فى يده اكتر من اللازم ..

ونظرت اليه بكل عينى .. قوية .. عنقى مفروض يتبااهى
بسى ..

وقال ر هو ينظر بين يديه وكأنه لا يدرى من اين يبدأ الكلام :

— عزيزه هانم قالت لي انك قدمتى فى الجامعه ..
قلت :

— ايوه .. كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ..
قال :

— ما كنتى دخلتى كلية التجارة .. مستقبلها اضمن واوسع ..
قلت كأنى اتحداه :

— لا .. أنا غضبت كلية الاقتصاد ..

وضحك ضحكة صغيرة وقال :

— أنا كنت عايز أخذك معاليا فى الشركة .. تبقى مدير :
حسابات ..
قلت :

— مرسى ..

ونظر الى كأنه دهش من شخصيتي الجديدة .. واستمر
 الحديث عن الجامعة .. وامي تشتراك معنا .. الى ان أصبح
 حديثا فارغا ، نعيده فيه ونكرر .. وكل منا يحس بالحرج ،
 والساخافة .. كل منا يحس ان هناك شيئا آخر يجب ان نتحدث
 فيه ..

الى ان نظر عبد الفتاح الى امي وقال لها في رقة مفتولة :

— تسمحى تسيبيني أنا ونجوى شويه يا عزيزه هانم ..
ونظرت الى امي كأنها تسألني رأىي .

وقلت وانا اعتدل في جلستى كأنى أستعد لمعركة :

— انت عارف انى ما بخبيش حاجة على ماما يا عمى ..
وضفت على لفظ «عمى» كأنى اعنيه وأصر عليه ..

وقال عبد الفتاح :

— عارف .. بس .. أصلى ..

وسلت دون ن يتم ..

واحسست كأنى أشفق عليه .. وقلت لامى :

— طيب سيبينا شويه يا ماما ..

ونظرت الى امى فى دهشة ، ثم نظرت الى عبد الفتاح ، ثم
قالت تلمس لنفسها عذرا :

— أما أقوم أشوف أبوكى ، يمكن عايز حاجة ..

وcameت تجر قدميها .. وتمشى فى تعب ..

وخرجت ..

وقال عبد الفتاح ورأسه مدلی فوق صدره ، وعيناه معلقتان
نوق سجادة حجرة الصالون ، وينرك احدى يديه بالآخرى :

— أنا عارف ان كل اللي بيننا انتهى ..

قلت وانا جالسة متحفزة :

— فعلا ..

قال :

— بس ناضل حاجات كبير لازم تنفصل بینا ..

قلت فى قسوة :

— زى ايه ؟

ونظر الى كأنه يلومنى على قسوتى ، وقال :

— انتى ما كنتيش اى واحده بالنسبه لبع يا نجوى .. لو كنتى
اى واحده ما كنتش عملت لك كل ده ، ولا فضلت معاكى المده دى

كلها .. أنا عرفت سبات كتير ، إنما ما جبتش الا انتى .. أنا كنت
صاحبك يا نوجا .. ولسه باحبك ..

ونظرت اليه كأنى حائرة فيه ، ثم قلت وأنا استجمع ارادتى
حتى لا أشفق عليه :

— أظن كل ده انتهى .. والكلام ده ما بقالوش لازمه دلوتنى ..
وعاد بنظر الى فى لوم ، وقال فى صوت محشرج :
— اللي فاضل بيننا هو انى أشوفك سعيد .. وآشوفك
ناجحة .. تأكدى ان الحاجه الوحيدة اللي ممكن تخف عنى انى
أشوفك سعيد ..
وصدقته ..

لا ادرى لماذا .. ولكنى صدقته ..
وقلت وقد خفت حدفى :

— باذن الله حاكون سعيد .. وانجح ..
قال وهو يبتسم بتسامة سفيرة طيبة :

— انتى كتني بتنادينى يا عمى .. وكل اللي انا عايشه منك انك
تعتبريني عمك فعلا .. عمك بصحيح .. وانتى عارفه ان
باباكم عيان .. وماماكم كبرت وتعيت .. ولازم يبقى جبكم راجل
تعتمدوا عليه .. وكل اللي انا عوزه انى ابقي انا الرجال ده ..
ابقى عمك .. ومسئول عنكم ..
قلت ؟

— مرسي يا عمى .. على كل حال انا اقتنعت ماما بأتنا نعيش
على قدنا .. وairyادنا يكفي اتنا نعيش كوييس ..
قال :

— انا ما بتكلمش عن الفلوس بس .. انا باتكلم عن كل
حاجه .. مش كتير عليكى انك تعتبريني عمك ..

قلت .

— أبدا .. مش كثير .. أنا حا اعتبرك عمي فعلا ..

قال في حماس وابتسامته تنسع :

— ما هو لازم تعرفى انى كرجل اعمال يهمنى ان كل حاجه ..
ادخل فيها تنجح .. وانا دخلت عليكم ولازم اطمأن انها عليه ناجحة ..
وعليكم يعني انتى .. انتى لازم تنجحى يا نوجا .. لازم تنجحى
في اي حاجه تعمل فيها .. اذا اتجوزتى لازم تنجحى .. اذا دخلتى
الجامعة لازم تنجحى .. مش معنى ان علاقتنا اتغيرت انى مش
عايزك تنجحى .. أبدا .. زى المصنع بتاعى بعد ما اتمم ، لسه
باتمنى له النجاح .. والحكومة شفقلتني فيه علشان انجحه .. انتى
كمان بافترض انك اتممتى .. انما برضه لازم اكون مسئول عن
نجاحك ..

قلت رانا اضحك :

— بآه أنا زى المصنع يا عمي ؟ ! ..

قال في صوت ينبع بالصدق :

— المصنع وانتى ، الحاجتين اللي حبيتهم في حياتى ..

ثم استطرد كانه نسى شيئاً :

— وأولادى ..

ولم ادر ماذا اقول .. ولكن قلت وانا لا انظر اليه :

— اطمئن يا عمي .. حانجح ..

وقال وهو ينظر الى "كانه يتوصى" :

— اذا كنتى اعتبرتى اللي فات غلط ، فعذرى انى كنت
فاهم الحياه كده .. وكتبت فاهم ان الحب كده .. واذا اختلفنا فى
الفهم فمش معنى كده انى وحش .. أنا مش وحش يا نوجا ..
ناكدى انى مش راجل وحش ..

قلت في صوت خفيض :

— اذا كان اللي فات غلط ، فمهى غلطتنا كلنا ..

ونظر الى بعينين حانينين تطلان من خلال وجهه الازرق :

— خلصر حا تعتبريني عماك ؟

قلت :

— خلاص ..

قال :

— وحاتقوليلى ثو عرغفتى حاجه ؟

قلت :

— باذن الله ..

وقام وأقفا وقال وهو يتنهد كأنه ازاح عن صدره عبئاً :

— أقوم أنا بأه ..

ثم اتترتب مني ، ومديده يصافحنى ..
وأبقى يدى فى يده ..

وخيلى الى أنه يحاول أن يتربّى أكثر ..

خليل الى أنه يهم أن يقبلنى ..

وابتعدت خطوة الى الوراء .. ووقفت امامه منتصبة القامة

ورأسى مرفوع .. نظراتى ثابتة .. وسحبت يدى من يده ..

وطافت لمسة حمراء على وجنتيه .. وقال كأنه يدارى ارتباكه :

— هي مين عزيزه هاتم ؟ !

وجاعت أمى ..

وودعناه حتى الباب ..

وقد صدقت عبد الفتاح .. صدقت أنه يحبنى .. صدقت
أنه مخلص في عرض صداقته على .. ولكن داهمنى احساس
جارف بالخفف .. خفتاليوم الذى احتاج فيه اليه .. الى نقوده

.. انى أستطيع ان اكون دائماً اقوى منه لو ضمنت انى لن احتاج اليه ، يجب ن اقتصر فى نفقات معيشتنا .. يجب ان اهجر هذه الفيلا التي نقىم فيها .. واعود الى سرت عزيزة الخساطة .. واستغنى عن السفرجى والسائلق .. واستغنى عن كل هذه المظاهر الفارغة .. وان اعيش فى حدود دخل ابى وامى .. وهو دخل يكفيانا كى نعيش مستورين .. كاحسن ما تعيش اسرة متوسطة ..
ولكن ..

ماذا يقول الناس .. وماذا تقول صديقاتى .. عندما يرينا فجأة ، وقد انتقلنا من فيلا فى شارع الهرم ومن حياة باذخة ، الى شقة كالشقة التي كنا نقىم فيها فى الجيزة .. ان كلام الناس لا يهمنى عندما انتقلت الى شارع الهرم ، ولن يهمنى كلام الناس عندما اعود الى الجيزة ..

وبدأت اقنع امى بان ننتقل الى شقة متواضعة .. وان نقصصه فى حياتنا .. ولم يكن اقناعها سهلا .. لقد عاشت طول حياتها متعلقة بالظاهر .. تدعى ملتها بالعائلات الكبيرة .. وتدعى انها غنية .. وتكتذب وتحтал حتى تتمكن من ان تطل برأسها على الطبقة العليا .. ولم يكن ضعفها امام عبد الفتاح ، الا ضعفها امام حبها للمظاهر وتطلعاته الطبقية .. ولكنها كانت قد ضعفت امامى .. وكان خوفها من ان تقىدى مرة ثانية قد جعلها تستسلم لى .. ان حياتها معى فى اى مستوى ، ارحم من ان تعيش وحيدة فى قصر لست فيه .. انا حياتها .. انا ضحكتها .. انا كل اهتمامها .. انا المحور الذى تدور حوله دنياها ودنيا ابى .. انا كل ما بقى لها من معالم الحياة .. واقتنت ..

وبدأنا نعلم نبحث عن شقة صغيرة ، قرية من الجامعه .
وفى يوم .. خرجت من البيت لزيارة صديقة لي ، تسكن أيضا
فى شارع الهرم .. قرية من بيتنا .. كنت ذاهبة اليها على
تدمى لا فى السيارة .. وما كدت أخطو فى شارع الهرم حتى
لحت هاشم يقود سيارته فى بطء .. وبجانه فتاة .. وتحولت
عيناي بسرعة الى وجه الفتاة .. انها جليلة جمالا لم ار مثله
من قبل .. لعلها ليست مصرية .. وصغيرة .. تبدو اصغر مني
.. بيضاء وشعرها اسود .. اسود جدا .. تتعكس اشعة
الشمس عاليه فبيرق فيه شعاع ازرق .. وهاشم ملتفت ليها ،
ويتحدث .. يتحدث في حماس .. ويشرح بيديه .. واصابعه
الطويلة الرفيعة تتحرك كأنه يعزف على الهواء لحنا عاطفيا ..
وغلات دمائى ..

سرت النار حتى اطراف اصابعى ..

وقد كنت طوال هذه الايام التي امتنعت عنها عن الاتصال
بهاشم ، اتصوره مع بنات .. و كنت اخف عن نفسى بمحاولة
الاقتناع بأنه ليس من حقى ان اغار عليه .. ويفينى منه انه
اعطانى حبا انقذ حياتى .. ولكن الخيال ارحم من الحقيقة ..
استطيع ان احتمل ان اراه بخيالى مع فتاة اخرى ، ولكنى
لا استطيع ان اراه مع فتاة اخرى بعينى ..

وحاولت ان استمر فى طريقى الى بيت صديقى ..

ولكنى لم اصل ابدا الى بيت صديقى .. مشيت ..
ومشيت .. ساهمة ، احترق بنارى فى صمت .. واحاول ان
اقنع نفسى .. ان أصبر نفسى .. ولكن النار اقوى من عقلى ..
تکاد تحرق عقلى .. وأجن ..
وعدت الى البيت بعد ساعات ..

ووجدت نفسي أرفع سماعة التليفون وأنا ساهمة ، كان هناك
قوة أكبر مني تحركني .. وادرت رقم العيادة ..
وسمعت صوته ..
وقلت في صوت منهار ..
— ازيك يا هاشم ..
وصرخ بمجرد أن سمع صوتي :
— آيه ده يا نجوى .. الناس قبل ما تسيب بعض مش تقول
مع السلامه .. ولا أورفوار .. تسيبيسي كده من غير ولا كلامه ..
قلت والنار تنطفئ رويدا رويدا :
— أنا مسبتكش يا هاشم ..
قال في حدة :
— أمال بقالك اكتر من عشرين يوم ما سأليتش عن ليه ؟ ! .
قلت في هدوء :
— ارسعه وتلاتين يوم ..
قال وهو لا يزال محتمدا :
— ولما انتي عداهم ما اتصلتيش بي ليه ؟
قلت :
— ظروفى .. مش عارف كان حاصل لى آيه ؟ !
قال :
— المفروض انك كنت تتولى على اللي ببحصل أول بأول ..
قلت :
— ما قدرتتش ..
قال :
— وبتكلمى منين دلوقتى ؟
قلت :

— أنا رجعت بيتنا .. إنما أطمئن كل حاجه اتغيرت ..
ومرت برهة صمت .. كأنه يفكر .

ثم عدت أقول له وإنما أحاول الا تبدو في صوتي ، رعشة
قلبي :

— أنا شفتكم النهارده ..

قال غنى دهشة :

— فين ؟

قلت وإنما أبتسם لنفسي ابتسامة مسكونة :

— في شارع الهرم .

وندك ضحكة صغيرة ساخرة ، وقال :

— علشان كده بتكلمينى ..

قلت :

— لا .. كان لازم أكلمك من زمان .. كان لازم أعرف إن
مش من حتى إنني آخذ قرار لوحدي ..

قال وهو لا يزال ساخرا :

— انتي خدتى قرار ..

قلت وإنما أحاول إن أبدو قوية :

— أيوه ..

قال :

— قررتى أيه ؟

قلت :

— أما أشوفك أقول لك .. أشوفك امتنى ؟

وسكت برهة .. ثم قال في تردد :

— بكره الساعة أربعين ..

قلت :

— نين ؟

قال :

— في، الشقه ..

قلت :

— لا .. بلاش الشقه .. فوت على قدام البيت .. نقدر
في العربيه ..

وعاد يسكت برهه ثم قال ساخرا :

— هو ده القرار اللي اتخذته ؟

قلت :

— ارجوك يا هاشم .. و ..

وقاطعنى :

— حاضر .. حا افوت عليكى قدام البيت .. زى زمان !
وغضبت الليل وانا اقاوم الانهيار . كنت اعلم انه لم يعد
لى نصيب فى هاشم ..

او على الاصح .. لم يعد لى مستقبل معه ..

ان اى علاقة يمكن ان تربطنى بهاشم اليوم ، لا يمكن الا ان
نكون مغامرة .. انى احبه .. ولعله لا يزال يحبنى .. ولكن
هذا الحب لم يعد يصلح للحياة .. انه حب غيرنى الى فتاة
افضل ، ولكنه جعل من هاشم رجلا حائرا ، يشك فى ..
ولا يستطيع ان ينسى انى كذبت عليه عاما كاملا .. لا يستطيع
ان يعيش معى .. لا يستطيع ان يفخر وي فهو بي كما كان يفعل ..
وانا لا استطيع ان اقدم على مغامرة جديدة .. لا يستطيع
ان اقلب هذا الحب الكبير الى مجرد مغامرة .. لا يستطيع ..
ولا يستطيع ان اليوم هاشم .. وخير لى ان احمل هذا الحب
الكبير فى صدري .. وأجتر ذكرياته فى صمت .. ذكرياته الحلوة

الراتعه .. الذكريات التي جعلت مني هذه الفتاة القوية ، وحررتني من العقد .. ومن يدرى .. لعل جرح قلبي يندمل يوماً ما .. . أن كل الجروح تندمل حتى الجروح العاطفية .. إن من طبيعة الإنسان أن يجدد نفسه .. ويجدد عواطفه .. كل خلايا الإنسان تتجدد بعد أن تذبل .. تولد من جديد .. وسأنتظر إلى أن يوين قلبي من جديد ، وأحب من جديد ، ولن يكون هذه المرة حبـ معقداً ..

وكانت كل هذه الخواطر تطوف برأسى وأنا أقاوم الانهيار .. أقاوم لهفتى إلى هاشم ، وحاجتى إليه .. وكانت أعلم أن هذه المقاومة ستستمر طويلاً .. وتتكلفى جهداً كبيراً .. ولكنى كنت مصممة على الا اضعف .. وكانت واتقة من قوتى .. يجب أن أبقى قوية ، من أجل نفسي ، ومن أجل هاشم ..

وخرجت إليه في اليوم التالي ..
قلقة عصبية ..

وكانت أمى تعلم أنى خارجة للقاء هاشم .. وكانت تنظر إلى بعينين متزوجتين نيهما توسل .. كان هاشم في نظرها غول ، تخى أن يفترسنى !!

وهاشم في سيارته .. ينظر إلى وبين شفتيه ابتسامة صغيرة .. ويحاول جهده الا تهتز نظرته ، او ابتسامته .. ووجهه ازداد نحواً فبدأ أكثر نبلاً .. كأنه فارس من غرسان الأساطير .. انه أكبر .. وجفونه أكثر انفاخاً .. وشفتاه ابتعدت أحداها عن الأخرى أكثر .. بل انه يبدو كأنه صفر في سنه منذ تركه آخر مرة .. لعل الازمة العاطفية التي مر بها قد أذابت الشحم عن وجهه فبدأ في هذه الصورة النبيلة .. نقط شعره .. أكثر بياضاً ..

ونامت يدى نى يده ، لا تزيد ان تصحو .. وكل منا ينظر
الى الآخر فى صمت .. وخدى وخده يرتعشان بخفقات قلبينا .
شم قال وصوته يحترجه **انفعالية** :

قلات وانا احاول ان ابتسם :

— ومين اللي اتمشيت بيها اميارح ..

قال وهو ينظر من خلال زجاج السيارة :

—ی صدیقه من لبنان ..

قذف و قلبی بتلوی :

— صدیقه بصر ؟ —

قال وهو لا ينظر الى

و سکت بر هه ، ثم قلت و رموشی ترتعش فوق عینی :
اسمها ایه ؟

والتفت اليه وهو يضحك ، قائلاً :

— وَإِذَا اظْنَثَكَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ

قلت وانا انظر اليه في لوم :

ما اغرسن عليك ليه؟

قال:

— لو کنټي بتغيري على .. ولا بتخافى على .. ما کنټيش
سبېتني لوحدي المده دی کلها .. مهمما كانت ظروفك .. ومهمنه
حصل لك ..

قلت وانا انظر في يدي :

— انا كنت فاكره ان الاحسن انتا ما نكلمتش بعض ..

قال فى ذهشة حقيقة :

— ليه ؟

قلت :

— لانى شفتك قبل كده فى الشقه نازل مع واحده ..

وارتمشت نظرته رعشة خفيفة ، وقال :

— امتى .

قلت :

— زمان ومش بس علشان كده ..

قال ؟

— امال علشان ايه كمان ..

قلت :

— لانك مره قلت لي ان الحل الوحيد اتنا بتبدى نعرف بعض من جديد .. ولما فكرت ، لقيت ان مش ممكن نعرف بعض من جديد .. ما نقدرش ننسى اللي فات .. ولكن اللي حا يحصل انك حا تبتدى تعاملذى بشكل جديد .. وخايشه ييجى يوم تقعد احترامك لي .. زى ما فقدت احترامك الامينه .. وانت قلت لي ان مافيش حب كامل من غير احترام ..

وقال هاشم كأنه يعذر :

— انتى حاجه تانية يا نجوى ..

قلت وانا انظر اليه بكل عينى :

— انا عارفه انتا مش حاتتجوز يا هاشم .. حتى لو حبيت انك تتجوزنى ، انا مش حارضى .. لان جوازى حايعذبك .. مهمـا حبيتنى حاتفضل طول عمرك حاسس بالندم .. حاتفضل طول

عمرك تتنمى لو كنت حبيت واحده تانى ، واحده ما عملتش اللي
عملته ..

قال فى صوت خفيض :

— انا اجلت التفكير فى الجواز .. و ..

قلت اقاطعه :

— بشر معنى كده انى ما استاهلش انى اتجوزك .. انا
بقيت كويسيه .. وحافضل كويسيه ..

قال وهو ينظر الىّ فى حنان :

— انا عارف انك كويسيه .. واحسن من بنات كتير
ما عملوش اللي انتي عمليه .. انما انا اتصدمت .. وباحاولنا
أفوق من الصدمه ، مش قادر .. لغاية دلوقت مش قادر ..
مش قادر اقول لك حاجه .. ومش قادر اوعدك بحاجه .. انما
مهما حصل لازم تفضل حاجه بيننا ..

قلت :

— ايه ؟

قال :

— نفضل اصدقاء ..

قلت :

— يا ترى نقدر نبقى اصدقاء .. متهيالى ان اسهل نحاولها
نفسى ..

قال :

— لا .. لازم افضل فى حياتك ، ولازم تفضل فى حياتي
.. مش ضروري نشوف بعض .. انما لازم كل واحد نينا بيقى
•
مطمئن على الثاني ..
ولم أرد ..

سرحت احاوا.. ان اتصور كيف يمكن ان تكون أصدقاء ..
جرد أصدقاء بعد كل هذا الحب الكبير ..
وقلت وانا لازلت سارحة :
— ما قلطيش .. اسم اللى كانت معك امبارح ايه ؟
قال ضاحكا :
— ليه .. عايزه تعرفني اسمها ليه ؟
قلت :
— احنا مش اصدقاء !!
وقال وآثار ضحكته بين شفتيه :
— اسمها رحلب ..
قلت وانا اكلم شيئا بكاد ينفجر فى صدرى :
— اسم غريب .. انما حلو .. وهى حلوه .. وصبية ..
شعرها جنان .. لازم صبغاه فى لبنان ..
قال فى دهشة :
— شعرها مصبوغ ؟
قلت :
— طبعا .. بآه فيه لون اسود طبيعى بالشكل ده .. وتبقى
دكتور قد الدنيا وما تعرفش الشعر المصبوغ من الشعر
الطبيعى ..
قال فى ثقة :
— لا .. شعرها مش مصبوغ .. لسه ما لحقتش تصبغه ..
اغتنمت من هذه الثقة التى يتحدث بها .. لقد أصبح يصدقها
أكثر مما يصدقنى .. وقلت فى حدة انطلقت رغم أنفى :
— ابقى اسألها ..
قال :

— حاضر .. حا اسألها ..

ونظرت الى وجهه كأنى اودع كل قطعة منه .. اودع انفه
الكبير .. وارفع عينيه المنقذتين . . وارفع شفتيه المنفرجتين ..
ثم قلت فى همس :

— بتحدها ؟

قال :

— ما اعرفش ..انا مش عارف حاجه ابدا اليومين دول
.. مش عارف باتصرف ازاي .. وباتصرف كده ليه .. مش
مستقر .. ما فيش حاجه فى حياتى مستقرة .. حتى شفلى ..
مش قادر ارجع اشتغل زى ما كنت ..

قلت وقلبي ملهوف عليه .. احس كأنه ابني :

— انا اتمنى انك تحبها ..

قال :

— ليه ؟

قلت :

— لانك تحتاج تحب من جديد .. ولاتها حلوه .. ولايشه
عليك ..

قال فى دهشة :

— لايقه على ازاي ؟

قلت :

— ما اعرفش .. جاسة انها لايقه عليك ..
وضحك قائلًا :

— اخترى كأنت بتقول انك لايقه على ..

قلت وانا اشاركه ضحكته :

— رحابكمان لايقه عليك ..

وسكننا ..

وعلى شفتي كل منا ابتسامة يحاول ان يضمد بها جراحه ..
وعاد بي الى البيت .. وانحنى قبل ان انزل من السيارة ،
ولم خذى بشفتيه .. ونظرت اليه بعينين مبهورتين .. ثم
انحدفت على صدره ، وضمته الى صدرى .. ضممتة بكل
لهفى ، بكل حاجتي اليه . بكل حرمانى منه .. ورفعت اليه
شفتي .. وغبنا فى قبلة طويلة .. لا تزيد ان تنتهى .. شفاها
لا تعترف بالمنطق الذى حكم علينا بالنراق ..

وكانت قبالتنا الأخيرة ..

وهمس وانا انزل من السيارة :

— حاتكلمينى فى التليفون ؟

ونظرت اليه فى تردد ..

وعاد يهمس :

— احنا مش اتفقنا نكون أصدقاء ..

وهزرت راسى بالايجاب ..

وجريت الى داخل البيت ..

ولم نلتقي بعد هذا اليوم ..

ولكنى كنت احاديثه فى التليفون ، فى فترات متباude .. وكان
يحدثنى عن رحاب بلا نفاصيل .. وكنت أخاف ان اسأله عن
التفاصيل حتى لا تجرحنى .. وكان هناك دائما شيئاً يشد احدهنا
إلى الآخر .. وكان كل منا يقاوم هذا الشيء .. كل منا يقاوم
حتى لا يجري نحو الآخر ..

وقال لي مرة :

— اسمعى يا نجوى .. اذا طلبت انك تقابلينى ابقى ارفضنى ،
واننى اذا طلبتى انك تتشوفينى انا حارغض .. موافقه ؟ !

قلت :

— موافقه ..

قال :

— طيب حاشوفك امتى ؟

قلت بسرعة :

— تعال دلوقتى ..

وضحكتا نحن الاثنين .. ولم تلتقي .. وانا هادئه .. مؤمنه
بالحب ..

ان الحب هو الذى انقذنى .. هو الذى حول حياتى .. هو
الذى فتح لي ابواب الجامعة .. هو الذى رفع راسى ، واتساع
في عمرى النور ، والاستقرار .. بل انى أصبحت اؤمن ان كل
حياتى كانت حبا . حتى اخطائى كانت اخطاء الحب .. كل
ما هنالك ان الذين احبونى ، احبنى كل منهم حسب عقليته ..
امي الحقيقية أحببتني فأعطتنى لاختها حتى تبعدنى عن الفقر
الذى نعيش فيه .. وامي الثانية أحببتني فجاعت لي بعد الفتاح
ليوفر لي الحياة التى كانت تتمناها لى .. وعبد الفتاح احبنى .
والحب كما يفهمه هو شراء .. وعادل احبنى وجعل مني امراة لانه
أراد ان ينزوجنى .. كلهم احبونى .. حبا صادقا حقيقيا .. لم
يتعد احد منهم ايدائى .. لم يتمدد احد منهم ان يتعمسى ..
كل ما هنالك انى كنت ضعيفة .. ضعينة الشخصية .. فلم
استطع ان اختار نوع الحب الذى اريده .. ان الحياة كلها حب
.. كل طريق فيها مفروش بالحب .. والمهم ان اختار الطريق
الذى اريده .. الذى اقتتنع به .. الذى يؤدى بي الى مكان استريح
نيه ..

الى أن جاء هاشم فمنحنى هذا الحب .. الحب الذي اقتنعت به .. وعندما اقتنعت بالحب ، استعدت قوتي .. قوة شخصيتي .. واستطعت أن اختار الطريق ..
ان هاشم رائع ..
مدهش ..

انه الرجل فى اكمل صورته ..
وانا طالبة فى الجامعة .. وبطلة فرقة التمثيل فى الكلية ..
.. ومندوبة النشاط الاجتماعى .. وزملائى وزميلاتى يحبوننى ..
.. اتنا نقضى معا اوقاتنا سعيدة .. ضناحكة .. حلوة .. ولكنى
اغفت من التدريب العسكري .. لأنى لا زلت أخاف على قلبي ..
احيانا كثيرة اهم بأن استفنى عن قلبي ، واشتراك فى التدريب
الع资料ى ..

وقد بحثت هذا العام بتفوق ..
وابراهيم نجح ايضا ..
من هو ابراهيم ؟ !
هذه قصة أخرى ..

العين الثالثة

- ١ -

انا رحاب ..

اصدقائي يدعونى « روللى » .. واحيانا ، « رو » ..
ولا ادرى ما الذى جاء بي الى القاهرة .. قبلها بأشبوع
واحد كنت استعد للسفر الى لندن .. فصديقتي هند تقيم هناك
وانا احب صديقتي هند .. وكانت اعتقد انى احبها الى حد ان
احتيل برد لندن وضبابها .. ولكنى بذات احس ، كلما اقترب
موعد سفري ، ببرد لندن فى عروقى وضبابها يملا عينى ..
انى اكره البرد والضباب ، اكرههما اكثر مما احب صديقتي
هند ..

وكان يجب ان اترك بيروت ..

اصبحت بيروت تقرزنى .. كل شىء فيها يقرزنى .. بناتها
وأولادها .. وشوارعها .. وبحرها .. والجبال التى تطل
عليها .. ودكاكين سوق الطويلة « والستاركوا » .. وضحكاتها
الغليظة .. وقوساتها .. وسياراتها .. ودموعها .. وليراتها ..
اصبحت كلما لمست ليرة احس كأنى المس شيئا لزجا مقززا كبطن
السلحفاة .. والملل والزهد يخنقانى .. احس انى ادور حول
نفسى .. وأدور .. وأدور .. وينتابنى صداع عنيف .. الد،
مطربة تضرب على رأسى .. واحس بالاختناق .. تنحبس الدماء

نى عروق رقبتى .. ويزدرد وجهى .. وأسقط .. كانت
تنتابنى فعلا هذه التوبات ..
وكان يجب أن أترك بيروت هربا من الزهد والملل ونوبات
الاختناق ..
إلى لندن ..

وقد اخترت لندن من أجل صديقى هند ، ولكن هذا الاحساس
بالخوف من البرد والضباب ظل يلازمى .. إلى أن صحوت ذات
صباح ، وقد قررت أن أسافر إلى القاهرة بدلا من لندن ..
لا أدرى لماذا القاهرة .. ربما لاحتمنى فيها من برد لندن وضبابها
.. فلم يكن هناك أى شئ يغرينى بالقاهرة .. لم يكون يربطنى
بها شئ .. ليس لى فيها اصدقاء .. ولست من هواة الآثار
.. لا أريد أن أرى الأهرام ولا أبو الهول .. ولا أفهم شيئا
في السياسة حتى أدعى أنى اخترت القاهرة ليهاننا بالوحدة
العربية .. أبدا .. ولكنى اخترت القاهرة والسلام .. كما اختار
تماش ثوابى فى لحظة من لحظات الزهد ..
وذهبت إلى أبي قبل أن يخرج إلى عمله ، وقلت كأنى أنطق
 بكلمة القدر :

— سأذهب إلى القاهرة ..

وكان أبي قد تعود على نزواتى .. لم يعد شئ مني يدهشة
.. فابتسمت له بابتسامته الحلوة الهدئة .. وقال :

— ولندن ؟

قلت :

— ضباب وبرد ..

قال :

— وصديقتك !

قلت :

— سأكتب لها .. إننا لا نختلف عندما نتراسل ، ولكننا نختلف
كثيراً عندما نلتقي ..

قال :

— ولكننا حجزنا لك هناك . . وحولنا لك الليرات ..
قلت :

— الخ الحجز والتحويل ..

ونظر في وجهي كأنه يبحث عن حقيقتي : ثم قال :
— لماذا القاهرة !

قلت :

— هيكل بلا سبب ..

قال وهو يضحك :

— أخشى عليك من الشباب هناك .. إنهم ملاعين ..
قلت في عصبية :

— اف .. إنك تحدثني كأنى صرصارة .. بنتك يا حاج عبد
الرحمن لا يخالف عليها من الشباب فى أى مكان ..
وضحك ضحكة كبيرة ..

انه يثق في .. طول عمره يثق في رغم كل نزواتي التي
ضجت منها بيروت ..

وقال وكرشه الكبير لا يزال يهتز بضحكته :

— أقصد .. انى أخشى على شباب القاهرة منك .. انهم
عرب مسلمون ، وحرام أن نرسل اليهم شيطانه مثلك ..

وقلت وانا اتظاهر بالزهق تدللا عليه :

— خلصنى .. ما رأيك ؟

وفكر برهة ، ثم قال :

— عائلة محبين الدين لا تزال تقimb هناك .. تستطع ان
تقيمى عندهم .. انهم انساؤنا كما تعلمين .. والرجل لا يزال
مدينا لى بعشرة آلاف ليرة ..

وقفزت جالسة على ركبته وقبلته على خده ، وصحت :

— انت اعظم اب يا حاج عبد الرحمن .. بتجنن ..

وارتعشت وجنتاه من فرط سعادته .. ان اللحظات التي ادله
فيها هي دائماً اسعد لحظات عمره .. انه يحبني .. يحبني
اكثر من كل اولاده وبناته .. فأنا اجمل البنات .. وأذكاهن ..
وأصغرهن .. لا .. لقد كذبت .. لست اصغر البنات .. لى
اخت اصغر مني ، ولكنني لا احب ذكرها .. لا احب ان تكون لى
اخت اصغر مني .. لا احب ان اكون ابداً فى الوسط .. وسط
اي شيء .. الوسط ليس له لون ، ولا طعم ، ولا شخصية ..
الوسط ليس صفة .. ابداً ليس صفة يستطيع الانسان ان
يتصرف بها ويحدد بها شخصيته .. ان الشخصية تجدها فى
القمة .. قمة اي شيء .. قمة الذكاء او قمة الغباء .. قمة
الفوضى او قمة التبع .. قمة السعادة او قمة الشقاء .. بل انى
وجدت ان كل هذه الصفات تلتقي كلها فى قمة واحدة .. ان
الاحاسيس البشرية كالجبل الضخم .. تتباعد جوانبه عند السفح
.. فتجد الاحساس بالسعادة فى جانب والاحساس بالشقاء فى
جانب آخر .. والاحساس بالذكاء فى جانب والاحساس بالغباء
فى جانب آخر .. والجنون فى جانب والهدوء فى جانب .. و ..
وكلما ارتفع الجبل ، اقتربت هذه الاحاسيس بعضها من بعض ،
الى ان تلتقي كلها عند القمة .. ولانى أعيش دائماً فى القمة
فاني احس بكل هذه الاحاسيس فى لحظات متتالية بسرعة ..
سعيدة فى لحظة ، وشقيقة فى اللحظة التالية .. مجنونة فى

لحظة ، وهادئة في لحظة .. ذكية في لحظة .. وغبية في لحظة .. ان حباتي ليست سنوات ولا شهورا ولا اياما .. انها لحظات .. حتى مظهرى الخارجى يتغير بين لحظة واخرى .. ويختار فيه اهل بيروت .. في لحظة اخرج اليهم وانا البنطلون والبلوز ، وحذاء بلا كعب .. وشعرى الاسود يسيل فوق عينى .. كأنى صورة من مجلة « ال » .. ثم اذهب الى مقهى الدولى شيفيتا ، واجلس بين الشبان ، وأشعل سيجارة اضعها في فم اسود طويل ، واتصرف كأنى فتاة وجودية من فتيات الحى اللابنی في باريس .. ثم فجأة اتفز وارتدى ثوبا من الاورجانز المنفوش ، واضع فى قدمى حذاء عاليا ، والم شعرى الاسود الى « الخلف » ، وأضع فوق رأسى تاجا محلى بنصوص اللؤلؤ .. فلابد كأنى الملكة اليزابيث ، ثم ادعو بعض صديقانى ، ونذهب ونجلس في فندق فينيسيما ، نتناول عصير البرتقال .. في هدوء واتزان ..

اني دائمًا هكذا .. نى القمة .. قمة الاحساس .. والواقع ان احساسى هي التي تحكمنى .. لا شيء يمكن ان يتحكمنى أبدا الا احساسى .. ولا أحد يستطيع ان يتحكمنى .. لا ابى ، ولا امى ، ولا أخي .. فقط احساسى .. انى اعتبر ان اى تصرف لا ينبع من الاحساس ، هو نفاق ، او جبن .. وانا لا اتفاق حتى الله .. انما الصلة بينى وبين الله تحكمها احساسى انا .. في لحظة اضع بمحض الذهنى على صدرى ، وفي لحظة اخرى ارفعه بلا سبب الا لأنى احس في لحظة بالله ، وفي لحظة اخرى ، لا احس به ..

ولانى مستسلمة دائمًا لاحاسيسى ، فانى اعجز احيانا كثيرة عن تبرير تصرفاتى .. لأنى في احيانا اعجز عن فهم احساسى

.. واعجز عن التعبير عنها حتى لو فهمتها .. بذذ متى وإننا
مستسلمة لاحاسيسي ؟
ربما منذ ولدت ..

وانكر وإنما في السابعة من عمرى ، وكنا نقضى شهور الصيف في « ضهور الشوير » ان استيقظت من نومي في الصباح ، وقلت لأمي اني ذاهبة في رحلة .. وطلبت منها ان تعد لي طعاماً لأخذة معى في رحلتى .. ودهشت أمى .. وحاولت أن تعرف منى إلى أين أذهب ، ومع من .. ولكن لم استطع ان أجبيها .. لم استطع ، لأنى أنا نفسي لم اكن أعلم أين أذهب ولا مع من .. ولكن فقط كنت احس بانى ذاهبة في رحلة .. احساساً قوياً عنديها يملكتى كلى .. وعندما عارضتني أمى وأصرت على الاخرج من البيت تملكتنى هذه النوبة اللعينة ، نوبة الاختناق .. كان احساسى حاكم مجنون يخنقنى اذا لم ااخضع له .. ولم استطع ان افيق من النوبة ، الا بعد ان اعدت لي أمى الطعام الذى طلبته ووضعته لي فى سبب الرحلات ، ثم تركتني اخرج بعد ان اوصلت سائق سيارتنا بأن يتبعنى .. ولكن لم اخرج الى الشارع .. بل خرجمت الى حديقة البيت .. وفي الركن البعيد من الحديقة .. خلف الاشجار التي تخفي البيت ، جلست من الساعة التاسعة وسبت الرحلات بجانبى .. جسست من الساعة التاسعة صباحاً حتى الساعة السادسة مساء .. وحدى !!

ماذا أفعل !!

كنت اتحدث الى النمل الاسود الكبير .. خيل الى يومها انى ملكة النمل .. واخذت احاكم رعيتى .. احکم على بعضها

بالموت .. وأمنح البعض الحياة .. كنت أزيح بكمي الصغيرة فريقا من النمل .. وأصرخ فيه : انت تموت .. ثم أدفعه تحت التراب .. وأشير إلى فريق آخر ، وأصبح : انت تعيش .. وأتركه يسعى .. ثم يخيل إلى أن الفريق الذي حكمت عليه بالموت مظلوم ، فأتبشّر التراب لاعيده إلى الحياة ، ولكنني لا أجده .. فأبكي .. وتقرب مني نملة كبيرة ، ويُخَيل إلى "أنى اسمعها تحدثنى .. فأعود أبتسم .. وأضحك" :

بقيت هكذا حتى الساعة السادسة ، دون أن يحاول أحد من أهلى أن يقترب مني .. كل منهم يخاف أن تعاودني التوبة لو حاول أن يعيدي إلى البيت .. إلى أن عدت وحدى ، أحمل سبب الطعام ، كأنى عائدة فعلاً من رحلة .. واستقبلتني أمى وهي تبتسّم لى قتلة :

— هل تمنتت برحلتك؟

وأجبتها في بساطة :

— لماذا تكذبين .. انت تعلمين أنى لم اكن فى رحلة .. تعلمين أنى كنت طول الوقت فى حديقة الدار ..
وهررت أمى من لسانتى ..

وقد كبرت هذه التصرفات معن .. تصرفات لا تحكمها إلا أحاسيسى .. أصر على أن التحقق بالقسم الداخلى في المدرسة .. ولا أكاد أقضى فيه أسبابع ، حتى أصر على أن أعود إلى القسم الخارجي .. وأدخل مدرسة فرنسيّة ، ثم أصر على أن أدخل الكلية الأمريكية .. ثم أعود إلى المدرسة الفرنسية .. و .. و .. وخيل إلى أمى يوماً أنى مريضة نفسياً .. ربما خيل إليها أنى جنونة .. فصاحت بي إلى طبيب نفسي .. ولكن الطبيب النفسي لم يفهم .. لم يفهم أنى إنسانة طيبة ، كل

ما هنالك انى لا احاول ابدا ان اقاوم احساسى واستسلم **(بها)**
.. ولكن ولا شك كدت فى طفولتى ، عصبية .. وكانت اعصابى
تأكل من جسمى ، فكنت رفيعة ، ضعيفة ، وكانت امى لا ترحمنى
من الادوية القوية ..

ان امى مسكنة ، انها لا تفهمنى .. ولا تستطيع ان تفهمنى
.. ان الحياة عندها خطوات محسوبة .. ارقام .. واحد ..
اثنان .. ثلاثة .. أربعة .. خمسة .. و .. وتجمع هذه
الارقام ، ف تكون النتيجة زوجا غنيا .. لا مكان فى هذه الحياة
للاحساس .. انها لا تعرف بشيء يمكن ان يسمى باحساس ..
الاحساس عندها هو ايضا مجموعة ارقام .. مجموعة فضائل
وتقاليد .. فاذ اختل رقم من هذه الارقام فيجب ان يستدعي
الطبيب ..

وهى ام صغيرة .. لا تتجاوز الثامنة والثلاثين .. جميلة
.. انيقة .. من اكثر سيدات بيروت اناقة .. ومن بيت مشهور
فى طرابلس .. بيت كمال الدين .. ولأنها من بيت كبير ..
وجميلة .. رفاضلة .. ومهيبة .. فقد تزوجت ابى ، لانه رجل
غنى ..

مجتمعها حسبة ..
وكلامها يقتضى بعلم الحساب ..

ولكن ابى كان اكثرا طيبة ، وارهنت قلبا ، فى معاملته لنا ..
ربما لأن عقله كله مشغول بتجارته ، ومشاكل تجارته .. انه
واحد من بين خمسة تجار كبار مسلمين فى بيروت .. ولكنى
لا اعلم بالضبط فيم يتاجر .. لم احاول ان اعرف .. ثانى احس
ان اهل بيروت كلهم مثل بعضهم البعض .. كلهم تجار .. وكلهم
يقفون فى دكان واحد .. بيروت كلها دكان واحد .. يقف
فيه رجل واحد .. وحوله ادراج وارفف كثيرة .. درج فيه

تماش .. ودرج فيه وظائف .. ودرج فيه بهارات .. ودرج فيه
سياسة .. زدرج فيه مختلف انواع الاديان .. و .. و ..
 وكل شيء للبيع .. والناجر قد يكون ابى ، او عمى ، او خالى ..
 او انطون .. او سليم .. او قسيس .. او وزير .. ولكنه
 دائمًا نفس الرجل .. الرجل الذى يقف فى دكان بيروت ..
 بيع !

وقد حاول ابى وأمى ان يطبقا على اخوتى علم
الحساب ، الذى نشأ عليه .. اعدا لنا كل شيء .. ارقام
محسوبة .. بيت كبير فى « الأشرفية » ، وقد انتقلنا منه منذ
سنوات الى « اس بيروت » .. والقونا بأحسن مدارس ..
 وسيارات .. وخدم .. ونصائح .. و .. ولكن علم الحساب
 ام يفلح الا مع اخى الكبيرة .. أنها صورة طبق الاصل من
 امى .. فى اخلاقها ، وفى اتزانها ، وفى فناقها .. وأنفلح علم
 الحساب ايضا مع اصغر اخوتى الصبيان .. انه ليس كابى ،
 ولا كامي .. انه غبى .. بليد .. يدخن الارجيلة ، وبكتفى بأنه
 ابن الناجر الكبير الحاج عبد الرحمن .. والقباء لا يتعارض مع
 علم الحساب .. أما اخى الكبير فقد كان مجنونا ، فى نظر امى
 على القتل .. كان يشير بيروت كل ليلة بفضيحة ، ثم فجأة اختفى
 وعلمنا أنه هاجر إلى أمريكا الجنوبية .. وصدم ابى .. أنها أول
 مرة رايته فيها متهارا .. لقد كان بيكي .. كان يحب ابنه الكبير
 .. ولم يكن هناك سبب لهجرته .. اتنا اغنياء فى بلادنا ، فلماذا
 نبحث عن الغنى فى بلاد الناس .. كان هذا منطق ابى يومها ..
 ثم لم يكدر عام آخر ، حتى صدم صدمة ثانية عندما هاجر ابى
 الثانى الى بلجيكا .. ايضا بلا سبب الا انه لم يخضع هو الآخر
 لعلم الحساب ..

ولم يبق لأبى الا ابنه الغبى ، وبناته .. اختى الكبيرة ..
وانا .. وأختى الصغيرة التى لا اعترف بوجودها ، وساعدنى
على عدم الاعتراف بها انها دائمًا فى مدرسة داخلية .. كثيرات
من صديقاتى لا يعلمون بوجودها ..

وانا أجمل البنات .. انى اشبه اودرى هبورن ، وجالكلين
كيندى ، وكريستين كيلر .. ان فى كل واحدة من الثلاث شيئاً من
الآخرى .. وانا اجمع بين الثلاث نوى ملامحى .. قوامى كتواه
اوdry هبورن .. وعيناى كعينى كريستين كيلر .. وابتسامتى
كابتسامة جاككلين كيندى ..

وتباهت الى انى جميلة وانا فى الرابعة عشرة من عمرى ..
عندما بدا «أندريه» يبحلق فى وجهى ، فى بلاهة .. وينظرنى
كل يوم امام باب البيت حتى اركب سيارة المدرسة ، ثم يلاحقنى
بسياحته .. أيامها وقفت امام مرآتى ، واكتشفت انى جميلة ..
شعرى اسود .. اسود .. ينطلق مبه بريق لامع ، كانه شعاع
من القمر ينطلق فى الليل .. وملائحة كلها دققة .. عيناي
صغيرتان مستديرتان ممتلئتان بالحياة .. وشفتاي رقيقةتان
مرهفتان .. وانفى صغير أنيق طرفه مرفوع .. ووجنتان
ناضجتان .. ولم يكن أحد من لا يعرّفونى يعتقد انى لبنيانية ..
كانوا يعتقدون انى باريسية .. وغضان كان يشبه وجهى بالتفاحة
وانفى بعنق التفاحة .. كان يقول انه كلما رأى احس بأنه يهم
بأن يأكلنى .. ولكن لندع غسان الاآن .. انه ليس اول رجل فى
حياتى .. اول واحد فى حياتى كان اندريه الذى قابلته وانا فى
الرابعة عشرة من عمرى ..

وكان اندريه ايامها شاباً كبيراً فى الحادية والعشرين من
عمره .. امه فرنسيـة .. وابوه لفنانى ارثوذكسى .. شعره

أصفر .. رعيناه ملونتان .. وجهه أحمر .. واذناه مفرودتان ..
كنت أضحك كلما نظرت إلى أذنيه .. وكنت أقول له ضاحكة :
— اذهب إلى أمك ودعها تشد أذنيك إلى الخلف بشريط
مصمغ ..
وكان يقتاظ ..

ولم يكن بيني وبين أندرية شيء .. لعله لم يكن بيني وبين
أى رجل شيء، حتى اليوم .. الا اذا اعتبرنا القبلات شيئاً ..
أتنا فى لبنان غير البنات والأولاد فى مصر .. فى مصر كل خطوة
تقود الى الأخرى .. واحساس كبير بالجنس .. ربما لأن الجو
فى مصر حار .. ولكننا فى لبنان لأنفكر كثيراً فى الجنس ..
ليس فى شلتنا على الأقل .. أتنا نمرح .. ونضحك .. ونخرج
إلى رحلات .. ونذهب إلى السينما .. ودائماً فى شلال صفيرة
.. أما الجنس فقد تفكّر فيه المتزوجات .. الحياة الجنسية
تبدأ فى لبنان بعد الزواج حتى يبعيداً عن الأزواج ..
٩
وقد اعتبرنى أندرية فتاته ..
واعتبرته فتاي ..

وكنا نخرج فى شلة من الأصدقاء والصديقات .. كل ولد
له بنت .. ونذهب إلى السينما .. وانى الجبل .. والى البحر
.. وقبلنى أول مرة تحت شجرة من أشجار غابة بولونيا ..
ليست غابة بولونيا فى باريس .. ولكن غابة بولونيا فى ضهور
الشوير ..

قبلنى على شفتي ..
وكرهت قبائنه ..
لقد أصبحت بالدورار بعدها .. لا من النشوة .. ولكن من
شيء يقززنى .. وقد بقيت بعد ذلك سنوات طويلة أكره أن يقبلنى

احد على شفتي .. فقط على خدي .. وعندما اكون سعيدة اترك
القبلات تنزلق على عنقي ..

وفى الرابعة عشرة من عمرى ؛ بدأت اضع الكحل حول
عينى .. وادمنت الكحل .. انه يجعلنى فتاة كبيرة .. اكبر
مما انا .. انى الى الان لا استعمل من الاصباغ الا الكحل ..
حتى « الروج » لا استعمله الا نادرا .. و كنت اخرج من البيت
وانا لا احمل الا قلم الكحل وورقة دن اوراق الكلينكس بدلا من
المنديل .. لم اكن احمل حقيبة ابدا .. اعصابى لا تحتمل ان
احمل فى يدى حقيبة .. النقود اضعها فى جيبى ، واذا لم يكن
فى ثوبى جيب ، اطبق عليها يدى مع قلم الكحل وورقة الكلينكس
.. لكتى ابدا لا احمل حقيبة ..

، وتركت اندريه ..

لقد شعرت فجأة انى اكبر منه .. لم تعد احاسيسى تطيقه ..
كل كلمة من كلماته التافهة تلوى اعصابى ..

ولاحقني اندريه طويلا .. انه لا يستطيع ان يستغنى عنى ..
كنت فى هاتين السنتين قد ملأت حياته كلها .. اضع برنامج
يومه .. وانتقل به من مكان لمكان .. واضحكه ، وابكيه ..
واتركه يزهو بنى امام اصدقائه .. لم تعد له شخصية بدونى ..
انا شخصيته .. انا كل ما عنده .. ولكن آسفة .. لم اعد
اطيقه .. انى ملك خاص لاحاسيسى ، ولم تعد احاسيسى
تطيقه ..

وجاء بعده نزار ..

لا شيء ايضا ..

سوى هذه القبلات التى التلقها على خدي واتركها احيانا
لتنزلق على عنقى ..

ثم جاء بعد نزار ، حازم ..

لا شيء .. لا شيء ..

ان كل هؤلاء الاولاد لم يكونوا شيئا .. انى اختارهم فقط لاكمل بهم مجموعة الشلة .. لنضحك اكثر .. ونجرى بين الشجر .. ونسحر فى البحر .. ونتزحلق على الثلوج .. ونخرج الى نزهات مجنونة بالسيارة .. ولم يستطع واحد منهم ان يغرينى بأن ابتعد به عن صديقاتى البنات كنت افضل دائماً ان اكون معهن ، وهو معى .. ولم يستطع واحد منهم ان يترك فى قلبي .. ولا خدشا على جسدى .. ابدا ..

انها صداقة .. مجرد صداقة .. نوع معين من الصداقة ..

وفى هذه الايام هويت الرقص .. واجدته الى حد اذهى بيروت .. كنت ارقص التشاشا والمازنجى احسن من اى فتاة .. وارشق .. بل انى كنت ابتكر خطوات جديدة يذهل لها محترفو الرقص الذين يمثون الستريوهات .. والستريوهات فى لبنان كانت تبدأ من الساعة الثالثة بعد الظهر خصيصا للبنات والأولاد فى عمرنا .. فكنت كل يوم وفى الساعة الثالثة بالضبط اذهب الى استربيو .. البس البنطلون : وحذاء بلا كعب ، وشعرى سائل على عينى ، ويدى قابضة على قلم الكحل وورقة الكلينكس .. وفي يدى الأخرى ولد .. وكانت في هذه الفقرة اصادر الاولاد الذين يحبون الرقص ..

ولم يكن اهلى يعلمون شيئا عن حياتى خارج البيت .. كانوا يعلمون انى اخرج مع صديقاتى البنات .. وربما اعتقدت امى انى اخرج فى شلة من الاولاد والبنات .. ولكن احدا لم يكن يعلم التفاصيل .. ولا اختى .. وكان بينى وبين امى خناقات طويلة حول خروجى من البيت .. وكانت عندما تصر على الا اخرج

.. اجن .. اجن فعلا .. احس بنوبة الاختناق .. وُمزق
كتبى .. واحيانا هجم على دولاب امى ، والقى ما فيه من ثياب
على الارض .. وهى واقفة امامى ترتعش .. تخاف ان يقترب
منى حتى لا ابدا فى تمزيق ثيابها .. ثم لا اكف عن جنونى ولا تزايلنى
نوبة الاختناق الا بعد ان تستمع لى بالخروج .. تخضع لى ..
ثم استسلمت نهايائى .. لم تعد تناقضنى فى خروجى ودخولى ..
واياما كثيرة كنت اخرج فى الصباح ولا اعود الا فى المساء .. فى
الساعة الثامنة .. لم اكن اتأخر ابدا عن الثامنة .. لا تعمدا ..
ولا خوفا من اهلى .. ولكن لأنى كنت اشعر بالنوم يداهمنى
ابتداء من الساعة الثامنة ..

وفي سن السابعة عشرة وجدت نفسي في وسط آخر من
أوساط بيروت الاجتماعية .. وسط يضم أدباء وفنانين وصحفيين ،
ومجانين ، وشبابا يتحدون بحماس في السياسة ، وفي الأدب
والفلسفة .. ويجتمعون في المقاهي التي تحيط بالجامعة الأمريكية
.. في مقهى فيصل ، وأونكل سام ، ويمثلون مقاعد مقهى
الدولشيفيتا في المساء ..

وبهرت بهذا الوسط ..

كل وجه فيه يبهرني ..

كل كامة فيه تبهرنى ..

واحسست ان ابواب عالم جديد فتحت امام عينى .. آفاق
جديدة فتحت امام عقلى ..
احسست انى كبرت ..
احسست انى كبرت ..

ورحب بي سكان هذا العالم الجديد .. ولم ادهش لترحيبهم
.. انى أستطيع ان اجتنب قلوب الناس ببساطة .. شكلى
الرقيق الناعم بشيرفى الناس اعجبوا بريئا .. احساسا حلوا ..

كأنهم يرون عروسه جميلة فى فترينة الله .. يضحكون لها ..
ويخافون عليها .. ويلمسونها فى رفق ..

وبسرعة اندمجت فى هذا الوسط الجديد ... وأصبحت
حياتى بمثابة بين مقاهى فيصل ، وأونكل سام ، والنيجرسکو ،
والدولشفيتا ... والنقطة ببرقة الكلمات التى يتداولونها ..
أصبحت انكلم مثلهم .. وأصبحت لا أمل حديث الأدب ، رغم انى
لا أفهم معظمه .. ولا حديث السياسة الذى لا أفهم فيها شيئا ..
واعتبرت نفسي وجودية .. دون ان أحاول ان أفهم ما هي
الوجودية .. كل ما فهمته أن الوجودية هي أن انكلم كما أشاء ،
وأتصرف كما أشاء .. وأحتفظ بشعرى سائلا على عيونى ..

وبدا هذا الوسط ينقل الى عدوى السخط الساخر على كل
شيء .. انهم يسخطون فى سخرية على العالم كله .. على
السياسة .. وعلى الأديان .. وعلى الله .. وكرهت ان اكون
فتاة غنية ، او على الأصح ابنة رجل غنى ، لأنهم يسخرون من
الاغنياء .. وأصبحت اتظاهر بالفقر .. والفقر فى بيروت ليس
كالفقر فى مصر .. الفقر فى بيروت هو الا تملك سيارة .. لم اعد
انتقل فى سيارة العائلة .. أصبحت اركب التوبيس .. وتream
بيروت .. وأمشى فراسخ .. وأكل فلافل وحمص بالطحينة ..

ولم اكن البنت الصغيرة الوحيدة فى هذا الوسط .. بنات
كثيرات مدمجات فيه .. جذبتهن اليه الثورة المكتوبية الى
الانطلاق .. الانطلاق الى لا شيء .. فقط الانطلاق .. التحرر
من سجن بلا أبواب وبلا سجان .. سجن العقد المترافقه فى
صدورهن ، منذ اعطى الاسلام لكل اربعة منهم رجلا واحدا ؛
ومنذ قدمت لهن المسيحية صورة عذراء بلا رجل ..

ولكنى كنت المح كل هؤلاء البنات . والاعجاب الحلو الرقيق

الذى ينطلق حولى من عيون الرجال ، بدا يتبلور فى اشتتاء ..
وبدأ كل رجل من الرجال الفنانين العباقة يريدى له وحده ..
انهم رجال .. مجرد رجال .. سواء جلسوا فى أونكل سام ،
او تسكعوا فى ساحة البرج ..

وهم رجال كبار .. ليسوا شبابا كالذين تعودت أن أصادقهم ..
بعضهم فى الثلاثين .. فى الخامسة والثلاثين . من الثامنة
والثلاثين ..

ورغم ذلك لم أخف ..

بل انى وجدت الرجال اكثر امنا من الشبان ..
وبدأت اختار من هذا الوسط الجديد اصدقاء نى ..
اخترت اكثراهم جنونا ..
كان أولهم سامي ..

قصير .. عيناه مشروطتان ضيقتان .. يشعان بالطيبة ،
والحيرة .. وينطلقان أحيانا بنظرات شاردة مجنونة .. وهو
رسام .. لا يبيع رسومه .. لأن الذين يريدون شراءها
لا يستحقونها ، والذين يستحقونها، لا يستطيعون شراءها ..
هكذا كان بقول .. ورسمنى سامي اكثر من مائة صورة ..
رسمنى على علبة كبريت .. وعلى مفرش المائدة .. وعلى لوح
زجاج المقهى الذى تعودنا ان نلتقي فيه .. انه يرسمنى كلما
رأى ..

وكان سامي يخاف من السكاكيين .. اى سكين يراها تثير
فيه الرعب .. تتسع عيناه الضيقتان .. ويشهق .. ثم يلتقط
السكين من فوق المائدة باطراف اصابعه المرتعشة .. ويلقيها
تحتها .. او يلقىها من النافذة .. ثم يستریع ..
وكنا نلتقي دائما فى مليي « الابجلز نست » ، اى ، عش

النسور .. ودائماً نجلس على نفس المائدة .. ونتحدث ..
ويرسمني .. ولا شيء أكثر .. لا شيء أبداً .. ولا حتى هذه
القبلات التي تعودت أن التلقاها على خدي ، واتركها أحياناً تنزلق
على عنقي .. فقد أرسل سامي إلى بعد عامين من صداقتنا ،
وبعد أن سافرت إلى القاهرة .. خطاباً قال لي فيه : « أني
لا أدرى لماذا لم أحاول أن أقبلك .. ولماذا لم أحاول أن أطوقك
بذراعي .. يا روا الشهية ! »

وقد كتبت أشدق على سامي .. انه أكبر مني بكثير .. وفي
رأسه ثقافة توازي مليون ضعف ما في رأسي .. ولكنني كنت
أشدق عليه .. لا أدرى لماذا .. ولكنني كنت أشدق عليه ، وكانت
شفقتي تشعرني بأنني مسؤولة عنه .. لم أكن أطيق أن اراه
غضباً .. أو حائراً .. أو في أحدى نوبات جنونه .. وكانت
انا الوحيدة التي أستطيع ، بمجرد ملامح الطفولة في وجهي ،
أن أمسح غضبه ، وأشده من حيرته ، وآفيقة من جنونه ..
لقد كنت أحياناً كثيرة أشعر أنني أمه ..

ولكن سامي لم يكن الوحيد الذي يثير شفقتي ..

طلال أيضاً كان يستحق الشفقة .. انه شاعر .. أعجز
دائماً عن فهم شعره .. ولكن لابد انه شاعر رائع ، لأن طلال
مؤمن به الى حد الموس .. الى حد ان يتضارب بالأيدي كلما
ناقش احد شعره .. وهو مفلس دائماً .. أبوه مهاجر فني في
أفريقيا ، ولكنه ترك أباً ، وجاء الى لبنان ليعيش مفلساً .. وهو
لا يربد أن يكون غنياً .. انه يحتقر الفن .. يحتقر الليرات ..
الليرة تستطيع ان تبني بها عمارة ، ولكن لا تستطيع ان تبني
بها بيتاً من الشعر .. وهو انسان معقد .. تغلبه عقده أحياناً

فيكى كالطفل .. ثم يخلع حذاءه ويلقىه فى الشارع وهو يصبح « على صرمaiti العالم كله ! » .

وأصبح طلال ايضا صديقى .. التقى به فى نفس المبنى الذى التقى فيه بسامى .. الايجلز نست ! .. وغيره ..

غسان فى الثلاثين من عمره .. درس علم النفس .. ويصر على انه طبيب نفسانى .. طبيب بلا عيادة .. وقد أصيب فى حادث سيارة فى صغره .. افاق منه وهو يعرج ويتوكا على عصا .. رفى عينه اليمنى رعشة دائمة .. وكان يتزدد كل يوم على مقهى يصل ليتناول الغداء .. ويجلس على مقعد ويمد رجله على مقعد آخر .. وفى يوم أشار الى من بعيد يدعونى اليه .. وتجاهله .. فصرخ باعلى صوته فى وسط المقهى .. رحاب .. من فضلك دقيقة .. ونظرت اليه .. وأشفقت عليه .. وعندما اقتربت منه قال لى انه كان يتبعنى منذ مدة ، وانى فى حاجة الى علاج نفسي قبل ان تستفحـل حالـى ..
وابتسـمت ..

واعطيته موعدا فى نفس المكان .. الايجلز نست .. وبعد أن جلست معه دقائق وجدت نفسى اعالجه .. أنا التى اتولى علاجه ..
وغيره ..

— أصبح لى خمسة أصدقاء .. التقى بهم واحدا بعد الآخر فى نفس المكان .. بل دائمـا على نفس المائدة .. وفى نفس الموعد .. وعرفتـى الجرسون ، وأبـقـى لـى المائـدة محـجوزـة .. وكلـ مـنـهـ أـشـفـقـ عـلـيـهـ ، وأـحـسـ بـمـسـؤـلـيـتـىـ عـنـهـ .. ثم بدات احس بـانـ هـذـاـ الـاحـسـاسـ بـالـمـسـؤـلـيـتـهـ هـنـهـ ئـولاـءـ ..

الخمسة ، أصبح أقوى مني .. وأصبحت لا استطيع ان اتحرر منه .. وأصبحت اشعر ان في اعمقى احساسا آخر يريد ان يطفو على سطح حياتي .. انى لا استطيع ان اعيش على الشفقة .. لا استطيع ان اعيش فى عمرى الصغير وأنا احمل مسؤوليات هذه الصداقات الغريبة .. كنت فى حاجة الى شيء آخر .. ربما كنت فى حاجة الى الحب !

واصحت كلما واعدت واحدا من هؤلاء الخمسة على اللقاء ، قررت بينى وبين نفسي ان اخلف موعده .. ان اهرب .. حتى اذا اقترب الموعد ، اخذ احساسى بالمسؤولية يغلبني .. احسست بصدرى يضيق ، والدموع تجتمع فى عينى .. وا بكى .. وا بكى كثيرا .. ثم اقوم الى مرآتى ، وأمسح دموعى .. واضع الكحل حول عينى .. واترك شعري يسبى على وجهى .. واذهب اليه .. الى واحد من الخمسة ..

وبدا الملل والزهد يطوفان حول رأسي من جديد ، ويتجمعان فى سحب كثيفة تملأ عينى ، وتجمثم على صدرى ، وتخنق انفاسى .. أصبحت احس ان حيائنى واقفة .. لا تتحرك .. لا شيء فيها بتحرك .. السيارات واقفة .. والناس واقفون كقطع الحجارة المنتشرة فى وادٍ اجرد .. والوجوه جامدة كأنها تماثيل من شمع .. والنظارات ميتة .. كل شيء ميت .. الارصفة ميتة والمقاهى ميتة .. وبيتنا ميت .. والبحر ميت .. والجبل قبر كبير .. وانا واقفة غرق فروع شجرة ميتة كالبومة اطل بعينين مفتوحتين واقفين على وادي الموت ..

وقد اشتد احساسى ايامها بائى بومة .. لقد كان كل من برانى يشبهنى بالقطة .. وجهى كوجه القطة .. ولكنى أصبحت

احس انى اشبه البومة .. وتملكنى هذا الاحساس الى حد ان
اشتريت تمثلا صغيرا ، كنت اضيعه امامي ساعات طويلة وانظر
فيه كأنى انظر في مرآتى ..

وأتكلم .. فاحس انى كالاسطوانة المشروخة ، اقول اليوم
نفس ما قلته بالأمس .. واقول لسامى ما اقوله لطلال ونفس
ما اقوله لفسان .. نفس ما اقله اكل واحد من الخمسة ..
ولكل من اعرفهم .. ونفس ما قلته فى العام الماضى .. ونفس
ما سأقوله غدا .. وفي العام القادم .. وصوتي لا تتغير رناته ..
لا يرتفع ولا ينخفض .. كصوت البومة ..

وكدت اجن ..

والنوبات العصبية تلاحقنى ..

وابى وأمى لا يستطيعان شيئا الا ان يستسلما لكل ما اطلب ،
ولكل ما افعله .. وأمى تحرص على ان تناولنى حبات زيت
السمك ، وحبات فيتامين « ب » ، وتحرص على ان تسقينى
كوبين من اللبن فى اليوم .. اعتقادا منها ان ازمنى نتيجة ضعف
صحى .. ولم اكن اشرب اللبن .. كنت اسكبه من نافذة حجرتى
.. وانظر الى خيط اللبن وهو ينسكب فى الفضاء ويخيل الى
انى اسكب الضباب المتجمع فى صدرى .. وأشعر برهة بالراحة
وانا اسكب اللبن ، اكثر مما اشعر بالراحة وانا اشربه ..
وقد حاولت ان اتغلب على حالتى هذه ..

قررت ان اشتغل .. ان اعمل ..

وكل مكان ذهبته لاعمل فيه ، استقبلنى صاحبه بترحاب
كبير .. ربما لأنى جميلة ، وربما لأنى ابنة الحاج عبد الرحمن
التاجر الكبير .. وفي بيروت لايسألون عن كفاعتكم ، ولكنهم
يسألون عن اسم ابيك !

وقد اشتغلت أياماً في الإذاعة . . وأياماً في محل أزياء . .
وأياماً في بنك . .

وفي كل مكان كانوا يحددون لي راتبي قبل أن أبدأ في العمل . . راتبي أكبر بكثير مما أستحقه . . وصل إلى خمسين ليرة في الشهر . . مجرد أنى جميلة ، وأبنة الحاج عبد الرحمن . . ويستطيع كل صاحب عمل أن يزهو بأنى أعمل عنده ، حتى لو لم أعمل شيئاً . . كل منهم يعلقني على صدره كاللوردة . . وكل منهم يدعونى أن أذهب معه إلى حفلات الكوكتل التي يدعى إليها ، لا لشيء إلا ليزهو بي أمام زملائه . . كأنى ركلام للشركة !

واختفت في جو العمل . . انه يكلفني احتمال سخافات كثيرة . . واحتمال هذه النظرات اللزجة اللثيمية التي تلاحقني من مكتب إلى مكتب . . واحتمال شره رجال عجائز من السنتين وأكثر . . ووجدت نفسي مضطراً إلى النفاق . . ومضطراً إلى التغابي عن معانٍ الكلمات والنظرات التي تنتشر حولي . . بدأت أكره نفسي . . انقرزَنْتُ نفسي ، وعندما جاء أول الشهر ، وأخذني زملائي بعهم إلى الصراف ، ومددت يدي لأنقض أول مرتب ، ارتعشت من التقرّز . . أحسست كأنني أمد يدي إلى ثعبان ليلدغنى . . وزادحمت دمائي في رأسي . . دماء تغلّى ، وتحرق وجنتي . . فسحببت يدي بسرعة . . قبل أن المسن الليرات . . وجريت وزملائي ينسحكون وراءي . . وضحاكتهم تصيبني كقطع الطوب . . وهربت سريعاً من أوساط العمل في بيروت . .

ان دماء بيروت تستفك على هذه المكاتب وفي هذه الدكاكين . . كل ما في الإنسان من خير وكرامة ، واحساس ، يعتصر استحول إلى ليرات . . إلى ورق . . والذين يعملون في بيروت ؛

ناس من رخام .. جف ما فيه من خير .. ومن كرامة .. وتحولوا
إلى رخام .. و ..
وفي هذه الأيام قابلت تيسير ..

كنت ألمع تيسير دائماً في مهني ف يصل ، وفي الأول كل سام ،
وفي الدولشفينا .. كان دائماً حيث أكون .. وكانت التقى بعينيه
أحياناً وهما يتطلعان إلى ، ولكنه لم يحاول أبداً أن يفتعل مناسبة
ليقدم نفسه إلى .. حتى عندما كاً يرانى جالسة مع بعض
أصدقائه ، لم يكن يحاول أن يقحم نفسه علينا .. وهو شاب
وسيم .. في حوالي الحادية والعشرين من عمره .. أبوه
سورى ، وأمه لبنانية .. ومات أبوه .. ولم يترك شيئاً لعائلته
.. فعادت بهأمها إلى بيروت ،لتقيم مع عائلتها .. وأضطرر
تيسير أن يعمل .. عمل في أحدى شركات السياحة ، بمترتب
ضئيل لا يتجاوز المائتين والخمسين ثبراً في الشهر .. وفي نفس
الوقت كان يتم دراسته في الجامعة الأمريكية ..

عرفت كل ذلك من حديث أصدقائه عنه .. ولم أهتم ..
إلى أن قدموه لي في حفلة من حفلات الجامعة .. ووجدت نفسي
اتساعل وأنا أمد يدي لاصافحه .. هل يمكن أن يكون شيئاً جديداً
.. هل يمكن أن يثيرني احساساً جديداً يخلصني من هذا
الزهد ..

وتيسير يطل على بعينين ثابتتين متعاليتين نيهما كبراء متحفزة
كانه يهم بأن يضربي لو جرحته بكلمة ..

ولكنني ارتحت إلى حديثه .. أنه يتحدث كثيراً في السياسة
.. وأنا لا أحب السياسة ولكنني أحب محسنة وهو يتحدث في
السياسة .. حساس ينبع بالسخط ، وبكاد يمزقه ..

وأصبح تيسير صديقى ..
كل يوم نلتقي ..
عرفت به ..
وعرف بي ..

وليس معنى ذلك أنت تخليت عن أصدقائى الخمسة ..
أو عن مسؤوليتى عنهم .. لا .. ولكن صداقتي لتيسير جعلتني
أقل ضيقا بهذه المسئولية .. ولم يكن تيسير يعترض على صداقتي
أغیره .. كانت كبرياوه نقف في حلقة وتمنعني من أن يفصح عن
سرته على ..

وكنت أنا لا أزال أتساءل .. هل يمكن أن يكون تيسير
 شيئا آخر في حياتي .. هل يمكن أن أحبه ..

الى أن كان يوم .. ومشى معى ليعود الى البيت ..
ووقفت بي أمام باب بيتي .. وأخذ ينظر الى طويلا بعينيه الثابتتين
المعاليتين ، كأنه يحاول أن يتخذ قرارا .. ثم ، كأنه اتخذ
القرار .. شدفى اليه ، وضمنى الى صدره ، وأخذ يقبلنى قبلات
ثيرة على وجهى .. وأشحت برأسى حتى تنزلق قبلاته على
منقى ..

وهمس تيسير ، بصوت مبحوح :

ـ أحبك يا رو .. أحبك ..

وانفلت منه وجريت الى داخل البيت .. ووجهى وعنقى
لا يزال يطنان بقبلاته ..

منذ شهور طويلة لم يقبلنى أحد .. ورغم ذلك فاني لا احس
بأن فى قبلاته شيئا جديدا .. لا احس .. هذا الاحساس
الذى يكمن فى أعماقى لم يطف الى السطح .. ولكنى كنت فى
حاجة الى شيء جديد .. فى حاجة الى الاحساس بجديد ..

فافتعلته .. أخذت اقنع نفسي طول الليل بأن تيسير ليس
كالآخرين ، وأن قبلاته شيء جديد .. لم يكن هذا صحيحا ،
ولكنني افتعلته ..

وأصبح تيسير يقبلنى دائمًا ..

هو وحده — دون بقية أصدقائى — الذى يقبلنى ..
ثم استسلمت لمحاولة تقبيلى على شفتي .. ولم أحب قبلاته
على شفتي ، ولكنني أصبحت أكثر احتمالا لها ..
أنى أفعل ..

أفعل الحب ..

افتعله ، لأنى لا أجده ..

وكنت كلما خرجت مع تيسير وجلسنا فى مكتبه ، أو ذهبنا
إلى السينما ، دفع كل مينا ثمن ما طلبة .. أو ثمن تذكرة السينما ..
وكانت هذه هي عادتى مع كل من أخرج معه .. أنى أحس
بحريتى وبشخصي ةأكثر عندما لا أكون مدعوا مع أحد .. وفي
أحد الأيام ، طلبت من تيسير أن يستحبننى فى سيارة تاكسي إلى
بيتنا .. وقبل أن أنزل من السيارة أعطيته ورقة بخمسة وعشرين
ليرة ليدفع أجر التاكسي .. ويرد لى الباقي فى اليوم资料 ..
لم يكن فى هذا شيء شاذ ، فانا الذى طلبت التاكسي ..
ولكن تيسير لم يرد إلى باقى الخمسة والعشرين ليرة ..
ولم أتبه ..

ولم أهتم ..

وفى مناسبة أخرى ، لم يرد لى الباقي أيضا ..

وأيضا لم أهتم ..

ثم افترض منى مائة ليرة ..

ولم يردها ..

وبدأت أنتبه ..

ولم أغضب منه .. لم الم .. لا اهتزت صورته في هيبي .. أبدا .. أني أقدر حالته .. أنه فقير ، مرتبه لا يزيد عن مائتين وخمسين ليرة ، وهو مستول عن أمه .. بل أني معجبة به .. معجبة بكافحه في سبيل الحياة وفي سبيل أن يتعلم .. أنا معجبة به فعلا ..

وبدأت أتمد أن أعطيه ، في حدود ما استطيع أن أخذ من أبي وأمي ..

أعطيه دون أن اجرح كرامته ..

ولم تجرح كرامته .. لا تزال في عينيه هذه النظرة الثابتة المتعالية التي تنبض بالكبرياء المتحفزة .. ولكنها أصبح أكثر احتفالاً .. احتفالاً لنزواتي .. ولعصبيتي .. أصبحت أقوى منه .. شخصيتي أقوى من شخصيته .. لم أعد أخاف أن تمتد يده يوماً ويصفعني ..

وبيروت كلها تتحدث عنى وعنـه ..

وهو سعيد لأن بيروت تتحدث عنـى وعنـه .. ويختفي سعادته من غلالة رقيقة من السخط ..

وأنا لا أهتم ..

ثم ..

سألنى أن نتزوج ..

وقلت كأنـى أدفع عنـ نفسـى :

ـ ولكنـا لا زلـنا صـفارـا ..

قال وهو ينظر إلىَّ بعينين مبتسمـين :

ـ حـبـنـا أـكـبـرـاـ منـ عمرـنـا ..

— حرام ان نسجن حبنا بين اربعة جدران ..
قال :

— انى اخاف على حبنا من ان نتركه طليقنا بلا زواج ..
قلت :

— انك تؤمن بالحرية .. لا يمكن ان تطالب بالحرية للبلد ..
ثم تطلب لى السجن ..
قال :

— ليس سجنا .. انى أطلب لكيننا الاستقرار ..
قلت :

— انى لا امس بانى اريد ان استقر .. لا اريد الزواج ..
قال :

— كأنك لا تحبيني ..

قلت ونيار الملل يسرى فى اعصابى :

— احبك ولكن الزواج شيء آخر ..
قال :

— الزواج عرش الحب ..
قلت :

— لا اريد ان اجلس على عرش .. لا اريد ان اجلس اطلاقا .. لا تحدثنى عن الزواج .. احس بك كأنك انسان عادى ..
وانا اكره ان احس بك كائنان عادى .. مجرد رجل ..
ولكن تيسير لم يكف عن حديث الزواج ..

شهر طويلة مضت .. وحديثه بنطلق فى اذنى كالصرير ..
ويكف عنى اياما .. ثم يعود ويملا اذنى كالصرير .. وتنشاجر ..
ونغصب .. ثم نعود ويعود الصرير ..
وفى يوم اخذ تيسير سيارة احد اصدقائه ، ودعانى لنذهب

ـ

الى الجبل .. ولم احاول ان اتبين الطريق الذى اختاره .. ولكنه
كان صامتا .. وفي عينيه نظرات غزيرة .. فيهما هناد اقرب الى
اليلس .. ثم وقف بنا عند قرية « حمانا » على طريق صوفر ..
والتقت الى قائلًا بصوت مجنون :

— اتنا سندذهب لزيارة بعض اصدقائى .. وقد ابلغتهم اتنا
جثنا اليهم للتزوج .. وقد أعدوا كل شيء ..
وصرخت فيه :

— انت مجنون ..
قال والجنون يطل فعلا من عينيه :
— لست مجنونا .. ولكن اعلم انك تحبني ، وانا احبك ..
ويجب ان تتزوج ..
قلت مسارحة :

— عد سى الى بيروت ..
قال :

— بعد ان تتزوج ..
قلت له وانا ابتسم له كائني انكره بكبريائه :
— انك لا ترضى ان تتزوج فتاة لا تريد ان تتزوجك ..
قال :

— انها تريد .. ولكنها تعاند ..
قلت :

— انتظرها الى ان تشفى من عنادها ..
قال :

— انتظرت طويلا ..
قلت :

— انتظر ايضا ، ان كنت رجلا ..

قال :

— الرجال لا ينتظرون .. ولكنهم يأخذون ..

قالت :

— تقصد للحسوص ..

ورفع يده وهم أن يصفعنى ، ولكنى تناديت الصنفعة ..
وفتحت باب السيارة .. وجربت .. جربت .. لا ادرى كم
جربت .. ولكنى أحس أنى اندحرج فوق الجبل .. كل شىء منى
يندحرج .. قلبى .. رأسى .. معدتى .. ودموع تندحرج فوق
خذدى ..

ولحق بي بالسيارة ، ووقف بجانبى ، وسمعت صوته كانه
آت من بعيد .. من بعيد جدا .. من بطん الوادي ..
ولكنى أجرى .. لا استطيع أن أتوقف عن الجرى .. ونوبة
عصبية عنيفة تتملکنى كلى ..

— اركبى .. سمعود ..

ونزل من السيارة ، وجرى ورائي ، وأمسك بي من كتفى
.. وأخذ يهزنى وهو يردد :

— سمعود .. لن نتزوج ..

وأنا أصرخ .. لا أفعل شيئا الا المراخ ..
وارتعش ..

وحمانى بين ذراعيه ..

ووopsisنى فى السيارة ..

وعاد بي إلى بيروت ..

وبقى أياما فى البيت .. لا أخرج .. راقدة فى فراشى
.. وتبسیر يتصل بي فى التليفون مرات .. عشر مرات فى

اليوم .. أكثر .. وانا بعيدة عن التليفون .. وعندما تحمله الى
ضامي أو اختي أو الخادم ، أرفض أن أرد عليه .
وأهلني في لففة على ..

والاطباء يكتفون بأن يصفوا لي الادوية القوية ..
ثم بدأت أتناول حبات « الليبرم » لتهدا اعصابي .. وانام ..
ثم أفقت ..
بدأت استرد كيانى ..
وخرجت ..

عدت الى حى « الحمرا » والشوارع المحيطة بالجامعة ،
واستريوهات بيروت ..
والزهد والملل يخنقاني ..
لم يعد أمامي الا أن اترك بيروت ..
كل بيروت ..

لم يستطع أحد من أهلنى أن يتنينى عن عزمى ..
يجب أن اترك بيروت ..
وكنت ذاهبة الى لندن ..
ولكنى فجأة اخترت القاهرة .
وقالت أمى عندما سمعت بالخبر اجدد :

— لماذا القاهرة ، كل العائلات الكبيرة تركت القاهرة ، لن
تجد فيها الا المفلسين .. بل لن تجدى فيها ثوبا واحدا يغريك
بالشراء ..

ولم تكن أمى تستطيع ان تجد سببا لسفرى الا البحث عن
زوج بين العائلات اللبنانية المهاجرة ، او شراء ثياب جديدة ..
وصممت على القاهرة ..
 مجرد احساس ..

وخطب الجميع للبنات المجنونة ..

وبدا أبي يعد لى حياتي فى القاهرة .. حول لى النقود .. واتصل بعائلة محبى الدين التى سانزل فى ضيافتها ..

وبدا كل افراد العائلة يوصوننى باشياء من القاهرة ..

وتجمعت لدى ارقام التليفونات لبنات لبنانيات يقمن فى القاهرة ملتحقات بجامعة . وأعطانى عمى خطابا الاحمله الى طبيب فى القاهرة اسمه الدكتور هاشم عبد الاachiif .. قال لى انه طبيب مشهور ، ومهدب ، ومن عائلة كبيرة ، وله نفوذ .. وانه يستطيع ان يخدمنى اذا احتجت الى شيء ..

ان عمى طبيب ايضا .. وهو يحاول ان يستغل كل شيء بنفسه واللباقة والطيبة والحنون الذى يستغل به مرضاه .. وهو يحاور ان يستغل سفرى الى القاهرة لاكون ساعى بريد ينقل خطاباته الى أصدقائه .. لا .. لست ساعية بريد .. والقيت الخطاب الذى اعطيه لى فى احدى حقائبى ، فى اهمال شديد ..

ولم تعد أذناي تلتقطان شيئا من التوصيات التى تنهال علىـ ..
كل أدنای متحفزان لسماع محرك الطائرة ..

وقف أبي يودعني فى المطار ، واحتضنتى الى صدره .
وعيناه معروقةان بالدموع .. وقال فى صوت مختنق :
— لا تتأخرى .. ثلاثة أسابيع فقط ..

لن يخشى الا اعود .. كما فعل انه الذى سافر الى امريكا .
وابنه الثانى الذى سافر الى بلجيكا ..

كانت أيامى فى القاهرة .. كارثة !

عائلة محبى الدين التى اقمت عندها تضم نماذج بشريه عجيبة ..

« طنط نازلى » .. وهى عجوز فى التسعين من عمرها ربما أكثر .. ترقد فى سريرها كالميتة .. لا تقوم منه .. وجهها أصفر كالميتة .. وشعرها متائل سقط معظمه .. وتصرخ كل خمس دقائق فى صوت مبحوح سنية .. سنية .. وسنية شى احدى خادمات البيت .. ضخمة كالسجادة .. ثم « طنط ميمى » ، ابنة نازلى .. فى السبعين من عمرها .. لا تكفى عن الحركة فى أنحاء البيت وتسير متلبثة على عصا من الابنوس لها مقبض ذهنى أنيق .. وفي كل خطوة من خطواتها تصدر امرا .. ولكن لا احد يأبه بأوامرها .. حتى ولا الخدم .. انه يتركونها تتحرك وتتصدر الاوامر .. بأنهم يعتبرونها مجنونة .. ثم « طنط لولى » .. ابنة طنط ميمى .. فى الخمسين او اكثر .. هي حاكمة البيت .. قوية .. شعرها اكله الشيب .. تسپير وهى تدب على الأرض فى خطوات دايرمة .. وفي عينيها قسوة تحاول ان تخفيها وراء اتسامة باعنة ت قطر نفاقا .. وزوجها هو عميد العائلة .. محمد محى الدين .. فى الخامسة والستين من عمره .. منها .. كل شيء فيه منها .. عيناه منهاتان .. شفتاه منهاتان .. اففة منها .. كرشه منها .. ساقاه معوجتان منهاتان .. ثم أخيرا ، عايدة .. ودودى .. ابنة طنط لولى .. فى الثلاثين من عمرها .. تعتبر نفسها أحياناً أديبة ، وتكتب قصصا بالفرنسية .. وأحياناً تعتبر نفسها صانعة تماثيل .. اي مثالة .. ولها غرفة فوق سطح البيت ، تجمع فيها اكوا ما من الطين ، وتقف بينها مرتدية معطفاً أبيض ، وتصنع تماثيل لا معنى لها .. ولكنها كلها بشعة مخيفة ، اشبه بالأشكال التي نراها عندما يدهمنا كابوس .. وزوجها لا ادرى ماذا يعمل ..

ولكته يغيب أيامه ، ثم يعود .. ولا أرى الدهشة على وجه أحد
اذا قاب ، ولا الفرحة اذا عاد .. وأسمه رفيق .

وهذه العائلة التي تضم اربعة اجيال .. تقيم في بيت واحد
نخم ، يطل على النيل ، تزدحم فيه قطع من الايثاث القائم الغامق
.. وانا اكره الطرازا القديم لقطع الايثاث .. انه يقبض قلبي .

وقد بذلت العائلة كل جهدها لترحب بي .. استقبلونى فى
المطار .. وخصصوا لي اجمل حجرات البيت .. حجرة تطل على
النيل .. واقاموا لي حفلة عشاء كبيرة دعوا اليها عائلات لبنانية
كثيرة .. ودعنتى دودى الى العشاء فى اليوم التالى مع بعض
اصدقائها وصديقاتها فى ستريو الهرم ، وحرمت على ان تدعى
بعض الشبان فى مثل سنى ليراقصوى .. ورغم ذلك فقد كنت
اشعر بأن كرمهم ليس كرما طبيعيا .. وأن ترحيبهم ليس من
القلب .. لا ادرى لماذا .. ربما ظنوا ان ابى قد ارسلنى اليهم
لانذكرهم باتهم مدينون له بعشرة آلاف ليرة .. وقد بدأ محمد محى
الدين يحذقنى منذ اليوم الاول لوصولى عن سوء احواله المالية ..
لقد كان يملك مصنعا كبيرا اخذه الحكومة .. اخذت كل شيء ..
ولم يعد محمد محى الدين يملك فى مصر سوى عمارة تطل على
ميدان التحرير .. والعائلة كلها تعيش على ايراد هذه العمارة ..
ولم يكننى شان بكل هذا .. ولم احاول ان اسأله لماذا اخذت
الحكومة مصنعا .. فاتا لم احضر الى القاهرة لأفهم ماذا يجرى
فى مصر .. ولا ماذا يجري للعائلات اللبنانية المقيمة فى مصر
.. وربما احسست سعادتها ان محمد محى الدين كان يقول لى
كل هذا الكلام كأنه يعتذر لوالدى عن عدم سداد دينه .. ورغم
ان حديثه كان مملا عقيما الا انه اثار شفقتى ..
وبعد يومين بدأت اختنق فى هذا البيت الكبير ..

اصبحت لا اطيق ان اطل من شرفة غرفتي على منظر النيل .. لقد كنت اتصور النيل دانما ، نهرًا طيباً صافياً ، تميل عليه اشجار النخيل لتفسل رؤوسها فيه .. نهرًا حالمًا ، فيلسوفًا ، عجوزًا .. ولكن أراه الآن عريضاً ، مخيفاً ، مياهه داكنة سوداء لا تقنع عما في أعماقها .. أراه كالثور المتواحش اللثيم .. ويختل إلى كلما نظرت إليه كأنه يحاول أن يشدني من أقدامي ليتلقنني ..

وأصبحت كلما سقطت عيناي على وجه طنط نازلى وهى راقدة في فراشها .. أحس كأنى مثلها .. في مثل عمرها .. في صفرة وجهها .. وكلما سمعت صوتها ينادي سنية .. أحس كأنى أسمع نداء الموت يدعونى إليه .. ثم اذا صاحت عينى وجه طنط بيبي .. خيل الى ايضاً كأنى مثلها .. وشعرت انى في حاجه الى عصا اتوكا عليها في سيرى .. عصا من الابنوس لها مقبض مذهب .. ثم التقى بوجه طنط لولى فأشعر بنفس الاحساس .. أشعر بأنى أنا ايضاً قاسية مثلها ، منافقة مثلها .. لقد أصبحت اتقى شخصيات البيت واحدة بعد أخرى ، وكلها شخصيات عبise ، بائسة ، منهارة .. ليس بينها شخصية مرحة شابة ، شير في المرح والشباب .. وأحاول ان اخلص نفسي من هذه الشخصيات القاتمة .. احاول ان احتفظ بشخصيتي .. بشبابي ومرحي وانطلاقي .. ولكن هذه الشخصيات تلاحقنى ، وتتقمنى كالعفاريت ..

والعائلة لا تزال تتبدل كل جهدها لترفه عنى ، وقد كلفوا دودى بمرافقنى .. على اعتبار أنها أصغر من في البيت سنا .. ولكن دودى لم تخف تذمرها منى .. أنها ترافقتى كانها مكلمة من مصلحة السياحة بمرافقة سائحة عجوز مملة .. كانها تقول

بمهمة ثقيلة تتقاضى عليها أجرا .. إنها انسانة معقدة .. ولا ادرى
سر عقدتها .. وربما كانت تغار مني .. لا ادرى .. ولكنها
فطلاها لا تحينى .. وقد أخذتني في السيارة الى الهرم .. وأشارت
بيدها وهي داخل السيارة وقالت في ملل :

— هذا هو الهرم ..

ثم تحركت السيارة الى ابو الهرول ، وقالت دودي بنفس
الملل :

— هذا هو ابو الهرول ..

وقد نركتها في السيارة ، ونزلت امشي بجانب الهرم وابو الهرول
.. وأنظر اليهما في زهر .. شو بدئ ، بهذه القطع الضخمة
من الحجارة .. حجارة .. مجرد حجارة .. ما الفرق بين حجر
عمره مليون سنة وحجر عمره يومان .. وما الفرق اذا كان تحت
الحجر ملك مثل خوفو .. او كان تحته سحلية .. الناس الذين
يأتون الى القاهرة ليشاهدو الهرم مجاني .. هيل .. واجمل
وأروع الف مرة من الهرم .. البنطلون الذي كنت ارتديه يومها ..
بنطلون مخطط «ستريتش» .. وشعري السائل على وجهي ..
والكحل حول عيني .. نعم ، ان اجمل من كل ما صنعته الانسان ،
هو الانسان نفسه .. وقد اثرت اهتمام كثير من السائرين
الذين كانوا يتجلولون حول الهرم .. كثير منهم احسوا انى اكثر
روعة من الهرم فداروا نحوى آلات التصوير ، والقطوا لى
كثيرا من الصور .. بعضهم صورنى بعد ان استاذنى ..
واحسست بأنى لا اثير الانتباه والدهشة في لبنان وحدها ، بل
في كل مكان اذهب اليه .. وربما لم كنت في لبنان لما سمحت
ل احد ان يلتقط صوتي .. فانا هناك لست في حاجة الى دليل

يشغرنى بنفسي .. ولكنى هنا .. ووسط هذا الملل الذى اعيش
فيه .. كنت فى حاجة الى اى ذليل ليشعرنى بأهميتها ..
وعدت الى البيت القاتم ..

الاحاديث كلها تدور حول لبنان .. وعائلات لبنان .. والاطعمه
التي تقدم كلها لبنانية .. يا رب .. اين مصر .. اين القاهرة ..
ان كل ما فعلته بنفسي هو انى تركت لبنان كله ، وعائلات لبنان
كلها ، وستجنت نفسي فى بيت واحد من بيوت لبنان .. وفي وسط
عائلة واحدة من عائلات لبنان .. لقد تركت لبنان وأنا احلم
بعالم اوسع .. بحرية اكثر .. ولكنى افتق لاحد نفسي سجينه
فى اضيق ركن من اركان لبنان .. فقدت حرفي .. لقد كنت
حرة بين ابى وأمى ، اكتر مما انا فى بيت عائلة محى الدين ..

وبعد ايام اتصل بي عصام .. وهو شاب لبناني فى جامعة
القاهرة ، ويعرف عائلتنا ، وقد ارسل له بعض اصدقائى فى
لبنان بخبر وصولى الى القاهرة واقامتى عند عائلة محى الدين ،
فاتصل بي ..

كنا قبل الظهر .. وعرض على "ان يمر على" بسيارته لنخرج
سويا ..

وقبلت عرضه بسرعة ..

وخرجت اليه وأنا ألبس البنطلون وحذاء بلا كعب ، وفي
يدى قلم الكحل وورقة الكلينكس وبضعة جنيهات مصرية .. وكدت
انسى ان استاذن طنط لولى قبل ان اخرج .. فانى لم اتعود ان
استاذن احدا .. لا ابى ولا امى .. ولكنى وجدت ان من اللياقة
ان استاذن طنط لولى .. فاستاذنتها وقلت لها انى خارج
مع عصام .. وسألتني عن عائلة عصام .. وعن سنة .. وعن

.. وعن .. وبدأت أجيبيها في زهر .. وربما خافت من زهرى
نكتت عن أسئلتها ، وسمحت لي بالخروج ..

وكان مع عصام ، صديق آخر .. هشام .. لباني أيضا ..

وقال لي عصام :

— نذهب إلى الهرم ؟

وصرخت :

— لا .. أي مكان إلا الهرم .. أني لم أر القاهرة بعد ..

واخذنى عصام إلى كافيتريا هيلتون .. وفي دقائق وجدت
نفسى جالسة بين سبعة شبان لبانيين .. بعضهم من الطلبة
الذين يتلقون العلم في القاهرة .. وبعضهم جاءوا إلى القاهرة
زائرين .. وفي دقائق أخرى احسست أن كل الجالسين في
الكافيتريا من اللبنانيين .. وأنى لست في كافيتريا هيلتون
بالمقاهرة ، ولكنني جالسة في « سناك بار ستاركو » بيروت ..
نفس الشخصيات .. نفس الوجوه .. نفس مواضع الأحاديث
.. كل الذى اختلف هو اللهجة التي يتحدث بها أصدقائي الجدد
.. أنها ليست لهجة لبنانية صميمه .. ولا لهجة مصرية صميمه
.. أنها خليط مائع بين اللهجتين .. وأول ما يحاوله اللبناني في
المقاهرة هو أن يلتقط اللهجة المصرية .. وكثير من صديقاتي اللاتي
جئن إلى القاهرة عدن ليتحدثن في بيروت باللهجة المصرية ..
كائنن يزهون بثوب جديد استوردهنه من هناك .. بل ان اللهجة
المصرية في بيروت علامة من علامات الانتماء السياسي والثقافي
.. البعض يتحدث باللغة الفرنسية .. والبعض يتحدث باللغة
الإنجليزية .. والبعض يتحدث باللهجة المصوية .. والذى يتحدث
باللغة الفرنسية تعلم أنه يحب فرنسا .. وللذى يتحدث باللغة

الانجليزية تعلم انه يحب امريكا .. والذى يتحدث باللهجة المصرية
تعلم انه يحب عبد الناصر ..

ولكنهم فى الواقع لا يتحدثون باللهجة المصرية ، ولكنها لهجة
مائعة ضائعة ، كمشية الغراب الذى حاول ان يقلد العصافور ،
فلا استطاع ان يكون عصافورا ، ولا ان يكون غرابة ابله .. لن
اقتل العصافور .. لن اقلد اللهجة المصرية .. لا لانى شعرت
بشخصيتي اللبناني وتحمست لها .. ابدا .. ولكننى احسست
بالالفاظ المصرية ثقيلة على شفتي .. احسست كأنى اصبع شفتي
بلون لا بيرز جمالهما .. وانا اعلم ان فى اللهجة اللبنانية كلمات
غليظة تملا الفم كقطع الطوب .. ولكنى لا استعمل هذه الكلمات
.. ان ذوقى فى اختيار الفاظى وطريقه نطقى ، لا يقل رقة عن
ذوقى فى اختيار ثيابى وتسريره شعري .. انى فى لبنان نفسها
معروفة باللهجة اللبنانية التى اتحدث بها .. اللهجة قد يكون فيها
بعض الدلع كما قال لى يوما سامي .. ولكن ليس فيها قطعا
غلاظة اللهجة اللبنانية .. المهم .. لقد قررت بينى وبين نفسى
الا التقط بشفتي شيئا من اللهجة المصرية ، مهما امتلأت اذنائى
بهذه اللهجة .. احساس .. مجرد احساس دفعنى الى ان ارفض ..
اللهجة المصرية ..

وتغديننا يومها فى كافتيريا هيلتون انا والشبان اللبنانيون ..
دون ان استاذن ملنط لولي ..
وذهبنا بعد الغداء الى السينما ..

وخرجنا من السينما لنتمشى فى شارع قصر النيل ، وشارع
سليمان .. انى احب هذين الشارعين .. لا لانهما شارعان
تجاريان مزدحمان .. لا .. ان معروضات الدكاكين فى التاهير
لا تساوى شيئا بجانب معروضات دكاكين بيروت .. وكل ميزاتها

انها رخيصة .. رخص التراب .. ولكنى احب هذين الشارعين
لانهما أكثر شوارع القاهرة حياة .. وضجة .. وانا احب الحياة
والضجيج ..

وعدت الى البيت القاتم ..

واستقبلتني طنط لولى ، وعلى شفتيها ابتسامة نفاق تحاول
ان تخفي بها ، قسوة عينيها ، وقالت فى رقة مفعولة :
— كنت ارجو ان تبلغينا حتى لا ننتظرك على الغداء ..

قلت .. وانا احاول ان اكتم عصبيتى .. ان اعصابى تؤلمنى
كلما هم احد ان يحاسبنى :
— آسفه .. لا تنتظرونى مرة ثانية .. انى اكره ان ينتظرنى
احد ..

وسكتت طنط لولى ، وهى تزفر انفاسها ، كأنها تحسب
الايمان التى ساقضيها فى بيتها ، حتى تخلص منى .

وأصحت اخرج كل يوم مع شلة عصام .. نتفدى فى
الكافيتيريا .. ونذهب الى السينما .. وأحياناً اذهب معهم الى
حفلات تقييمها الجامعة الأمريكية .. ونشر فى الاستريو او فى
ملهى شبرد .. وترقص .. وكانت أضحك على المصريين وهم
يرقصون .. انهم يبدون كأنهم يهرونون فى بنطلونات واسعة
ومن فستانين تجرجر على الأرض .. المصريون والمصريات
لا يعرفون الرقص .. انهم يرقصون كأنهم يرتكبون فضيحة ..
بعضهم يرقص فى خجل ، وبعضهم يرقص فى وقاحة .. الرقص
يبدو غريباً عليهم كأنهم يقلدون فيه شعراً آخر .. وينسون أحياناً
فيخلطون بين رقصة التشانتشا والرقص البلدى .. انهم لا يرقصون
مثلاً نرقص فى بيروت .. اتنا فى بيروت نرقص الرقصات
ال الحديثة كأنها وضعت خصيصاً لنا ، لا كأننا نقلد شعراً آخر ..

والرقصات تصل الى بيروت فى نفس اليوم الذى تظهر فيه فى باريس او روما او نيويورك .. وقبل ان تصل الى القاهرة بشهور .. وقد جئت الى القاهرة فلم اجد احدا يعرف شيئا عن رقصه «الباسانوفا» فى حين ان بيروت كانت ترقصها منذ شهور ..

و يوم بعد يوم تتسع شلة الاصدقاء حولى .. وكلهم بنات وشبان ابنانيون ، وأردنيون ، وفلسطينيون ، وسوريون .. وقد اخترت من بين كل هؤلاء هشام ، الذى التقى به يوم ان التقيت بعاصم ، ليكون صديقا لى .. الصديق الذى ينسب الى .. ربما لانه كان أحوج الجميع الى صداقتى .. ولانه كان يضحكنى كثيرا بسذاجته ، وان كان كثيرا ما ينفعل هذه السذاجة ، ليضحكنى اكثر .. صديق .. مجرد صديق .. هو المكلف بأن يصحنى من البيت الى حيث تواعدت الشلة على اللقاء .. وهو الذى اختاره ليذهب معى الى السينما ، حتى لو دهبنا وحدنا .. وهو الذى يحدثنى فى التليفون ويعرف برنامجي اليومى .. ولا اكثر .. لا شيء اكتر .. حتى ولا بهذه القبلات التى كنت اسمح لاصدقائى فى بيروت بأن يضعوها على خدى ، واتركها احيانا لتنزلق على عنقى ..

٦٠٠

بدأت من جديد احس انى لم ار القاهرة بعد .. انى لم ادخل بيتنا مصر يا .. ولم اعرف بنتا مصرية .. ولا شابا مصريا .. ولم ار شيئا يمكن ان يميز القاهرة سوى هذا النيل الذى يحاول ان يجرنـى من قدمى ليتلعـنى .. وهذه الشمس التى تظل مفتوحة طول النهار كأنها تجرى وزائى .. لا تحاول ان تستريح خلف سحابة ولا تحاول نـى تـكـف عن ملـاحـقـتـى .. وبعد ذلك .. احس بـانـى لا زـلت فى بـيـرـوت .. اـحسـ انـىـ أـعـيـشـ فـىـ صـورـةـ مشـوهـةـ

سخيفة من بيروت .. ان المجتمع اللبناني في القاهرة الذي احتوانى .. مجتمع منعزل .. يغلق على نفسه بابا لا ينفتح على مصر .. ولا يستمتع بالدخول فيه الا للأردنيين ، والفلسطينيين ، والسوريين ، حتى يستكمل صورة مجتمع بيروت .. ولا أدرى هل المصريون هم الذين عزلوا اللبنانيين في مجتمع خاص بهم .. أم أن اللبنانيين هم الذين عزلوا أنفسهم في مجتمع ينتقل بين كافيتريا هيلتون ، والنادي الشرقي ، وباب الجامعة الأمريكية ، وبيوت الطلبة الغربياء .. واستريو الهرم ..

ولم أدر كيف أجد الطريق الذي يقودني إلى القاهرة .. كيف أحس أنني تركت لبنان .. والزهق والملل يعاوداني .. وأحس أحيانا بنوبة الاختناق تقترب مني .. وبدأت افكر بعد أسبوعين فقط في أن أعود إلى لبنان .. خير لي أن أعيش في لبنان ، من أن أعيش في صورة مشوهة من لبنان .. ومن هناك لعلى افكر في السفر إلى بلد آخر .. بل ليس فيه مجتمع لبناني يمتصنى ، وبصر على أن يعيقني في داخله ..

إلى أن كان يوم ..

وكنت في حجرتي بالبيت القائم ، أقلب في حقائبى ، عندما عثرت على الخطاب الذي أعطاه لي عمى الدكتور محمود شمس الدين .. كنت قد نسيت هذا الخطاب ونسيت أمره منذ وصلت إلى القاهرة ..

وقرأت العنوان ..

الدكتور هاشم عبد اللطيف ..

ثم العنوان :

ميدان مليمان باشا ..

ثم رقم التليفون ..

وامسكت الخطاب في يدي .. أفكر .. ولم أفكر في أنني
لم أتم بخطبة صغيرة طلبها مني عمى .. ولم يكن يهمني حتى بعد
أن وجدت الخطاب وتذكرته أن أوصله لصاحبه .. ولكنني
كنت أفكّر في هذا الدكتور هاشم : أنه مصرى .. لقد قال
لي عمى أنه مصرى .. ولكن لعمله عجوز .. ولعمله منافق
.. فيه عذراً الوقار المفتول والطيبة المفتعلة اللذان يتظاهر بهما
كل الأطباء .. ولكنّه مصرى .. يمكنني أنه مصرى ... ولعلني
احسّ عن طريقه بشيء من مصر .. إن مجرد رؤية طبيب شيء
جديد على ..

وحملت الخطاب واتجهت إلى التليفون وأدرت رقم الدكتور
هاشم ، وأنا أحس كأنّي أقوم بـ مغامرة .. وسمعت صوتاً مهذباً
مؤدياً يرد علىـ ، وقلت أنا أحاول أن أخفّ من لهجتي اللبنانيّة
كأنّي أحسست بها كلهجة أجنبية وأنا أحدث أحد المصريين :

— الدكتور هاشم موجود؟

وقال الصوت :

— نتول له مين .. يا افندي؟

قلت :

— أني من لبنان .. أحمل له رساله خاصه ..

قال :

— دقّيقه واحده من فضلك ..

وانتظرت أكثر من دقيقة ، ثم جاء هاشم يرد علىـ في صوت
 مليء ، خيل إلىـ أنه ينبع بالملل :

— مين .. يا افندي؟

قلت :

— أني أحمل لك رساله من عمى الدكتور شمس الدين ..

قال وكأنه يبتسم لى :

— أهلا وسهلا .. كيف حال الدكتور شمس الدين ..

قلت :

— منين .. متى استطيع ان اسلمك الرسالة ؟

قال :

— اي وقت تشنائين .. ام تفضلين ان ارسل لك من يتسلمهها ..

قلت بسرعة :

— افضل ان احملها لك بنفسى .. فاني لن ابقى فى البيت طويلا ..

قال :

— شكراء .. انى فى انتظارك ..

قلت :

— بعد نصف ساعة على الاكثر .. العنوان ميدان سليمان مكتوب على الظرف ..

قال :

— نعم .. ميدان سليمان باشا .. الف شكر ..

وأعدت سماعة التليفون .. وجريت ارتدي ثوبى ، ووضعت على رأسى قبعة صغيرة من الفراء الاسود ، كانت قد جاعتنى هدية من باريس .. تبرز لون بشرتى البيضاء .. وتجعل وجهى أكثر استداررة .. وتطل فوق عينى السوداوى .. فابدو كالقطة .. ثم حملت نى يدى قلم الكحل وورقة الكلينكس ، وخرجت .. ركبت سيارة عائلة محى الدين ، وذهبت الى عيادة الدكتور هاشم .. واسبقلنى المرض باهتمام كبير .. ومره بي بين غرف العيادة المزدحمة بالسيدات والرجال .. وادخلنى الى غرفة المكتب ..

ثم تركتني وحدي .. وفجأة بحثت عن رسالة عمي في يدي ملم
أجدها .. نسيتها .. واحترت .. فكرت ان أعود الى البيت
لأحملها .. ولكنني عدت وهزّت كتفي بلا مبالغة .. سأقول له
انني نسيتها ..

وفتح باب جانبي ودخل الدكتور هاشم ..

ونظرت اليه .. وكان أول ما رأيته فيه شعره الأبيض ..
انه في لون الدخان .. كان في قلبه شيء يحترق وينطلق منه إلى
شعر رأسه .. وعيناه طيبتان فيهما انكسار عجيب ، وزهر ..
كأنهما عينا طفل بتيم .. وشفتاه منفرجان كأنه يقاوم من الالم
.. وأنفه كبير يحمله فوق وجهه النحيل كأنه ينوء بحمله .. وهو
كبير .. كبير في السن .. على الأقل بالنسبة لي .. ولكنني
وجدت فيه شيئاً إنسانياً سرياًعاً كبر سنـه .. لعلها هذه النظرة
المنكسرة المليئة بالزهق التي تطل من عينيه .. ووجدت نفسى
اطيل النظر اليه .. واعود وأدقق في ملامحه ، بعينين جريئتين ..
كتفي، ارى وجه مصر لأول مرة .. وهو واقف أمامي ينظر إلى
كأنه لا يصدق عينيه .. وعلى شفتيه ابتسامة مذهولة .. ثم
تقدـم منـي مـاـدا يـدـه ليصـافـحـنـي .. وـتـبـهـتـ إـلـىـ أـنـيـ انـظـرـ إـلـيـ بـجـراـةـ .. فـسـحـتـ نـظـرـتـىـ المـلـقـةـ فوقـ وجـهـ .. ومـدـتـ يـدـيـ إـلـيـ وـأـنـاـ
أقول :

— رحـابـ ..

وقـالـ وـابـتسـامـتـهـ تـقـسـعـ لـتـضمـ وجـهـ كـلـهـ :
— أـهـلاـ ..

— ثم جلس إلى مكتبه .. وعيناه تنظران إلى " لا تزالان
مبـهـولـتـين .. وجـرـىـ بيـنـتـاـ الحـدـيـثـ .. وـأـنـاـ أـحـسـ بـهـ كـلـهـ يـقاـمـ
حتـىـ يـحـفـظـ بـمـسـافـةـ بيـنـهـ .. المسـافـةـ التـيـ يـفـرـضـهاـ الـاحـتـراـمـ

الرسمى .. يقاوم نظرته حتى لا تصبح أكثر تعبيراً عن اعجابه ..
ويقاوم كلماته حتى لا تصبح أكثر جرأة .. . ويقاوم يده حتى
لا تمتد إلى يدي .. . أني أحس بكل ذلك .. ربما تستطيع كل فتاة
أن تحس بمكانتها عند الرجل بمجرد النظر إلى عينيه .. وقد
أحسست به معجباً بي إلى حد الذهول إلى حد أن يضطر إلى
كل هذه المقاومة ..

وقد أشعرنى حديثه لأول مرة بنى فى القاهرة .. لهجته
المصرية الرقيقة .. وأسئلاته التى تشعرنى بأنى فى بلد غريب
عنها .. وأسئلاته عن الأماكن التى شهدتها فى القاهرة .. ثم
كف بينما الحديث ببرهة ، خيل إلى خلالها أنه يهم أن يسألنى
عن الرسالة التى أحملها له ، فقلت فوراً :

— آسفه .. لقد نسبت رسالة عمى ..

وضحك ضحكة كبيرة خيل إلى " أنها ابتلعت أنه كله ، ثم
قال :

— لا يهم ..

قلت وصدى ضحكته يتتردد على شفتي :

— أني أنسى كثيراً .. ولكن ساحملها لك يوماً ..

قال في لهفة :

— غداً؟

قلت :

— لا .. بعد غداً!

ولم أدر لماذا لم أوافق على الغد ، فلم يكن لدى شيء يقيدني
في اليوم التالي .. ربما كان هذا مجرد انعكاس تلقائي لاحساسي
بأنه معجب بي ..

قال :

— بعد غد .. اذن ..
قلت :

— سأتصل بك في التليفون لتفق على الموعد ..
ونظر إلى في تردد ، ثم أمسك بقلمه وكتب رقمها على ورقة ،
تدمعا إلى وسحابة خجولة حمراء تطوف بوجهه ، وقال :
— اتصل بي في هذا الرقم ..

ولم أدر لماذا بدا عليه هذا التردد ، ولا لماذا الخجل ..
واستطرد هاشم قائلاً :

— حتى أرد عليك بنفسى .. انه رقم التليفون الخاص ..
هززت رأسى كأنى فهمت ..
وقدمت واقفة ..
وقال وهو يصافحنى :

— الا أستطيع ان أقدم لك اي خدمة وانت في القاهرة .
قلت :

— لا .. شكرًا !
قال :

— انت هنا مع العائلة ؟
قلت :

— .. وحدى !
قال :

— لعلى، أستطيع دعوتك ..
قلت :

— لا أدرى .. بتفق فيما بعد ا ..
وابتسم .. وقال وهو يفتح لى الباب :

— لو انى رايتك فى اي مكان لما اعتقدت انك من لبنان ؟

قلت وإنما أنظر إليه بكل عيني :

— لماذا ؟

قال :

— إنك تبددين كأنك باريسيه ..

قلت ضاحكة :

— كثيرون يعتقدون ذلك ..

قال وفي عينيه شيء كالتوسل :

— سأنتظر منك تليفون ..

قلت :

— إن الله يريد ..

وخرجت .. وعلى شفتي ابتسامة زهو .. راضية عن نفسي .. معندة بنفسى .. كأنى فتحت أبواب القاهرة ..

وذهبت للقاء شلة اللبنانيين فى كافيتريا هيلتون ، وتغديت معهم .. وربما لاحظوا يومها أنى أكثر مرحا ، وأكثر اعتدادا بنفسى .. كنت أقودهم جميعا إلى حيث أريد .. أقود حديثهم .. وأقود خطواتهم .. وأطلق بينهم الضحكات ، وأثير بينهم المناقشات .. ولم أكن أدرى سببا لانطلاقى .. ليس السبب قطعا هو الدكتور هاشم .. ولكنه احسانى بأنى استطعت أن أخرج عن هذه الدائرة الضيقة التى عشت فيها منذ وصلت إلى القاهرة ..

وعدت إلى البيت .. وقبل أن أخلع ثوبى بدأت أبحث عن الرسالة التى نسيتها .. بحثت عنها بجانب التليفون .. وفي غرفتى .. فى حقائبى .. فى الدولاب .. ولكن لم أجدها .. ربما وجذتها الخادمة وأعطتها لطنط لملى .. وسألت طنط لملى .. وسألت الخادمة .. كل الخدم .. ولكن لا أحد وجد الرسالة ..

وهزرت كتفى ..
لا يهم ..

ورقفت فى غراشى وأنا لازلت بثوابى ، وصورة الدكتور هاشم تملأ خيالى .. انه ليس كبيرا جدا .. لعله فى الأربعين ، وربما أكثر قليلا .. انه أكبر من سامي وغسان وباقى أصدقائى نى بيروت .. ولكنه يبدو لي أكثر حاجة الى منهم .. ويبعد مهما ، حائز ، ضعيفا ، كالطفل التائه .. هذه النظرة المنكسرة فى عينيه .. وهذه الابتسامة كانها آهة الم .. ثم هذه المقاومة العنيفة التى يبذلها ليحتفظ بشخصيته .. انه يبدو لي كأنه يعيش هذه المقاومة منذ ولاد .. طول حياته يقاوم .. نرى ماذا يقاوم ؟
ولم أكن أفكر فى الدكتور هاشم الا كصورة مرت بي ..
 مجرد صورة .. لم يأخذنى خيالى الى ابعد من ذلك .. لم اجمع بينى وبينه ، ولا فى خيالى .. لم اتصور ان يكون بينى وبينه شيء .. لا يمكن ان يكون بينى وبينه شيء ..
ورغم ذلك ..

انه شيء جديد بالنسبة لي .. شخصية جديدة .. مثيرة .. غامضة .. فيها غموض القاهرة الذى لا اعرفها ، ولم استطع ان التلقى بها حتى اليوم ..

ونمت دون ان اتخذ قرارا بالنسبة للدكتور هاشم .. ولا حتى قررت ان اعتذر له عن ضياع الرسالة .. انى اكره ان اعتذر لاحد .. اكره ان اشعر بانى مدينة لاحد بالاعتذار .. ماذا يمكن ان تكون لهذه الرسالة من أهمية .. لا شيء قطعا .. مجرد كلام فارغ مما يتبادله الرجال ..
ومن اليوم الثانى قررت ان اخرج وحدى .. حملتني السيارة

الى شارع قصر النيل ، ثم صرفتها وأخذت أسير في الشارع وحدي .. وتعمدت أن أدخل في الشوارع الجانبية التي لم أدخلها من قبل .. ثم خرجت إلى ميدان الأوبرا .. وميدان العتبة .. مناطق لم أتردد عليها من قبل ، ثم لحت شارعاً مزدحماً دخلت فيه .. عرفت فيما بعد أنه شارع الأزهر .. ومشيت ، ومشيت .. وأنا أتنى أن أتوه في القاهرة .. أو يخطفني أحد .. أن أصادف أي مغامرة تحرك هذا الماء الراكد الذي غطست فيه حتى عنقي .. ولكن لم أته ، ولا حدثت لي مغامرة .. إنما أمشي وأطل على الوجوه السمراء التي أمر بها ، ويغيب إلى أن كل وجه جدار من الحديد لا استطيع أن أرى خلفه شيئاً .. ورائحة أفريقياً نملاً انتهى .. رائحة العرق ، والزحام ، والشمس .. رائحة لاذعة تثيرني ..

وتعبت من المشي ، فركبت سيارة تاكسي ، وطلبت من السائق أن يحملني إلى كافيتريا هيلتون .. لن يتوه أحد أبداً ما دامت هناك سيارات تاكسي ..

وكنت سعيدة يومها لأنني تحررت مرة ثانية من المجتمع الذي يمتصنى .. ولكنها كانت سعادة باهتة .. ولم أكُن أستقر بين شلة اللبنانيين في الكافيتريا حتى عاودني الملل والزهد .. انه نفس الحديث التافه المعاد .. بل أنني أستطيع أن أعرف ماذا سيقول هشام بعد نصف ساعة .. ومتى سيضحك عصام ضحكته الغليظة .. ومتى ستاتي سوزيت .. وماذا ستطلب ليلى .. الدفاتر مرسومة أمام عيني .. مملة .. سخينة ..

وسمت فجأة من مجلسي ، وذهبت إلى حجرة التليفون ، وبحثت عن رقم عيادة الدكتور هاشم .. كنت قد نسيت أن أحمل

معي رقم التليفون الخاص الذى اعطاه لى .. انى انسى داى .. او على الاصح اكره ان احمل شيئا فى يدى ، او فى ذاكرتى .. وعندما سمعت صوته ، قلت له فورا :

— انا رحاب .. هل استطيع ان امر عليك هذا المساء ؟
قال مى صوته الملىء الكسول وان اكاد اسمع لابتسامته صوتا :

— منى ؟

قلت :

— الساعة الخامسة ..

قال :

— سأنتظرك ..

وذهبت اليه فى الساعة الخامسة .. وكل ما تمدته هو انى جمعت شعرى فوق رأسي .. لا بد و اكبر ..

وقال فى مرح هادئ بمجرد ان رأنى :

— انها تسريحة جديدة ..

قلت وانا ابتسם له :

— هل اعجبتك ؟

قال :

— انك تبدين فيها كالقطة ..

ولم يعجبنى ان يشبهنى بالقطة ، لا لشيء الا لأن عشرات قبله شبهونى بالقطة ..

وقلت وانا انظر الى ابتسامته انى يخيل الى أنها تنضج بالالم :

— جئت اعتذر .. لقد اضمنت الرسالة ..

وضحك .. كأنه يدلل طفلة صغيرة .. وقال :

— لا يوم .. لا أعتقد أنها تحمل شيئاً هاماً ..

قلت وأنا أداري غيظي من ضحكته ، بابتسامتي :

— أعتقد أنه كان يوصيك بي .. لا أكثر .. ولكنني سأطلب به في التليفون الأسئلة إن كان هناك شيء آخر ..

قال وهو ينظر إلى هذه النظرة التي تنضح بالمقاومة :

— دعيه هو يطلبك في التليفون لو أراد أن يطمئن على رسالته ..
قلت :

— أبي حسيطبني في التليفون على كل حال .. أسفه مرة أخرى ..

وهميت أن انصرف .. وقام من وراء مكتبه ، ولحق بي قائلاً كأنه يتسلل :

— هل تقبلين دعوتي إلى الغداء ..

قلت وأنا أنظر في وجهه :

— لماذا ؟

قال في دهشة :

— لا لسبب .. فقط لاكون معك ..

قلت :

— إن لي صديقة يسرها أن تخرج مع مصرى .. هل أعرفها بها !

وعاد يضحك .. ضحكة خجلة .. كأنه جرح :

— إنى لا أريد أن أخرج مع اى واحدة .. أريد أن أخرج معك أنت ..

قلت وأنا أنظر في وجهه كأنى أحدث فيه عن شيء منه بين ثلاثة ..

يعيننى على اتخاذ قرار ..

— هل يزعجك ان أصاحب معى صديقتي ..

وقال فى تهالك كأنه على وشك ان ييأس :

— لا .. لا يزعجنى .. ولكن الحديث بين اثنين امتع ..

وترددت برهة .. ثم قلت :

— لك حق .. قبلت دعوتك ..

قال :

— غدا ..

قلت :

— غدا ..

قال :

بـ. الساعة الواحدة والنصف ..

قلت :

— اتفقنا ..

وابتسمت بابتسامة كبيرة ، ثم قال وهو يفتح لى الباب :

— هل أرافقك حتى البيت ؟

قلت :

— لست ذاهبة الى البيت .. انى على موعد مع بعض
الاصدقاء ..

قال :

— صديقات ؟

قلت :

— وأصدقاء ..

قال :

— هل لك أصدقاء كثيرون فى القاهرة ؟

قتل :

— كثيرون ..

وتفير وجهه .. كانه غرق نجاة فى بحر من الهم .. كانى سكبت فوق رأسه ابريقا من الحيرة .. وابتلع ريقه .. ثم قال فى صوت منهار :

— غدا .. الساعة الواحدة والنصف .. أين ؟

قتل ؟

— نبى كامتيريا هيلتون .. انه المكان الذى لا اتوه عنه ..

قال بعد تردد وهو لا يزال غارقا فى الهم :

— اتفقنا ..

وخرجت ..

وفى صدرى احساس بأنى بدأت مغامرة ..

مغامرة فى القاهرة ..

نعم ..

كنت اعتقاد أنها مجرد مغامرة ..

لا ادرى ما الذى ربطنى بهاشم ..

احاسيس ..

احاسيس جديدة على ، لم تخطر على قلبي من قبل ..

وقد كان هاشم اكبر من دخلوا حياتى .. اكبرهم سنا ..

لقد قال لي نبى يوم لقائنا الاول ان عمره احدى وأربعون سنة ..

ثم قال لي بعد أيام ان عمره ثلاثة وأربعون .. ثم اعترف لي

بأن عمره اربع وأربعون .. كانه كان يسبقني عمره على جرعات ،

حتى لا اصطدم لو شربته مى جرعة واحدة .. ولم يكن يخطر ببالى

ابدا ان اكون يوما لرجل فى الرابعة والأربعين .. كان رقم

الأربعين يمثل أمامى عالما آخر لا يمكن ان اعيش فيه .. عالم

بعيد .. بعيد عن قلبي ، وعن عقلي ، وعن خيالي ..
ورغم ذلك فعندما عرفت هاشم احسست به اقرب الى من كل
الشباب الذين ملأوا حياتي .. اقرب الى عقلي .. بل انى اجيانا
كنت اشعر به اصفر منى .. كنت اشعر به كأنه طفل .. عيناه
فيهما براءة الاطفال .. وعلى شفتيه تردد الاطفال .. وأحاديثه
احيانا فيها سذاجة الاطفال .. وانفعالاته نظرية صريحة كأنها
انفعالات طفل ..

ولكنى شعرت بالخوف من هذا الطفل ..
انى لم اشعر بالخوف ابدا من قبل .. كنت دائماً مندفعه
فى حياتى بلا خوف ..

ولكنى منذ اليوم الاول الذى عرفت فيه هاشم ، والخوف
يتسلل الى قلبي .. كنت انظر الى شعره الذى يختلط فيه الابيض
بالأسود ، فاحس ^{انى} أغرق فى بحر من الدخان .. وأنظر فى
عينيه فاحس انى أضيع فيهما .. راسمع كلماته الساذجة
الصريرة ، فاحس بالحذر من السذاجة والصراحة ..

لا ادرى لماذا ؟
لماذا هذا الخوف ..

ربما لاتى احسست بأن هاشم يحاول ان يأخذنى من عمرى
الى عمره .. وقد كنت فى التاسعة عشرة من عمرى ، ولكنى
حتى ذلك الحين اعيش فى عمر الخامسة عشرة .. وكانت احب
هذا العمر .. كنت افضل الشباب الذى تتضاعفى فى عمر الخامسة
عشرة .. وتسريرحة الشعر الذى تتضاعنى فى الخامسة عشرة ..
والانطلاق البريء الذى يندفع فيه عمر الخامسة عشرة .. كنت
اقضى اليوم كله بالبنطلون والحذاء بلا كعب .. اذهب الى كافيتريا
هيلتون بالبنطلون .. والى السينما .. والى حفلات الجامعة

الأمريكية .. دائمًا بالبنطلون .. لأن البنطلون يحررني من عمرى ،
ويحتفظ لي بعمر الخامسة عشرة .. ولكنى منذ عرفت هاشم
بدأت أحس بعمرى .. بدأت أحس بشئٍ يتمنى في .. شئٍ
بعمر أكبر من عمرى .. بدأت أحس بآثواتي .. لم أعد أستطيع أن أتجاهل
أن هاشم رجل .. وأن رجولته أكبر من أن يضيعها في الرقص
والتنطيط كما يفعل الشبان الذين عرفتهم .. وقد عرفت في
بيروت كما قلت ، رجالا في الثلاثين .. في الخامسة والثلاثين
.. ولكن واحداً منهم ، لم يثر في هذا الخوف ولم أحس بواحد منهم
يحاول أن يأخذنى من عمرى إلى عمره .. هاشم وحده هو الذي
يأثر في كل هذه الأحساس ..

—
لم أكن أقاوم هاشم .. ولكنني كنت أقاوم نفسي ..
منذ اليوم الأول وأنا أقاوم ..

•

أقاوم هذه الأحساس الجديدة التي بدأت تتسلل إلى ..
وأزدلت التصاقات بالشبان اللبنانيين الذين تعرفت بهم ،
وربّطت نفسي أكثر بصديقى عصام .. وتغاليت في انطلاقى ..
انطلاقه الخامسة عشرة .. أحاول بكل هذا أن أبقى كما أنا ..
لا أريد أن أتغير .. لن أسمح لأحد أن يغيرني .. أن يجعل مني
فتاة أخرى غيري .. أن يجعل لي شخصية أخرى غير الشخصية
التي اخترتها .. . وأذكر أن هاشم دعاني مرة إلى السينما ..
فخرجت إليه وأنا مرتدية البنطلون وشعرى سائل على وجهى ..
وكنت أعلم أن ليس من اللياقة أن أذهب معه إلى السينما
بالبنطلون وشعرى سائل .. كنت أعلم أنى سأبدو بجانبه كأنى
ابنته .. ولكنى عاندت ، ووقفت أمام المرأة مطويلاً أحاول أن أقاوم
عنادى .. ولكنى بقيت عنيدة إلى أن خرجت إليه .. ورأيته مرتدياً

بدلة غامقة اللون .. ياقه .. وكرافت .. وجاكت .. كائه ذا هب
الى تشبيع جنازة .. كان الفرق بيني وبينه كبيرا .. كان اكبر
من عمره .. و كنت اصغر من عمرى ..
وما نكت اجلس بجانبه فى سيارته حتى نظر الى نظرة طفل
مسكين ، وقال فى صوت مرتعش :

— ابجب ان تلبسى البنطلون ؟
قلت :

— الا يعجبك ؟
قال :

— يعجبنى .. ولكنه يحرجنى .. انه يشعرنى بعمرى
و عمرك ..

وقلت وانا اشفق عليه :

— اذن انتظر .. سأبدل ثيابى ..
قال :

— لا .. ولكننا لن نذهب الى السينما .. لنذهب الى مكان
آخر ..
قلت :

— انى اريد ان اذهب الى السينما .. انتظرنى .. خمس
دقائق فقط ..

ونزلت من السيارة .. وعدت انى البيت .. ووقفت امام
المراة ابدل ثيابى وانا احس بالاشفاق عليه ، وفى الوقت نفسه
احس بالثورة على نفسي لانى اشفقت عليه .. احس انه غلبنى
وجعلنى ابدل ثيابى ..

ارتديت « تايير » « جرسيه » بني اللون فيه خيوط من الذهب
.. ضيق .. ووضعت قدمى فى حذاء فرنى .. سبعة سنتى

.. ورفعت شعري فوق رأسي .. وعادت اليه ليستقبلنى بابتسامة
ذئبـه حلوة .. ابتسامة طفل فرح ..
وكـان هاشم يقاوم هو الآخر ..
انـى أشعر بـمقـاومـتـه ..

ربما كان احساسه بالفرق بين عمره وعمرى ، اكبر من
احسـاسـى ؟ وكـان هـذا الفـرق يـقـفـ بيـنـناـ اـحـيـاناـ ، فـاحـسـ بهـ يـحدـشـنىـ
حـدـيـثـ صـدـيقـ كـبـيرـ ، كـانـهـ عـمـىـ الدـكـتـورـ مـحـمـودـ شـمـسـ الدـينـ ..
حـدـيـثـاـ سـخـيـفـاـ بـارـداـ ، وـاحـيـاتـاـ كـانـ يـحـدـثـ العـكـسـ ، كـانـ يـحـدـثـنىـ كـانـهـ
شـابـ فـىـ العـشـرـينـ .. وـيـتـعـمـدـ أـنـ يـخـتـارـ المـوـاضـيـعـ التـىـ يـعـتـقـدـ
أـنـهـ تـهـمـ شـبـابـ العـشـرـينـ .. كـانـهـ يـحـاـوـلـ أـنـ يـنـزـلـ إـلـىـ عـمـرـىـ ..
وـكـانـ حـدـيـثـهـ فـىـ هـذـهـ الـحـالـةـ أـيـضاـ ، حـدـيـثـاـ مـفـتـلـاـ ، سـخـيـفـاـ ، بـارـداـ
.. وـلـكـنـهـ فـىـ أـحـيـانـ أـخـرىـ كـثـيـرـةـ كـانـ يـنـسـىـ عـمـرـىـ وـعـمـرـهـ ، وـيـنـطـلـقـ
يـتـحـدـثـ عـلـىـ طـبـيـعـتـهـ .. حـدـيـثـاـ حـلـواـ ، عـمـيـقاـ ، فـيـهـ أـفـكـارـ جـدـيـدةـ ..
وـتـجـارـبـ كـثـيـرـةـ .. حـدـيـثـاـ يـفـتـحـ عـقـلـىـ عـلـىـ عـالـمـ لـمـ اـكـنـ أـعـرـفـهـ ..
عـالـمـ فـيـهـ حـقـائـقـ هـادـئـةـ ، وـمـرـحـ هـادـئـةـ ، وـسـعـادـةـ هـادـئـةـ ..
وـقـالـ لـىـ مـرـةـ ، وـهـوـ بـنـظـرـ إـلـىـ وـنـىـ عـيـنـيـهـ شـبـهـ حـسـرـةـ :
— غـرـيـةـ .. لـقـدـ كـنـتـ قـبـلـ اـنـ زـانـىـ اـحـبـ فـتـاةـ فـىـ العـشـرـينـ
مـنـ عـمـرـهـا .. اـنـهـاـ الـآنـ فـىـ الـحـادـيـةـ وـالـعـشـرـينـ .. اـكـبـرـ مـنـكـ
بعـامـينـ فـقـطـ .. وـنـكـنـىـ لـمـ اـشـعـرـ اـبـداـ بـالـفـرـقـ بـيـنـ عـمـرـهـاـ ..
قـلـتـ وـاـنـاـ اـشـعـرـ بـفـصـةـ :

— الـبـنـاتـ الـمـصـرـيـاتـ يـكـبـرـنـ أـسـرـغـ مـنـ الـلـبـنـانـيـاتـ .. جـوـكـمـ
حـارـ .. تـنـضـحـ فـيـهـ الـبـنـتـ أـسـرـعـ مـنـ جـرـ لـبـنـانـ ..
قالـ مـحـاـكـاـ :
— لاـ أـظـنـ .. وـلـكـهـ الشـكـلـ .. لـقـدـ كـانـتـ أـطـولـ مـنـكـ ..
وـاسـمـنـ .. وـلـمـ يـكـنـ عـنـىـ وـجـهـهـاـ هـذـهـ الطـفـولـةـ التـىـ تـبـدوـ عـلـىـ
وـجـهـكـ ..

وشعرت بالغيط .. انى اكره ان يقارننى احد باى فتاذ
اخرى .. وقلت كأنى ادفع عن نفسي :
— كثير من الرجال لا يروننى طفاله ..
قال وهو يتنهى :
— اذا ايضا لا اراك طفلا .. ولكن احاول ان احس بك
طفلا ..

قلت وانا التفت اليه كأنى غاضبة :

— لماذا ؟

قال :

— هذا خير لي ..

ولم احاول ان استطرد في هذا الحديث .. كنت اعرف الى
اين ينتهي هذا الحديث .. ولكن احساسى بالغيط من هذه الفتاة
الاخرى ظل يلزمنى .. انه ليس غيظا .. انه غيره .. لعلها
المرة الاولى التي احس فيها بالغيره من فتاة اخرى .. وجدت
نفسى اسانه ، فجأة ، كان السؤال انطلق رغمما عنى :

— هل كنت تحبها ؟

والتشتت الى فى دهشة وقال :

— من ؟

قلت :

— هذه الفتاة الاخرى ..

قال وهو يحنى رأسه :

— نعم .. كنت أحبها ..

وقلت كأنى اتهمكم :

— وابن ذهب الحب ؟

قال وهو يزفر انفاسه :

— تأولته ..
قلت :
— لماذا ؟
قال :

— لأنها كذبت على .. أخفت عنى حقيقتها .. وجدت امامي
فجاة فتاة أخرى غير الفتاة التي أحببتها ..
قلت :

— وكان من السهل عليك أن تنساها ..
قال :

— لا .. لم أنسها .. ولكننا أصبحنا أصدقاء ..
ثم ابتسامة صفيرة وقال :

— لقد رأينا معا .. وهى تعتقد أنك تصبغين شعرك ..
وصرخت كائنة أدفع عن أعز ما أملك :

— أصبح شعري .. لماذا .. هل أنا عجوز لاصبح شعري .. خذ .. المس شعري .. هل هذا شعر مصبوغ .. لماذا
قالت إك ان شعري مصبوغ .. لابد انها هي التي تصبغ
شعرها ..

قال وهو يتسم فرحا بصراخى :
— أى لم أصدقها .. ولم أغضب منها .. ويجب ان
تعذرها .

قلت في زهرى :
— شو بدئ منها ، حتى أذرها .. أى لا أعرفها ..
وبقيت الابتسامة على شفتيه ..
وكرهت نفسي ساعتها .. احسست أنى كبرت فجاة ..

وأصبحت أغار كالنساء .. واتحدث كالنساء .. وأحس باحساس النساء ..

لماذا أغار ؟

أني لا أحبه حتى أغار عليه ..

وحتى إذا كانت هذه الفيرة مجرد انانية .. انانية بلا حب .. فيجب إلا أنسى أنه رجل فوق الأربعين .. ولابد أن في حياته الطويلة تجارب كثيرة ، ونساء كثيرات .. أنه ليس فتى في الثامنة عشرة أو في العشرين ، حتى أصدق عندما أعرف أنه كان يحب فتاة قبلى .. ويجب إلا أنسى هذا .. يجب إلا أنسى أنه في الخامسة والأربعين ..

وأعود أقاوم ..

وهو يقاوم ..

ورغم هذه المقاومة ، فانا نلتقي .. كل يوم تقريبا .. وشيء يشدني إليه أكثر وأكثر .. وأحس بحاجته إلى .. ومسؤوليتي عنه ..

وقد عرف أصدقائي اللبنانيين أني تعرفت إلى شاب مصرى .. وقتل لهم اسمه .. ولكن لم أقلن لهم عمره .. وهمست صديقتي عفاف في أذني قائلة :

— احترسى من الشبان المصريين .. انهم يريدون كل شيء من البنت .. ولا يعطون شيئا .. الا الكذب .. وكل منهم عنده شقة ..

ولم أهتم بكلمات عفاف .. أنها لا تعرف هاشم .. انه ليس شابا .. انه رجل .. رجل كبير .. ولا يمكن ان يكون من هذا الصنف من الشبان المصريين ..

وبعدات أرى القاهرة معه كما لم ارها قبل أن التقى به .. كما

نذهب الى المطعم .. وانـى الفيوم .. والى القناطر .. والى الهرم .. والى سيدنا الحسين .. ونسير معا فى ضوء القمر فى الشوارع الضيقة .. فى النحاسين .. والمتونى .. والقلعة .. والماذن الكثيرة ترتفع من حولنا شاهنة كانها تحاول ان تصل الى الله .. لقد وجدت القاهره شيئا آخر ، بعد ان ابتعدت عن كافيتريا الهيلتون وشارع فصر النيل .. شيء آخر غير بيروت .. لها شخصية اخرى .. لها رائحة اخرى ..

وكل شيء يتغير معناه .. الهرم لم يعد مجرد قطع من الحجارة .. والنيل لم يعد مجرى من الوحل يحاول ان يشدنى من قدمى ويبتلعني .. ويبدو انتا لا تستطيع ان تشاهد القاهرة وتحس بها الا مع واحد من المصريين .. ولقد احسست ان فى هاشم قطرة من النيل .. فى انته الكبیر قوة النيل .. . وفى عينيه الهدأتين طيبة النيل .. وفى شفتيه المنفرجتين سذاجة النيل .. وفى حيرته حيرة النيل .. فيه ضعف، النيل وهو يسير منكسا ذليلا لا يستطيع ان يقاوم رمال الصحراء التي تقع على شاطئيه .. وفيه جبروت النيل عندما يتفرد فى مناطق اخرى فيشق الصخر .. وفيه كبراء الهرم .. وفيه ايمان المذنة .. وفيه ضجيج ميدان العتبة ، وهدوء شارع انجليزية .. ان هاشم كان مصر كلها تسير على قدمين ..

لقد أحببت القاهرة مع هاشم ..

وابتعدت عن لبنان .. كنت فى كل أسبوع اقر ان اعود الى لبنان فى الأسبوع التالي .. ثم اعود وأؤجل عودتى الى الأسبوع التالي .. ومضى شهر ونصف وانا لا ازال فى القاهرة .. وأبى يتصل بي فى التليفون كل يومين ليطمئن على هودتى .. وفى كل صباح اكتب خطابا الى امى او احد اخواتى ، او احد اصدقائى ..

خطابات سريعة .. كلمات قصيرة فى بضعة سطور .. انى اكره كتابة الخطابات ، ولكنى افرج بتلقى الخطابات .. ولكى اتلقى خطابات ، كان يجب ان اكتب خطابات ،

وقد خفت ان تكون عائلة محيى الدين قد ضاقت باقامتى عندها ، فقررت ان انتقل واقيم فى فندق هيلتون او شبرد .. ولكن العائلة كلها عارضت .. ربما خشيت ان اقامت فى الفندق ان يطلب منهم ابى ان يسددوا لى الدساب زدا لجزء من الدين الذى يطالبهم به .. كما ان ابى رفض ان اقيم فى فندق وحدى .. وبنيت عند عائلة محيى الدين ..

وكانوا قد ينسوا منى .. لم يعد احد منهم يحاول ان يعرف اين اذهب ومع من .. وأعطونى مفتاحا للبيت ..

وفى كل يوم ايضاً اتنقى بشلة اللبنانيين .. وصديقى عصام .. اتناول الغداء معهم ، والعشاء مع هاشم .. او العكس ..

واحاول ان اقنع نفسي بأنى حر .. حر من هاشم ومن عصام .. ومن شلة اللبنانيين .. ومن عائلة محيى الدين .. حر من كل شيء الا من احساسى الذى تسيطر على ، وتحكمنى .. ولكن هذه الاحساسى تدفعنى الى هاشم اكثر ..

انى اشعر بشيء جديد عندما تتلامس ايدينا .. واشعر بشيء جديد عندما تلتقي اعيننا .. واشعر بشيء جديد وانا انتظر لقاءه .. شعور آخر غير ما كنت اشعر به عندما كنت اعرف تيسير ، واندريه فى لبنان .. وشعور آخر غير ما اشعر به نحو صديقى عصام ..

ما هذا الشعور ؟ ..

ربما كان مجرد الزغبة فى الاستطلاع .. فهاشم اول مصرى

أعرفه .. ثم هو في الخامسة والأربعين من عمره .. وهذا يكفي
ليشير في حب الاستطلاع ..
ولكن خوفى من هذا الشعور يشتد ..

وأشعر بأنى في حاجة إلى بذل مجهوداً أكبر كي أقاوم هذا
الشعور .. أقاوم أحاسيسى التي عشت عمرى كله مستسلمه
لها ..

إلى أن كان يوم ..
وكنت مع هاشم في سيارته فوق جبل المقطم .. نتفاداً في
شمس بعد الظهر ..

ونظر إلى هاشم طويلاً .. هذه النظرة التي تثير في هذا
الشعور انجديد .. ثم صمت صمتاً طويلاً .. وفجأة التفت إلى
وقال كأنه قرر أن يتخلص من ضعفه :

— ربنا لا نستطيع أن نستمر هكذا .. أنا نخدع
أنفسنا ..

ونظرت إليه نظرة سريعة ، ثم أرخت عيني عنه .. وقلت :
— ماذا تقصد ؟

قال :

— أنا نقاوم .. أني أقاوم .. وأشعر أنك أيضاً تقاومين
.. هذه المقاومة ستفسد كل شيء بيننا .. ويجب أن نحدد وضعنا
ونستسلم له ..

قلت :

— ماذا تريد ؟

قال :

— بمحاجة .. لم أعد أستطيع أن أكتفى بهذه الصداقة ..
أشياء كثيرة أقاومها .. أقاوم كلما أريد أن أقوله لك .. أقاوم

احساساً بأنى أريد أن أمسك يدك .. أقاوم .. أقاوم .. أني
أريد أن أقبلك الآن .. ولكنني أقاوم ..
قلت في صوت خافت : .
— ولكن لا أريد أن أقبلك ..
ونظر إلى بعينين مذهولتين كأنه لا يصدقني ، وقال :
— ماذَا أنا بالنسبة لـك ..
قلت وأنا أشعر بـأنى أقاوم .. أقاوم صراحتي التي تعودت
عليها :
— أنت صديق .. وأنا سعيدة بكل دقة أقضيها معك ..
قال :
— صديق فقط ..
قلت :
— صديق عزيز ..
وأحن رأسه كأنه هزم وقال :
— خيل إلى أننا نستطع أن تكون أكثر من أصدقاء ..
قلت وأنا أحاول أن أكون باردة :
— لا أعتقد أننا في حاجة لأن تكون أكثر من أصدقاء ..
قال :
— لك حق .. إنها فلطفتني .. ولكن أعدرينى .. أعدرى
غرورى .. ولعله ليس غرورا ، ولكن أحسست أنى في حاجة
إليك .. إلى أكثر من صداقتك ..
واحسست أن قلبى ينشق ، ورغم ذلك قاومت .. وتلت :
— أنت سعيدا بصداقتي ؟
قال كأنه يبكي من نفسه :
— سعيد .. نعم سعيد ..

قلت كأنى أكبر منه :

— فلنكتف أذن بهذه السعادة .. !؟! أيضا سعيدة بصداقتك ..

وعقد ما بين حاجبيه، وقال :

— ولتكن نسير في طريق سيفضي على صداقتنا .. إننا
نسير في طريق ينتهي إلى حب أو إلى هاوية .. فإذا لم نصل
إلى الحب ، سقطت صداقتنا في النهاوية .. ويجب أن نحمي
صدقتنا من السقوط .. من أن تتحطم .. يجب أن نسير بنى
طريق آخر ..

قلت :

— لماذا تعنى ؟

قال وهو يجز على أسنانه كأنه يستجمع ارادته :

— يجب إلا نلتقي كل يوم .. ويجب إلا نلتقي وحدنا .. ويجب
أن أعرفك بأختي .. وتعريفني بالعائلة التي تقيمين عندها ..
حتى إذا التقينا كان لقاونا في جو عائلي يحمي صداقتنا من التطلع
إلى دنيا أخرى ، ومن الانطلاق إلى عاطفة أكبر ..

قلت وقلبي يخفق في هلع :

— ولكن لا أحب زيارة العائلات .. إنني لم أحضر إلى القاهرة
لأزور عائلات ..

قال في مرارة :

— ولكن هذا يحفظ صداقتنا .. إنني أريد أن أياس من أحلامي
.. وأريدك أن تساعدني على اليأس ..

قلت وأنا أحس كأنى أهم بالبكاء :

— اتفقنا ..

وساد بيننا الصمت ..

صمت ثقيل ..

وكل منا يعاند نفسه ..

وقاد سيارته الى بيتنا .. أنا وهو والصمت ..

وعندما اوقف سيارته أمام البيت لم يلتفت الى .. ظل ناظراً
امامه .. ووجهه محتجن غاضب كأنه في معركة مع نفسه ..
ونظرت اليه في لفحة تشوبها شفقة ، وقلت في صوت خفيض :
— متى اراك ؟

قال وهو لا ينظر الى :

— سأتفق مع اختي لدعوك الى الغداء او العشاء ، ثم اتصل
بك ..

قلت وانا انظر اليه بكل عيني :

— اهذا ما تريده ؟

قال :

— هذا ما تريدينه أنت ..

قلت وانا افتح باب السيارة :

— انا لا اريد ان ادمي الى بيتك لا على الغداء ولا على
العشاء .. ولا اريد ان اعرف اختك .. انها ليست في مثل
مسني ..

ولم يرد على ..

ظل صامتا .. معقد الحاجبين .. ووجهه محتجن .. كأنه
في عراك مع نفسه ..

وبقيت انتظر اليه برهة .. وأحساس كثيرة تعتمل في صدرى
.. الفيظ .. والعناد .. والرعب .. والاندفاع .. والتردد ..
ثم فجأة اغلقت باب السيارة الذي كنت قد فتحته ، قبل أن انزل
منها .. وقلت في حدة :

— اين تريد ان تقبلنى .. هنا ؟

واللقيت الى في دهشة ، وقال :

— ماذا قلت ؟

وقلت وانا اكتر حدة ؟

— تبلفى .. اذا كانت كل مشكلتك انك ت يريد ان تقبلني ..

ونفتح فمه ليتكلم :

— انى و ..

وقاطعته :

— افعل ما بدا لك .. انى لم ار رجلا يستاذن البنت قبل ان يقبلها .. او يستاذنها ان تستمتع له بان يحبها .. لا تسألنى شيئا .. لا تسالنى .. ارجى ما تريده ..

وامثلات عيناه بالتردد ، ثم ادار موتور السيارة ، وهو يقول :

— لك حق ..

وسار بنا ..

وقلبى يرتجف .. خوف .. ورعب .. وغيط .. وعناد .. وتطبع .. وأندم لائى اطلقته فيما يريده .. وأثرته الى حد التحدى .. ثم اعود واسأند نفسي .. اتحداها .. واحاول ان اقنع نفسي بأنى اقوى من أن يأخذ منى احد شيئا لا اريد ان اعطيه ..

رهو يقود السيارة صامتا ..

وهممت ان اسأله الى اين .. ولكن عاندت .. حاولت ان اتظاهر بانى لا ببالية .. لا يهمنى شيء .. ولكن عنادى تبخر فى لحظة .. وانفلت من بين شفتي السؤال :

— الى اين ؟

وقال وهو لا يلتفت الى :

— سذهب الى الاستديو ..

قلت :

— أى استدیه؟

قال ولسة حمراء ثم يفوق خديه :

— شقة خاصة تسمىها استديو ..

قلت فی حدّه بـ

— لماذا تسمّيها استديو .. لماذا لا تسمّيها شقة ..

قال وکلماته ترتعش بین شفتيه:

— ربما لأن الكلمة استديو أرق من شقته ..

قلت :

— ولكن كلمة شقة أسرح ..

قال :

— اذن .. شقه ..

ثم استطرد قائلاً :

— اذا كنت لا تريدين .. فلن نذهب ..

قلت في تحد :

- لا .. لنذهب .. انك ستقيلني هناك .. اليس كذلك ؟

: قال :

— لا ادري .. ونكتى سأشعر بك هناك اقرب الى ..
وستكت .. وكلمات صديقتي عفاف تطن في اذني « احترسى
من الشباب المصريين .. انهم يريدون كل شيء من البنت ،
ولا يعطون شيئا الا الكذب ، وكل منهم عنده شته » ..

ولكن، كنت ممثلة بالتحدي ..

نحدى اكبر من الخوف ... وأكبر من شخصية هاشم ..

وكلت أكره نفسى مماعتها .. أكره هذا الاحساس بالتحدي

.. وَأَكْرَهُ خُوفِي .. وَأَكْرَهُ شَيْئًا آخَرُ ، أَكْرَهُ احْسَاسِي بِأَنْوَثْتِي

.. كنت أحس في تلك اللحظة بآني أكثر مما أحسست بها في
أي يوم من حياتي .. أنوثة منساقة إلى رجل ، وهو احساس
يقرزني ، يضعفني ، لا أريد أن أحس بأنني انتي .. ولا بأنني
صبي .. لا أريد أن أحس بأى صفة من صفات الجنس .. كل
ما أريد أن أحس به هو أنني رجلا .. لست انتي ولست رجلا ..
ولكنني رحامي .. شخصية قائمة بذاتها ، ليست في حاجة إلى
جنس آخر ليكملاها ..

وأعصابي تلتوي من الفيظ ..

الفيظ من نفسي ..

لماذا أنا منساقه هكذا .. لماذا قبلت أن أذهب معه إلى
الشقة .. لماذا لا أعود .. لماذا لا أقفز الآن من السيارة ، ولجرى
.. لماذا لا أترك هاشم ولا أعود أرى وجهه .. انه حمل ثقيل ،
لا أريد أن أثقل به على حياتي .. أريد أن أتحرر منه .. إن
ارقص .. أتع اضحك .. لا شيء جاد .. لا شيء يخفيفني .. و ..
ونصف أمام عمارة في الزمالك ..

ونزلنا من السيارة .. وسررت بجانبه ادب على الأرض
بخطوات تعل عن احساسى بالتحدي .. وعيناى مفتوحتان على
آخرها كأنى أريد أن أشق بهما اجدران لاري ما خلفها ..
ولم أتكلم ..

ولا هاشم يتكلم ..

وصدعنا ..

وفتح هاشم الباب ..

ودخلت ..

وجلست على أول مقعد صادقني ..

وكانت المرة الأولى التي أدخل نبها عند شاب اعزب ..

ورغم ذلك لم احاول ان اتلفت لارى ما حولي .. لارى كيف تكون
شقة الشاب الاعزب .. بل انى لم احول ان انظر الى هاشم ..
تركز احساسى ساعتها فى انتظار ما سيحدث .. كنت فى كل
دقيقة انتظر ان يحدث شئ ، واستعد لمقاومة هذا الشئ ..

وكان هاشم يتكلم .. يتكلم كثيرا .. ويتحرك امامى فى
لرتبك ، كطفل ضائع لا يدرى من اين يبدأ طريقه .. وفتح
الراديو .. ثم اغلق الراديو وادار اسطوانة .. وهو يتكلم ..
ويتكلم .. ثم فجأة اقترب منى وانا جالسة على المبعد ، وانحنى
وليس خدى بشفتيه .. ولم اتحرك .. ولم ارفع اليه عينى ..
بعيت جامدة .. وأحسست بلمسة شفتيه ساخنة .. نار ..
كأنها شعاع من شمس القاهرة يلسعنى .. وأحسست بوجهى
كله يحرق .. ولكنى بدت جامدة .. وليس هاشم خدى بشفتيه
مرة اخرى .. ومرة ثالثة .. احس كأنه يحاول ان يذيبنى فى
ناره .. ولكنى جامدة .. جامدة كالخشب .. ثم طاف بشفتيه ،
واقترب من شفتي .. وزممتهما .. زمممت شفتي .. اخفيتهما
داخل مى .. وحاول ان يصل اليهما .. ان يشددهما بشفتيه
من داخل فمى .. ولكنى قاومت .. بلا عنف .. وانا ادعى
الجمود والبرود ..

وابتعد هاشم عنى ، وفى عينيه نظرة خجل ، كأنه احس انه
اخطا ، وتال لى فى صوت ضعيف :
— أنا آسف ..

قلت وانا اساوى سعري ، واتحسس خدى لاطفىء الذيب
الذى أشعله فيهما :
— لا تأسف .. لقد سمحت لك ..
تال وهو يتنهد :

— انك لا تربدين قبلاتي ..
قلت وأنا ابتسم له لاعينه على نفسه :
— من يدرى لعلى اريدها يوما ..
ونظر الى بعينين مثتوحتين كأنه يتعجب مني .. ثم تشاغل
عنى بادارة اسطوانة ..
وبدأت اشعر بالزهق .. تبخر شعورى بالخوف ، وتبخر
تطلعى الى التجربة الجديدة .. وبدأت اشعر بالزهق .. زهق ..
يكاد يخنقنى .. وهائما يبدو سخيفا فى كل ما يفعله .. سخيفا
فى كلامه .. انه ليس طبيعيا ، ولا اما ..
وقدمت واقفة وقلت فى حزم :
— يجب ان اعود الان ..
ونظر فى ساعته و قال وهو يصفر بشفتيه صفير الدهشة :
— الساعة السابعة .. لقد تأخرت كثيرا على موعد العيادة
بعد .. لا يهم .. هل أراك فى المساء ..
قلت :
— لا انى مدعوة مع بعض الاصدقاء ..
وارتعشت عيناه وقال :
— شبان ؟
قلت :
— نعم .. وبنات ..
قال وهو يحاول ان يبتسم :
— المفروض الا تخرجى الا معى ..
قلت غى دهشة :
— لماذا ؟
قال :

— لأنك سمحت أني نقبيلك ..

قلت :

— وماذا يعني هذا؟

قال :

— يعني أني أصبحت رجلك ..

قلت وانا أبتسם :

— أنا لا أحب أن يكون رجلى أنايا .. ليس من حق رجلى
أن يحرمنى من أصدقائى ..

قال :

— يرضيك ان اخرج مع فتاة أخرى؟

قلت :

— اذا احسست بأنك ت يريد ان تخرج مع فتاة أخرى فيجب
ان تخرج معها .. أنا لا أحب ان تجاملنى .. او تناافقنى .. اريد
ان احس دائماً بأنك تتصرف باحساسك ..

قال في ياس :

— وانت تحسين بأنك تريدين ان تخرجى الليلة مع
اصدقائك ..

قلت :

— نعم .. واكره الا اخرج معهم مجاملة اك .. واكره ان
تسمى هذا اخلاصا .. الاخلاص هو الاحساس المخلص .. ولأن
احساسى مخلص مانى متأخرج الليلة مع اصدقائى ..

قلت :

— وترقصين معهم ..

قلت :

— نعم ..

قال كأنه يئن :

— وقد يضع أحد هم خده على خدك أثناء الرقص ..

قلت :

— أني عادة لا أحب أن يضع أحد خده على خدي وأنا أرقص .. الرقص عندي هو احساسى بالموسيقى لا احساسى بالرجل .. ورغم ذلك فثق أنى لو أحسست بأنى أريد أن يضع أحد هم خده على خدي .. فلن أتردد .. لأنى لو لم أفعل .. فلن أكون ملخصة لاحساسي .. وإذا لم أخلص لاحساسي ، فلن أكون ملخصة لك .. إذا خدعت احساسى ثانى أخدعك .. أنا فقاك .. وأنا لا أدب أن أخدع أحدا ، ولا أن انافق أحدا .. أفهمنى .. أنا ملك لاحساسي قبل أن أكون ملكاً لأحد ..

ونظر إلى كأنه عاجز أن يرد على منطقى ..

ثم قام وفتح لى الباب ، وهو يقول :

— لك حق ..

وساد الصمت بيننا طوال الطريق .. وخيل إلى أنه يتالم فى صمته .. عيناه تنضحان بالألم ..

وخرجت مع أصدقائى ليلتها .. ولكن جمرة اللهب التى تركها هاشم بقىت تحرقنى طول الليل .. ونظرة الألم فى عينيه تطوف بي ..

ونمت فى انتظار لحظة لقائه فى اليوم التالى .. وأنا أشعر بأنى كنت قاسية عليه ، وأعاهد نفسي بأن أكفر عن قسوتى .. ولا أدرى أن كان هذا انشعور صادقا أم أنى كنت أخدع به نفسي .. كنت اتعلل به حتى أتركه يقبلنى مرة ثانية .. كنت أريد .. أن يقبلنى .. فقط يقبلنى !

والتقينا فى السيارة .. وذهبنا الى مكاننا المفضل فوق جبل المقطم .. والقاهرة كلها تحت أقدامنا .. كأنها مستسلمة لنا .. وقد كنت أحيط هاشم دائماً كلما ذكر جبل المقطم .. كنت أصبح فيه :

— شو جبل .. هذا لا يساوى تلا فى لبنان ..
ويوضح هاشم ..

ولكنى فى هذا اليوم لم احاول ان أغيبه .. كان كل احساسى مجتمعاً فى انتظار اللحظة التى يقبلنى فيها .. ولكن الألم فى عينيه .. كان يتكلم وينصرف كالطفل الغاضب .. وضفت بانتظار قبيلته ، وقتلت فجأة كائنة لم أعد احتمل :

— الا تريدى أن تقبلنى اليوم ..
ونظر الى فى دهشة ، وقال :

— انك لا تجدين قيلاتى ..

قتلت وانا انظر الى شفتيه بكل عينى :

— دعنى اجريها مرة ثانية ..

واقرب هاشم بشدة وقبل ان يصل الى شفتيه بعدت راسى عنه ، وقلت :

— لا .. لا تقبلنى .. اذا كنت لا تريدى ..

وشدلى هاشم من شعري فى حركة مبالغة ، وقرب راسى اليه ، وهو يهمس :

— انك تتكلمين كثيراً ..

ثم سقط فوق شفتي ..

واستسلمت له بكل شفتي ..

ربما كانت المرة الاولى التى لم احس فيها بانى اضيق بقبضة فوق شفتي .. ولا ابدل مجاهدا لاحتملها كما كنت احتمل قبليه

تيسير .. طعم آخر .. نكهة اخرى .. كأنهما اول شفتين
ناضجتين التقى بهما .. وكان شفاه الرجال لا تنفع الا بعد
الأربعين .. واعصابي تهدا .. وتسسلم .. كأنى كنت اجري
ذلول حياتي ولم اتوقف عن الجرى الا بعد ان وصلت الى شفتيه ،
وشئ جميل رائع يسرى في عروقى كلها .. كأنى سأتم ..

ورفع هاشم شفتيه عن شفتي ..
والتقى عيوننا كأننا نلتقي لأول مرة ..
ثم عادت شفاهه الى شفتي ..
ومرت بنا الأيام بعد ذلك أكثر روعة وجمالا .. ولكننا لم
نكن نذهب الى الشقة ..

كنت أضيق بهذه الشقة .. كنت احس كلما همت بالذهاب
اليها ، كأنى على وشك أن تصيبني نوبة الاختناق .. انى اكره
الجدران .. كل الجدران ، لقد قضيت طول عمرى اهرب من
الجدران .. جدران بيته فى بيروت ، وجدران المدارس التى
التحقت بها .. وجدران بيت عائلة محبى الدين .. انى لا انسع
نفسى بين اربعة جدران الا اذا غلبني النوم .. وقد احس هاشم
بكل ذلك .. احس بى فزناه عصبية ، يعذبها الزهر كلما دعاني اليه
الشقة .. فكف عن دعوته .. وانطلق معى .. فى حدائق ،
القناطر .. وفى حقول المتصورة .. وفى رمال المقطم ..
وبقلاتنا منطلقة معنا .. لا تقعد روعتها .. كأنها التسييم الطلق
الذى يتجدد باستمرار .. ليس قبلات مخنوقة بين اربع
جدران ..

وكنا مختلف دائما حول موضوع واحد .. كل يوم لنا خناقة
حول حتى في ان التقى بأصدقائى وأخرج معهم .. وكنت مصرء
على احتفاظى بهذا الحق .. يكفى ان احساسي يدفعنى الى

للقائهم .. و كنت يوما عنى موعد معه .. و مر علىّ بسيارته
ليأخذنى من امام البيت .. و قلت وانا اجلس بجانبه :

— لن استطع ان امتنى معاك الا عشر دقائق ؟

— ونظر الىّ فى تحفز وقال :

— لماذا ؟

قلت :

— صديق جاء من لبنان .. وقد وعدته ان اخرج معه الليلة ..

وصرح :

— لماذا لا تعملى منسقة سياحية ، تستقبلى السائحين
اللبنانيين وتطوفى بهم على معالم القاهرة ..
قلت ؟

— لا تصرخ .. ارجوك ..

قال :

— انى لا استطع ان احب فتاة تخرج كل يوم مع رجل ..

قلت نى حدة :

— انى اخرج مع اصدقاء .. لا مع رجال .. وانا لا اخفي
عنك شيئا .. ولكنك تفضل ان اخدعك كما تفعل البنات المصريات
.. تفضل ان اقول لك انى ذاهبة الى الكواifer او الى زيارة
صديقة ، ثم اذهب الى لقاء رجل .. ولكنك لا تتحمل ان اصارحك
بأنى سأخرج مع صديق .. اتدرى لماذا تخدع البنات الرجال ..
لان الرجال لا يحتملون الحقيقة .. لا يريدون ان يفهموا ان البنت
ليست مجرد جنس .. وان العلاقة بين البنت والرجل ليست
دائما علاقة جنسية .. يجب ان تعرف ان البنت شخصية كاملة
من حقها ان يكون لها اصدقاء سواء كانوا بنات او رجالا .. من
حقها ان تتحرك كما ت يريد .. ان البنت تعمل الان ، فإذا كان من

حقها ان تلتقي بالرجل في المكتب او في المصنع ، فلماذا لا يكون من حقها ان تلتقي به في مذهبها او في حديقة .. . و اذا كانت قد استطاعت ان تتحرر من الجنس في المكتب .. فلماذا لا تتحرر من الجنس خارج المكتب .. هاشم افهمنى .. انى استطيع ان اكذب عليك واخدعك كما فعلت بك امينه ونجوى .. ولكنى لن افعل .. لا من اجلك .. ولكن من اجل احساسى .. انى مخلصة لاحساسى قبل ان اكون ملخصة لك .. واحلامى لاحساسى هو اخلاصى لك ..

وصرخ هاشم وهو يضرب عجلة القيادة امامه بقبضته :
وعيناه غاضبتان :

— احساسك .. انك تتحدىن دائمًا عن احساسك ..
واحساسى انا ، اليس له وجود .. انتعتقدن انى حجر .. حمار بلا احسان .. ثم يجب ان تعرفى ان الانقياد للاحساس هو انحلال .. فوضى .. انك قد تحسين بأنك تريدين ان تخلي شبابك في الشارع ، فلماذا لا تخليعنها .. وانا احس احياناً بأنى اريد ان اقتل شخصاً ، فلماذا لا اقتله .. ان الاحساس يقوم اساساً على الغزيرة .. والانسان لم يتقدم الا لانه استطاع ان يقاوم غرائزه .. كل تاريخ الانسان هو تاريخ مقاومة غرائزه والسيطرة على أحاسيسه .. الانسان وضع القوانين ليقاوم غرائزه واحاسيسه .. وحدد المبادئ .. ودعا الى احترام الناس بعضهم البعض .. والأنبياء وال فلاسفة .. والمنكرون ، كل هؤلاء لم يفعلوا شيئاً الا لأنهم قاوموا غرائز البشر والسيطرة على أحاسيسهم ، حتى يستطيعوا حماية المجتمع الانساني والتقدم به ..

— قلت وانا اصرخ مثله :

— انك تتحدث كأن لقائي مع صديق جريمة ..

قال :

— انها جريمة فى حقى .. انها استهانة بي .. اذا اردت ان تنقادى لاحاسيسك فلجب ان تعيشى فى عالم وحدك .. لأن الناس لهم ايضا احساس يجب ان تراعيها ، وتحترميه .. وتحسبى حسابها ..

ثم سكت برهة ليلتفط انفاسه واستطرد قائلاً :

— سأخرج مع فتاة حتى تحسى بما أحس به .. حتى تحس بالجريمة ..

وشعرت بقلبي يتمنى ، وهو يهددىنى بأن يخرج مع فتاة غيرى .. ولكنى عاندت ، وفتحت باب السيارة ، وأنا أقول :

— يجب أن اتركك الآن حتى لا أتأخر عن موعدى ..
ولم يرد على ..

ونزلت من السيارة ، والتفت اليه قائلة :

— أدرى ماذا بعذبك .. أنا ينتك .. كل ما تريده الا يراني الناس مع أحد غيرك .. انك لا تزال شرقيا .. الفتاة يجب أن تكون فتاة خصوصية .. كسيارتك .. كحذائك ، أناية الشرف .. غباؤه .. افهم انى لست سيارة .. ولا حذاء .. لست وردة تضعها فى عروة سترتك .. وتخاليل بها أمام الناس ، أنا لست ملكك .. أنا ملك نفسي .. حتى لو احببتك .. حتى او كنت الرجل الوحيد فى الدنيا ..

وتركته قبل أن أسمع رده .. وأنا أشعر كأنى أهم بالبكاء ..

واتصل بي هاشم فى اليوم التالى ..

ـ كان صوته ضعيفا مهززا فيه رنة الاعتذار عن مناقشة
الامس ..

وابشمت ..

انه لا يستطيع ان يستغنى عنى ..

وبذات اعطيه وقتنا اكثر وهو يعطيينى كل وقته .. وليس
معنى هذا انى تنازلت من حقى فى ان يكون لى اصدقاء .. ابنا ..
كنت لا زلت اخرج معهم .. وارقص .. بل انى ازدبت
احساسا بأن هؤلاء الاصدقاء هم ضمان حريتى .. هم حماية انى
من ضعفى .. اذا حدث يوما وأحسست انى ضعيفة ..

والقاهرة كلها تتحدث عنى وعن هاشم من كثرة ما رأينا
الناس معا .. وعائلة محى الدين بذات نتهايس عن علاقتى
بهاشم .. ثم بدأوا ينحدرون عنه أمامى .. لم يكن احد منهم
يلومنى .. وربما لم يستطع احد منهم ان يحدد نوع هذه العلاقة
التي تربطنى بهاشم ، فلم يكن من السهل ان يتصوروا ان هاشم
يحبنى ، او انى احبه ، لفارق السن الكبير بينى وبينه .. ولكنهم
كانوا يمسحون هاشم تثيرا أمامى .. ويرددون ان له نفوذا
كبيرا .. وانه صديق لكل رجالات مصر .. ودودى ابنة طنط
ميمى لا تخفي غيرتها من صداقتى لهاشم ، انها تلوى شفتيها
كما سمعت فى البيت سيرة هاشم ، ثم تصعد الى غرفتها فوق
سطح البيت ، وتصنع تماثيل من طين .. ولكن زوجها رفيق
بدأ يهم .. اكثر من عادته ، منذ سمع بصداقتى لهاشم .. وقد
تللت ابن رفيق كان يغيب كثيرا عن البيت ويعود عجاة .. ولا يهم
احد بغيته ولا يفرح بعودته .. وتعودت انا ايضا الا اهتم به ..
والواقع ان شيئا فيه كان يعززنى .. ابتسامته التي تسيل على
شفتيه .. ونظراته المتسللة من تحت جفنيه ..

ولكنه بدا يعتمد ان ينتظرنى ليتناول معى طعام الافطار ،
ويعتمد ان يسألنى اذا كنت مساعد لتناول الغداء ، ودعائى ..

الى العشاء فى شبرد مع زوجته وبعض أصدقائه .. واهداه
 مرة خاتما اثريا اشتراه من خان الخليفى وكان يتحدث كثيرا عن
 هاشم .. وعن نفوذه ، وقال لى مرة :
 — لا اظن أن الدكتور هاشم من الاشخاص الذين تفضل
 حقائبهم نى الجمرك عندما يسافر ..
 وقتل بلا مبالاة :
 — لا ادرى ..
 لم افهم يومها نما كان يقصده رفيق ..

٢ -

هاشم يتطور بسرعة .. اسرع من تفكيرى .. اسرع ..
 انتظر .. لا .. انه لا يتتطور .. انه يحاول ان يجعل من نفسه
 انسانا آخر .. يحاول ان يكتسب لنفسه شخصية جديدة ...
 عمرا جديدا .. كان يبدو كأنه يئس من ان يرفعنى الى عمره ،
 فقرر ان ينزل الى عمرى .. وكان كل ما يسعى اليه هز ان
 يستثار بي .. ان يبعدنى عن اصدقائى الشبان .. يئس من ان
 يقنعني بأن اكون له وحده .. فقرر ان يكون كل شيء فى حياتى
 .. وان يعطينى كل ما يمكن ان يعطى لى اى انسان آخر ..
 ان يشغل كل وقتى .. وكل تفكيرى .. وكل احساسى .. بحديث
 لا يترك مني شيئا لاحد غيره ..

و كنت معه نتناول العشاء فى مطعم عائم على النيل ..
 مطعم عمر الخيام .. وانا افضل دائما ان اكون مع هاشم نى
 الاماكن انهادئة .. انى احس به اكثر وسط الهدوء .. حسن

بعقله الكبير .. وآرائه العميقـة .. ولبساته الرقيقة .. ونظراته
الحانـية كأنـه يخشـى عـلـى ، لو أطلق عـيـنـيه لـتـعـبـرا عنـ رـبـرـتـه ..
أـنـ يـكـسـرـنـي بـنـظـرـاتـه ..

وـسـائـلـي هـاشـمـ :

ـ مـاـذـا تـفـعـلـيـنـ غـدـاـ ؟

ـ قـلـتـ بـبـسـاطـةـ :

ـ فـيـ الصـبـاحـ سـأـذـهـبـ معـ بـعـضـ الـاصـدـقاءـ إـلـىـ الـهـرـمـ لـنـرـكـبـ
الـخـيلـ ..

ـ وـتـغـيـرـ وجـهـهـ فـجـأـهـ ، وـلـتـمـعـتـ عـيـنـاهـ ، وـقـالـ وـهـ يـقـبـضـ عـلـىـ
كـأسـهـ بـكـلـ أـصـابـعـهـ كـأـنـهـ يـحـاـولـ نـيـحـطـهـ :

ـ مـعـ مـنـ ، مـنـ أـصـدـقـائـكـ ؟ ..

ـ قـلـتـ بـلـ بـلاـ بـلاـ :

ـ مـعـ هـصـلـامـ :،، وـعـفـافـ .. وـعـاـيـدـهـ .. وـأـسـعـدـ .. وـصـلـانـ
،،، وـلـاـ اـدـرـىـ مـنـ أـيـضاـ ..،،

ـ وـنـكـسـ عـيـنـيهـ وـتـالـ وـكـانـهـ يـخـاطـبـ نـفـسـهـ :

ـ عـصـامـ دـائـمـاـ ..

ـ قـلـتـ وـاـنـاـ اـنـظـرـ إـلـيـهـ مـشـفـقـةـ عـلـيـهـ :

ـ عـصـامـ مـجـرـدـ صـدـيقـ .. لـاـ أـكـثـرـ .. وـ ..

ـ وـقـاطـسـنـ فـيـ حـدـةـ :

ـ اـعـلـمـ .. وـمـنـ يـدـرـىـ .. لـعـلـىـ اـنـاـ مـجـرـدـ صـدـيقـ .. وـلـعـلـ
ـ ماـ بـيـنـكـ هـوـ مـاـ تـسـمـيـنـهـ صـدـاقـةـ ..

ـ قـلـتـ وـاـنـاـ اـنـظـرـ إـلـيـهـ بـكـلـ عـيـنـىـ ، وـعـلـىـ شـفـقـتـىـ اـبـتـسـامـةـ اـحـاـواـ
ـ اـنـ اـرـفـهـ بـهـاـ عـنـهـ :

ـ اـنـكـ كـثـيرـ الشـكـوكـ .. وـالـذـنـبـ لـيـسـ ذـنـبـ ..

ـ قـالـ وـمـنـ عـيـنـيهـ الـمـ :

— ذنب من ؟

قلت وانا اهز كثني :

— ذنب البنات اللاتي عرفتهن قبلى .. كلهن بنات لا يعرفن
معنى الصداقة بين الرجل والمرأة .. وقد تعودت على ان ما تعطيه
الفتاة لرجل هو نفس ما تعطيه لاي رجل آخر ..

قال شنى عصبية :

— ارجوك شبعت من ملستتك ..
ومرت بيتنا فترة صمت ..

وهاشم محتقن الوجه .. عيناه محتدتان .. ويشرب كأسه
في عنف كأنه يطفيء بها نارا شببت فجأة في راسه .. ثم قال
وهو لا ينظر الى : ..

— ساذهب معك ..

قلت شنى دهشة :

— الى اين ؟

قال :

— الى الهرم .. لنركب الخيل ..

وشعرت بالحراج .. لم ادر بماذا اجييه .. انى لا اريده ان
يكون معى .. ثم قلت كائنى وجدت حجة تثنىه عن عزمه :
— وعيادتك ؟

قال وهو يهز كثنيه :

— لا يهم ..

قلت :

— انى لا اريدك ان تترك مرضاك من اجلى ..

قال وخطوط كثيرة نشق جبينه :

— اذا كان يهمك مرضناى ، فلا تذهبى مع اصدقائك ..

انى لا استطيع ان اعالج مريضنا .. بينما عقلى مشغول بك
تصورك مع رجل آخر ..
قلت :

— انا لست مسؤولة عن مرضاك .. انا لست طبيبة .. انت
الطبيب ..

قال في ضعفه :

— لو كنت تحببتنى لشاركتنى مسؤوليتى ..
قلت في عناد :

— تقصد لو كنت احبك لصررت عبده لك .. لم يجئني نفسى
في البيت من اجلك .. لا .. انا لا انفهم هذا المنطق .. ولو انك
كنت تحببى لوثقت بي ..
قال :

— انى اتفق بك ، ولكنى لا اتفق بأصدقائك ..
قلت :

— لأنك لا تثق بي نفسك ..

ورفع الى عينيه كأنه يلومنى لاني جرحته ، ثم قال وفى
صوتة مزبد من الضعف :

— لا يمكن لرجل ان يثق بنفسه عندما يحب فتاة مجنونة ..
قلت في حدة :

— انا لست مجنونة .. ولكنك معقد .. ادرى ما هي
عقدتك ؟

قال وعلى شفتيه اتسامة مرأة ساخرة :

— ما هي عقدتى ؟
قلت :

— عمرك .. انك لا ت يريد ان تنسى عمرك ..

وارتنتع خطوط الالم الى جبينه .. وقال :

— افرضى ان هذا صحيح .. لماذا لا تساعدينى على ان انسى
عمرى .. وكيف استطيع ان انسى عمرى وانت لا تحاولين
ان تنسى شمرك ..
قلت :

— ان اى عمر اعيش فيه لا يحرمنى من ان يكون لى اصدقاء ..
قال ^ك :

— اذن ، ساعيش معك ومع اصدقائك ؟
قلت ^ك :

— ولكنك لا تعرفهم ..
قال :

— عرفينى بهم ..
قلت ^ك : غيط :

— انك لن تستريح معهم ، ولن يستريحوا معك ..
قال ^ك :

— اذا كنت تستريح معك ، فستستريح معهم .. واذا كانوا
يستريحون معك ، فستستريحون معى ..
قلت ^ك : حدة ؟

— انا شىء آخر .. عقلى يتسع لك .. اححاسى يتسع لك ..
اما هم .. فعقولهم صغيرة وأحساسهم صغيرة ..
قال مى تهكم :

— لماذا تعرئين ناسا عقولهم صغيرة ؟
قلت :

— لانى الهو معهم .. انتا فى حاجة الى التفاهة بقدر حاجتنا
الى العمق .. فى حاجة الى ان نعيش على سطح الحياة ، كما

اننا فى حاجة الى ان نغوص فى اعماقها .. ثم انى احس احيانا
كثيرة بأنى تافهة .. وآسى فى حاجة الى التناهـة ، هؤلاء الاصدقاء
يشبعون جوانب التفاهـة .. انى معهم اضحك على نكات لن
تضحك انت لها .. وارقص رقصات لا تحب ان ترقصها .. انى
معهم انطلق فى نواحـى اخرى لا استطـيع ان انطلق فيها معك ..
اصرخ .. وأجرى .. وتردد أغاني شارل ازنافور ، وأغانى نات
كنج كول .. فلماذا تحرـى من كل ذلك ..

قال وهو ينظر الى بعينين متسلتين :

— انا لا اريد ان احرمك من شيء ، ولكنى اريد ان اشارك
كل شيء ..
ولم أرد عليه ..

لوبيت شفتى ، والقيت ظهرى على مسند المـعد ، واطلقت
عينى من نظرات بعيدة .. بعيدة عنه ..
ومرت بيـتنا فترة صـمت اخرى ..

ثم القى هاشم بكـاسه .. ومـد يده والتقطـيدى ، وقال وهـي
يضغطـ علىـها .. وصـوته مـبحوح :

— رحـاب .. انـى .. انـى اـحبك .. واستطـيع ان اـحبك
اـكثر .. ولم اـكن اـعتقد انـى سـاحـب من جـديـد وبـهـذه السـرـعة ..
برـت علىـ اـيـام اـعـتـدـتـ فيها اـنـه لمـ يـعـدـ لـى قـلـبـ اـحـبـ بـه .. كانـ
ثـلـبـى قدـ تـفـتـتـ الىـ حدـ لمـ يـعـدـ يـصلـحـ لـاـحـبـ .. ولكنـ بـداـتـ اـحـسـ
بـقـلـبـى يـعـودـ الىـ الـحـيـاة .. الىـ النـبـض .. ولمـ اـصـدـ اـحـسـاسـى ..
لمـ اـصـقـ انـى اـحـبـك .. وفىـ خـلـالـ الشـهـورـ الـتـى مـرـتـ عـلـىـنـاـ
وـاـنـاـ اـصـحـوـ كـلـ صـبـاحـ وـاـنـكـرـ انـىـ اـحـبـك .. ولكنـ لـاـ اـكـادـ المـعـ
التـلـيفـونـ .. حتـىـ اـكـتـشـفـ ، انـىـ اـحـبـكـ الـيـوـمـ اـكـثـرـ مـنـ اـمـسـ .. وـاـنـتـظـ
انـ اـسـمـعـ صـوـتـكـ فـىـ التـلـيفـونـ بـشـوقـ اـكـثـرـ .. وـاـنـاـ اـعـلـمـ خـطـورـةـ

هذا الحب .. ان الرجل عندما يحب وهو في الخامسة والأربعين ..
فتاة في التاسعة عشرة .. فهو يغامر بكل ما يقى من أيامه ...
يغامر بعمر الخمسين وعمر الستين وعمر السبعين .. وقد حاولت
ان اتجنب هذه المغامرة .. حاولت ان اطفئ آخر ومضة حب
بمكى ان تنطلق من شمعة حياتى .. ولكن لماذا .. لماذا اعيش
في الظلم وأنا لا زلت في الخامسة والأربعين .. ولماذا أربط
بين الحب وعمرك .. لماذا لا يحقق للرجل في الخامسة
والأربعين أن يحب فتاة في التاسعة عشرة .. الحب ليس تفاعلا
خياليا .. نضع عمر الخامسة والأربعين على عمر الخامسة
والثلاثين فيتم التفاعل من أنيوبة الحياة وينتزع الحب .. كلام
ناضى .. الحب ليس تفاعلا بين ارقام العمر .. ولكنه تفاعل
بين عقلين ، وقلبين .. وشخصياتين مهما تباعدت او اقتربت
الاعمار ..

ورفعت اليه عينين مبهورتين وقلبي مشدود الى شفتيه ..
انى لم اسمعه ابدا من قبل يتحدث بهذه الرقة .. وبهذه العذوبة
، ولم المح الصدق في عينيه او في عينى اى رجل ، قد ما لحته
 ساعتها .. واضطربت عواطفى ساعتها الى حد ان شعرت
باني على وشك البكاء .. ولم اجد كلاما اقوله .. لم استطع
ان احدد بالضبط ما يمكن ان اقوله .. ورفعت كأس البرتقال
الموضوع أمامي وقربته من شفتي .. ولم اشرب منه .. ولكنى
ابقيته بين شفتي ..

واستطرد هاشم قائلًا وهو لا يزال ممسكا بيدي الأخرى ..
يضغط عليها .. وصوته يرتعش .. والصدق في عينيه :
— ان كل ما احاوله الان هو ان نعيش في عالم واحد ..
ان أقرب بين عالمك وعالمي حتى يصبحا عالما واحدا .. عالم

يضم أصدقاء مشتراكين .. واهتمامات مشتركة .. ولن يكون هذا سهلا .. فالذى يفرق بين عالى وعالك ليس الأصدقاء والاهتمامات فقط .. ولكن بلدى ويندك .. أنت فى بيروت ، وأنا فى القاهرة .. وأنا خائف .. خائف من أن نفشل فى بناء عالمنا الواحد .. وهذا الخوف يجعلنى أكره أصدقائك ، وأكره بيروت .. أكره كل شىء يفرق بيننا .. ورغم ذلك يجب أن نجتاز التجربة .. ولم أجد أيضاً كلاماً أقوله .. بقيت صامتة .. (كأس البرتقال بين شفتي .. وعيناي مارختان ..

وقال هاشم وبين شفتيه ابتسامة صغيرة :

— فيم تسرحين ؟

قلت :

— فى كلامك ..

ثم وضعت الكأس من يدي ، وقلت وأنا لا أنظر اليه :

— إنك تعقد الدنب من حولى .. إنى لم أحاول أن أسأل نفسى إذا كنت أحبك أم لا .. بل إنى لا أؤمن بهذه المقاييس العامة التى يطلقها الناس ويربطون أنفسهم بها .. الحب .. الصداقة .. الكراهية .. الآثانية .. كل هذه الالفاظ لا تدل على حقيقة لأنها ليست ثابتة . ليست، ماضيا ، ولا حاضرا ، ولا مستقبلا .. إن الناس تحاول أن يجعل من الأحساس اشياء مادية ثابتة .. كالجحاد .. كالحديد .. والصخر .. والخشب .. ولكن الخشب كان خشباً فى الماضى .. وهو خشب فى الحاضر .. وسيكون خشباً فى المستقبل .. ولكن الحب .. كيف تثق إنك ستحبني غداً كما تحبني اليوم .. وكيف تثق إنك تحبني اليوم كما كنت تحبني أمس .. والآثانية .. أن الإنسان قد يكون أناانياً فى لحظة .. ومضحياً فى لحظة أخرى .. فلا تستطيع أن تقوى

ان هذا الانسان انانى . وهذا ليس انانيا .. كلاهما خاضعا،
لاحساس اللحظة .. والصدقة .. ان صديقك لم يكن صديقك
بالامس .. وقد يكون عنوك غدا .. انى لا اؤمن بكل هذا الكلام
.. ان الاحاسيس عندي لحظات .. اعيش اللحظة التي انا
فيها ..

ولا احاول ان اربط نفسي باللحظة التي ظهرت فيها . انت
لا تجربني ، وانا لا احبك .. ولكن كلبنا يحب هذه اللحظة التي
جمعتنا .. وهي لحظة .. حتى لو استمر الحب ساعات او اياما
او سنتين .. لأن السنين مجموعة لحظات .. وما دمت لا تستطيع
ان تحكم على اللحظة التالية .. فأنت لا تستطيع الا ان تعيش
اللحظة التي انت فيها .. لا تستطيع ان تتتبأ بالاحاسيس ..
لا تستطيع ان ترصد ها كما يرصد علماء الفلك الحالة الجوية ..
لا تستطيع ان تقول غدا حب .. وبعد غد زهر .. وبعد بعد غد
تضحيه .. انت تستطيع ان تقول لفتاة احبك هذه اللحظة ،
ولو قلت لها انت ستبيها طول العمر ، فأنت مجال لأنك تتتبأ
بالغيب .. وأحساس الانسان هي أعمق وأبعد ما في الغيب ..
لا احد يستطيع ان يرى احساسيه ..

وكان هاشم يستمع الى عيناه متسعاً ، ووجهه غارقاً في
الدهشة ، وقال وصوته مبهور :

— ومن وضع على لسانك هذا الكلام ؟

ونظرت اليه كأنى الومه وقلت :

— لا احد .. كلام اكتشفته بمنفسي .. انى طول عمري احاول
ان اكتشف احساسى وأرتبعها وأنظمها .. وأضعها فى دوسيهات
ذما تفعل سكريرات المكاتب .. حاولت ان اعرف هل انا انانية
أم شهيدة .. هل .. هل .. حاولت ان اضع احساسى فى

دوسيهات .. هذا حب .. وهذه صدقة .. وهذه كراهية ..
وهذا زهر .. ولكنني .. ولكنني فشلت .. وكنت افاجأ بالاحاسيسى
التي تحكم تصرفاتى أكثر مما ينماها بها الناس .. وقد سبق ان
اعتقدت أنى أحب تيسير الذى سبق أن حدثتك عنه .. ولكنني
كنت فى لحظة اكتشفتى نفسى احسانا مختلنا نحوه .. لحظة
ازهق منه .. ثم فى لحظة لم أعد أحس به اطلاقا .. اختفى من
كل احساسى .. أين ذهب الحب اذا كان الحب شيئا ثابتا ماديا ..
أين هو .. وain ذهب حبك لنجوى ؟

وقال هاشم وهو ينظر الى "كانه ينظر الى مجنونة" :

— انك تهدمين الحياة كلها .. انك تهدمين اجمل واشرف
ما فى الانسان .. ان احباب هو البشرية .. لو لا الحب لما تزوج
الناس ، وخلفوا صبياناً وبنات ، واستمرت الحياة ..
وضحكـت ضحـكة صـفـيرـة وـقلـت كـانـي أـسـخـرـ منه :

— بالـعـكـس .. انـدرـى لـماـذـا يـتزـوـجـ النـاس .. لـانـهـم لاـيـثـقـونـ
بعـواـطـنـهـم .. لـانـهـم يـؤـمـنـونـ مـثـلـىـ انـالـحـيـاـ لاـيمـكـنـ انـتـقـومـ عـلـىـ
الـعـاطـفـة .. لـانـالـعـاطـفـةـ لـحظـات .. لـيـسـتـ حـيـاـ .. ولـذـكـ فـكـلـ
اثـنـيـنـ يـرـبـطـانـ نـفـسـيـهـمـ بـعـقـدـ قـاتـونـى .. لـيـحـتـمـىـ كـلـ مـنـهـمـاـ منـ
الـلحـظـةـ الـتـىـ تـتـغـيـرـ فـيـهـاـ عـواـطـفـ إـلـخ .. يـرـبـطـانـ بـعـقـدـ لـانـ
كـلـ مـنـهـمـاـ لـاـيـثـقـ فـيـ الـآـخـر .. كـلـ مـنـهـمـاـ يـؤـمـنـ بـأـنـ الـحـبـ لـحظـةـ ،
لـاـ تـضـمـنـ الـلحـظـةـ الـتـىـ تـلـيـهـا ..

وسـكـتـ هـاشـمـ بـرـهـةـ وـهـوـ لـاـ يـزالـ يـنـظـرـ الىـ بـعـيـنـيهـ المـتـسـعـتـينـ
مـنـ الدـهـشـة .. ثـمـ قـالـ ، كـانـهـ وـجـدـ ثـقـبـاـ فـيـ عـقـلـىـ :
— انـكـ تـقـولـينـ انـكـ تـحـبـيـنـ هـذـهـ الـلحـظـةـ مـعـى .. الـيـسـ كـذـلـكـ ؟
ـ قـلـتـ :

— هذا صحيح ..

قال :

— اذن ، من حقك ان تدافعي عن هذه اللحظة حتى تستمر الى اللحظة التالية واللحظة التي بعدها ، والى مدى الحياة ..

وترددت ببرهة ، كنه فعلا تسلل من ثقب في عقلى :

— طبعا .. هذا من حقى ..

قال :

— اذن اتفقنا .. لهذا هو الحب .. الحب ليس عاطفة غير ارادية ، ولكنه عاطفة تذكيرها وتحتفظ بها الارادة ... الحب من حاجة دائمة الى الارادة .. والى الذكاء .. والى التضحيـة المعمدة .. حتى يعيش ..

قلت اصارع منطقه :

— معنى هذا أن الانسان هو الذي يصنع الحب .. معنى هذا أن أي فتاة يمكن ان تحب اي رجل ..

قال بسرعة :

— لا .. ليس هذا ما أقصده ... ولكن الفتاة تجد في الشاب شيئا يعجبها .. يتفق مع عقليتها .. مع ذوقها .. فتنمى بارادتها هذا الشيء حتى يصبح حبا .. ثم بارادتها ايضا وبما تبذل من نفسها تستطيع ان تحفظ بهذا الحب ..

قلت وقد تعبت من المناقشة :

— ولكنك قلت انك تخاف من حبك لي ، فلماذا تحاول ان تنبئ بارادتك ..

قال وهو يهز كتفيه :

— لا ادري .. ربما لأنني قارنت بين خوفى وحاجتى اليك .. فتغلبت حاجتى اليك ..

وهرزت راسى كائى أستسلمت ..
واستطرد هاشم قائلًا ونظرات عينيه تمسح على خدى فى
رفق :

— وانت ؟

قلت :

— أنا ماذا ؟

قال :

— مادا قررت ؟

قلت :

— انى لا استطيع ان اقرر شيئا .. انى اكره ان اقرر شيئا .. اكره مجرد كلمة قرار .. افهمنى .. انى اكره ان ارى الغد .. اكره ان ارسم صورة للمستقبل .. ان مجرد رسم صورة للمستقبل والتمسك بها ، يفقد المستقبل لذته .. يفقد الحياة كلها روعتها .. ان روعة هذه اللحظة التي أعيشها هي فى انتظار مفاجأة قد تأتى بها اللحظة التالية ..

وتنهد هاشم فى بس ..

واستطردت قائلة :

— القرار الوحيد الذى يمكن ان اتخذه الان .. فى هذه اللحظة .. هو ان أعود الى البيت ..

وقام هاشم واقفا .. وكأنه ضاق بي .. وقال :

— قرار هائل ..

ودفع الحساب ، وأمسك بذراعى ليخطو بي فوق المعبر الذى يصل بين المطعم العائم وشاطئ النيل .. ثم القى ذراعى من يده بمجرد ان وصلنا الى الشاطئ ..

ولم نتكلم طوال الطريق ..

ونزت من السيارة أمام باب البيت .. دون أن يقلنني كم
عودنى .. وبعد أن نزلت مد عنقه نحوى وقال :
— متى ستذهبين غدا إلى الهرم ؟
قلت :

— عصام سمير على في الساعة الحادية عشرة ..
قال مى حزم وعينا، تبرقان بالتصميم :
— وأنا أيضا سامر عليك في الحادية عشرة ..
ثم سحب عنقه ، واعتلد أمام عجلة القيادة . . وصرخت :
— ومرضاك ..
ولكنه انطلق قبل أر يسمعني .. أو لعله سمعنى ولم يرث
على ..

وصعدت إلى غرفتي وأنا أحس بشيء ثقيل يضغط على
صدرى ، ويلتف حول عنقى .. أشعر كأنى اجرجر فى قدمى قيada
من حديد .. أنى أكره أن يقيدى أحد .. أكره أن يلاحقنى أحد
.. أكره هاشم فى هذه اللحظة ..
وئمت نوما أرقا ..
صليل القيد يزعجى ..

وفى الساعة الحادية عشرة صبادنا ، سمعت صوت كلاركس
سيارة عصام .. ان عصام تعود أن يضغط على الكلاركس بحيث
يخرج نفمة مميزة ، اعرفه بها ..

وبعد لحظات سمعت صوت كلاركس سيارة هاشم .. أر.
هاشم يضغط على الكلاركس كأنه يضربه ، فيطلق صوتا مزعجا
كأنه الصراخ ..

وأنا حائرة مني فرفتى .. أحاول أن أقنع نفسى بالا اذهب
معهم .. لا مع عصام ، ولا مع هاشم .. حتى لا اخرج نفسى ..

نم انى لا احب ركوب الخيل .. كل ما هنالك انى احب لبس بنطلون اركوب .. لقد شاهدت مرة اودرى هيبيورن فى احد الافلام - ترتدى البنطلون المخصص لركوب الخيل ، فخرجت من السينما واشترىت بنطلون مثله .. وفى المرات القليلة التى ركبت فيها الخيل سواء فى بيروت او فى القاهرة كنت اصر على ان يمسك المساييس بلجام الحصان ، ويسير بى الهوينى .. لأنى أخاف .. ثم اقضى الوقت كله ممتعة بلبس بنطلون الخيل ..

ورغم ذلك نزلت ابدهم .. مرتدية قميصاً أسود ، وبنطلون ركوب رمادى اللون . وحذاء طويلاً « هاي بوت » يصل الى ركبتي ، ومصنوع من جلد أسود ، ثم تبعة سوداء .. وفى يدى سوط من الجلد ..
كنت رائعة ..

والشىء الثقيل يجتمع على صدرى ، والقيد الحديدى يجرجر فى اقدامى ..

ورفعت يدى التى تحمل السوط ولوحت بها لعصام وانا اصبح على شفتي ابتسامة كبيرة :
— هنـى ..

وكان مع عصام بقية الشلة .. عفاف وعايدة وأسمد وصلاح ..

وأتجهت اليهم .. وتبادلنا صرخات التحية .. ثم اتجهت الى هاشم وأنا أجد صعوبة فى الاحتفاظ بابتسامتى ..
وكان هاشم يرتدى قميصاً مفتوحاً ، قصير الأكمام ، ويلف حول عنقه ايشارباً رمادى اللون منقطاً ب نقط سوداء .. وكان وجهه منجذباً ممتداً .. يبدو انه لم بنم .. وأنه يبدو اكبر .. وشعره اكثـر بياضاً .. كان يبدو كـنه اـحد اللوردات الانجليز ..
القدامى ..

وصاحت ، والحبة ، والحرج الذى أوقعنى فيه ، يمزقنى .. وقلت وانا انظر اليه كائى الومه لانه جاء :

— هل اقدمك لاصدقائى الان ؟

ولم يرد هاشم ..

فتح باب السيارة ونزل منها ، ثم امسك بيدي وانげ بيلى سيارة عصام .. وقدمته اليهم :

— مديقى الدكتور هاشم ..

واعتل عصام واستعد وصلاح ، فى جلستهم داخل السيارة . وقد بدا عليهم الارتكاك ، كان الاستاذ ضبطهم وهم مزوغين من المدرسة ..

وانطلقت عيون عفاف وعايده ، فى شبهة شهنة ، وهما ينقلان نظراتهما بيني وبين هاشم ..

ومد هاشم به وأنخذ يصافحهم واحدا واحدا وهو بيتسـم لكل منهم كأنه يطمئنه .. كانه يقول لكل منهم انه رغم كبر سنه ، فهو منهم .. اليـف .. ثم قال فـى صوت رقيق رزين :

— سيارتى اكبر .. هل ننتقل كانوا اليـها .. بدل ان نذهب فـى سيارـتين ..

وازداد ارتكاك الشبان .. وتمـم كل منهم بكلمة لا معنى لها .. وكل منهم حريص على ان يـدو فـى اشد حالات الادب والاتزان ..

وأطـلت عفاف الى سيارة هاشم .. ثم التفت اليـه بعينـين مبتسمـين وقالـت :

— نـكرة ..

رقـال عصـام وهو يـنظر الىـ كـائـنـه بـسـالـفـي رـايـي ، ثم يـعود وـيـنـجاـ إلىـ هـاشـمـ بـعـيـنـيـنـ مـرـتـكـيـنـ :

— كما تريـد ..

وقلت كائـنـا اجرـؤـهم عـلـى هـاشـم :

— كما تـريـدونـ أـنتـم .. أـنتـم الـأـغلـبـيـة ..

وقالت عـفـافـ وـهـيـ تنـزـلـ مـنـ السـيـارـةـ :

— الـأـغلـبـيـةـ موـافـقـةـ ..

وـاتـجـهـناـ كـلـنـاـ إـلـىـ سـيـارـةـ هـاشـم .. وـأـنـاـ لـاـ اـسـتـطـعـ أـرـفـعـ عـيـنـيـ إـلـيـه .. وـأـتـعـدـ إـلـاـ أـسـيـرـ بـجـانـبـه .. كـائـنـ أـرـيدـ أـنـ اـثـبـتـ لـلـشـلـةـ أـنـيـ لـاـ زـلـتـ حـرـةـ ..

وـجـلـسـتـ بـجـانـبـ هـاشـم .. وـعـنـيـ يـمـينـ جـلـسـ عـصـنـام .. وـفـيـ المـقـعـدـ الـخـلـفـيـ جـلـسـتـ عـفـافـ وـعـاـيـدـهـ ، وـأـسـعـدـ وـصـلـاحـ .. عـفـافـ جـلـسـتـ عـلـىـ رـكـبـتـيـ اـسـعـدـ ، وـمـالـتـ بـجـذـعـهـ وـاسـنـدـتـ ذـرـاعـيـهاـ عـلـىـ مـسـنـدـ الـمـقـعـدـ الـأـمـامـيـ خـلـفـ هـاشـم .. وـشـفـتـاهـاـ تـكـادـانـ تـلـمـسـانـ قـفـاهـ ..

وـسـادـ بـيـنـنـاـ صـمـتـ حـرـجـ فـتـرـةـ طـوـيـلـةـ .. وـعـلـىـ خـدـ هـاشـمـ لـسـةـ حـمـراءـ ، وـيـثـنـيـ عـنـقـهـ دـاـخـلـ يـاقـةـ قـمـيـصـهـ بـيـنـ لـحـظـةـ وـأـخـرـىـ كـائـنـ يـقـامـ شـيـئـاـ يـخـنـتـهـ .. وـعـلـىـ شـفـتـيـهـ اـبـتسـامـةـ بـلـهـاءـ لـاـ مـعـنـىـ لـهـ .. لـطـهـ كـانـ اـشـدـنـاـ حـرـجاـ ..

وـانـطـلـقـتـ عـفـافـ قـائـلـةـ ، وـشـفـتـاهـاـ قـرـيبـتـانـ مـنـ قـفـاـ هـاشـمـ :

— سـمـعـتـ عـنـكـ كـثـيرـاـ يـاـ دـكـتوـرـ مـنـ اـصـدـقـائـيـ الـمـصـرـيـينـ .. اـنـكـ مـشـهـورـ ..

وـقـالـ هـاشـمـ وـصـوـتـهـ مـخـنـقـ :

— مـتـشـكـرـ ..

وـعادـتـ عـفـافـ تـقـولـ وـصـوـتـهـ يـزـغـرـدـ :

— لـقـدـ كـتـتـ مـرـةـ اـسـتـدـعـيـكـ .. اـصـبـتـ بـالـمـ شـدـيدـ فـيـ مـعـدـتـيـ

.. وفكت المشرفة على بيت الطالبات ان تتصل بها .. ان
 عيادتك قريبة جدا من بيت الطالبات .. هكذا قالت ..
 وقال هاشم كأنه يخاطب سيدة كبيرة :
 — الحمد لله اتنا التقينا بلا مرض ..
 والفت الى كأنه يرى تأثير كلامه على .. كأنه يستفيت
 بي لاسعاده على الكلام ..
 وعصام جالس بجانبى مؤدب غاية الادب .. واسعد وصلاح
 يتهمسان .. ثم تلتفت العيون كلها فوق وجه هاشم ..
 كما نشعر كأننا تلاميذ فى رحلة مدرسية بصحبة الاستاذ ..
 ثم ارتفع صوت عايدة تغنى أغنية هنرى ماسياس : « لتد
 تركت وطني .. تركت بيتي .. تركت حياتى .. حياتى البائسة » ..
 ثم اعقبتها بأغنية « الحقول الخضراء » ... وشاركتها
 جميعا فى الغناء .. وهاشم صامت .. يصفر بشفتيه حينا
 مصاحبا للحن الذى تغنى .. ثم يعجز عن متابعة اللحن ،
 نيسكت .. ويكتفى بان يتمتم بشفتيه بصوت غير مسموع ..
 وأحس به يضيع .. ويضيع .. لا .. انه يذوب .. يكاد يتلاشى
 .. ولا يرده اليها الا عفاف عندما تهتم به مرة ثانية ، وتحاول
 ان تجذبه الى حديث معها ..
 .. ووصلنا الى الهرم ..
 .. ونزلنا من السيارة ..

وحرصت الا اسبر بجانب هاشم .. تركته يسير بجانب
 عفاف .. وانا انظر اليه نظارات مختلسة .. وخيل الى ساعتها
 ان قامة اقصر مما كنت اتصور .. ولاحظت ان ساقى بنطلونه
 واسعتان .. على الطراز القديم .. ربما لو ضيق ساقى بنطلونه
 لبدا اطول قامة .. واكثر اناقة .. ثم وجدت نفسى اثارن بينه

وبين عصام .. وخيل الى ساعتها انه اكبر سنا مما كنت اعتقد .. رأيت التجاعيد تحت عينيه لاول مرة .. ورأيت نقطا سوداء صغيرة فوق يديه ، وبجانب انفه ، لم اكن اراها من قبل .. وجلد عصام مشدود .. نظيف من النقط السوداء .. اف من هذا المجنون هاشم ، لماذا وضع نفسه في موقف جعلنى اقارن فيه بيبيه وبين اى رجل آخر .. انى لم افكر من قبل ان اقارن بيبيه وبين آخر .. لقد كنت معجبة به الى حد انى اعتدت انه لا يمكن ان يقارن بآخر .. انه مجنون .. انه يضيعنى ، ويضيع نفسه ..

واقترفت مني عفاف وهمست في اذني :

ـ «دبّوك بيجن .. يبدو انه شخصية ..

ولم ارد عليها .. ولكنني تمنيت ساعتها ان تأخذه وتبتعد به عنى ، لتخليصى من هذا الحرج الثقيل الذى يجثم على صدرى .. لتحررنى من قيده .. لانطلق لا مبالية كما تعودت ..
وبدأنا فركب الخيل ..

ونظر الى هاشم .. ثم تردد قليلا .. وامتنع الحصان .. لعلة لم يركب حصانا من قبل .. ان طريقته في الارتفاع فوق ظهر الحصان تدل على انه لم يركب من قبل ..

وابتسمت له ..

ابتسامة لا معنى لها ..

وركبت حصانى ، ونبهت على صاحبه الاعرابى الا يترك اللجام من يده .. نبهت عليه بصوت عال ، فاني لا اخفي انى اخاف الخيل ..

وسارت بنا الخيل في خطوات بطيئة .. وهاشم يقبض على اللجام بيده ، ويمسك بيده الآخرى حافة السرج ، حتى لا يقع .. وما كدنا نصل الى الصحراء الواقعة خلف الهرم ، حتى

اطلق عصام العنان لجواده .. رمح به .. ورمح خلفه اسعد
وصلاح .. فى شبه سباق .. وهللت البنات .. وهللت معهن ..
ونحن نرقب الشباب يرمي بالجیاد فى نظرات مبهورة ..

والحسان الذى يركبه هاشم يكمل .. ويدب بقدميه ..
ويهز عنقه فى عصبية يريد ان يلحق الجیاد الذى تجرى .. وصاحبـه
الاعرابى واقف بجانبه يحاول ان يهدئه ، ويقبض على لجامـه
بقوة ..

والتفت الى هاشم ..
ولحنى ابتسم له ..

كنت ابتسم له اتسامة احاول ان اقول له بها انى معجبة به
رغم انه لا يرمي بجواده .. اتسامة احاول ان اخفى بها عنه ..
حتى لا يندفع فى تقليد الشبان ..

ولذن .. لعل هاشم لم يفهم اتسامتى .. لقد ظل ينظر الى ..
.. ثم ينظر الى عفاف وعايدة .. ثم امتلا وجهه بتصميـم هائل ،
والتفت الى الاعرابى الذى يمسك بجواده ، وصرخ فيه :
ـ دع الحسان ..

ـ وترك الاعرابى لجام الحسان من يده .. واذا بالحسانـ
ينطلق كالصاروخ ليلحق بالجیاد الذى تجرى .. وهاشم فوقـه
يرتفع وينخفض .. ويميل الى الامام ، والى الخلف .. انه يبدوـ
ككيس من القطن نوق ظهر سيارة فقدت فراملها ..
وصرخنا فى جزع ..

وصرخ الاعرابى صاحبـ الحسان :
ـ الحسان جمع ..

ثم طلب منى ان انزل عن حسانـى ، ليركبه ويلحق بالحسانـ
الجلـع ..

ونزلت .. وانا اكاد اموت من الهلع على هاشم .. وعايدة
وعفاف يصرخان .. والحسنان يبتعد بهاشم .. ويبتعد .. وفي
كل لحظة يخيل اليها ان هاشم سيقع من فوقه ويموت .. والدموع
تنجتمع في عيني .. ليست دموع شفقة .. ولكنها دموع غيظ ..
لماذا يعرض هاشم نفسه لكل هذه البهيمة .. يعرض نفسه الى
حد الموت ..

وتعدي حصان هاشم بقية الخيل .. واصبحت بقية الخيل
تجري وراءه لتوقفه .. واختفى الجميع عن اعيننا ..
وأنا ابذل جهدى حتى لا تنهمر دموعى ..
وقلبى يضطرب ..
كلى مضطربة ..

وبعد اكتر من ربع ساعة ، رأينا الجميع يعودون ..
هاشم على ظهر جواده ، والأعرابى يمسك بلجامه .. ومن
حوله عصام وأسعد وصلاح ، كل منهم يركب جواده .. والجباد
كلها رؤوسها منكسة كأنها تسير فى موكب الهزيمة ..
ونزل الجميع أمامنا من فوق ظهور الخيل ..
، وساعد الأعرابى هاشم وهو ينزل من فوق ظهر جواده ..
وكان وجهه مجدها طفت الصفرة على سمرة .. وعيناه مضطربتان
.. وشفتاه جافتان .. وقميصه خارج من بنطلونه .. والإشارب
الذى يلفه حول عنقه طائح فى الهواء .. وقال وهو يساوى
قميصه وبحاول ان يسبطر على اضطرابه :
— تجربة لا بأس بها .. وقد سبقتهم ..
ومرت برهة لم يرد فيها أحد عليه .. كنا لا ندرى ماذا نقول
.. ثم قالت عفاف وهى تفتسب ابتسامة :
— كنت رائعا ..

وافتريت من هاشم وسرت بجنبه صامتة ، كأنى خفت سامتها
ان يرتكب حماقة أخرى .. ثم همست :

— لقد خفت عليك ..

قال في حدة كأنه مفتاظ من نفسه وكأنه يسكنى :
— لا تخافي .. انى اعرف ما افعله ..

وصمم هاشم على ان يدفع ايجار الخيل لنا كلنا .. صمم
في حدة ، كانه وجد شيئا آخر يتغوق فيه على بقية الشبان ..
ولم يدر انه كان يفسد الروح التي تربطنا جميعا .. وانه يزداد
بعدا عنا .. فقد كنا متعددين ان يدفع كل منا حسابه .. حتى
البنات .. كل بنت تدفع حسابها ..

ودخلنا فندق مينا هاوس لتناول الغداء .. وشرب هاشم
بيرة .. شرب كثيرا .. وحاولنا ان نشتراك جميعا في حديث
واحد .. كل منا يبذل مجهودا حتى يختار موضوعا يشرك فيه
هاشم .. وهاشم كان يبذل مجهودا اكبر ليختار موضوعا يهمنا
.. وكان هذا المجهود يجعل من حديثنا مفعلا سخيفا
تضيق به صدورنا .. وهاشم يشرب حتى ينسى الحماقة التي
ارتكبها .. ونحن لا نحاول ان نذكره بها ، رغم انها في راس كل
منا .. ومن يدرى لعل الشبان والبنات كانوا يسخرون منه بينهم
ويبين أنفسهم ، ولعل حماقته ستكون حديث كافيريا هيلتون بعد
لحظات ..

وتعبرنام هذا الافتعال ..

وجدنا انفسنا نتحدث في مواضع نهمنا وحدنا .. نتحدث
عن اصدقائنا .. وعن حفلاتنا .. وعن اخبار بيروت .. وهاشم
وحده .. يشرب البيرة .. ثم يتتبه احدنا الى انه وحده فيحاول

ان يشركه فى حديث .. ثم نجد انفسنا نعود الى الحديث الذى
يبعده عنا ..
لعلى بالغت ..

فإن هاشم رغم كل ما يبعده عنا ، كان فيه شيء يجذبنا إليه .. كل الشبان والبنات وجدوا فيه شيئاً جذاباً .. ولكنه ليس الشيء الذي يمكن أن يجعله واحداً منا .. أو يجعل رأسه من مستوى رؤوسنا .. إنه الرأس الوحيد بينما المتموج بالشعر الأبيض ..

وتصم هاشم أيضاً على أن يدفع حساب الغداء ..
وتركتاه يدفع ..
وعدنا إلى السيارة ..

وكنت أعتقد أن هذه التجربة ستقنع هاشم بأنه لا يمكنه أبداً مشاركتي في أصدقائي .. تقنعه بأنه لا يستطيع أن يعيش في عالمي .. كنت أعتقد أنه استنسخ عقول هؤلاء الشبان والبنات .. وتصرفاتهم .. ولكننا بداعنا نتحدث في السيارة عن قضاء السهرة في الاستریو .. فإذا هاشم يدعونا إلى أن تكون معه .. ورفضت .. ولكن بقية الشلة قبلت .. وكان أكثرهم حماساً .. عناف .. والدوا على حتى قبلت .. قبلت خفت أن اترك لهم هاشم وحده .. أن أتركه لعناف ..
وذهبنا في المساء ..

وتعتمدت أن أبدو كبيرة .. أكبر من عمري .. وأكبر من بقية البنات .. ورقضنا ..

وكنت أخصوص كل الرقصات الهايئة لهاشم .. وهاشم عندما يرقص هذه الرقصات الهايئة احس كأنه اذوب في صدره .. لم اشعر أبداً بأنني اذوب في صدر أحد إلا عندما رقصت مع هاشم

.. انه يرقص فى رقة .. وشـموخ .. وروعـة .. واحس ..
كانـه يحملـنى بذراعـيه القويـتين فوقـ سـلم من المـوسـيقـى الى عـالـمـ ..
بعـيد .. بـعـيد .. سـاحـر ..

ولعلـى لـست وـحدـى الـتـى أـحـبـبت أـرـقـصـ مـعـهـ هـذـهـ الرـقـصـاتـ
الـهـادـئـةـ .. لـقـد قـامـتـ عـفـافـ تـرـقـصـ مـعـهـ، فـرـايـتهاـ بـعـدـ لـحظـاتـ تـكـادـ
تـختـفـىـ فـىـ صـدـرـهـ .. وـرـأـسـهاـ مـائـلـ فـوـقـ عـنـقـهـ .. وـعـيـنـاـهـاـ
مـغـمـضـتـانـ ، كـانـهـاـ هـامـتـ ..
وعـذـرـتـهـا ..

وـكـنـتـ لـيلـقـهـاـ أـرـقـصـ الرـقـصـاتـ السـرـيعـةـ معـ بـقـيـةـ اـمـرـادـ الشـلـهـ ..
الـتـوـيـسـتـ .. الـبـاسـانـوـغا .. وـالـشـكـنـ .. وـكـنـتـ خـلـالـ رـقـصـيـ ..
الـمـحـ هـاشـمـ وـهـوـ يـخـطـرـ إـلـىـ كـانـ عـيـنـيـهـ سـتـقـزـانـ لـتـصـفـعـانـ ..
نـتـرـتـبـ خـطـوـاتـ .. كـنـتـ أـحـسـ بـالـحـرجـ وـاـنـاـ أـرـقـصـ التـوـيـسـتـ اـمـامـهـ ..
.. وـابـذـلـ حـتـىـ أـنـسـيـ وـجـودـهـ .. حـتـىـ لـاـ تـضـيـعـ خـطـوـاتـ ..
وـهـاشـمـ يـشـرـبـ ..
وـيـسـكـىـ ..

وـقـالـ لـىـ وـاـنـاـ جـالـسـةـ بـجـانـبـهـ :
— مـقـىـ سـتـعـلـمـيـنـنـىـ التـوـيـسـتـ ..
قـلـتـ وـاـنـاـ أـبـتـسـمـ لـهـ :

— لـنـ اـعـلـمـ ..
قـالـ ..

— لـمـاـذاـ ؟
قـلـتـ :

— لأنـهـ لاـ يـلـيقـ بـكـ .. انـكـ خـيـرـ مـنـ يـرـقـصـ الرـقـصـاتـ الـهـادـئـهـ ..
قـالـ وـهـوـ يـتـنـهـدـ :
— لأنـيـ عـجـوزـ ..

قلت :

— لا ... فقط لاته لا يليق بك ..

قال مى ضيق :

— انك دائمًا تذكریننى بانى عجوز ..

— قلت وأنا مشفقة عليه :

— لفت لست عجوزا .. انت رجل .. ورجل رائع ..
والتویست يفقدك روحك .. وبالمناسبة يجب ان تضيق سیقان
بنطلونك ..

وقال وكأنه طفل عنيد :

— لا .. لن أضيق سیقان بنطلوني .. أما أن أعجبك هكذا
او لا أعجبك ..

قلت مبتسمة :

— تعجبني ..

ثم قمت لارقص التویست مع عصام وتركته يشرب كأسه ..
ونجاءة رأيته أمامى في حلبة الرقص يرقص التویست مع
علف ..

انه يهتز كأنه أصيب بحمى الملاريا .. حركاته في ناحية ،
والموسيقى في ناحية أخرى .. انه يبدو سخينا .. ومضحكا ..
كمهرج السيرك .. يبدو وكأنه نجوى فؤاد في رقصة شرقية ..
وعفاف اللعينة ترقص أمامه كأنها تحاول ان تجعل منه قردا
يقتلدها .. وانا اكره الذين يرقصون دون ان يجيدوا الرقص ..
انهم كالذين يغدون بصوت نشاز .. مزعجين .. سخفاء ..

ووجدت نفسي أصرخ في وسط حلقة الرقص :

— هاشتم ..

— والتلت الى في دهشة ..

وتملكت اعصابي ، ووضعت يدى على راسى ، وقلت :

ـ انى متعبة .. خذنى الى البيت ..

وكانت هذه الطريقة الوحيدة لامنعي من ان يجعل من نفسه
مسخا يضحك عليه الناس .. ويضحك عليه اصدقائى .. وتضحك
عليه عقاف ..

ومن يومها قررت ان اكتب عليه حتى امنعه من مطالباتى
بان اشركه فى عالمى ؟ وأن يصبحنى مع اصدقائى ..

وأصبحت اخفى عليه انى خارجة مع اصدقائى ، وادعى انى
مدعوة مع عائلة محبى الدين فى بيت احدى العائلات اللبنانية ..
لم اكن اكتب من قبل .. كنت معتزة بشخصيتي وحربي الى
حد يغنى عن الكذب ..

هاشمش علمنى الكذب ..

علمنى الكذب حتى انقذه ..

انقذ الطفل الضعيف الذى يتعلق بي ..

★ ★ ★

وفى كل هذه الايام كان افراد عائلة محبى الدين لا ي肯ون
عن ملء اذنى بحديثهم عن الخراب الذى لحق بهم نتيجة تأميم
ممتلكاتهم .. ولم ادر سر الحاحهم على " بهذا الحديث " ، رغم انهم
تبينوا انى لا اهتم به .. ولا اهتم بالسياسة .. ولا احاول ان
افهم لماذا اخذت الحكومة ممتلكاتهم .. بل لعلهم عرفوا من كلامى
انى احب جمال عبد الناصر .. احبه دون ان احاول فهم سياسته
.. احب وجهة الاسمر القوى .. وأحب مظاهر بطولته .. انه
يطلق خيالى الى عالم من البطولات .. اشبه بالقصص التى
اقرؤها او اشاهدها فى السينما ..

ورغم ذلك فهم لا يكفون عن حديث التأمين والسياسة ،
والظلم الذى حاقد بهم ..

وقلت مرة لـ محمد محيى الدين عميد العائلة :
— لماذا لا تعود الى لبنان وتبدأ هناك من جديد ..
قال وهو يكاد يبكي :
— كيف أبدا بلا رأسمل ؟
قلت :

— بع ما بقى لك فى مصر ، وأبدا به فى بيروت ..
قال

— أو استطعت ان انقل اموالى ، لذهبت ..
وقالت زوجته طنط لولى :
— لو سمحوا لي ان انقل مجوهراتى فقط ، لذهبنا كلنا الى
بيروت ..
قلت :

— ولماذا لا يسمحون لكم ..
وقال محمد محيى الدين :
— الانهم لا يريدون لنا أن نعيش .
قلت :
— لماذا ؟

قال وهو يمسح دمعه :
— لأننا لبنانيون .. تصورى يا رحاب .. لقد جئت الى هذا
البلد وانشأت فيه أول مصنوع لللأنثيوم وشغلت عشرات العمال
.. فتحت مئات البيوت .. ورغم ذلك أخذوا كل شيء ..
ونظرت اليه كائنا لا أصدقه ..
— لا يمكن ..

لابد ان هناك سببا اجهله لكل ذلك ..

وقال رفيق زوج ودى وهو يسلط على كل عينيه .. ولا ادرى
لماذا احس كلما نظر الى رفيق انى ذبابة تقاد نسقط بين خيوط
العنكبوت .. قال :

— الدكتور هاشم يستطيع ان يساعدنا ..

قلت في دهشة :

— كيف ؟

قال ونظراته تسيل لزجة خيوط العنكبوت :

— يستطيع ان بنقل اموالنا الى بيروت ..

قلت :

— قد لا يرضى منه

قال وابتسمته تسيل على شفتيه :

— انه لن يعلم منه

وفتحت عينين متسائلتين ..

وقرب رفيق متعده مني ، وقال وصوته كالفحيج :

— اسمع يا رحاب .. هذه الفقد لم نسرقها .. لقد
جمعناها بعرقنا فى عشرات السنين .. نحن لم نسرق احدا ..
لم تجن على احد .. ولكن هذه الحكومة تريد ان تسرقنا ، وتتجنى
 علينا .. وكل ما نستطيع ان نفعله هو ان نهرب بما بقى لنا ..
والدكتور هاشم هو الوحيد الذى نعرفه الان ، ويستطيع ان ينقذ
اموالنا ، دون ان يشك احد فيه ..

قلت وخيط العنكبوت يلتف حول عنقى ، وعيرون العائلة
سلطة على كأنها أنوار كثافة كأنها تلاحتنى :

— لا انهم شيئا ..

وعاد رفيق يقول :

— الم يقل لك الدكتور هاشم انه سيسافر الى لبنان ..
قلت :
— نعم .. سيبقى الى بيروت بعد ان أسافر أنا ..
قال ونظراته الخبيثة القوية تكاد تتشل نبضات قلبى :
— كل ما نريدنه ان يحمل لنا معه حقيقة ..
قلت كأنى بذات افهم :
— فبها أموالكم ومجوهرات طفظ لولى ؟
قال وهو يرخي عينيه المתוتفتين :
— نعم ..
قللت :
— ولماذا لا احملها أنا ؟
قال كأنه يتهمنى بالغباء :
— لأنك معرضة للتفتيش فى الجمرك .. انهم لا يرحمون
اللبنانيين ..
قللت :
— ولكن هاشم يجب ان يعلم ..
قال :
— لو علم .. سيرفض .. وقد يبلغ عنا الحكومة ..
قللت :
— اذن .. ماذا سنقول له ؟
وقال ونظراته اللزجة تسيل من عينيه :
— تسافرين الى بيروت .. وتقولين انك نسيت احدى
حقائبك .. وتطلبين منه ان يحملها لك عندما يسافر الى بيروت ..
هذا كل ما فى الامر ..

وذكرت برهة .. ثم خبطة على المائدة بيدي فى عصبية ،
وقلت :

— ولكن لماذا .. لماذا .. لماذا لا يسمحون لكم باخذ اموالكم
ما دمتم لم تسرقوها ؟ ..

وقالت طنط لولى :

— لأنهم يكرهوننا ..

وقال محمد محيى الدين :

— يحقدون علينا ..

وقال رفيق :

— انها ثورة والثورة لا تعرف الحقوق ولا القانون .. تعرف
طنط ما تريد .. وهى تريد اموالنا ..

والتفت الى الوجه البائسة التى تحيط بي .. واحسست
بالشنقة عليهم ..

وعلمت الذبابة فى خيوط العنكبوت الذى نصبها لها رفيق ..
خيوط خيل الى انها خيوط الشفقة ..
وطنط لولى تبكي ..

ومحمد محيى الدين ينهد كأنه يلقط آخر انفاسه ..
ورفيق يلقى بنظراته الخبيثة حول عنقى .. وابتسامته تسقط
كأنه يقبل بها قدمى ..

وطنط نازلى راقدة مسلولة استمعها وهى تصيح .. سنية
.. سنية .. كانى استمعها بتنهى الى الموت ..

وطنط بيى تتوكأعلى عصاها الابنوس ذات المقىض النفى ،
وتتصدر اوامرها كانها تحرك جيوشا من الوهم ..
ودودى زوجة رفيق تصنع فى غرفتها تماثيل من الطين ..
انها مجنونة .. لعلها جنت بعد ان اخذوا اموالها ..

وقدمت ودخلت غرفتي ، ورقدت فى سريري ، وخيالى يصور
لى انى بطلة اقوم بمحاجمة كبيرة لإنقاذ هذه العائلة .. وتذكرة
قصة « الزهرة القرمزية » التى كان البطل فيها يقوم بتهريب
أفراد العائلة المالكة أثناء الثورة الفرنسية لينقذهم من المصلحة
.. وتصورت نفسى كائناً الزهرة القرمزية .. كنت ذبابة وقعت
على خيوط العنكبوت ..

بدأت اتقن شخصية جديدة ..

شخصية بطل قصة « الزهرة القرمزية » الذى كان يقوم
بتهريب أفراد العائلة المالكة أثناء الثورة الفرنسية ..
الشخصية التى ستقوم بتهريب اموال عائلة محى الدين الى
ابنان ..
تهريب !!

لا .. لم تكن تخطر بيالى كلمة « تهريب » .. لم احس بانى
مقدمة على ارتكاب جريمة .. ابدا .. لم يخطر بيالى انى ارتكبت
جريمة .. لم احس باحساس الجريمة .. كنت احس باحساس
البطولة .. أنا بطلة .. اقوم بمحاجمة كبيرة .. احساس نصبه
حولى رفيق زوج ابنة محى الدين .. كما ينصب العنكبوت خيوطه
اللزجة ليصطاد بها فبأبة ..

وكلن احسناستا متألقة .. بطولة ليست لها دواع ..
لم اشعر بان لى ايمانا سياسيا ، او عقيدة سياسية تدفعنى الى
هذه البطولة .. حتى شفقتى على عائلة محى الدين ، لم تكن
من القوة بحيث تدفعنى الى هذه المحاجمة .. بل انى لو تمتعت
أبامها فى حقيقة شعوري ، اكتشفت انى لم اكن اشتفق على عائلة
محى الدين .. ان حالتهم ليست من القوة بحيث يستحقون
الشفقة .. لا يزالون يملكون الكثير .. يسكنون فى قصر ..

و عندهم سياراتان .. و يحتفظون في خزائن البيت بثروة كبيرة ..
بجوهرات أكثر ..

ورغم ذلك فقد بهرنى هذا الاحساس بالبطولة ..

سلكى ..

سيطر على خيالى ، كما يسيطر العنكبوت على الذبابة ..
انه احساس جديد على ، لم تنبض به اهصابى من قتل
.. احساس يلهبى عن نفسي ، وينقض عن غبار السالم الذى
دات اشعر به فى القاهرة .. انه الاحساس بعالم جديد يتفتح
امامى .. دور جديد اقوم بتمثيله .. نفس احساسى عندما
اكتشفت عالم المتفقين الذين يملئون المقاهى التى تحيط بالجامعة
الأمريكية فى بيروت .. نفس احساسى كلما عرفت شابا جديدا
و حاولت ان اكتشفه واكتشف احساسى نحوه .. احساسى
عندما عرفت هاشم ..

كنت ايامها اشبه بفتاة خرجت من السينما بعد ان شاهدت
رواية سقطت على خيالها ، وتظل بعدها ساعات وهى تعيش
دور البطولة ..

وقد كنت احس بكل ذلك ..

احس بانى امثل ..

امثل دور البطلة ..

وكان هذا الدور يتطلب منى ان ادعى نوعا معينا من الذكاء
.. ذكاء حاد اقرب الى الخبث .. وكان يتطلب منى ان اضع
في عينى نوعا جديدا من النظارات .. نظرات كالتى تنطلق من
عيون المتأمرين .. وكنت كلما جلست مع رفيق ليحدثنى عن الخطة
التي ستنفذها ، اشعر بهذه النظارات في عينى .. اشعر بها كأنها

تنطلق من عيني فتاة اخرى غيرى .. من عينى ممثلة تقوم بتمثيل
دور البطولة فى احد الافلام ..

وكان هذا الدور يتطلب منى ايضا ان اكون فتاة منافقة ..
انافق هاشم .. لم اعد صريحة ، قوية ، منطلقة كما كنت ..
تركته يحسن .. وتركته يقتنع انى احبه .. احبه على طريقته ..
لا على طريقتى .. وامتنعت فعلا عن الخروج مع اصدقائى
اللبنانيين حتى لا يفسب .. وأصبحت احاديثه فى التليفون اكثرا
من عشر مرات فى اليوم .. او قطه من النوم لاقول له : صباح
الخير .. واهمس فى اذنه قبل ان ينام : تصبح على خير ..
كما كانت تفعل معه البنات المصريات ..

وكنت اكره ، نفسي وانا انافق ..
احس بانى لست انا ..

احس بانى ضائعة .. كأنى فتاة اخرى لا اعرفها ..

بل كانت تمر على لحظات انور فيها على هذا الدور الذى
امثله .. احس انى احمل طبيعتى اكثر مما تحتمل .. ولكنى لا البت
ان اعود الى التمثيل ، كأنى لا اجد لعبه اخرى العب بها ..
تعود النبابة وتستسلم بين خيوط العنكبوت ..
وهاشم يزداد ضعفا نحوى ..

الضعف فى عينيه المبتلهتين .. وفي شفتيه المرتعشتين ..
وفى قبلاته التى لا تكف عنى وكأنه لم يعد يستطيع ان يتنفس
 الا من شفتى ..
قبلاته !!

لقد افسدتها ..

لم اعد استطيع ان اهيم فيها .. لم اعد اشعر بها كشعاع
من شمس القاهرة يلسعنى ..

انى استنطط لقبلاته ، وعقلى كله صاح .. واعصابى مشدودة
.. أناق .. يا رب .. ماذا أفعل بالرجل الذى يحبنى .. وماذا
أفعل بىنفسى ..

وكان هاشم يشعر أحيانا كثيرة بأنى لا أهيم معه فى قبلاته
.. وقال لي مرة ونحن جالسان فى سيارته نوق قمة المقطم :

— هل كل بنات لبنان باردات مثلك ؟

قلت وأنا أدعى الغضب :

— لست باردة .. ولكنك تحاول ان تذيب عقلى .. حاول
مرة ثانية !

واعطيته شفتى .. كانى اعطي لطفلى شيئا يسكته ..
وتركته يضحي اليه فى قسوة .. ويعيث فى شعري بأصابعه
.. ويمسح على ظهرى بكله .. وعقلى لا يذوب ..

ورفضت أيامها ان اذهب معه الى شقته .. حتى لا اضطر
ان اعطيه اكثر .. واستسلم اكثر .. انى استطيع ان أناقنه
ونحن فى الهواء الطلق .. ولكنى لا استطيع ان أناقنه ونحن فى
الشقة . وقلت له وهو يلح علىـ ان نذهب الى هناك :

— اين الجدران تخنقنى ..

قال :

— انها تقرئنى مثلـ ..

قلت :

— لقد قربت بينك وبين عشرات البنات ، ولا اريد ان اكون
واحدة منها ..

قال :

— انك لا تريديننى ..

قلت وأنا ابتعد عنه :

— لا يريدك كما أرادتك أى فتاة أخرى .. أريدك لعنة وقلبي .. والجدران تخنق عقلى وقلبي ، ولا تبقى مني إلا جسدي ..

قال وهو يقتسم لى في ابتهال :

— ولكن جسدك هنا أيضا .. إنك عندما تقبلينى تعطينى قطعة من جسدك .. وعندما تلفين ذراعك حولى ، تلفين قطعة بـ جسدك .. إنك عقل وقلب وجسد .. وأنا أيضا ..

قلت وأنا أنظر اليه كأني أرده الى عقله :

— هاشم .. لقد ذهبنا الى هناك مرة ، وشعرنا اننا سخفاء .. إنك هناك تقاوم شيئاً تريده .. وأنا أيضاً أقاوم هذا الشيء الذي تريده .. ولكننا هنا لا نقاوم .. إنني هنا لا أشعر بأنى أقاومك .. وأنت لا تشعر بأنك تقاوم نفسك .. إننا هنا أكثر انطلاقاً وأكثر جمالاً ..

قال في يأس :

— كنت اعتقاد إنك أكثر تحررا ..

قلت ؟

— أنى أكثر تحررا مما تعتقد .. التحرر هو أن أكون صادقة مع نفسي .. وثق أنى صادقة مع نفسي عندما أقول لك أن الجدران تخنقنى ..

وسكوت هاشم ..

لعله لم يقتض .. ولكنه سكت ..

وأنا مندفعه فى استكمال خطة تهريب أموال عائلة محى الدين الذى أثارت فى هذا الاحساس بالبطولة الساذجة .. ثم الدين .. وأشعر أحياناً بآنى أكره نفسي .. وأكره عائلة محى الدين .. أعود وأندفع .. خيوط العنكبوت تشتدنى ..

وتنات لهاشم مرة كأنى احاول ان اقتنعه بان يشتراك معي
فى عملية التهريب بدل ان اضطر الى خداعه :

— قل لي .. لماذا تأخذ الحكومة اموال اللبنانيين ؟

قال فى دهشة لسؤالى :

— اى لبنانيين ؟

قلت :

— اللبنانيون الذين اممت ممتلكاتهم .

وضحك هاشم ، وقال :

— الحكومة أخذت اموال الرأسماليين ، سواء كانوا لبنانيين
ام مصربيين .. لم تأخذ اموال اللبنانيين لأنهم لبنانيون .. و يكن
الآنهم رأسماليون ..

قلت في، حدة :

— لماذا .. انها اموال جمعوها بعملهم ..

قال :

— لقد تركت لهم ما جمعوه بعملهم ، وأخذت ما جمعوه
بعمل الآخرين ..

قلت :

— ماذا تعنى ؟

قال وهو يبتسم كأنه يدللنى :

— استمعي .. أنا طبيب .. كل ما اكسبه من عملى حق
لى .. ولكن لو كنت محاميا وفتحت مستشفى وظفت فيه عشرة
اطباء .. مانى استطيع ان آخذ أجرا على ادارة المستشفى ..
ولكن ليس من حقى ان آخذ أجرا على عمل الاطباء العشرة ..
لأنه ليس لي فضل فى هذا العمل ..

قلت وانا ارفض ان اقتنع :

— ولكن الذى يبني مصنعاً يبنيه بأمواله .. وأمواله جمعه ..
من عمله ..
قال :

— لا يمكن أن يبني انسان مصنعاً من عمله .. ولكنه يبنيه
من استغلال الآخرين .. والفرد قد يكسب من عمله مائة جنيه ..
ويستطيع أن يوظف هذه المائة جنيه في بنك فتصبح في عام
مائة واربعة جنيهات .. هذه الاربعة جنيهات هي مكافأة له لأنها
ادخر المائة جنيه .. ولكن المائة جنيه لو أصبحت ثلاثة مائة جنيه
في عام واحد ، فمعنى ذلك أنه سرق عمل الآخرين .. ليس لها
تحليل الا السرقة ..

قلت في حدة كأني خفت أن أتفنع :

— لا أفهم ما تقول .. ولا أريد أن أفهم .. كل ما أفهمه
أن هؤلاء الناس لم يسرقوا ، ولم يرتكبوا جريمة ، ولكنهم جمعوا
أموالهم بعملهم .. ثم جاءت الحكومة وأخذتها ..
قال مبتسماً :

— إنهم يستطيعون أن يعملاً من جديد ، ويأخذوا أبراً على
عملهم .. سواء كانوا لبيانيين أو مصريين .. لا أحد يمنعهم من
العمل .. ولكنهم لا يريدون العمل .. أو لا يكتفون بأجر عملهم ،
ولكنهم يريدون أن يعمل لهم الآخرون ..

ولم أرد عليه ..

ومال على بوجهه وقال :

— لم أكن أعلم أنك تهتمين بالسياسة ..
قلت :

— أنا لا أهتم بها ..

قال :

— انتا فى مصر ، غيركم فى لبنان .

قلت :

— الناس فى لبنان سعداء ..

قال :

— وفي مصر سعداء

قلت :

— لا .. فى مصر تأخذ الحكومة اموال الناس ..

قال :

— بعض الناس .. لتعطيها الآخرين احق بها منهم ..

قلت :

— هذا ما تسمونه اشتراكية ..

قال :

— نعم ..

وهزرت كتفى وقلت :

— لا يهمنى .. لا اريد ان افهم ..

ولم يكن هذا صحيحا .. فقد كنت اريد ان افهم .. ولكنى لم استطع .. وكلام هاشم ملا راسى بضباب كثيف لم اتبين من خلاله شيئا .. واشتدت حيرتى .. الحيرة بين احساسى بالظلم الذى وقع على عائلة محيى الدين ، ومحاولتى البحث عن تعليين يبرر تأميم ممتلكاتهم ... وفي محاولتى الهرب من هذه الحيرة اندفعت اكثر في تمثيل دور البطلة التي تنقذ العائلة المنكوبة .. افتعل الذكاء الحاد .. وأضع في عيني نظرات التأمر .. وأعمال هاشم بنفاق خبيث .. وكل افراد عائلة محيى الدين يعاملوننى كائنى بطلة فعلا .. كائنى جان دارك .. القديسة التي ارسلتها السماء لانتقادهم .. عيونهم ساجدة تحت اقدامى .. ومطالبى

كأنها القدر .. ودموع طنط لولى تلاحقنى .. وتنهدات محمد محيى الدين تملاً أذنى .. ووجه طنط نازلى المريض ، يطل علىـ كأنه بيتهل لى ان ارد اليه الحياة .. وطنط سلى الذى تدب بعصابها وتصدر الاوامر لجيوش الوهم ، تستكين امامى فى ذل وخضوع .. حتى دودى المجنونة التى تكرهنى ، أصبحت تتمسح فى كأنها القطة الاليفة ..

ورفيق العنكبوت يلقط خيوطه اللزجة حول خيالى ليحتفظ باحسانى كبطلة ارسلتها السماء لإنقاذ الجالية اللبنانية فى مصر .. وبدأ يتفق معى على الخطة التى سأقوم بتنفيذها ..

وكانت الخطة تتضىء بأن تعد حقيقة فيها جيوب سرية تخبا فيها الاموال والمجوهرات التى ستتهرب .. ثم أحمل هذه الحقيقة ضمن حثائى وانتقل الى فندق هيلتون لأقيم فيه يومين قبل ان أسافر الى لبنان .. وعندما أغادر الفندق اعتمد ان انسى فيه الحقيقة ذات الجيوب السرية .. وبعد ان اصل الى بيروت مباشرة ، اتصل من هناك بهاشم بالتلليفون ، ابلغه انى نسيت احدى حثائى فى فندق هيلتون واطلب اليه ان يذهب الى هناك وبتسامها .. وفي نفس الوقت ارسل برقية الى ادارة الفندق اطلب تسليم الحقيقة الذى نسيتها الى هاشم .. ثم يحمل هاشم الحقيقة الى لبنان ضمن حثائبه ..

كانت هذه هي الخطة ..

وكان التصدى من انتقالى الى فندق هيلتون قبل سفرى .. هو ابعاد الشبهة عن عائلة محيى الدين فى حالة حدوث اى طارىء ، حتى لا يكشف احدى الصلة بينى وبينهم .. وحتى لو اكتشفت هذه الصلة فى حالة ضبط الحقيقة فان عائلة محيى الدين تستطيع ان تدعى بأنها لا تملك هذه الحقيقة .. أما انا ..

فلا خوف على .. لانى سأكون فى لبنان بعيدا عن بد الحكومة المصرية .. وحتى لو سالونى فى لبنان فانى أستطيع ان ادعى، لانى لا اعرف هذه الحقيقة ، وربما نسيها نزيل قبلى او بعدى كان بقيمى فى نفس الغرفة ..
ولكن ..

ماذا لو عدل هاشم عن السفر الى لبنان الاى سبب من الاسباب ..

فى هذه الحالة ، تقرر ان اعود انا الى القاهرة ، وأخذ الحقيقة ، وأعيدها الى عائلة محيى الدين ..
كانت هذه هي الخطوة ..

خطة محكمة .. ربما كان فيها بعض المجازفة .. وربما روعى فيها سلامية عائلة محيى الدين ، أكثر مما روّعيت فيها سلامتها ..

أخذ رفيق حقيقة صغارء ذات جيوب سرية .. وتحبأ فيها اوراق النند .. حوالى عشرة آلاف جنيه مصرى .. وثلاثة آلاف دولار .. وجنبيات انجليزية .. وفصوص من الماس .. وسبائك صغيرة من الذهب .. انها ثروة كبيرة .. وقد تسائلت ساعتها ، لماذا تشكو عائلة محيى الدين ، وهى تملك كل هذه الثروة .. ولكن تساؤلى ضاع فى بهرة المغامرة .. ثم ملأنا الحقيقة بعد ذلك باشعياء أخرى .. ليست ثيابى .. حتى لا تقوم دليلا على فى حالة ضبطها .. ولكننا ملأناها بقطع، قماش رجالى .. وكرافتات .. وهدايا من خان الخليلى ..

وبعد ذلك تقرر ان انتقل الى فندق هيلتون ..
وحتى اطلع ادارة الفندق على الصلة بينى وبين هاشم ، تقرر ان اطلب منه .. من هاشم .. ان يتلوى هو حجز غرفتي

في الفندق .. واتصلت به بالטלيفون ورفيق واقف بجانبي ..
وقات له انى سأنتقل الى الهيلتون الباقي فيه يومين قبل عودتى
الى لبنان ، لأنى زهقت من الجو القاتم الذى يخيم على بيت محى
الذين .. وقلت له انى اخشى الا اجد غرفة خالية .. فطمأننى
هاشم قائلا انه يعرف مدير الفندق معرفة شخصية ، وسيتولى
حجز غرفة لي .. وبعد دقائق اتصل بي ، وقال ان الغرفة قد
حجزت باسمى .. حجرة رقم ٦٢٥ .

وحملت الحقيبة ذات الجيوب السرية ضمن حقائبى ، وانتقلت
إلى الفندق .. لم يأت معي أحد من افراد عائلة محى الدين
لرافقتى إلى الفندق .. وقفوا كلهم يودعونى على باب البيت ..
وعيونهم تشعل من خلال دموعهم وراء الحقيقة الصفراء .. وقبلتهم
واحدا واحدا وعواطف متباعدة تضطرم في صدرى .. الشفقة ..
الاحترار .. العطف .. التعالى .. الغيط .. عواطف أتوه
بينها .. والاحساس بالملامرة يهزنى .. ولم اركب أبدا سيارة
العائلة ، امعانا في ابعاد الشبهة عنها .. ركبت تاكسي ، حملنى
انا وحقائبى الى الفندق ..

ودخلت الى الهيلتون .. والحقيقة الصفراء تسير ورائي
محمولة على كتف الشيال .. وقلبي يضطرب .. لم اكن ادرى
انى سأ تعرض لكل هذا الاضطراب .. كل هذا الخوف .. كل
هذه الحيرة ازاء مغامرة اندفع فيها دون ان اكون في حاجة
اليها ..

والنفت الى موظف الاستقبال .. ولم استطع ان اركز عيني
في عينيه .. وقلت في صوت مرتعش :
— اعتذر ان الدكتور هاشم عبد اللطيف حجز لي غرفة
عندكم ..

وقال موظف الاستقبال وهو يقلب فى دفتر امامه :

— مني ؟

قلت :

— هذا الصباح ..

ونوافرت عينا الموظف فوق دفتره ، تم رفعها الى وقال :

— الانسة رحاب شمس الدين ؟

قلت :

— نعم ..

وابتسم ابتسامة كبيرة وقال :

— الغرفة رقم ٦٢٥

ثم اخذ جواز سفرى ، واستكمل اجراءاته ، وصحبنى موظف آخر .. ونظرت الى الحقيقة الصفراء قبل ان ادخل المصعد .. ثم عدت وتتجاهلتها بسرعة .. كائنة خشيت ان يضبطنى احد وانا انظر اليها .. وصعد بي المصعد .. وقلبي يصعد الى حلقى ..

ربقيت فى الغرفة بضع دقائق .. وحدى .. لا استطيع ان اجلس .. ولا استطيع ان ادير عينى حولى .. تائهة .. بائسة .. احساس كبير بالبؤس يخنقنى .. ثم انتبهت على صوت تقرات على الباب .. وتدخل الحمالون .. يحملون حقائبى .. والحقيقة الصفراء ..

ودفعت لهم البقشيش ..

لا ادرى كم دفعت ..

لعلى دفعت لهم جنيها كاملا .. فقد رأيت فى عيونهم نظرات كثيرة .. وهممات عالية .. أخفت منها فى الاول .. ثم اكتشفت أنها نظرات شنكر وهممات امتنان .. وبقيت وحدى فى الغرفة .. ادور فيها ، وانا ابحث عن

مكان أضع فيه الحقيقة الصفراء بحيث يمكن أن ادعى أنني
ذئب .. وبحيث لا يكتشف أحد مكانها قبل أن أغادر الفندق ..
واخترت .. وفي كل ثانية من حيرتى ، الععن نفسى لأنى حشرت
نفسى فى هذه المغامرة .. وأكاد أهم بأن أرفع سماعة التليفون
وأتصل بعائلة محيى الدين وأطلب اليهم أن يأتوا ، ويأخذوا
حقيقةهم وبرি�خونى .. ولكنى أحس أنى مقيدة من عنقى بدور
البطلة الذى قررت أن أقوم به .. أحس كأنى ذبابة وقعت بين
خيوط عنكبوت سام .. خيوط الوهم بأنى بطلة إنقذ عائلة مجنية
عليها ..

وقررت أن أضع الحقيقة فى أرضية الدوّلاب الكبير وراء
الضللفة التى لا تفتح .. وحاولت أن أحملها بيدي .. إنها ثقيلة
.. أثقل مما كنت اعتقاد .. وجررتها على الأرض .. بذلت كل
ما فى جسدى الضعيف حتى أجرها .. وشعرى سائل على وجهى
.. والعرق ينضج من كفى .. والكحل يسريح حول عينى ..
وانتهيت ..

ورقدت على نفراش الهش ..
ولكنى لا استطيع ان اهدأ نفسي

احس كأن وراء ضفة الدوّلاب جثة قتيل .. وحاولت أن أقاوم
هذا الاحسان .. ولكنى لم استطع .. لم استطع ان ارقد ..
ولا ان اقف .. ولا ان أجنس ..

ورفعت سماعة التليفون واتصلت بهماشتم ، وقلت كأنى
استفيث به :

— هل استطيع ان اراك الان ؟
قال :

— بعد ساعة ..

قلت :

— من أحتمل الساعة .. أكاد اختنق من الزهق ..

قال :

— بعد عشر دقائق أذن ..

روصعت سماعة التليفون .. وأنا أحس بضعفى .. وأحس بكراهيلى لنفسى لأنى القيت ضعفى على هاشم .. أحس أنى أنا نانية .. استغل حبه ، إلى حد أن ابعده عن مرضاه ليعيتني على ضعفى به ولكن .. أنى مريضة أنا الأخرى .. الزهق مرض .. الضعف مرض .. الأنانية مرض ..

رلم احتمل أن يقضى العشر دقائق فى الغرفة .. نزلت الى بهو الفندق ، وطلبت من موظب الاستقبال أن يحجز لى متعددا فى الطائرة المسافرة الى بيروت بعد الغد .. وأرسلت برقية الى أبي . احدد له فبها موعد وصولى الى بيروت ..

ثم جاء هاشم .. وأخذنى فى سيارته الى مينا هاوس .. ولكنه ما كاد يصل الى هناك .. حتى طلبت منه أن يعود ..

وقلت :

— لا توقف فى أى مكان .. أنت لا أطيق الوقوف .. اطلق سرعة السيارة ..

وقال وهو يلتفت الى :

— أنت عصبية ..

قلت وانا لا انظر اليه :

— أنت دائمًا عصبية عندما اسافر من مكان لمكان .. أحس أني أفقد شيئا .. عندما تركت بيروت أحسست أني فقدتها .. والآن أحس أني على وشك أن أفقد القاهرة ..

رلم يطلق سرعة السيارة .. وظل يقودها ببطء .. وقال
في صوت مرتعش :

— انى اخشى ان افقدك فى بيروت .. هناك اهلك وبليدك
.. وقد احببتهنـى بعيدا عن اهلك وبليدك .. احببتهنـى وانت غريبة
.. وأخاف عـندما لا تشعرـين بالغرابة ان تفـقـدى شعورـك بـحـبـى ..

قلـتـ وـأـنـاـ سـاـمـهـةـ :

— لا اظن ..

قال وضعـهـ يـطـلـ منـ عـيـنـهـ :

— انـ الحـبـ يـشـمـ الـظـرـوـفـ الـتـىـ تـحـيطـ بـهـ .. فـاـذاـ اـخـتـلـفـ
الـظـرـوـفـ اـخـتـلـفـ الـحـبـ .. كـاـنـ جـلـ الـذـىـ يـحـبـ رـاقـصـةـ فـىـ كـبـارـيـهـ ..
اـذـاـ اـبـتـعـدـتـ رـاقـصـةـ عـنـ كـبـارـيـهـ ، وـاصـبـحـتـ سـتـ بـيـتـ ، نـقـدـ
جـبـهـ لـهـ ..

قلـتـ وـاـنـاـ اـنـظـرـ لـهـ وـعـنـ شـفـتـ اـبـتـسـامـةـ عـصـبـيـةـ :

— اـنـاـ لـسـتـ رـاقـصـةـ .. وـالـقـاهـرـةـ لـيـسـتـ كـبـارـيـهـ .. ثـمـ اـنـكـ
سـتـائـىـ اـلـىـ بـيـرـوـتـ .. مـتـىـ سـتـائـىـ ..

— بـعـدـ عـشـرـةـ اـيـامـ .. اـعـدـتـ كـلـ شـىـءـ الـاـكـونـ مـعـكـ بـعـدـ عـشـرـةـ
اـيـامـ ..

قلـتـ :

— نـنـ تـتـاخـرـ ..

قال :

— لـاـ .. لـنـ اـتـاخـرـ .. لـاـ اـسـتـطـيـعـ اـنـ اـتـاخـرـ ..
وـبـنـيـنـاـ مـعـاـ ..

لمـ يـذـهـبـ اـلـىـ دـيـادـتـهـ فـىـ المـسـاءـ .. ظـلـ مـعـهـ حـتـىـ الـرـابـعـةـ
صـبـاحـاـ .. نـجـرـىـ مـعـاـ فـىـ شـوـارـعـ الـقـاهـرـةـ .. وـنـجـلـسـ فـىـ مـكـانـ
.. لـنـقـومـ وـنـجـرـىـ فـىـ الشـوـارـعـ .. وـنـضـيـعـ نـحـنـ الـاثـنـيـنـ فـىـ قـبـلـةـ

.. ثم نفيق لنجرى .. واليوم التالي قضاه كله معى .. والمساء،
أيضا .. ولم نكن مساعدا .. ولكن كان كل منا مشدوداً للأخر ..
كائنا التصدقنا ، والقدر يجري عملية جراحية بدون بنج ليفصل
كلما منا عن الآخر .. وفي كل لحظة يشعر كل منا بأنه يودع
الآخر .. ويشعر بالعملية الجراحية .. ونتكلم حيناً كان
كلما منا يواسى الآخر .. ثم نصمت كائنا قد افترقنا فعلاً .. ونعود
نتكلم بـ .. وأنا أتسائل في كل لحظة .. هل أنا أحبه .. وهل
هذا هو الحب .. أني أشعر باحساس لم أشعر به من قبل ..
هذا الالتصاق لم أشعر به نحو اي رجل آخر .. لعل هذا هو
الحب .. ورغم ذلك فاني اتعجل أن تنتهي هذه اللحظات وأعود
إلى بيروت .. وأنتهي .. وأنتهي من كل شيء .. واستريح
في بيبينا .. او حشنى الحاج عبد الرحمن .. وأمى .. وأختى
.. وففرت في خيالي فجأة صورة الحقيقة الصفراء الرائدة خلف
ضفة الدولاب كجثة القتيل .. والتقت الى هاشم مذعورة كائنة
اخافت ان يلمح صورة الحقيقة في خيالي ..

وافتر نفجأة الا استمر في عملية التهريب .. احس بالذبابية
تحاول ان تخلص نفسها من خيوط الوهم بأنها بطلة .. خيوط
العنبروت التي نصبها حولها رفيق .. ثم أعود واتساعل : هل أنا
احب هاشم ..

وكل هذا ينبعض به احساسي ، وانا بجمادة .. لا اتصرف ..
لا أفعل شيئا .. قرارانى تتواتى بسرعة .. في كل لحظة قرار
يعارض الآخر ..

وقال لي هاشم ونحن جالسان في كافيتريا هيلتون في الساعة
الرابعة صباحاً وقد قررنا الا ننام حتى موعد قيام الطائرة ..
انا التي قررت الا اائم ، خوفاً من بقائي بجانب الحقيقة الصفراء :

— أنى على قدر ما انا خائف ان افقدك فى بيروت .. اريدك
ان تسافرى .. حتى تستطعى وانت بعيدة عنى ان تكتشفى
حقيقة سواطفك ..
قلت وانا مرهقة :

— مهما كانت عواطفى ... فالحقيقة انى اعيش فى لبنان
وانت تعيش فى مصر .. ولن تستطيع ان تعيش معى فى لبنان
... ولا ان اعيش معك فى مصر ..
ونظر الى نجيب ملىء باللوم وقال :
— حتى اذا اكتشفنا الحب ؟

قلت :

— ماذا يجدى الحب ..

قال فى هدوء وهو ينظر فى عينى :

— نتزوج ..

وارتعشت رمotic فوق عينى .. انى لم افكر فى الزواج
من هاشم .. حتى هذه اللحظة لم افكر فى الزواج من هاشم ..
ربما لانى لا افكر نى الزواج اطلاقا .. ولكنه يفكر فى الزواج
.. الى هذا الحد يحبنى ..

وقلت وانا ارخي عينى عنه :

— انا لا افكر فى الزواج .. ليس الان ..

قال فى دهشة كبيرة :

— حتى لو كنت تحببتنى ..

قلت :

— حتى عندما احب .. لا افكر فى الزواج .. أسهل على ان
افكر فى ان اعيش نو، القاهرة ما دمت احبك .. من ان افكرا فى
الزواج ..

قال :

— لماذا .. ما هذا الجنون ..

قلت :

— انى اعتذر لزواج نهاية .. وانا لا احب النهايات ..

قال :

— انه بداية ..

قلت :

— انها نهاية فترة من حياتى لا اريد لها ان تنتهي ..

وخفى راسه وقال :

— هذه اول مرة التقى بفتاة ترفض ان تتزوجنى ..

قلت وانا ابتسם له :

— انبى لا ارفسك انت .. انى ارفض الزواج .. انى اثق
بحبك الى حد انى است فى حاجة الى عقد قانونى يربطنى بك ..
بكفيفنى حبك ..

قال وهو يتنفس :

— ابن تد مستطعى ان تقررى شيئا الا ان .. فى بيروت
ستكتشفين حاجتك الى .. الى حد الزواج ..
قلت :

— من يدرى .. انى اؤمن كما تعلم بالحساس اللحظة ..
ربما تأتى لحظة اقررت فيها الزواج ..

قال :

— انك مغرورة ..

قلت :

— مغرورة بك ..

وابتسنم ، والامل يشع من ابتسامته .. وقال :

— لا تكتبى الى .. بعد ان تصطلي الى بيروت .. حتى لو
احسست بأنك تريدين ان تكتبى الى ..

قلت :

— لماذا ؟

قال :

— لأننا في حاجة الى هذه الأيام العشرة كامتحان لعواطفنا ،
ولو كتبنا مكانتنا نفس في الامتحان .. أريدك أن تعيشى مع
عواطفك .. وانا أيضا سأعيش مع عواطفى .. حتى نستطيع
يوم ان نتخذ قرارا ان نكون على ثقة منه ..

قلت :

— موافقة ..

وكانت الساعة قد بلغت الخامسة والنصف صباحا ..

رائحتني من هاشم وصعدت الى غرعتى ، وغسلت وجهى ،
وبدلت ثوبى .. ثم اغلقت حقائبى .. وناديت الشيال .. وحملت
الحقائب امامي ونزل بها ..
ثلاث حقائب .. والرابعة فسيتها .. مغلقة .. ومفتاحها
معى كما نفسي الخطة ..
ونزلت الى هاشم ..

لمحه يروح ويجهى في بهو الفندق .. ويده في جيب بنطلونه
.. ورأسه ملقى على صدره ونظراته ملقاء على الأرض ..
وشفتاه تبتسمان كان يحادث نفسه ، والتعب والارهاق يبدوان
على وجهه ..

وأتجهت مباشرة الى موظف الاستقبال ..
كنت اريد ان انتهى بسرعة من دفع حسابى ، قبل ان يكتشف
احد من موظفى الفندق الحقيقة التي نسيتها ..

ولحنى هاشم .. وجاء ووقف بجانبى .. وحاول ان يدفع
حسابى .. ولكنى رفضت .. رفضت بحدة ادهشت هاشم ..
ولا ادرى لماذا كنت اشعر ساعتها انى لا استحق ان يدفع لى
هاشم الحساب ..

وتركتى انفع ..
ثم تولى عنى دفع البقشيش ..

وانا اتعجله حتى تركب السيارة .. قبل ان يكتشف أحد
الحقيقة .. مضطربة .. كل شئ فى داخلى يرتعش .. ويختل
الى ان الناس يرون ما فى داخلى .. يرون ارتعاشى ..
والعيون تتسلل من تحت ثوبى .. ومن تحت جلدى .. لكتشف
سرى .. وكل وجه تضطدم به عيناي ، يخيل الى ان صاحبه
يهم ان يصبح بي .. يا آنسة .. لقد نسيت الحقيقة الصفراء ..
وتحركت بنا السيارة ..
الحمد لله ..
لم يكتشف احد الحقيقة ..

حاولت ان استرخى فى مقعدي .. ان اهدا .. ولكنى
لا استطيع .. اعصابى مشدودة بعنق ، تكاد تتمزق .. وأحس
كأننى داخلى استيانا حادة تأكل فى لحمى .. احس كأن جلد
وجهى يتتساقط .. وبحركة لا ارادية نظرت الى مرآة السيارة
المعلقة امامى .. ان وجهى اصفر .. اصفر .. وعيناي مرهقان
.. وشفتاي باهتان .. وابعدت وجهى عن المرأة كأنى خفت
منه .. شعرت بأنى فى حاجة طاغية لأن القى برأسى فوق
كتف هاشم .. وأبكي .. وأبكي .. الى ان اهدا ..
وهاشم صامت .. مرهق .. خطوط كثيرة تبلا ووجهه
وجبينه ، كانها خريشة اظافرى ..

و طال دستقنا . .

كانتنا نبتعدنا ! بعدها عن الآخر مسافة أكبر من التي تفصل
بين القاهرة وبيروت ..

ثم تكلم هاشم .. صوته عميق ، بعيد ، حزين .. وقال دون أن ينظر إلى ، ونحن متقرب من طريق المطار :

— أنا خائف با رحاب .. لا أدرى لماذا .. ولكنني خائف ..
وربما كنت خائفا على نفسي أكثر من خوفى عليك .. لقد قضيت
هذه الشهور فى قلق .. قلقة فقدنى ثقى فى نفسي .. فقدنى
سيطرتى على عقلى .. أهملت عملى .. وأهملت حياتى .. وكنت
دائما أحذر بانى أسير فى طريق لا أدرى نهايته .. أسير
بلا ارادة .. مغمض العينين .. وكل ما احتاج اليه الآن هو
أن أقف .. وان أنسى عيلى .. لارى إين أنا .. ولا يهمنى إين
أكون .. ولكن يهمنى أن أعرف مكانى .. مكانى منك .. مكانى
من نفسى .. وكل ما أريده هو أن تساعدينى على أن أقف ..
وعلى أن أفتح عسى .. ساعدينى .. كونى صريحة معى ..
حددى مكانى منك بالضبط ، حتى أستطيع أن أحدد مكانى من
الحياة .. إنك الآن العلامة الوحيدة فى طريق حياتى .. واريد
أن أعرف هل أنا أقرب من العلامة ، أم ابتعد عنها .. أم قد
وصلت إليها ..

و شعرت بدموحی تنهمر .٠٠

بلا ارڈر منی ..

رقلت في صدق يملا كل قلبي :

.. لا ادرى .. انى حائرة مثلك .. انى لم افتعل شيئاً معك .. كنت التقى بك لانى كنت احس انى اريد ان اكون معك .. وكان هناك عشرات غيرك استطيع ان القاهم ، ولكن انت وحدك

الذى كنت اندفع الى لقائه .. وقد جئت الى القاهرة لابقى ثلاثة اسابيع عبقيت خمسة شهور .. من اجلك .. انى عندما اسأل نفسي ، لا اجد سبب بقائي في القاهرة طول هذه الشهور الا انت .. ورغم ذلك نشأني لا استطيع ان اعرف ما اريد منك .. ولا مادا ارسك ان تكون مني .. ان في داخلى شيئا يتمرس عليك وفي داخلى ايضا شيئا يربطنى بك .. ولا ادرى ايهما سيغلب الآخر .. انى اتمرد عليك بنفس القوة التي اندفع بها اليك .. وتنهد هاشم ..

ومدى والتقى يدى وضغط عليها .. وقال :

— انى مستسلم .. لم اكن ابدا مستسلما كما كنت معك .. مستسلم الى حد الفزع .. انى اشعر بنفسي ضعيفا الى حد المجز .. نفس، الضعف الذى احس به عندما اعجز عن تلقيص مرض .. واكثر .. انى عاجز ان اعرف اينا المريض .. انت .. ام انا .. وainا يستحق العلاج .. انا ام انت .. ام كلانا ..

وملت ودموعى لا تزال على خدى :

— لا .. لسنا مرضى .. لا تقل انت مرضى ..

قال :

— انت انتالم .. والمرضى يتالمون ..

قتل :

— والاقوياء يتالمون ايضا ..

قال :

— الاقوياء يتالمون الالام غيرهم .. وقد كنت انتالم لالام مرضا، اى .. كنت انتالم كطبيب ولكنى اليوم اتألم كمريض ..

قتل :

— اتنا نتألم لأن الطريق الذي يفصل بيننا طويلاً .. الطريق
بين عقلك وعقلي .. بين عمرى وعمرك .. بين احساسك
واحساسى .. لقد كنت اشعر احياناً انك تنظر الىـ كأنى من
عالم آخر .. من القمر .. من المريخ .. وانا ايضاً كنت احس
احياناً انك آت من عالم غريب .. عالم الاساطير .. كنت احس
بك كأنك اعرابى تعيش فى الجاهلية ، تقف على باب خيمة
وتحاول أن تخطفنى وتسلد على ستائر خيمتك لاعيش فى الظلام ،
ويبقى النور لك وحدك .. كنت احسنت هكذا فعلاً .. وكنت
أنمداً .. لا أريد ان اعيش فى خيمتك ، ولا في ظلامك ..
ولكنى رغم تمردى كنت اجد نفسى مندفعه اليك .. وقد قطعنا
مسافة طويلة من الطريق الصعب .. انى احس بنفسي اقترب
الىك ، وانت اقرب الىـ .. لقد بدات انا اهبط من القمر الى
الارض .. وبدأت انت تخرج من الجاهلية الى العالم الجديد ..
ويجب ان نتحمل أكثر لنقطع ما بقى من الطريق حتى ملتقى ..

قال مبتسمـاً كأنه يسخر من نفسه :

— ان في عمرك ما يكفى للانتظار .. وليس في عمرى
ما يمكن به

قلت تكفيني او اعطيه ؟

— انى اسرع بعمرى اليك .. وعلبك ان تبطئ بعمرك
حتى الحق بك ..

قال :

— انى سأوقفت عمرى هذه العشرة الايام التى ستفترق فيها
.. وبعدها اما ان افقد ما بقى ، او استرد ما ضاع منى ..

قلت :

— احس اتنا منقترـ بـ اكـثر ايـام الفراق ..

قال :

ـ او نبتعد أكثر ..

وكان قد وصلنا الى باب المطار ..

واقتراب الحمالون من السيارة ..

ونجاة ..

ـ ذكرت الحقيقة الصفراء ..

واحسست بتمرد هائل .. تمرد على نفسي .. تمرد الذبابة على خيوط العنکبوت .. ولكن التمرد لم ينفذ الذبابة .. ان الذبابة مخدّرة ان تنفذ بقية الخطة .. والخطة تتضى بالا يدخل معى هاشم الى المطار حتى لا يراه معى رجال الجمارك ..

ـ والتفت اليه وقلت وانا احاول ان اخفى اضطرابى :

ـ ابق في السيارة .. لا اريدك ان تنزل معى ..

ـ وقال فى دهشة :

ـ لماذا ؟

ـ وصرخت .. انطلق صراخى رغم ارادتى .. وقلت وانا ارتعش وأعصابى تخنقنى :

ـ لا اريدك ان تأتى معى .. لا اريدك .. لا اريدك .. انى اتعذب بدحّيات الوداع .. الا تفهم ..

ـ يستكثّ هاشم مبهوتاً يوم

ـ وانحنىت وقبلته قبلة سريعة ، وانا اتمتن :

ـ اراكَ بخير ..

ـ فتحت باب السيارة ونزلت منها قبل ان يرد قبلتى ..
ـ وهرولت الى داخل المطار دون ان التفت خلفى .. جريت ..
ـ ولم اكن اجري من هاشم .. ولكنى كنت اجرى من نفسي ..
ـ ودموعى تجري معى ..

ثم وقفت قبل ان ادخل الى منطقة الجمرك .. التقطت انفاسى
ومسحت تهوى .. وأعدت وضع خطوط الكحل حول عينى ..
ثم التقت الى الباب الذى يؤدى الى الجمرك .. وارتعش قلبي
.. خين الى انى سأدخل من هذا الباب الى السجن .. الى جهنم
.. انهم يكرهون اللبنانيين .. يفتشونهم .. وقد يخلعون عنى
ثيابى كذها ويعرضوننى عارية فى ساحة الجمرك .. ولم يكن
نى حقائبى شيء أخاف منه .. ورافقهم ذلك قللى لخائفة .. خائفة ..
.. كان كل الرجال الذين سأدخل اليهم يعلمون قصة الحقيقة
الصفراء ..

ولكن ..

لا شئ ..

لا شئ من هذا كله ..

امتنبلى رجال الجمرك فى رفق .. كل منهم يحملنى فوق
ابتسامته ويسلمهنى الى ابتسامة الآخر .. انهم لم يفتحوا
حقائى .. ولا حقيقة واحدة .. ربما تو كانت معنى الحقيقة
الصفراء ، لما فتحوها أيضا ..

وغير دقائق وجدت نفسي خارج منطقة الجمرك ..

وجلست فى انتظار ركوب الطائرة .. وحاولت ان اهدأ
.. لكن .. نوبة التمرد تتنبلى من جديد .. التمرد على كل
هذا .. على نفسي .. على هاشم .. على رفيق .. على خطة
الحقيقة الصفراء .. التمرد على هذه الذبابة التافهة التى أسلمت
نفسها لخيوط العنکبوت ..

وسبحنى التمرد والاحساس بالتفاهة وانا فى الطائرة ..
لم استطع ان انام .. ولا ان اهدأ .. ولا ان استقر .. لا استطيع
ان اربط خيالى بهاشم .. ولا باهلى الذين ينتظروننى .. لا استطيع

ان احس باني تركت القاهرة ، ولا باني مقبلة على بيروت ..
احاسيس مضطربة .. حمراء في لون الدم .. كأنها عاصفة من
الرمال تضرب في عيني ..
ووصلت بيروت ..

واحضنتني أبي الى كرشه الكبير و"و يردد بصوته الخصم
من خلال ضحكة مرتعشة :
— رحاب .. رحاب .. رحاب ..

وحاولت ان اهداً فوق كرشه .. ان احس باني عدت الى
جبه ، والى حمايته ..

وبذن امي اختطفتني منه ، واخذت تقبلنى في كل مكان من
وجهى .. ثم أبعدتني عنها وهي لا تزال ممسكة بكتفى .. وقالت
في علّق وهي تنظر في عينى :
— روللى .. ماذا بك .. هل كنت مريضة ..

قلت وانا اهز رأسي وابتسمتى معلقة بين شفتي :
— لا .. صحتى منيحة ..

رجذبتني اختى اليها وهي تصرخ في درج :
— اشتقالك ..

واحنضتها الى صدرى كأنى اريد ان اسمعها شهقات الالم
التي تنطلق من قلبى .. وبكيت ..
والدموع تلامع في عينى لبى .. فوق شفتي امى .. وعلى
خدى اختى ..

وحرجت بنا السيارة الى بيتنا .. وانا اتطلع حولى كأنى
ابحث عن اشياء فقدتها .. الجبل الذى فقدته .. والبحر الذى
فقدته .. والشوارع التي فقدتها .. والوجوه التي فقدتها ..

ودخلت بيتنا وعيني تممسح الجدران وتبكى فوقها .. لأنها
تعذر لها ..

والتف الجميع حول حقائب ، أخرج لهم الهدايا التي حملتها
لهم .. ثم فجأة .. وكان عفريتا نعزمى فى جنبى .. صحت :
— نسيت حقيبة ..

وقالت أمى فى دهشة :
-- شو ؟ ! ان حقائبك كاملة .. ثلاث حقائب ..
قلت :
— لا .. هناك حقيقة رابعة اشتريتها من مصر .. انى
ادرى اين نسيتها ..

وقال ابى :
— نكلم أصدقاءنا هناك ليرسلوهالينا ..

قلت وانا اجرى الى التليفون :
— لا .. لي صديق سياتى الى بيروت بعد ايام ...
سأكلمه ..

وطلب القاهره بالتلليفون .. مكالمه سريعة .. وبتوصيه من
مكتب ابى ..

طلبت هاشم ..

وفى نفس الوقت ارسلت سائق سبارتنا ببرقية الى فندق
هيلتون ، قلت فيها :
« نسيت حقيقة فى الغرفة رقم ٦٢٥ ارجو تسليمها الى
الدكتور .. هاشم عبد اللطيف » ..

وبعد ساعه سمعت صوت هاشم يصبح فى التليفون :
— رشاد ؟ ..

قلت وانا اتحامل على اعصابى :

— اشتقتاك .. وانت ؟

قال كأنه يتنهد :

— أنا .. أنى أحس كأن كل شيء اختفى من القاهرة فجأة ..
لم يعد في القاهرة سيارات .. ولا شوارع .. ولا ناس ..
كل شيء اخذته معك إلى بيروت ..

وقلت ، وأمني واقفة بجانبى تنظر إلى :

— هاشم .. لقد نسيت حقيبة فى الهيلتون .. هل تستطيع
أن تأتى بها معك ؟

قال :

.. حاضر ..

قلت :

— إنك لن تتأخر ..

قال

— لا .. بعد عشرة أيام .. يوم السبت .. وربما قبل ذلك
إذا لم أحمل ..

قلت وأنا أبتسم :

— أرجو لا تحتمل ..

قال :

— سأحاول أن أحتمل .. كيف بيروت ؟

قلت :

— أني لازلت في القاهرة ..

قال :

— يا ريت ..

، انتهت المكالمة ..

نفذت الذبابة خطة العنكبوت ..

حاولت أن أنسى كل شيء بعد أن حادثت هاشم في التليفون ..
وأنتهيت بن تنفيذ خطة العنكبوت .. حاولت أن أقنع نفسي
بأن كل ما حدث لم يكن سوى فيلم سينمائي ، تخيلت نفسي خلال
فترة عرضه ، أني في مكان بطلاه .. وقد انتهى الفيلم .. وخرجت
من السينما .. ويجب أن أنسى بطلة الفيلم .. وأعود إلى نفسي ..
واخذت أدوار في أنحاء البيت .. اضحك مع اختي .. وأقبل
مربيتي .. وأروي نتفا سريعة ممزقة من ذكرياتي في القاهرة ..
وأستمع نتنا من أخبار بيروت التي حدثت أثناء غيبتي .. وعينا
امي تلاحقانها كأنها تحاول أن ترى ما تحت جلدي ، وعلى وجهها
تعبير مقتضى كلها لا تصدق الضحكه التي تخرج من شفتي ،
ولا المرح المرسم في عيني .. وتحاول أن تجلسني بجانبها لأحدثها
عن القاهرة .. ولكنني لا أطيق أن أجلس في مكان .. ولا أطيق
أن أتحدث في موضوع واحد .. لا استطيع أن أركز عقلي ولا أن
أنسق كلامي ..

رفقا دخلت غرفتي .. وخلعت ثوبى ، ولبست بنطلونا
و « بلوز » ، ووضعت في قدمي حذاء بلا كعب ، وتركت شعرى
يسير على وجهي وأمسكت في يدي بورقة الكلينكس ، وبضع
ليرات ، وخرجت من البيت ..

وصرخت أمي ورائي :
— ألا تبقين معنا .. ألا يكفيك أن غبت عننا خمسة شهور ..

قالت وانا اجرى ناحية الباب :

— سأقى معكم العمر كله ..

قالت فى استسلام وهى تنظر الى كائى مجنونة :

— ستعودين لتناول الغداء ..

قلت :

— ربما ..

وصفت الباب ورائى ..

وذهبت الى مقهى « اونكل سام » وانا اقفلت فى الشارع بالبنطلون ، واحاول ان اقنع نفسي بالفرحه وانا التقى بشوارع بيروت ، ودكاكين بيروت ، وناس بيروت .. حاول ان استرد العمر الذى كنت اعيش فيه قبل ان اسافر الى القاهرة .. عمر الخامسة عشرة والسايسة عشرة .. لقد تركت هذا العمر ، وعشت فى عمر اكبر من اجل هاشم .. ولكن هاشم انتهى .. لقد كان بطلًا من ابطال الفيلم الذى شاهدته فى القاهرة .. وانتهى الفيلم .. انتهت القاهرة .. وانتهى عائلة محبي الدين .. وانتهى قصة الحقيقة الصفراء .. انتهى كل شيء .. انتهى .. وانا الان رحاب ، الفتاة التى كانت تعيش فى بيروت منذ خمسة شهور .. ترتدى البنطلون ، وتضع الكحل حول عينيها ، وتترك شعرها يسيل على وجهها .. وتعيش عمرها لحظة بلحظة .. لا يوما بيوم ، ولا شهرا بشهر ، ولا عاما بعام ..

ودخلت الاونكل سام وانا اهلل .. كل شيء فى يهلهل .. عيناي تهلاان .. وشعرى المنسك يهلهل .. وشفتاي تهلاان .. ويعنى لحة واحدة رأيت كل شيء كما هو .. كانى لم اغب عن بيروت سوى لحظات .. كانى تركت متحفًا للشموع .. وعدت

اليه مرة ثانية .. الوجوه لم تتغير .. والاصوات لم تتغير ..
والجرسون لم يتغير .. والرائحة لم تتغير .. وسامي ..
وغيسان .. وتبسيير .. و .. كل منهم جالس الى نفس
المائدة التي تعود ان يجلس اليها .. وعنقه مائل بنفس درجة المين
التي تركته عليها ..

وبعيت واقفة عند الباب اطل على متحف الشمع .. الى
ان لحتنى التمايل — تماثيل الشمع — فانطلقت الى .. وعلى شفتي^ا
كل منها سرخة ..

وأجلسونى بينهم يسألوننى عن القاهرة .. وحاولت ان
اقول لهم شيئاً مهماً عن القاهرة .. فلم أجد شيئاً مهماً .. كان
كل ما شاهدته وما حدث لى فى القاهرة لم يكن سوى سخافات
.. بل اننى أحسست كأن ذكرياتى عن القاهرة اختفت كلها وراء
ضباب ، فلم أعد أتبينها الا بصعوبة ..

وانهى حديثنا عن القاهرة بسرعة بعد ان عجزت عن ان
أشير اهتمامهم .. واندمجاً فى مناقشة أخرى .. نفس المناقشة
التي تركتهم عندها منذ خمسة شهور .. بل ان الحروف .. كانت
ترن فى ذقنى كأنها بقية كلمات سمعتها منذ خمسة شهور ..

وشيئاً فشيئاً بدأت أفقد احساسى بكل ما حولى .. شئ
فى ينكمش .. وينكمش .. وينكمش .. واحس بجلدى ينكمش
.. وأعصابى تنكمش .. ومعدتى تنكمش .. وأحس بنفسى ابتعد
وابتعد ، كأنى باللونة تنطلق فى الفراغ البعيد وهى تزفر كل
ما فيها من هواء ، ولم أحاول ان أفسر هذا الشعور بالانكماش
.. لم أحاول أن أجد له تبريراً .. ولمكنى استسلمت له ..
وبقيت بين الاصدقاء ، ساكتة ، واجمة ، والانكماش يؤلمنى ..

يضغط على عروقى .. ثم فجأة انطلقت قائلة كأنى اهرب من
نفسى :

— سامى .. هل تنفدى معى ..

ونظر إلى سامي وعيناه تضيقان ، وقال :

— لا مانع .. هيا بنا ..

وقدمت دون أن أحيى أحدا .. وجاء ورائى ..

ولم اتعمد ان اختار سامى .. ولكنه كان تمثال الشمع الذى
سقطت عليه عيناي عندما تكلمت ..

وقال سامي ونحن نسير فى شارع « بليس » :

— إلى أين ؟

انت وأنا ساهمة :

— الإنجليز نست ..

وانحرفتنا ، لنصل إلى شارع جان دارك ، وأنا احاول بكل
اعصابى أن أتحرر من الانحساس بالانكماش .. احاول أن
استبعد الأيام التى كنت أذهب فيها إلى مطعم « الإنجليز نست »
للتلقى بالدين يحبوننى ، واحدا بعد واحد .. لا يمكن أن يكون
شيء عند تغير فى خلال خمسة شهور .. أنا كما أنا .. يجب أن
اقنع نفسى بأنى أنا كما أنا .. ولكن لا .. مستحيل .. شيء
تغير .. كل شيء تغير .. لا أدرى كيف ، ولا لماذا .. ولكن
انا لم أعد أنا .. أحس بنفسي فتاة أخرى .. أحس بنفسي امرأة
عجوزا .. ان خطواتى هرمة مرتعشة .. ولعل ظهرى تقوس
.. ولعل وجهى مليء بالتجاعيد .. وشفتاي تعجزان عن حمل
ابتسامى .. وأذنائى تعجزان عن التقاضى كلام سامي .. كانه
يتكلم من بعيد ..

ودخلنا مطعم الإنجليز نست .. وهلل الجرسون عندما رأنى

.. وهرولا صاحب المطعم الى يحيينى .. وكلام سخيف يقولانه ،
وارد عليه دون ان اسمعه .. ونظر سامي الى السكين الموضوع
على المائدة ، واتسعت عيناه فى رعب .. وارتعش .. ثم مد يده
بسرعة والقى بالسكين بعيدا تحت المقاعد .. انه لا يزال يخاف
من السكاكين .. انه لم يتغير .. ونظرت اليه كأنى احسده لانه
لم يتغير ..

ونظر سامي الى ، بعد ان هدا خوفه وقال وهو يتحدث فى
وجهى بعينيه :

— ماذَا بك ؟

قلت وانا احاول ان ابتسم :

— لا شيء ..

قال :

— يخيل الى انك فتاة اخرى .. احس بك كأنك كبرت عشرة
اوامر ..

قلت كأنى احدث نفسي :

— انى احاول ان اكبر ..

قال :

— لا تحاولى شيئا .. وابصقى على الدنيا ..

قلت وانا انتهد :

— برصق كل الناس على الدنيا ، فهم يبصقون بعضهم
على بعض ..

— هذا ما يفعلونه .. انهم يبصقون بعضهم على بعض
.. الابتسامة بصقة .. والضحك بصقة .. والكلمة بصقة
.. واشرف الناس هو الذى لا يخفى بصقته فى ابتسامة او فى

ضحكه أو في كلمة .. ولكنه يبصقها بصرامة .. ويهز كتفيه ..
ويبعضى إلى الموت ..

تلت وانا ازفر غنى زهرق :

— اننا لا نمضي إلى الموت ، ولكن الموت يأتيينا ..

قال وهو يوضح ساخرًا :

— خرافات .. اننا منذ اليوم الذي نولد فيه ونحن نتجه إلى الموت .. معيضنا يقطع الطريق في خمسين عاما .. والبعض يقطعه في عشرين .. وال سريع يقطعه في عشرة .. وما دمنا نعرف إلى أين يؤدي الطريق ، فلماذا نختار .. ولماذا نشفف بالنا .. ولماذا نحمل هما .. و ..
رقاطسته وانا اشد زهقا :

— فلايفتك سخيفة .. حدثني عن شيء يضحكنى ..

قال وفي عينيه حنان :

— حدثيني أنت عن تجاربك في القاهرة ..

قلت وانا اهز كتفى :

— لا شيء مهم ..

ونظر إلى كانه لا يصدقنى ، وقال :

— وللى .. لا شيء يستحق الندم .. لا شيء يستحق أن نعيش من أجله الا لحظة التي نعيشها .. ليس هناك شيء ثابت ، ولا شيء قادم .. ولكن هناك لحظة نعيشها .. لحظة تأكلنا .. ولا نستطيع الا ان نستسلم لها حتى تأكلنا .. و ..
رجاعت اطباق الطعام التي طلبناها .. فازحتها من أمامي .. وانتقضت واقفة .. وقلت وانا التي بالليرات على المائدة ..
— لم اعد اطريق .. سأذهب ..
قال :

— هل آتى معك ..
قلت :
— لا ..

وخرجت أهيم فـى شوارع بيروت .. وأحس بكل شيء حولي
ميتا .. الشوارع ميتة .. والسيارات عربات لنقل الموتى ..
والبحر ميت .. والجبل قبر كبير .. وأنا بومة واقفة فوق فرع
شجرة ميتة .. ولا أدرى أين أذهب ، ولا أين أجلس .. ولكنى
أشعر بـانى بومة .. عينان واسعتان مفتتوحتان كعینى الـبـومـة ..
وأنـفـى صـفـيرـ مـقوـس .. ووجهـى مـسـتـدـيرـ يـكـسـوـهـ الشـعـرـ كـوـجهـهـ
الـبـومـةـ ! .. وأخاف أن اتكلم حتى لا اسمعـنى صـوتـى نـعـيبـ
الـبـومـةـ ..

وـعـدتـ إلىـ الـبـيـتـ فـىـ الـمـسـاءـ ..ـ السـاعـةـ السـابـعـةـ ..
الـثـامـنـةـ ..ـ لاـ أـدـرـىـ ..ـ وـاسـتـقـبـلـتـنـىـ أـمـىـ قـائـلـةـ فـىـ صـوتـ مـحـتدـ :

— انتـظـرـنـاكـ عـلـىـ الـغـدـاءـ ..
قلـتـ وـأـنـاـ لـاـ اـنـظـرـ إـلـيـهـاـ :
— آـمـسـفـةـ ..
قالـتـ .

— لـمـ يـتـغـيـرـ فـيـكـ شـيـءـ ..ـ لـاـ زـلـتـ مـجـنـونـهـ ..
قلـتـ :

— رـبـماـ ..

ـ وـانـطـلـقـتـ قـمـقـهـةـ أـبـىـ قـائـلـاـ :

ـ عـادـتـ رـحـابـ إـلـىـ عـادـتـهـ الـقـدـيمـةـ ..

ـ وـانـجـهـتـ إـلـيـهـ وـجـلـسـتـ عـلـىـ رـكـبـتـيـهـ ..ـ وـأـنـاـ أـقـولـ :
ـ اـشـتـقـتـ لـكـ يـاـ حـاجـ عـبـدـ الرـحـمـنـ ..ـ
ـ وـحاـولـتـ اـنـ أـسـتـرـيـعـ عـلـىـ صـدـرـهـ ..ـ وـلـكـنـىـ شـعـرـتـ بـمـجـرـدـ اـنـ

ملت برأسى على كفه ، آنني سأبكي .. و اذا بكيت فسيسائلنى عن بكائى .. ويجب ان اقول له شيئا .. لا .. لن ابكي .. حتى لا أهزل شيئا .. وقفزت من فوق ركبتيه .. واتجهت الى غرفتى وانما اقول فى مرح مفتعل :

— سلام ..

وقالت أمى :

— الا تتناولين العشاء ؟

قلت كاذبة :

— نعشيت ..

وقال ابى :

— الا تجلسين معنا قليلا ..

قلت :

— منعية يا بابا .. غدا ..

وجريدة الى غرفتى ، وجلست فوق سريرى كالبومة .. احاول كل جهدى الا افكر فى شيء .. ان استسلم لحالتى دون ان انكر .. ان التفكير معناه ان اووجه نفسي .. اخاف ان اوواجهها .. انما انتظر ان تمر هذه الحالة التى اعانتها .. وانسى .. واعود لا مبالية ..

ونمت .. مغشيا على من التعب ، والارهاق .. نوما ثقيلا ،
كأنى نفنب تحت جبل من التراب ..

- يوم آخر ..

ثم يوم ثالث ..

ـ أنا ازداد الكماشا .. ولا استطيع ان اكل .. وأعصابى تأكل من لحمى .. واذوب .. ولم احاول ان اخرج من البيت

.. منكمشة فى غرفتى .. وأمى تعرض علىـ أن تأتينى بطبيب ،
غائرى .. وتقضى يومها كله تقحابل علىـ أن أكل ..
لم يهدى يجدى الهرب ..
يجب أن أواجه نفسي ..
وآخرا ..

استجمعت قوتى .. كل ما بقى فى من قوة .. وواجهت
نفسى ..

لماذا أعانى كل هذه المعاناة ؟

لأنى نفذت خطة العنكبوت ؟

لأنى خدعت هاشم وأشركته فى خطة لتهريب اموال عائلة
محى الدين ؟ !

ولكن هاشم لن يتعرض لأذى .. حتى لو خسبت معه
الحقيقة الصفراء ، يستطيع أن يقول أنه لا يمكنها .. ويستطيع
أن يستشهد بموظفى فندق هيلتون ، ليشهدوا إن الحقيقة هي
حقيقةى أنا .. ثم ان الأموال التى نهربها ليست اموالا مسروقة
.. أنها حق لعائلة محى الدين .. ومن حقهم أن ينقولوها الى
لبنان ، كما ينقل أبى امواله الى لندن وباريس ، وكل بقاع الأرض
.. أنى لا أؤذى احدا بالاشراك فى نقل هذه الأموال .. وقد
اشتركت فى خطة نقلها بالحساسى .. وأنا استسلم دائمًا
لإحساسى .. فلماذا اثور عليه الآن .. لماذا كل هذا القلق ..
كل هذه المعاناة .. كل هذا الضيق .. كان رثى تلطخان صدرى
.. كأن أعصابى تتمزق .. كأن كبدى يتفتت ..

ولكن ..

ان ما يشغلنى ليس الحقيقة الصفراء ، ولا عملية التهريب
.. لا .. أنى أضحك على نفسى عندما أعتقد أن سر ما أعانيه

هو انى بفندت خطة العنكبوت ، ولا هو احساسي بانى كنت ذبابه
.. ان سر ما اعانيه هو هاشم نفسه .. من هو هاشم بالضبط
لى ؟

صحيحة ..

مجرد صديق ..

ليس أكثر من تيسير ، وستامي ، وغسان .. وبقية الاصدقاء
.. أصدقاء احتاج اليهم ، لقطع الوقت . ولارضاء غرورى ..
ولكن لا ..

ليس هذا صحيحا ..

عاشرم أكثر من ذلك .. ليس مجرد صديق ..

ونجاة تكشف امامي الفراغ الكبير الذى اعيش فيه منذ تركت
هاشم .. ومنذ اللحظة الاولى التى وصلت فيها الى بيروت ..
لم يكن هاشم صديقا ..
كان حياهى ..

كان كل دقيقة من يومى .. وكانت اللحظات التى يغيب عنى
فيها ، يملؤها بالأمل فى لقائه ..
-- ماذا يعني هذا ؟ !

هل أنا احبه ؟

وهل هذا هو الحب ؟ ..

وارتع امامي وجه هاشم .. شعره فى لون الدخان كانه
ينطلق من حريق قلبه .. وعيناه المتفختان تطل منها نظراته
الضعيفة المبتلة .. وأنفه الرائق نى تواضع كالأسد العجوز ..
وشفتاه المنفرجتان كأن بينهما آهة الم ..
لا .. انى لا احبه !

لا اريد هذا الحب .. لا اريد اى حب .. ان الحب قيد ثقيل

.. انه ارتباط .. وانا لا أطيق القيود ولا الارتباطات .. لا أريد
ان اعاني كل هذه المعاناة لانى افتقد رجلا .. اى رجل .. اريد
ان انطلق .. ان اطير ..
— انا لا احب ..
ابدا لا احب ..

ان الحب يأخذ مني كل شيء .. بل يأخذ عمرى .. هاشم
يريد ان يأخذ عمر العشرين ويعطيني عمر الأربعين .. لا ..
أريد عمرى .. اريد حرثى .. اريد انطلاقى ..
ونهاية على ضعفى .. وقمت الى التليفون واتصلت
تيسيير .. لا شك ان تيسير لا يزال يحبنى .. ربما اكثر من
هاشم .. وسأجد منه نفس ما كنت أجده عند هاشم ..
وذهل تيسير عندما طلبت منه ان يقابلنى ، حالا .. وكتـ
نى الساعة الثامنة مساء .. وخرجت اليه مرتدية البنطلون ..
وشعرى سائل على وجهى ، وقلم الكحل فى يدى ، كما تعودت
ان اقابلـه .. ولم استاذن احدا قبل ان اخرج ..
ونظرت اليه .. لا تزال فى عينيه هذه النظرة المتعالية
المتحفزة .. ووجهـه جميل .. وجـلـده مشدود .. وشعرـه اسود ..
ولكن كلامـه سخيف .. كل كـلمـاته تدق فى اذنـى كـانـها
مسـمار .. وتقـع على اعـصـابـى كـانـها حدـ المـوس .. ولكن ..
لعلـ عـصـبية .. يجب ان احتـلـ حتى اـهـدا .. وحاـولـتـ ان اـحـتمـلـ
.. ولكنـ لا اـسـتـطـيع .. اـبـدا لا اـسـتـطـيع .. حدـ المـوس يـقطـعـ فـى
اعـصـابـى .. والـسـامـير تدقـ فـى رـأسـى ..
والـنـفـتـ اليـتـ فـجـاهـةـ وـنـحـنـ نـسـيرـ عـلـىـ الرـوـشـةـ ، وـقـلـتـ كـانـها
نصرـخـ فـيـهـ :
— تـيسـيرـ .. قـلـنـى ..

قال فى دهشة :
— ماذا ؟
تلت :

— قبلنى .. قلت لك قبلنى ..

انى لا زلت اذكر قبلاته .. لقد كنت احتملها .. كنت احياناً
أريدها .. ولكننى نى هذه الليلة ، وما كاد يقرب وجهه من وجهى :
حتى شعرت برجس ساخنة تهب على .. ورائحة لاذعة نكاد تختنقى
.. وشهدت كأن أحداً يهم أن شف جسمى بمسكين .. وسقطت
شفتاه على خدى كأنهما بقطنان من الزيت البارد .. واحتملت
.. احتملت بكل ما نمى من قدرة على الاحتمال .. بل وأدرت له
تسقفى .. وما كاد يلمسهما بشفتيه حتى شعرت بالاختناق ..
انى اختنق فعلا .. اختناق .. وزرعت شفتي منه بقسوة كائنى
أتاوم الموت .. وجربت .. جربت فى الليل .. لا ادرى شيئاً ..
وهو يصرخ :

— روللى .. يا مجنونة .. روللى ..
وجرى ورائي ..

وخيل الى فعلا ان الموت يجري ورائي .. يجب ان اسبق
الموت .. ان انجو .. والهلع يملأ عينى .. والاختناق يقبض
على عنقى ..

ولا نرى كيف وضعت نفسى فى سيارة اجرة .. ووصلت
الى بيتنا .. ودخلت وضباب كثيف يزحف على عينى .. ويد
قاسية تتبعض على عنقى .. وسمعت امى تصرخ فى وجهى :
— اين كنت .. الساعة الان الحادية عشرة ..
وصرخت :

— لا تسأليني .. لا تحاسبيني .. أبعدي عنى .. أنى ..
أنى ..

وصوتي يختنق ..

عروقى رقبتى تنتفخ ..

واللم .. الم عنيف قاس حول عنقى ، وفى صدرى ..
تنها النوبة التى أتعرض لها .. النوبة التى أعرفها جيداً ..
واخافها أكثر مما أخاف الله .. أنى أتمزق .. انفاسى كأنها جيش
من الدبابيس يشك صدرى .. وفى عنقى .. وفى أعصابى ..

يا رب ..

يا رب ..

ثم لم أدر شيئاً ..

وافتقت وأنا راقدة على الفراش .. والطبيب بجانبى ..
رأمى ونبى عند قمى السرير .. ونظرت الى الطبيب .. رالى
أبى وأمى .. وسألت وكأنه فى داخلى شخص آخر يضع خطة
أشناء غيبوبتى .. وكان هذا الشخص هو الذى يسأل :
— أى يوم نحن ؟

، أجاب أبي وعيناه تبرقان بدمعه :

— الثلاثاء ..

ومسكت ..

وتعلقت عيناه بسقف الغرفة ، ووجدت نفسي أهيم فى خطة
غامضة لا أدرى كيف ولا متى ثارت فى خيالى .. وامتلا رأسى
بحصوت يردد :

إن هاشم سيأتى يوم السبت ومعه الحقيقة الصفراء ..
وحاولت أن أجاهل هذا الصوت .. حاولت أن أقنع نفسي

بلا أهتم سواء أتى هاشم يحمل الحقيقة الصفراء .. أو لم يأت .. ولكن الصوت لا يزال يملأ رأسي ؛ ويردد في الحاج هاشم سيأتي يوم السبت ومعه الحقيقة الصفراء ..

وتفضياليوم كله ساكتة .. وأنا أتحفز لأفعل شيئاً .. ولكن لا أدرى بالضبط ما سأفعله .. وصورة هاشم تملأ رأسي .. والحقيقة الصفراء .. والصوت المجهول يتعدد في أذني وقد خطر لى خاطر سريع أن أروى لأبى كل ما حدث وما فعلته لتهريب موال عائلة محى الدين .. انه يفهم فى هذه المسائل .. ولعله يعیننى على أن ارتاح .. ولكنى لم أقل شيئاً .. ان المشكلة ليست مشكلة تهريب اموال .. أنها مشكلة احساسى بأنى كنت ذبابة .. لا .. أنها مشكلة هاشم .. لو كان أى شخص غير هاشم .. لما احسست أن هناك مشكلة ..

وغي: دم الأربعاء قمت من الفراش ، وفاجأت أمى وأنا ارتدي ثيابى .. وسألتني فى جزع :

— إلى أين؟

ثالت :

— إلى السوق ..

ثالثاً :

— ولكنك لازلت مريضه .. الدكتور أمر ..

وثالثاً:

— أنى أعلم حالتى أكثر من الدكتور ..

وسكتت أمى .. خافت أن تجادلنى حتى لا تصيبنى النوبة مرة أخرى ..

وذهبت إلى أبى ، وقلت له وأنا أقبله فوق وجنته :

— أريد ألف ليرة ..

قال وهو ينظر في دهشة إلى ثوبى :
— خارجة ؟
قلت :

— ذاهبة إلى السوق .. إنى لم أشتري شيئاً منذ عدت إلى
جبريل ..

ونظر إلى أمي في تساؤل ، وارتسمت حيرة أمي في عينيه ..
وقال وهو يضحك ضحكة خافتة .. ليست ضحكته المنطلقة :
— تذهب معك أمك ..
قلت :

— لا .. ولا اختى .. سأذهب وحدى .. لا تحف .. إنى
بخير ..

وعاد يضحك ضحكته الخافتة .. وأخرج حافظة نقوده وناولنى
الف ليرة .. وقلت وأنا أحاول أن أدلله :
— أنطني الفا أخرى ..

قال :
— كثير ..
قلت :
— أريد أن أشتري أشياء كثيرة .. وسأرد لك الباقي ..
وأجهنه أبي واعطاني الفا أخرى ..
وخرجت .. والبيت كله ملهوف ورائي ..

وبلاء تردد .. ذهبته إلى مكتب شركة الطيران العربية ،
وحجزت مقعداً على الطائرة المسافرة إلى القاهرة صباح اليوم
التالى .. الخميس .. ثم اتجهت إلى مكتب البرق .. وأرسلت
برقية إلى هاشم : « أصلكم غداً على العربية ، ارجو أن تحجزوا
لـ فى الميلتون » ..

وسدب الى البيت ..
 ونظرت امي الى يدى الفارغتين وقالت فى دهشة :
 — الم تشتري شيئاً .
 قلت راتا لا انظر اليها :
 — لا .. أخذت فكرة عما فى السوق .. غدا سأشترى ..
 ودخلت غرفتى .. ورقدت فى فراشى .. متعبة .. منهكة .. لا اتحرك .. كائنة اخاف ان تحركت ان يسقط منى تصميمى على العودة الى القاهرة ..
 وفي صباح اليوم التالي قمت مبكرة .. قبل ان يصحوا احدى البيت .. وأعددت حقيقة صغيرة .. ثوبا واحدا .. وتميص نوم .. ثم كتبت على ورقة : « لا تشغلو على .. سافرت الى القاهرة .. سأعود غدا » ..
 وخرجت من البيت دون ان يحس بي أحد ..
 وجلست فى الطائرة ساهمة واجمة .. كائنة مستسلمة لامانة أخرى ، هي التي تحركنى وهي التي تدبر خططى ..
 واستقبلنى هاشم فى المطار .. على باب الطائرة ..
 على شفتيه ابتسامة كبيرة .. وفي عينيه نرحة اكبر ..
 يتقدم بحوى ووجنته ترتعشان ، وارتبك قليلا وهو حائز هل يقبلنى أم يكتفى بمصافحتى .. ولكنى اكتفيت بأن مدلت له يدى .. وأبعدت وجهى عنه ..
 وصاحتى وهو يهمس :
 — الحمد لله على السلامة ..
 ونظرت اليه ، وانا أحس بحنان غريب .. كائنة عدت الى ملقطى المسكين .. لم احس بهفة الشوق ولا باندفاع الحب ..
 ولكنه حنان هادئ ، هنور الفجر ..

وسرت بجانبه نمر بمكاتب الجوازات . وصالحة الجمرك ..
ان هاشم له نفوذه فعلا .. كثيرون يحبونه .. وكثيرون يسارعون
الى خدمته .. وانا فرحة به .. وفرحة بشخصيته الحلوة التي
تعامل بها مع الناس .. فرحة بابني العجوز ..
وتمت كل الاجراءات فى لحظات ، قبل ان تتم اجراءات بقى
الركاب ..

وركبت بجانب هاشم فى سيارته .. وعيناي معلقتان بوجهه ..
انه يبدو أقوى مما تركته .. فى عينيه لمعة قوية .. وعلى
شفتيه ابتسامة قوية .. وأنفه راقد فوق وجهه فى قوة .. يبدو
كانه استرد كل ما ضاع منه .. استرد شخصيته .. استرد
شنته بنفسه .. ليس حائرا .. ولا مهزوزا .. ولا ضعيفا ..
.. لعل مجرد عودتى اليه قد أعادت اليه كل شيء ..

وقال وهو ينظر فى وجهى كانه يشرب منه بعينيه :
— لم اصدق برقيتك .. خفت أن يكون مقلبا ..
قلت وصورة الحقيقة الصفراء تملا خيالى :
— اهل المقلب هو عودتى ..
وضحك فى قوة ، وقال :
— أنها أحلى مفاجأة .. لقد كنت أعد الساعات التي تقضلى
عنك .. فكنت أنت أسرع من الساعات .. ولكن .. لماذا عدت
.. لماذا لم تنتظرني فى بيروت .. كنت تعلمين أنى سأكون هناك
يوم السبت ..

قلت وانا أهز كتفى :
— لا شيء مهم .. احسست أنى أريد ان اعود الى القاهرة
فعدت ..
قال وهو لا يزال يضحك :

— لفدي كنت دائمًا أخاف استسلامك لاحاسيسك .. ولكنني
اليوم أتمنى أن تعيشى العمر كله مستسلمة لاحاسيسك ما دامت
تدفعك أنى ..

قلت وأنا ابتسם :

— هذا احساس اليوم .. لا ادرى احساسى غدا ..
قال وهو يمد يده ويضغط على يدى : .
— أنى واثق من احساسك اليوم وغدا! وبعد غد .. والعمر
كله ..

وابقتسمت ..
ومرت بینتنا فترة صمت ..
وهو لا يزال ينظر الى بعين ، وينظر الى الطريق بعين ..
نم قال :

— هل كنت مريضة ؟
ونظرت اليه ، وقلت :
— كيف عرفت ؟

قال وهو يتفحص وجهى بعين طبيب :
— وجهك ..

قلت بلا مبالاة :

— أصبحت بنوبة اغماء .. ومرت ..
قال :

— لن نصابي بها مرة ثانية .. أعدك بذلك ..
قلت :

— س تعالجنى ..
قال مبتسمًا :

— لا .. ولكن لن أبعد عنك مرة ثانية ..

وابتسست ساكتة .. وخيالي لا يزال وراء الحقيقة الصفراء .. ثم ثلت وأنا اتعمد أن اطل من نافذة السيارة حتى أخفى عنه وجهي :

— حل أخذت حقيبتي من الهيلتون ..
قال :

— عـ .. فـ نفس اليوم الذى حدثتني به ..
قلت :

— أين هـ الآن ..
قال :

— امتنعت بها فـ العـادة ..
قلت :

— لـذهب لـحضارـها الآن ..
قال :

— لماذا .. سـاحـلـها معـ حقـائـبي وـأـنـا مـسـافـرـ إـلـىـ لـبـانـ ..
قلـت :

— لا .. إنـ فيهاـ أـشيـاءـ تـخـصـ عـائلـةـ مـحـبـيـ الدـينـ .. كـنتـ
شمـسيـتـ أـنـ أـتـرـكـهاـ لـهـمـ .. سـنـاخـذـهاـ مـنـ العـيـادـةـ ،ـ ثـمـ أـتـرـكـهاـ عـندـ
عـائلـةـ مـحـبـيـ الدـينـ ..

قال بلا بـلاـةـ وـدونـ أـنـ يـحاـوـلـ أـنـ يـفـهـمـ شـيـئـاـ :
— ذـمـاـ تـرـيـدـيـنـ ..
قلـت :

— أـنـيـ سـاعـودـ غـداـ إـلـىـ بـيـرـوـتـ ..
قال :

— أـلـاـ تـنـتـظـرـيـنـ إـلـىـ أـنـ نـعـودـ مـعـ بـعـدـ عـدـ ..

علت وانا لا انظر اليه :

— لا استطيع .. باننم يسمح لى الا بليلة واحدة ..

قال :

— انى اسافر معك غدا ..

قلت :

— لا .. افضل الا نحصل فى طائرة واحدة ..

وارنسم الكمد على وجهه . و قال :

— لا اريد ان اقضى يوما آخر بعيدا عنك ...

قلت :

— امه يوم واحد ..

و سكت ..

ووصلنا الى العيادة .. وصعد هاشم .. وعاد ووراءه
الباب يتملل الحقيقة الصفراء .. وضعها فى المقهى الخلفى من
السيارة ..

ولم انظر الى الحقيقة . ولا التفت اليها ، كأنى خشيت ان
طررت اليها ان تفصحى عيناي .. وقلبي يضرب .. كأنى الوحيدة
لتى سمع ان فى هذه الحقيقة جثة قتيل ..
وانتلاقنا الى بيت عائلة محبى الدين ..

رماديت ببراب البيت .. وقلت له وانا اشير الى الحقيقة :

— خذ هذه الحقيقة .. سلمها لرفيق بك ..

وعان البراب وجهه متهلل للقائى :

— الا تقىيين عندك ..

قلت :

— لا .. سلمتني على الجميع ..

وحمل الباب الحقيقة .. وانا لا التفت اليها ايضا .
اخاف ..

وانطلق هاشم بسيارته ..

وما كاد يبتعد بي عن البيت ، حتى شعرت كان كل شيء
في يرثى .. اعصابي المشدودة .. ابتسامتي المفتعلة ..
وارتخت في مقعدي كائني سألام .. وادرت رأسي إلى هاشم
.. ونظرت إليه وعلى شفتي ابتسامة هادئة .. وشعرت انني
اريد ان أقبله .. لم أستطع ان أمنع نفسي من تقبيله فشيبت
إليه بوجهه وقبلته قبلة سريعة على خده ، ثم ملت برأسه على
كتفه : وأغمضت عيني ، وهمست :

— انى متعبة .. اريد ان انام ..

وما على رأسي بشفتيه ، وقبلتني فوق جبيني .. كائنة يخدرني
بتقبيلته ..

واخذتني إلى الهيلتون .. ووقف معى حتى تمت اجراءات
الاستقبال .. ثم تركتني أصعد إلى الغرفة ، على ان يعود إلى
نفي الساعة الرابعة ..
ومنته ..

نم وفى قلبي ابتسامة هادئة .. وفي اعصابي يسرى
احساس مريح لذى .. لم اشعر أبدا بمثل هذا الهدوء وهذه
الراحة .. كائنة القلب من فوق ظهرى حملًا زنته طن .. نامت
الذباب بعد ان تخلصت من خيوط العنکبوت ..
ولا ادرى كم نمت .. ساعة .. ساعتين .. ثلاثة ..
هم استيقظت مفروضة على صوت رنين جرس التليفون ..
ومددت يدى وأنا لا زلت مغمضة العينين ، كائنة اريد ان اخفى
هذا الرنين .. وقللت وصواتى نائم :

— من ؟

وسمعت صوتاً مبهوراً يقول لي :

— أنا بغيق ..

وعتحت عيني المهمضتين .. وفتحت عقلى .. واستيقظت
أعصابى .. وقلت في حدة :

— لماذا تريد ؟

قال كان كلماته تهروء :

— لماذا حدث ؟

قلت وأنا أشد حدة :

— لا شيء حدث .. فقط لا أريد أن أشتراك في هذه المهمة .

قال :

— ألم تسافر لليمن ..

قلت :

— سافرت .. وعدت ..

قال شيء توسل :

— هل أستطيع أن أراك ..

قلت كأنني أصرخ :

— لا ..

شأنك دهشة :

— لماذا ؟

وصرخت :

— لا أريد أن أراك .. لا أريد أن أرى أحداً منكم ..

وندفعت سماعة التليفون ..

وحاولت أن أعود إلى النوم .. وضفت الوسادة فوق رأسي ..
ثم وضفت رأسي مكان قدمي .. وضغطت على عيني بخفقني ..

كأني اضربيها حتى يناما .. ولكن ، لا أمل .. لن انام .. وقامت من الفراش وصوت رفيق لا يزال يشق احساسى كانه سكين .. كانه يذكرينى بفضيحة ارتكتها ، فأنقرز من نفسي ..

ودخلت الحمام ، وملأت البانيو ، ورقدت فى الماء الفاتر .. ويدا احساسى يندمل شيئاً فشيئاً .. بدأت اعود الى الهدوء والمرح . وشعرت مرة ثانية بأنى خفيفة .. لا شيء يثقل ضميرى .. احساسى كلها منطلقة مرحة .. واخذت أغنى أغنى الانجليزية المفضلة « الحقول الخضراء » .. ثم شوقيت عن الغناء وعدت اذكر من جديد .. لتد انتهت الان قصة الحقيقة الصفراء .. وأنى سعيدة بانتهاها .. لست سعيدة لأنى لم أهرب النقود ، ولكنى سعيدة لأنى لم اترك عائلة محبى الدين تستغل هاشم ، وتستغل حبه لي .. سعيدة لأنى لم اعد ذبابة ..

ولكن .. بقى هاشم ..

ماذا أفعل به ؟

وابنىت وانا اسأل نفسي ماذا أفعل بهاشم .. وبهدوء دون أن أنفعل .. اقتنعت بيلى وبين نفسى بأن قصتى مع هاشم انتهت بانتهاء قصة الحقيقة الصفراء .. كانى صفيت حسابى معه ، ولم بعد أمامى الا ان انصرف .. وانفق احساسى مع اقتناعى .. وربما اقتنعت لأنى كنت اعلم ان هاشم ينظر الى علاقتنا نظرة أكثر جدية مما احتمل .. ومما أريد .. انه يصل بعلاقتى الى حد التفكير فى الزواج .. وانا لا أريد ان اتزوجه .. ليس الآن .. ولو تزوجت فلن يكون هاشم هو الذى يقنعني بالزواج .. انى احس به كأنه مسؤولية كبيرة لا استطيع ان حملها .. احس به كأن مركزه ، وعمره ، واحساسه بنفسه .. سطّلبي منى ان اعطيه كل ما عندي .. وانا لا استطيع ان اعطي كل

ما عندى .. سيظل نى دائمًا شيء لا اعطيه لاحد .. احتفظ به
لنفسى .. سربتى .. انطلاق احساسى .. وهاشم لن يتحمل
حرقى ، ولا انطلاق احساسى .. انه ليس من هذا الصنف
من الرجال .. انه الرجل الذى يريد كل شيء .. الرجل الذى
بطوى كل من حوله نى شخصيته .. حتى لو كان ضعيفاً امامى
.. نهدأ الضعف نفسه يدل على أنه يمر في فترة عابرة من عمره
.. ولن يكون ضعيفاً إلى الأبد ، ولا يريد أن يكون ضعيفاً ..
ولا أن استغل ضعفه .. ولو تركته يقوى ، فسيقوى على ..
وأنا لا أريده أيها أن يقوى على .. أذن فالأخضل لكلينا أن
ننفتحى ..

وكانت كل هذه الخواطر تمر بي وأنا هادئ .. وابتسم ..
ابتسم لهاشم .. أبتسם لشخصيته الحلوة .. وقلبه الطيب ..
وحبه لى .. لم تكن ابتسامة حب .. ليس هذا النوع من الحب
.. أنى أستطيع الآن أن أتبين أنى لا أحبه .. وربما ما اعتقاده
وأنا في بيروت من أنه الحب ، لم يكن إلا انعكاساً لتأييد ضميري
بسبيب خطة الحقيقة الصفراء .. انعكاساً لاحساسى بأنى كنت
ذبابة .. ولكن هناك شيئاً آخر يربطني بهاشم ، هل اسمى هذا
الشيء صدقة .. انفعالاً .. انجذاباً .. لا أدرى .. ولكن شىء
كبير .. شيء حلو .. ولكنه ليس الحب .. كما أتخيل الحب ..
وخرجت من الحمام .. ونظرت في المرآة .. وابتسمت ..
ان وجهي قد استقر بعض لونه .. وعيناي استقر فيها الضوء ..
وشفتى دبت فيها الحياة ..

وارتدت ثيابى .. وخرجت من غرفتي .. ومررت على موظف
الاستقبال ، وطلبت منه أن يتأكد من حجز مقعد لي في الطائرة

المسافرة عدا الى بيروت .. ثم اتجهت الى الكافيتيريا ، بعد ان
مركت حبرا لهاشم انى انتظره هناك ..

والتقىت فى الكافيتيريا ببعضة شبان ليبانيين ، فجلست بينهم
.. مرحة .. منطقة .. كما عرفونى .. الى ان لاحت هاشم
آتيا من بعيد .. فقمت اليه ، قبل ان يصل الى ، حتى لا اخرجه
امام اصدقائى ..

، استقبلنى هاشم وهو يبتسم ابتسامة مهزوزة ، ينظر بها الى
الشبان اللبنانيين ، ثم يعود بها الى ..

وركبت بجانبه فى سيارته ، واتجهنا الى المقطم .. وهاشم
طوال الطريق يحاول ان يجعلنى اتكلم عن سر عودتى الى القاهرة
مجاهة .. وكنت اعلم باحساسى ماذا يريد ان يسمع منى .. انه
يريدنى ان اقول لهانى عدت من اجله .. وانى احبه .. ولكنى
لم اقل له .. حتى ولا لارضيه .. لم اكن اريد ان أطلق له الامل ..
وسأله :

— لا زلت مصمما على ان تأتى الى بيروت ؟
شأن ؟ دهشة :

— ضبعا ..
قلت :

— من اجلى ؟
قال :

— من اجلك ..

قلت وانا ابتسم كأنى اريت على اصحابه بابتسامتنى :

— امى افضل الا تسافر ..
قل وهو ينظر الى فى لوم :
— لماذا ؟

قلت :

— لأن القاهرة وحدها هي التي تستطيع ان تجمعنا ..
بيروت سترقنا ..

قال ذي دهشة :

— لماذا ؟

قلت وانا انظر اليه كأنى ارجوه ان يقتضع :

— انا في بيروت انسانة اخرى .. وانت هنا انسان
آخر ..

قال :

— ان الحب لا يختلف باختلاف العواسم ..
قلت :

— انى أخاف حبك ؟

قال :

— ماذا يخيفك منه ؟
قلت :

— انه اكبر مما احتمله .. ان حبك جاد .. له تقاليد ..
ونز خط مرسوم .. وانا لا احتمل التقاليد .. ولا الخطوط المرسومة ..
ولا الزواج ..

قال وانفاسه سبورة :

— ولكنك عدت الى القاهرة من اجلى ..
قلت :

— عدت لاتأكدر من انى لا اريد ان اعيش في القاهرة ..
قال :

— وماكنت ؟ !

— نأكذت ..

وغرق وجهه في سحابة حمراء ، وقال في حدة :

— أين لن استسلم لاحاسيسك المجنونة .. الاحاسيس
التي تختلف بين كل احظة وآخرى .. هذه الاحاسيس تحطم
كل من يقترب منك ؛ ثم ستنتهي بأن تحطمك .. وأنا لن أسمح لك
بأن تحطمني ، ولا بأن تحطمني نفسك ..

تلت رأنا أنظر اليه كائني اعتذر له :

— إنك تعلم أني ملك لاحاسيسي ..

قال وهو أكثر حدة :

— إنك لست ملكا لاحاسيسي .. ولكنك تهربين .. تهربين
من كل شيء .. تهربين من الحب .. وتهربين من العائلة ..
وتهربين من الإيمان .. وتهربين من عقلك .. وتهربين من
المستقبل .. وتسمين هذا الهروب : احساس .. إنك مسكونة ..
ولن يجديك الهرب .. لن تستطعي أن تعيشى هاربة العمر كله
.. ستجدين نفسك مضطرة يوما إلى استعمال ارادتك على
نفسك .. وعلى ما تسمينه احساسا .. حتى تتوقفى عن الهروب
وهذا لم تستطعى أن تجدى ارادتك ، فستتشطرين إلى الهروب
من الحياة كلها ..

ثات وكلامه يجري في عقلى :

— تقصد أنتحر ..

قال :

— نعم .. تفحررين .. ولن أتركك إلى أن تنحرى ..

ثم أوقف السيارة ، والتفت إلى بكل جسمه وقال :

— رحاب أنت فتاة رائعة .. أنت تملكتين كل شيء لتكونى
سعيدة ، ولتسعدى الانستان الذى يحبك .. ولكنك لم تجدى احدا

ولا شبئا يرسم لك الطريق .. مرضك فى صغرك ، جعل أهلك
يخافون عليك من أن يقيدوك بشيء .. شيء يروض ارادتك ،
ويروض احساسك ، ويروض منطقك .. ونحن نولد جميعا
بلا ترويض ثم يتولى أهلكنا ترويضنا ، ويزيدنا المجتمع ترويضا ..
لذلك أنت، لم تجدى من يروضك ..

قلت مبتسمة :

— وأنت سترووضنى ..

قال ثى رجاء :

— دعينى أحاول ..

تات وانا أحاول ان أبتسم :

— لقد حاولت طوال خمسة أشهر .. وها أنا كما أنا ..

وسمكت قليلا ، ثم قال ثى يأس :

— لك حق .. وبما لاتى لا أريد ان أروضك لنفسك ، ولكنى
أريد أن أروضك لنفسي .. أروضك على حبى .. ان الاب يروض
ابنته ليعطيها لرجل آخر ولكنى أب يحاول أن يروضك ليحتفظ بك
لنفسه ..

قلت فى غضب صادق :

— لا تقل أنت أبى .. انى أكرهك عندما تتكلم هكذا ..

قال رهو أشد يأسا :

— نك لا تحببنى ..

قلت :

— بس الحب الذى تريده .. ولكنى لا أحبك أيضا كأب ..
انى أحبك، جبا فيه جمال كثير .. فيه انجذاب .. ان اللحظات
التي أقضيها معك هى دائمًا أسعد لحظات عمرى .. وانا أخاف
على هذا الحب اذا حاولنا ان نحمله اكثر مما يحتمل .. أخاف

عليه ان يحيط .. وانا اريد ان ابقى عليه طول عمرى .. مثون
عمرى سأشعر بالحاجة اليك .. حاول ان تفهمنى يا هاشم ..
غال ساخرا ؟؟

— ان الفهم يحتاج الى عقل .. وانت تدعين انك تقadien
الى احس بك ، لا الى عقلك ..
قلت :

— اى افهم احساسى .. واستطيع ان افهم ما مر بنا منذ
التقينا .. لقد مرت بنا ايام كثيرة خضنا فيها أحدهنا عن الآخر ..
اندرى هنر كنا نضيع ؟ كنا نضيع عندما حاول ان نقترب ..
عندما حاول ان تعيش فى دنياى .. عندما حاول ان تنزل الى
عمرى .. او عندما احاول ان اصعد الى عمرك .. لقد كنت ترك
عملك واصدقاءك لتعيش فى لهوى ومع أصدقائى .. وكنت انا
اترك انطلاقى وسخافاتى لاعيش فى قيودك وحدك .. فكنا
نضيع .. كنت فى هذه اللحظات احس بك بعيدا عنى .. وكنت
تحس بي سيدة عنك .. ولكننا كنا نسعد عندما نلتقي وكل ما
فى دنياه .. كنت تسعد بي كفتاة تافهة .. وكنت أسعد بك
شخصية حادة ضخمة .. وستبقى سعادتنا دائمة فى احتفاظ
كل منا بدنياه .. كل منا يطل على الآخر من دنيا أخرى ويمد له
يده ويبتسم له .. صدقنى .. هذه هي الحقيقة .. وانت تقول
أنى فتاة ذكية .. وانا احدثك الان بذكائى ..

ووجهت هاشم برها ، ثم خبط على عجلة القيادة بكلمه ، و قال
خى عناد :

— ساسافر الى بيروت ..

ثم انطلق بالسيارة فى سرعة مجنونة كانه شاب يتهور ..

- [٤] -

عدت الى بيروت وأنا سعيدة .. سعادة هادئة لذبحة ..
أعصابي كلها مسترخية كأنها راقدة على مقعد مريح .. حتى
عناد هاشم وأصراره على أن يلحق بي في بيروت ، كان يشعرني
بالسعادة .. ربما أرضي غرورى ، ولكنها كانت سعادة أعمق من
الاحساس بالغرور .. أشبه بسعادة الأم عندما تحس بتعلق
ابنها بها ، رغم أنها تريده أن يتبعها ليعود أن يقف على
قدميه ..

انى لم اشعر ابدا من قبل بمثل هذه السعادة الهادئة ..
لقد كانت سعادتي دائمة سعادة حادة .. كالصراخ .. كانت كل
احاسيسى صرacha .. سعادتى صراخ .. وشقائى صراغ ..
وحيرتى صراغ .. كنت — كما قلت — أعيش دائما فى قمة
الاحاسيس .. ولكن الآن أحس بأنى فى قمة جديدة على ..
قمة لهدوء النفسى .. السكينة .. كأنى راقدة فوق قطعة من
السحاب .. إن شيئاًنى قد تغير .. لا أدرى ما هو .. ولكن شيئاً
تغير .. هذه الشهور التى عشتها فى القاهرة ، والازمات التى
مرت بي خلالها ، جعلت مفى انسانة أخرى .. انسانة لم اعرفها
بعد .. ولكنها انسانة أخرى غير رحاب الذى اعرفها ..

وكنت تد قصيت سهرة الامس مع هاشم .. سهرة صامتة ..
وقد متألنا أن نمداها حتى الصباح .. حتى موعد قيام طائرته ..

الى بيروت .. كما فعلنا عندما سافرت فى المرة السابقة ..
ولكننا لم نستطع .. لم نتحمل الصمت .. وكان هاشم يبدو فى
صمته كأنه يتالم .. كانه يحاول أن يقتل شيئاً داخل نفسه ..
ووجهه غارق فى سحابة صفراء .. وخطوط كثيرة تشق جبينه
كأنها آثار سكاكيـن حادة .. وكنت أعلم ما يعانيه .. انه يعاني
من ازمة عـنـاد .. من ازمة اصراره على أن نعيش أنا وهو فى
دنيا واحدة .. لا يريد أن يقتـعـ بـأنـ كـلـاـ مـاـ خـلـقـ لـدـنـيـاهـ .. لا يريد
ان يستسلم للـلـيـاسـ .. لا يريد ان يتخلـى عنـ كـفـتـاهـ يـجـبـهاـ ..
ويكتفى بيـ كـصـدـيقـةـ ..

وقد حاولت كثيراً ان اخفـ عنـهـ .. حاولت ان اقطع حبل
الصمت الذى يلف حول عنقـى وعنقهـ .. ولكنـى عندـما تكلـمتـ
قلـتـ كـلـامـاـ سـخـيفـاـ ، ليس لهـ معنىـ .. كـلـامـاـ مـفـتـلـاـ .. فـاستـسـلمـتـ
انا الاخرـى للـصـمـتـ .. الى ان قـرـرـناـ انـنـاـ لـمـ نـعـدـ نـتـحـمـلـ صـمـتناـ ،
نـافـرـقـنـاـ فـىـ الـبـسـاعـةـ الـحـادـيـةـ عـشـرـةـ مـسـاءـ .. وـوـجـهـهـ غـارـقـ فـىـ
سـحـابـةـ النـذـابـ .. وـشـفـتـاهـ مـكـورـتـانـ مـمـطـوـطـتـانـ كـأـنـهـ طـفـلـ عـنـيدـ
غـاضـبـ ..

وـدـسـبـنـىـ الـىـ المـطـارـ فـىـ الـيـومـ التـالـىـ ، وـهـوـ لـاـ يـزالـ مـصـمـماـ
عـلـىـ انـ يـلـحـقـ بـىـ فـىـ الـيـومـ الذـىـ يـلـيـهـ .. يـوـمـ السـبـتـ ..
وـانـحـيـتـ اـقـبـلـهـ عـلـىـ خـدـهـ قـبـلـ انـ اـنـزـلـ مـنـ سـيـارـتـهـ .. وـلـمـ
يـبـادـلـنـىـ قـبـلـىـ .. اـكـتـفـىـ بـأـنـ مـالـ بـخـدـهـ عـلـىـ شـفـتـىـ ..
وـنـظـرـتـ اـلـيـهـ مـبـتـسـمـةـ كـأـنـقـىـ اـعـتـذـرـ لـهـ .. ثـمـ عـدـتـ اـقـبـلـهـ مـرـهـ
آخـرىـ .. وـأـنـاـ اـهـمـ :

— الا تـرـيدـ انـ تـقـبـلـنـىـ ؟ ..

ـ نـالـ وـكـأـنـهـ يـضـغـطـ عـلـىـ اـعـصـابـهـ :

— لا ..

قلت :

— انك لست غاضبا مى؟

قال وهو يقهد :

— لا ..

قلت :

— عذنى الا تفك وحدك .. وفر تفكيرك الى ان تلتقى ..
اننا مستطبع ان نتفاوض العمر كله ولكنى لن احتمل ان تفك
ووحدك .. اخاف ان تكرهنى لو فكرت ووحدك ..
نان وهو ينظر الى بعينين يائستين :

.... ان لن اكرهك ابدا .. ولكنى اخاف ان اكره نفسى ..

قلت :

— لا .. لن تكره نفسك .. انك لو كرحت نفسك كرهت
نفسك .. عى التقى احبتنى ..
قال :

— ساحاول .. ساحاول ان احب نفسى لانها احبتك ..
قلت وقلبى ملهوف عليه :

— انا ايضا احبتك .. ولكننا اختلفنا فى طبيعة حب كل
منا .. ولابد ان نتفق .. تأكد انا ستفق ..
قال :

— باذن الله ..

وانحنىت اقبله مرة ثالثة ..

ومد ذراعه وكأنه لم يعد يستطيع ان يقاومه — وضمى الى
صدره .. وهمس وخده راقد على خدي :

— مع السلامة ..

ونزلت بن السيارة ..

ونجاة صاح بي كأنه تذكر شيئاً :

— ابن حقيتك الصفراء ؟؟

وارتفعت رمoshi فوق عيني . وقلت مى تردد :

— تركتها لعائلة محيي الدين .. لم يكن فيها شيء مهم ..
وابنى ساكتا ..

وقلت وانا ادير له ظهرى واشوح له بيدى :

— سأنتظرك غداً في مطار بيروت ..

وتركتني أدخل المطار وحدي كما سبق أن اتفقنا ..

★ ★ ★

ووصلت بيروت وانا سعيدة هذه السعادة الهدئة اللذيذة ..

اعصاف كلها مسترخية كأنى راقدة على مقعد مريح .. واستطعت
بساطة ان أهدى حدة ابى وأمى .. وساعدنى على تهدئتها
انهما لاحظا هدوء اعصابى ، واستردادى لصحتى .. واخذتني
امى واحتلت بن فى حجرتها وسألتني وهى تحاول ان تشعرنى
بانها صديقى الكبيرة ، عن سر سفرى انى القاهرة ، واجبتها
بساطة :

— لا شيء .. كان يجب ان اودع أصدقاء فسيت ان اودعهم ..

قالت :

— أتحببى ؟ ..

قلت فو دهشة :

— من ؟

نالت و هي تنظر في عينى مبسمة لطمئننى :

— الشاب الذى ذهبتك اليه ؟

قلت وانا أضحك :

— لا .. لا احبه .. ولكنه صديق عزيز ..

ثالثت وهي تكشف عن جزعها :

— انك لا تخفين عنى شيئا خطيرا ؟ !

قلت :

— لا .. صدقيني .. واطمئنني ..

ونظرت الى " فى تمعن ، وقالت :

— يدخل الى " انك كبرت يا رحاب ؟

قلت :

— ربما ..

ثم استطردت كأنى تذكرت شيئا :

— غدا س يصل صديق من القاهرة .. أريد ان ادعوه الى
بيتنا .. لقد اهتم بي هناك ، ودعائى اكثر من مرة .

قالت :

— هل هو الذى سافرت اليه ؟

قلت وانا اتجاهل الرد على سؤالها :

— انه صديق لعمى الدكتور نور الدين .. وعمى هو الذى
قدمنى اليه بخطاب اعطاه لى عندما سافرت الى القاهرة اول مره
.. الا تذكرين ؟

فأمس وهى تنظر الى كأنها لا تصدقنى :

— اذكر ..

وسمحت من جانبها قائلة :

— متأصل بعمى ..

واتصلت بعمى وأبلغته خبر وصول هاشم الى بيروت فى
الغد ، واتفقت معه على ان نذهب سويا لاستقباله فى المطار ..
وقضببت اليوم كله وانا اعد برنامج الايام التى سيقضيها
هاشم فى لبنان .. بل اعد الكلمات التى ساقولها له .. وأعد

الموافق، النى تجمعنى معه وحدنا .. واكتشفت ان انكر فى
عدوه عجيب .. كأنى مكترت غعلا كما قالت امى .. وكان تفكيرى
بنصب على ان اضيع هاشم فى جو عائلى .. حتى اقلل من خلواتى
معه .. وحتى يسامحنى هذا الجو على ان بكت هاشم
احاسيسه ..

واستيقظت فى ال يوم التالى مبكرة .. نشطة .. نشاطاً
مرتباً ..

واحدت سيارتنا وذهبت الى بيت عمى .. وكان لا يزال
مائها فايقظته .. واستطعت ان افتهنه بأن نتناول امطارنا فى
طعم المطر .. وال دقائق تمر بطيئة .. وصوت الطائرات التى
تصل وتغادر المطار يملأ قلبى برجفة عجيبة .. لا يمكن ان تكون
كل هذه الرجفة لانى فى انتظار صديق .. او حتى سديق عزيز
 جدا جدا كهاشم .. ان قلبى يرتجف من اللهفة ، كأنى لم ار هاشم
منذ سنوات ، مع انه كان معى أمس ..

وُعَانَ عن وصول الطائرة العربية من القاهرة ..
وَجَرِيتْ وَأَنَا أَشَدْ عَمِيْ وَرَائِيْ ، وَدَخَلْنَا أَرْضَ المَطَارِ ..
وَرَفَعْتْ رَأْسِيْ أَبْحَثْ عَنِ الطَّائِرَةِ فِي السَّمَاءِ ، كَانَى أَبْحَثْ عَنِ
ذَاهِبِيْ ..

الطاولة تقترب ..

ونقترب ..

هدحت ..

روثت ..

ونفع الباب ..

وبدا الركاب ينزلون واحدا بعد واحد .. ولم يكن هاشم أول

من نزل .. ولا ثانى من نزل .. ولا الثالث .. ولا الرابع
٢٠٢٥ و ٢٠٢٦

هاشم لم يصل على الطائرة ..

وجريدة الى مكتب الشركة اسال هل هناك طائرة أخرى ..
لا ، بيسط هناك طائرة أخرى .. ربما يصل على طائرة تابعة
لشركة أخرى .. ولكن من العيب أن أبقى في انتظاره في
المطار ..

رعدت الى البيت واناأشعر بثقل في قلبي .. أشعر كأنني
فقدت كل غروري .. كل ثقتي بنفسي .. كل ما يمكن ان اهتم
به .. وغراغ كبير متداهلي ..
ـ ما ندت اصل الى البيت حتى ناولني الخادم برقية باسمى
ـ برئية من هاشم : «آسف .. عدلت عن السفر» .

وابتسمت ابتسامة حزينة .. ودخلت غرفتي .. وعدت
اقرأ الكلمات القليلة من جديد .. وبحثت عن تاريخ وساعة
ارسالها .. لقد أرسلها بتاريخ الامس ، في الساعة التاسعة
مساء ... ثم أخذت اقرأ كل كلمة في البرقية .. حتى الكلمات
الحكومية المطبوعة ..
ـ وانا حزينة ..
ـ لست ثائرة ..

ـ ونكتو، حزينة .. حزنا هادئا كسعادتي الهدئة .. وفي
نفسى احساس عميق مستقر بأنى فقدت هاشم الى الابد ..
انتهت قصتى معه .. وبدأت نقاشا طويلا بيني وبين نفسى ..
لاقتضى بأن هذا افضل .. على الأقل ، افضل لهاشم .. ولاقتضى
بأن أمنى فى أن تستمر ملاحقته لي ، لم يكن لأنى متمسكة
بصداقته ، ولكن لأن هذه الصدقة ، كانت ترضى غرورى ،

.. إذا انتهت هذه الصدقة ، فكل ما حذر هو أنى فقدت غرورى ..
ولكن ..

الانسان لا يستطيع أن يعيش بلا غرور .. ويجب أن أبحث
نفسى عن شيء آخر أشبع به غرورى .. أن اشباع الغرور
هو اشباع الوقت .. الوقت يحتاج فى كل دقيقة منه إلى شيء
بيكله .. كالغرور .. فبماذا أشبع وقتى ..

وكنت أناقتش نفسى فى هدوء ..

لست محتدة ولا ثائرة ولا عصبية كعادتى ..

وبدأت استعرض الحياة التى يمكن أن أعيشها فى بيروت ..
علمى : ورد الى متاهى المثقفين المحيطة بالجامعة .. هل اعود
لاعيش حياتى لحظة بلحظة .. وأحسست كان كل ما اعرفه فى
بيروت سخيف ، تافه .. المتاهى الذى اعرفها تافهة .. والاصدقاء
الذين أعرفهم تافهون .. ثم أحسست أنه لم أعد أستطيع أن
عيش حياتى لحظة بلحظة .. اللحظة لا تكفى للأمل ..
وما ينخسنى هو الأمل .. يجب أن يكون لي أمل فى شيء ..
أمل يرسم لي طريقاً أسير فيه ويشفقنى عن نفسى ، ويملا
وقتى ..

أى أمل ..

انا لا اجد املَا

وصورة هاشم تهتز أمامى .. دون أن أستطيع أن أركز
ذهني فيها .. لا أستطيع أن الومه لأنه لم يأت .. ولا أستطيع
أن أفكر فى العودة إليه مرة ثالثة .. لا أستطيع شيئاً إلا أن
أترك أنصورة تهتز أمامى ، أنظر إليها بعينين جامدين ، لا تعبران
عن شيء ..

مررت أيام وأنا أعيش فى هذا الهدوء العجيب ، والمناقشة

بينى وبيني نفسى لا تنتهى .. ثم جلست ذات يوم أكتب خطابا ..
خطابا لهاشـم .. خطابا طويلا .. قلت له فيه :
« .. وكل ما أحـرص عليه هو أن تفهمـنـى .. وـأنا أعلم أن من
الصعب عليك أن تفهمـنـى ، لـسبـب بـسيـط هو أـنـى لا أـسـتطـعـ أنـ
أـفـهمـ نـفـسـى .. وـقـدـ كـتـتـ أـقـولـ لـكـ دـائـمـاـ أـنـى أـعـيـشـ مـلـكـاـ لـأـحـاسـيـسـىـ
ـ .. وـالـأـحـاسـيـسـ لـاـ تـفـهـمـ .. اـنـهـ مـجـرـدـ اـنـطـلـاقـاتـ تـعـكـسـ الـظـرـوفـ
ـ .. الـثـيـ مـصـطـدـمـ بـهـ الـإـنـسـانـ .. اـنـطـلـاقـاتـ تـلـقـائـيـةـ .. لـاـ تـحـكـمـهاـ
ـ اـرـادـةـ ، لـاـ يـسـعـيـطـ عـلـيـهـ الـعـقـلـ .. وـلـكـ اـحـسـاسـ بـكـ كـانـ شـيـئـاـ
ـ آخـرـ .. آخـرـ اـحـسـاسـ اـيـقـظـ اـرـادـتـىـ ، وـبـنـهـ عـقـلـ .. لـقـدـ شـعـرـتـ
ـ أـنـىـ مـنـدـفـعـةـ إـلـيـكـ كـمـاـ لـمـ أـنـدـفـعـ نـحـوـ آـيـ اـنـسـانـ آـخـرـ .. وـفـجـأـةـ
ـ شـبـهـتـ إـلـىـ هـذـاـ اـنـدـفـاعـ .. وـتـمـرـدـتـ عـلـيـهـ .. وـبـدـأـتـ أـسـتـغـلـ
ـ اـرـادـتـىـ وـعـقـلـىـ فـىـ تـرـدـىـ .. كـنـتـ أـسـتـغـلـ اـرـادـتـىـ حـتـىـ لـاـ اـزـدـادـ
ـ اـنـدـفـاعـ .. حـتـىـ لـاـ أـعـطـيـكـ مـاـ تـرـيـدـهـ .. وـمـاـ أـرـيدـ أـنـ أـعـطـيـكـ ..
ـ وـكـنـتـ أـسـتـغـلـ عـقـلـىـ الـأـقـنـعـ نـفـسـىـ بـأـنـىـ لـاـ أـحـبـكـ .. بـأـنـ كـلـ مـاـ بـيـنـىـ
ـ وـبـيـنـكـ صـدـاقـةـ كـبـرـتـ حـتـىـ اـقـتـرـيـتـ مـنـ الـحـبـ .. وـلـمـ يـكـنـ هـذـاـ
ـ صـحـيـحاـ .. لـمـ يـكـنـ مـاـ بـيـنـىـ وـبـيـنـكـ صـدـاقـةـ .. أـنـىـ أـسـتـطـعـ أـنـ
ـ أـرـىـ حـقـيـقـةـ شـعـورـىـ الـآنـ وـأـنـاـ بـعـيـدةـ عـنـكـ .. عـنـدـمـاـ كـنـتـ فـىـ مـصـرـ
ـ كـيـنـتـ مـقـنـعـةـ فـعـلـاـ أـنـ مـاـ بـيـنـىـ وـبـيـنـكـ صـدـاقـةـ .. وـلـكـ الـآنـ .. لـاـ ..
ـ أـنـىـ أـعـرـفـ أـنـ مـاـ كـانـ بـيـنـىـ وـبـيـنـكـ هـوـ الـحـبـ .. وـرـغـمـ ذـلـكـ ظـلـلـاـ
ـ كـلـنـ يـجـبـ أـنـ أـقاـومـ هـذـاـ الـحـبـ .. وـأـسـتـمـرـ فـىـ مـقاـومـتـهـ .. لـقـدـ
ـ كـنـتـ أـشـعـرـ بـأـنـ الـرـيـحـ دـفـعـتـنـىـ رـغـمـاـ عـنـىـ إـلـىـ حـافـةـ هـاوـيـةـ .. وـكـانـ
ـ يـجـبـ أـنـ أـقاـومـ الـرـيـحـ حـتـىـ لـاـ اـسـقـطـ فـىـ هـاوـيـةـ .. وـعـذـراـ لـلـتـشـبـيـهـ
ـ .. ظـلـلـاـهـ سـخـاءـ عـلـىـ النـاسـ لـتـحـمـيـهـمـ مـنـ شـمـسـ الـقـاهـرـةـ .. وـلـكـ

.. رعم ذلك .. كان يجب ان أقاومك .. واستمر في مقاومتك لأنني لا أريد هذا الحب .. وقد اكتشفت أنني رغم ادعائي بأنني أعيش حياتي لحظة بلحظة ، فقد كان هناك في داخلني آلة تعمل دائمًا ونرسم لها طريقى المند عبر الأيام والسفين .. نرسم لها مستقدي .. وأنا لا أعلم إلى الآن ما هو هذا المستقبل الذي رسم لي ، ولكنني مقطوعة بأنك لست هذا المستقبل .. مستقبل ليس في حبك .. هناك دنيا أخرى يجب أن أبحث عنها لأعيش فيها .. بهما سحملت في سبيل البحث عنها من حيرة واضطراب وقلق ..

هاشم .. هل ترى في كلامي صورة فتاة أخرى غير رحاب التي عرفتها .. لقد تغيرت فعلا .. أحس بنفسي انسانة أخرى .. انسانة بها عقل وارادة .. والفضل لك .. إنك لا تدري كم غيرتني .. لتدبرهني اندفاعي إليك .. إلى خطورة انتيادي الاحساسي .. احساسى كلها ، تجاه كل الناس ، وتجاه نفسي .. وتجاه الظروف التي تحبط بي .. واكتشفت أن هذه الاحساسيس قد تدفعنى إلى ارتباطات كبيرة قد أندم عليها العمر كله .. وقد تدفعنى إلى إيهاد ناس لا أريد إيهادهم .. ثم قد تدفعنى إلى إيهاد نفسي .. إنني لا أريد أن أؤذى نفسي .. إنني أحب نفسي كما أتعلم .. ثم اكتشفت أن من السهل دائمًا على العقل أن يسيطر على الاحساس ويقوده .. لو ترك له صاحبه متابعة السيطرة والقيادة .. ولو تحمل صاحبه متابعة السيطرة والقيادة .. وكل ما يحتاج إليه العقل هو بعض الموازين التي يزن بها انطلاق الاحساس .. الموازين التي سبق أن حدثتني عنها .. المبادئ .. القيم .. المنطق .. وأنا أبحث لنفسي الآن عن مبادئ وعن ثبات .. وعن منطق .. حتى أستطيع أن أتحقق بها ما أريده

لنفسى .. بعد أن اكتشفت ما أريده .. يا الله .. من كان يصدق أن رحاب تتكلم هذا الكلام .. رحاب التى لم تكن تطبق أن تخلو إلى عقلها لحظة واحدة ، تحاول الآن أن تهب حياتها كلها للعقل .

« يا عزيزى هاشم .. يا أعز من التقيت به .. أنى أشكرك لأنك لم تأت إلى بيروت .. من يدرى ، ربما لو أتيت لأنهارت مقاومتى لك ، ولا ضررت إلى الاعتراف لنفسى بأنى أحبك .. هذا الاعتراف الذى رفضت أن أواجه به نفسى شهورا طويلا .. ثم لانتدى لحب لست مقتنعة به .. ورغم ذلك .. رغم أنى أشكر لك مساعدتى فى اتخاذ قرارى ، فانى عاتبة عليك .. فكنت أنتظر منك رسالة طويلة .. ان ما بينى وبينك لا يمكن أن ينتهي فى كلمتين .. و .. والخطاب فيه كلام أكثر ..

وقد خيل إلى « أنا أكتب » ، أنى أكتب لنفسى أكثر مما أكتب لهاشم .. كنت أحاول أن أفهم نفسى فهما جديدا .. وساعدتني الكتابة على هذا الفهم .. ومن يومها وأنا أكتب كثيرا .. أصبحت أكتب مذكراتى يوما ب يوم .. ولم يكن فى مذكراتى خلال الأيام الأولى سوى خواطرى .. ثم بدأت أسجل فيها ملخصا لما أقرؤه .. لقد بدأت أقرأ كثيرا .. لم أكن أقرأ .. كان كل ما فى رأسي عن الأدباء .. وعن القصص .. وعن الفن .. وعن السياسة ، هو ما أسمعه من أصدقائى فى المقهى .. كلمات منتشرة .. أملاً بها فمى وكأنى نشأة مشتقة .. كلمات لا تعبر عن فهم ولا عن بناء عقلى .. وقد اكتشفت وأنا أقرأ ، عالما جديدا مثيرا ، ممتعا .. عالما مغايرا تماما للعالم الذى كانت تصوره لى كلمات أصدقاء المقهى .. حتى الوجودية ، التى أدعى يوما أنى من بناتها .. وجدتها شيئا

آخر في الكتب .. شيئاً آخر غير الشعر المنكوش ، والبنطلون
والحذاء الواطى ، ورقصة التويست .. الوجودية كما بدات
أنفهمها هي أن يكون للفرد الحق في أن يختار مكانه من المجتمع
.. فإذا كنت وجودية فمن حتى أن اختيار مكانى .. أين مكانى ..
ليس لي — حتى هذه اللحظة — مكان ..

رد شفلى القراءة عن العالم الذي كنت أعيش فيه ..
لم أعد أطفل من البيت طول النهار كما تعودت .. لم أعد اتحرك
كثيرا .. ولكنني أذكر كثيرا .. وأمى تستمع إلى كلامي الهدىء
وتصرفاتي الرزينة .. وتطير من الفرح .. الكل من حولي مندهش
لتطورى .. وبعد خمسة عشر يوماً وصلنى خطاب من هاشم ..
الخطاب الذى تمنيته طويلا .. وبينسنت منه طويلا ..

وقال لي هاشم فى خطابه :

« .. لم يكن سر تعاستى هو اصرارك على أن تضفى حدوداً
ضيقه لعلاقتنا .. ولكن كان سر تعاستى هو احساسى بضعفى
.. ومذ الأيام الأولى التى جمعتنا وانا أحس بانى ضعيف ..
وكنت أذكر ضعفى .. كان غرورى الذى عشت به طويلاً يرفض
أن يعرف بأنى ضعفت .. لم أضعف امامك : ولكنى ضعفت
 أمام نفسي .. وبعد أن سافرت وأنت تلحين على "أن يبقى كل منا
في دنياه ، فاضت بي التعasse الى حد أن أجبرتني على أن اووجه
نفسى .. رأيت بضعفى .. وقضيت يومي كله اصرخ في داخلى
.. أنا ضعيف .. أنا ضعيف .. أنا ضعيف .. وفي لحظة قررت
أن أقاوم هذا الضعف .. مهما حدث .. مهما عانيت .. يجب
أن أذلاص من الضعف .. ولم يكن هذا سهلا .. تندھشين اذا
علمت أنى اضطررت أن أغلق عيادتى شهراً كاملاً ، لأنترغ مقاومة
ضعفى .. وتندھشين اذا علمت أنى قضيت ليالى كثيرة أسر

.. أستكر حتى أفقد الوعي .. وتندهشين أيضاً إذا علمت أنني مُرقت
 كثيراً من الليالي بين سيقان نوع من النساء لم يدخل حياتي من
 قبل .. وكانت كل هذه جهوداً ضائعة .. جهوداً كنت أبذلها
 لأنساك ، وكأي رجل جاهل ، خيل إلى أنني أستطيع أن أنساك
 بالفراغ تقتل ذكراك .. أقتلها بالخمر ، وأمتصها من صدرى
 بشفاء النساء الرخيصات .. ولكن محاولة نسيانك لم تكن لتؤدي
 بي أبداً إلى التخلص من ضعفى .. فأنتم لست سبب ضعفى ..
 هناك سبب آخر يجب أن أكتشفه .. وبدل أن أفراغ لنسيانك ،
 فعلت كم فعلت أنت .. نفرغت لمناقشتك نفسى .. وخيل إلى
 أن السبب في ضعفى هو أنى وصلت إلى سن الخامسة والأربعين
 وأننا لا أزال واقفاً على قدمى .. ليس لي مكان في الدنيا أجلس
 فيه .. ليس لي بيت .. ليست لي امرأة .. والرجل لا يستريح
 إلا إلى بيت وامرأة .. وقد قضيت هذا العمر الطويل واقفاً على
 قدمى لأنى كنت مغورراً بقوتى .. كنت أعتقد أنني أستطيع أن
 أبقى واثقاً على قدمى العمر كله .. وحيداً .. متباهياً بوحدي
 .. ولكن سن الخامسة والأربعين نبهتني إلى حاجتي إلى مكان
 أرتاح فيه .. أن الخامسة والأربعين سن خطرة .. إنها سن
 المراهقة الثانية .. يفتح الرجل عينيه فيرى طريقاً جديداً ممتدًا
 أمامه .. ويرى النهايات تقترب .. نهاية كل شيء .. ويجد في
 نفسه بمرداً على هذه النهايات .. ويدفعه التمرد إلى محاولة تغيير
 حياته .. الهرب من الطريق .. الهرب من النهاية .. ويجد أن
 كل ما بناه خلال سنواته الماضية لن يعنيه من النهاية التي تنتظره
 نهاية كل شيء .. وهذا ما أحسست به .. أحسست أن نجاحي
 كطبيب .. وشهرتى .. وثائرى .. وفنوذى .. وأصدقائى ..
 كل هذا لا يساوى شيئاً .. كل هذا أنا في غنى عنه .. كل هذا

ليس ما أريده .. تماماً كما يبلغ المراهق عمر الخامسة عشرة
فيتمرد على والديه .. ويحس أنه من غنى عنهم ، وينطلق ببحث
عن حياة جديدة لنفسه .. والراهقة هي سن الانتقال من حياة
إلى حياة ، من حالة إلى حالة ، وقد كنت في هذه السن عنده ،
التي تقيت ، بك وقد حاولت قبل أن تلتقى إن انظم حياتي تنظيمًا
جديداً مع فتاة أخرى ، ولكنني فشلت .. وقابلتك مراهقاً كبيراً
بين شفتيه مراة الفشل .. وانجذبت إليك من اللحظة الأولى
.. تعلق احساسى بك .. ولم أتوقف لأتمعن في هذا الاحساس ..
ولم أنم هل حتى ينضج .. ولكنني اندفعت ، اندفعت أكثر منك
.. وفي اندفاعي فقلت توأزني .. لم أعد أستطيع ان احكم
تصرفياتي .. ان ارسم خطواتي .. كنت اريد ان اصل إليك
بسريعة .. بسرعة .. قبل ان يكبر عمرى عاماً آخر .. وانقذت
إلى هذه المحاولات الساذجة التي تعرفينها .. محاولة ان انزل
إلى عمرك ، او ارفعك إلى عمرى .. ولقد كنت في كل هذا ..
مقاداً انى احساسى بذلك .. مجرد الاحساس .. صحيح انى
كنت ادعى العقل وأرفض الاعتراف بأنى منقاد الى احساسى
بلا تفكير .. ولكن الواقع غير هذا .. الواقع انى كنت منقاداً
.. والفرق بينك وبينك انك بذات تقاومين احساسك قبل ان
ابدا انا مى مقاومة احساسى .. ثم كان الفضل لك فى انى اتخذت
القرار الاخير بتحديد علاقتنا في حدود ضيبي .. حدود الصداقة
.. ولو لم تتخذى هذا القرار لاندفعت في حبك .. وهو حب
حقىقي .. بل انى لا استطيع ان اعترف بحب فى حياتى الا حبك
.. انى اعترف بك كاصدق واصرح وأقوى فتاة التقيت بها ..
ورغم ذلك فقد كان هذا الحب مقضيا عليه بالفشل .. ولو تمهلت
عليه فنيلا لاكتشفت استحالته منذ اليوم الاول .. فنحن الاثنان

متشارهان .. نقف فى خطين متوازيين لا يمكن أن يلتقيا .. كلانا موجب .. أو كلانا سالب .. والحياة فى حاجة الى موجب وسالب .. يخين الى ان الحب الناجح لا يحتاج الى اثنين متشاربين فى شخصيتينما ، بل يحتاج الى اثنين يكمل أحدهما الآخر .. وعندما التقينا لم يكن أحدهنا يكمل الآخر .. بل كان كلانا متكامل الشخصية امام الآخر ..

« وهذه المناقشة النفسية يا عزيزتى رحاب ردت الى عقلى .. وقد اكتشفت فى نفسي ان من الصعب على قلبي ان يغلب عقلى .. ولكن من السهل على عقلى ان يغلب قلبي .. وان سر فشلى نى جميع المرات التى احببت فيها ان عقلى كان دائما يغلب قلبي .. وعندما انتصر عقلى هدأت نوعا ما .. ولم انتصر على حبك وحده ، بل انتصرت ايضا على سن الخامسة والأربعين .. اكتشفت بعقولى ان سر خوفى وأنا فى سن الخامسة والأربعين هو انى تخيلت انى قد وصلت الى القمة .. قمة النجاح كطبيب .. والى ليس بعد القمة الا طريق الهبوط .. طريق النهاية .. ولكن هذا غرور .. انى لم اصل الى القمة .. وبينى وبين القمة آلاف السنين .. وبسرعة عدت الى عيادتى .. وانطلقت اعمل .. اعمل بشراءة .. بجنون .. كائى قررت ان اقطع آلاف السنين فى يومين ..

« انى لن اكتب لك طويلا يا رحاب ، لن اكتب لك كثيرا ، فان الوقت اذى قضيته فى الكتابة آخذه من مرضائى .. وهم احق به منا نحن الاثنين .. واريدك ان تطمئنني .. انى اهدا حالا .. ربما لاسى لم اعد اعيش لنفسى ولكنى اعيش لغيرى ولا احس باحساسى ، ولكنى احس باحساس غيرى .. واذا عاش كل منا فى احساس غيره ، لما اضنته احساسه .. واحيانا تمر بـ

لحظات عانى فيها الوحدة .. ولكن من معا لا يشعر بالوحدة
احيانا .. ووحدتى لحظات لا ابى ان امسحها باهتمامى بعملى
.. واسكرا .. انى .. » .

سِمْ مَرَّةً قَرَأْتُ هَذَا الْخَطَابَ ؟

عشرة .. عشرين .. لا ادرى .. ولكن قرأتة كثيرا ..
وشهيت منه احساسا بالثقة في نفسى .. بالثقة في عقلى ..
انى لم اخطئ عندما تغلبت على حبى لهاشتم .. هاشم نفسه
يقول انى لم اخطئ ..

ولم أرد على خطاب هاشم ..

اكتفيت بأن كتبت ردا عليه في مذكراتى ..
ويفرغت ابحث في هدوء عن طريقى ..
وغررت أن أعمل ..

أندرون اين عملت ؟ في التليفزيون اللبناني .. وقد رحب
بى لبنان كله يوم اشتغلت في التليفزيون .. رحب بي كوجه جميل ،
وابنة الحاج عبد الرحمن التاجر الكبير .. ولكن لبنان وجد فى
مزايا أخرى يرحب من أجلها .. شخصيتها .. لقد اعطيت من
خلال شاشة التليفزيون شخصية جديدة لفتاة اللبناني .. ليست
هذه الفتاة التي كنتها .. ليست الفتاة التي ترتدى البنطلون ،
وتترك شعرها يسيل على وجهها ، وتمسك بقلم الكحل وورقة
الكلينكس فى يدها .. انى الان امسك فى يدى حقيقة ..

وانبرنامج الذى اقدمه هو برنامج « قراءات » .. اقرأ كل
اسبوع حبايا والخصمه وأناقشه أمام جمهور التليفزيون .. نجح
البرنامج نجاحا ضخما رائعا .. والصحف تكتب عنه باحترام
كبير .. وقد اشعرنى هذا النجاح والاحترام بمسئوليتي ..
مسئوليتي عن لبنان كله .. بنات لبنان .. اولاد لبنان .. ورجال

لبن .. رسيدات لبنان .. وأنا سعيد ب بهذه المسؤولية .. لهـ
تلهيني عن نفسي ، وتملاً وقتى وتشعرنى بشخصيتى .. والطريق
ينسع امامي أحياناً تخيل نفسي خلال الطريق بأنى أصبحت سفيرـ
للبـان على احدى العواصم الكبرى .. وأحياناً تخيل نفسي نائـه
في البرـان .. احلام لا تنتهي .. وطموح نظيف .. وكل شيءـ
يمكن أن يتحقق .. لقد عرفت الآن الطريق ..

ومن حولى شبان كثيرون ..

يـومـا ما سـاحـبـ واحدـاـ منـهـ .. أـتزـوجـهـ .. أـنـىـ أـؤـمـنـ الـآنـ
بالـزـواـجـ .. أـنـهـ الـحـلـ الـوـحـيدـ لـتـنظـيمـ الـحـيـاةـ .. وـنـحـنـ لـنـ نـسـتـطـعـ
أـنـ بـدـعـ فـيـ الـحـيـاةـ إـذـاـ نـظـمـنـاـهاـ .. الـذـيـنـ لـاـ يـنـظـمـونـ حـيـاتـهـمـ
يـفـتـدـونـ انـدـرـةـ عـلـىـ الـابـدـاعـ .. وـلـكـ .. هـذـاـ حـدـيـثـ سـابـقـ
لـأـوـانـهـ .. أـنـىـ لـمـ أـحـدـ الشـابـ الذـيـ أـحـبـهـ بـعـدـ .. وـلـ قـرـرتـ
الـزـوـاجـ ..

عـمـرـ عـامـ ..

وـسـافـرـتـ إـلـىـ القـاهـرةـ لـاقـضـىـ اـسـبـوـعاـ .. اـرـتـاحـ فـيـهـ مـنـ
التـلـيـفـيـزـيونـ ..

وـكـانـ يـجـبـ أـسـافـرـ إـلـىـ القـاهـرةـ ، لـيـسـ هـنـاكـ أـىـ دـاعـ
لـاخـافـ مـنـ ذـكـرـيـاتـ فـيـهـ ، أـوـ أـتـهـرـبـ مـنـهـ ، وـأـنـاـ لـمـ أـئـمـ هـاشـمـ ..
أـنـىـ ذـكـرـهـ دـائـمـاـ .. وـشـعـرـهـ الـعـبـقـ بـالـدـخـانـ ، وـعـيـنـاهـ الـمـنـفـختـانـ ..
وـشـفـتـاهـ الـمـنـفـرـجـتـانـ ، وـأـنـفـهـ الـكـبـيرـ .. كـلـ عـلـامـهـ اـرـاهـاـ
مـعـلـقـةـ عـوـقـ رـأـسـيـ كـلـماـ خـلـوتـ بـنـفـسـيـ قـبـلـ أـنـ آـنـمـ .. لـكـ ذـكـرـاهـ
لـيـسـ فـيـهـ أـلـمـ وـلـ نـدـمـ .. ذـكـرـاهـ حـلـوةـ ، عـاطـرـةـ تـمـدـنـىـ بـالـثـقـةـ فـيـ
نـفـسـىـ ..

وـرـغـمـ ذـكـرـهـ فـقـدـ انـقضـتـ أـرـبـعـةـ أـيـامـ قـبـلـ أـنـ اـتـصلـ بـهـاشـمـ ..

تردلت .. لا ادرى لماذا .. ربما لانى خفت ان اعكر الذكرى .. خفت الا اجد فى لقائى بهاشتم شيئاً اجمل من ذكرياتى معه .. ولنكن لم استطع ان اقاوم معه طويلاً .. اتصلت به فى التليفون .. وما كاد يسمع صوتي حتى صاح :
— رحاب .. اين انت ..
قلت :

— غنى الميلتون ..
قال بسرعة وصوته يزغرد بفرحته :
— سامر عليك الساعة الثانية ، انتظرينى .. انى مشغول ..
تللت وانا الهث وراء كلماته المتجلة :
— الا تستطيع ان تأتى فى الواحدة ..
تال نى عجلة وقوه :
— ستحليل .. العيادة مزدحمة .. انتظرينى .. انى فى شوق اليك .. الحمد لله على السلامة ..
وانهى المحادثة بسرعة ..
وابتسامة وسماعة التليفون لا تزال فى يدى .. كأنى ابتسم لطفلى الكبير وانا اراه منهكم فى استذكار دروسه ..
ونم يات هاشم الا فى الساعة الثانية والنصف .. صعد الى غوفتى .. وما كاد يلمحنى حتى اتسعت عيناه دهشة ، وامسك بكلتا بدى ، وقال بلهجته المصرية الحلوة المرحة :
— مثل معقول .. امال فین رحاب .. انت اجمل منها ..
واكبـر ..

قلت زانا ابتسم واماً عينى منه :
— هذه رحاب بعد ان عرفتك ..

قال وفي عينيه نظرة طيبة مبتسمة :

— لا .. بعد أن عرفت نفسها ..

ولم يقلني .. ظل ممسكا بكلتا يدي .. وعيناي تقبلان كل قطعة من وجهي ، وأنا لا زلت أمالاً عيني منه .. انه اسمن قبلها مما تركته .. ووجهه أكثر قوة .. ليس فيه هذا التحول والاصفوار .. وتشعره أكثر بياضا ، ولكنه يبدو أصغر من سنـه .. وأنـه أيضاً يبدو أصغر وسط وجهـه القوى ..

وتبادلـنا ذكرياتـنا ونحن نضحك .. لا نكاد نبدأ في ذكرـى ، حتى ننتقل إلى أن قال هاشـم وهو محتفظ بمرحة :

— أتعلـمين آخر اخـبارـي ؟
قلـت :

— خـير ..

قال وهو يـضـحـكـ :

— سـأـتزـوجـ الـاسـبـوعـ القـادـمـ ..

واحسـستـ بـلحـظـةـ صـمتـ ، طـوتـ ضـحـكةـ هـاشـمـ ، واستـقـرـتـ فـيـ قـلـبيـ .. لا أـدرـىـ لـمـاـ اـحـسـسـتـ بـهـذـهـ اللـحـظـةـ .. رـبـماـ لـاتـىـ مـهـماـ اـدـعـيـتـ القـوـةـ .. وـمـهـماـ باـعـدـتـ بيـتـيـ وـبـيـنـ هـاشـمـ ، وـمـهـماـ اـقـتـنـعـتـ بـأـنـهـ لـيـسـ لـىـ ، ثـانـيـةـ كـلـ اـمـرـأـ .. تـبـخـلـ أـنـ تـتـنـازـلـ عنـ رـجـلـ لـآخـرىـ .. حتـىـ لوـ كـانـ هـذـاـ الرـجـلـ مـجـراـ ذـكـرـى ..

وقـلـتـ وـأـنـاـ أـحـاـوـلـ أـضـحـكـ :

— أـحـبـتـ مـنـ جـدـيدـ .. وـبـسـرـعـةـ !

قال وابتسـامـتهـ مـسـتـقرـةـ فـيـ هـدوـءـ وـثـقـةـ نـوـقـ شـفـقـيـهـ :

— لا .. سـأـتـزـوجـ فـتـاةـ خـطـبـتـهـاـ لـىـ أـمـىـ مـذـ عـشـرـيـنـ سـنـةـ ..

قلـتـ وـأـنـاـ أـدـعـيـ الـدـهـشـةـ :

— وانتظرت طول هذه المدة ؟

قال :

— لا .. تزوجت ، وانجبت ثلاثة اولاد .. ثم توفى عنهم زوجها ..

الت في خبث :

— واكتشفت بعد عشرين سنة انك تحبها ؟

قال على هدوء :

— اى مقتنع بها ويخيل الى ان الاقتناع هو الطريق السليم الى الحب ..

وينظر الى كأنه يذكرني بقصتنا معا :

— ان الطريق من العقل الى القلب ، اسهل من الطريق من القلب الى العقل .. العقل اقدر على اقناع القلب .. من قدرة القلب على اقناع العقل ..

فتات وصوت خافت :

— هذا صحيح .. مبروك ..

وقائل كأنه لا يزال يحادث نفسه :

— لقد وجدت في هذه السيدة كثيرا مما ينقصنى .. انهما تكملنى ..

علت كأنى اذكره بخطابه :

— سالب ومحب ! ؟

قال :

— بعمر .. سالب ومحب .. والفرق بين عمرى وعمرها عشر سنوات ، فرق معقول .. ولكنى عندما اجلس معها احس بانى صغير منها .. تصورى .. منذ خطبتنا ، زدت ساعات عملى ..

ذلك، وانا افترض في وجهه كاتبي ابحث عن نفسي :

— أعتقد أن هذا دائمًا تأثير الزوجة الكاملة ..

عذل ۽ صوته منطق کاٹه طفل مرح :

— سأعرفك بها .. نتعشى غدا معا .. في بيت اختي ..

— ادب آن اعدها .. ولکن، لا ارید از عاچک .. استاذنا

۲۰۷

٢٣

— إنها تعرفك .. وتحترمك .. قدر احترامي لك ..

ثم قبر واقفا واستطرد :

- بحث أن ذهب

تبلیغات و دهشة:

— الا تدعونه ، الى ، الغداء ؟

ثالث: عطلة وهو بضمك:

--بسیطة .. انتظري حتى الساعة الرابعة .. الى أن انتهي من زيارة مريض .. ثم اعود اليك لادعوك الى تناول ساندویتش ساعة الغداء ..

قلت وأنا أقف لاودعه :

— لا .. عندك الآن من ينتظرك ..

وواظر الى طويلا ، وهم ان يقول شيئا .. ولكنه لم يقله ..

وجي نحوي الباب وهو يقول في مرح :

— غدا سأمر عليك في التاسعة والنصف مساء ..

رخراج وابتسامة هادمة تماماً قلبي .. ان هاشم تغير ..

تتغير الى رجل اقوى .. الى رجل آخر .. غير الذي احنا

رجيمى به الا لحظة من لحظات ضعفه .. وصعى ..
وعاد الى فى اليوم التالي .. جاء متاخرًا ايضا .. فى
لساعه العاشرة ، وصحبنى الى بيته فى المعادى لتناول العشاء ..
والمتنيت هناك بخطيبته ..
انه سيدة رائعة ..
رائعة فعلا ..

ومى اليرم التالي زرت مبنى التليفزيون المصرى .. ان الفرق
بين تليفزيون مصر وتلفزيون لبنان هو أن ..
••••••••••
•••••••••
••••••••
••••••••
••••••••

«تمت»

مِنْ كِتَابِهِ فَضْلًا

سعید جوده السحار وشراکاه

تقدم قائمة بمؤلفات عمالقة القصة المصرية

كتب للاستاذ احسان عبد القدوس

- (١) صائم الحب
- (٢) باائع الحب
- (٣) أنا حرة
- (٤) الطريق المسدود
- (٥) ابن عمري
- (٦) النظارة السوداء
- (٧) في بيتنا رجل
- (٨) لا انام
- (٩) منتهي الحب
- (١٠) لا تطفيء الشمس (جزآن) (١٧) دمى ودموعى وابتسامى
- (١١) شيء فى صدرى
- (١٢) زوجة احمد
- (١٣) البنات والصيف
- (١٤) لا شيء يهم
- (١٥) أنف وثلاث عيون (جزآن) (٢٢) اسف لم أعد استطعم
- (١٦) شفتاه
- (١٧) لا .. ليس جسديك
- (١٨) مقتلى وثقبى
- (٢٠) علبة من صفيح
- (٢١) ثقوب فى الثوب الاسوه
- (٢٢) بنت السلطان
- (٢٣) سيدة فى خدمتك
- (٢٤) نساء لهن أسنان بيضاء
- (٢٥) لا استطيع أن أفكر وان
- (٢٦) الوسادة الخالية
- (٢٧) دمى ودموعى وابتسامى
- (٢٨) للراقصة والسياسي
- (٢٩) حتى لا يطير الدخان
- (٣٠) لا تتركونى هنا وحدى
- (٣١) الحياة فوق الضباب
- (٣٢) وتأهت بعد العمر الـ١٦
- (٣٣) لم يكن ابدا لها
- (٣٤) وتنسبت انى امراة .

مؤلفات الاستاذ نجيب محفوظ

اسم الكتاب	تاريخ اول طبعه	تاريخ آخر طبعه	
حكاية بلا بداية ولا نهاية مجموعة	١٩٧١	١٩٧١	ال السادسة
شهر العسل مجموعة	١٩٧١	١٩٧٢	ال السادسة
المرايا رواية	١٩٧٢	١٩٧٣	الرابعة
الحب تحت المطر رواية	١٩٧٣	١٩٧٣	الرابعة
الجريدة مجموعة	١٩٧٣	١٩٧٤	الخامسة
الكرنك رواية	١٩٧٤	١٩٧٤	ال السادسة
حكايات حارتنا رواية	١٩٧٥	١٩٧٥	الخامسة
قلب الليل رواية	١٩٧٥	١٩٧٥	الثالثة
حضره المحترم رواية	١٩٧٥	١٩٧٦	الرابعة
ملحمة الحرافيش رواية	١٩٧٧	١٩٧٩	الثالثة
الحب فوق هضبة المهرم مجموعة	١٩٧٩	١٩٧٩	الثالثة
الشيطان يعظ مجموعة	١٩٧٩	١٩٨٠	الثالثة
عصر الحب رواية	١٩٨٠	١٩٨١	الثانية
أفراح القبة رواية	١٩٨١	١٩٨٢	الثانية
لباقي الف ليلة رواية	١٩٨٢	١٩٨٢	الثانية
ربات في مأيرى النائم مجموعة	١٩٨٢	١٩٨٣	الثانية
الباقي من الزمن ساعة رواية	١٩٨٢	١٩٨٣	الثانية
امام العرش (حوار بين الحكماء) رحلة ابن فطومة رواية	١٩٨٣	١٩٨٣	الثانية
التنظيم السرى مجموعة	١٩٨٣	١٩٨٥	الثانية
العاشر في الحقيقة رواية	١٩٨٥	١٩٨٥	الثانية
يوم قتل الزعيم رواية	١٩٨٥		

تحت الطبع

حديث الصباح والمساء رواية
صباح الورد مجموعة

دار مصر للطباعة

شانع سكافل مصطفى

شانع سكافل مصطفى

رقم الإيداع ٢٨٦٤

الترقيم الدولي ٤ - ٤٤٥ - ٣١٦ - ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل عسْدَقِي - الْجَوَالَة

الثمن ٣٥٠ قرشاً

دار مصر للطباعة
سعید جودة السعّاد وشريكاه